

الأنثروبولوجيا الثقافية لأفريقيا



أ.د. سعاد علي شعبان

٢٠٠٤



الأنثروبولوجيا الثقافية لأفريقيا

أ.د. سعاد على حسن شعبان

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

محتويات الكتاب	صفحة

محتويات الكتاب | صفحة

محتويات الكتاب	صفحة
السيول	١٥٤
جماعات الصيد والقنص	١٨٨
جمع الطعام	١٩١
الجمع والالتقاط	١٩١
الصيد (القنص)	١٩٤
الصيد والجمع	١٩٤
مجتمعات الصيد والقنص الأفريقية	١٩٨
١ – صيادو السافانا	١٩٩
البشمن	٢٠١
٢- صيادو الغابات الاصليون	٢١١
الأقزام	٢١١
الشعوب التى تمارس الرعى	٢٢٥
البجا	٢٢٥
الراعى وآثاره على تقدم البلاد	٢٣٦
الصومال	٢٣٦
ثقافة الدنكا	٢٧٨
الكبابيش	٢٨٩
الزراعة البدائية	٣٠٣
الباجندا	٣٠٨
القرية المصرية	٣٢٠
الرملة	٣٢٢
هورين	٣٩١
العشى	٤٢٣

فكرة عامة عن الأنثروبولوجيا

سوف نلقى الضوء على الأنثروبولوجيا بصفة عامة ومفهومها.

لقد اصبح هذا العلم أعنى الأنثروبولوجيا بفرعيها الثقافية والاجتماعية ،مستقلا فى الغرب وله اقسامه العديدة والمتطورة ومعظمها يقوم على الدراسات والبحوث والميدانية.

وقد بدأ اهتمام الدول العربية وغيرها مؤخرا بالعلوم الاجتماعية بجانب اهتمامها بالعلوم الطبيعية وتكونت اقسام فى الجامعات العربية تختص بكل العلوم الاجتماعية ومن بينها الأنثروبولوجيا لشدة الحاجة اليها.

فالأنثروبولوجيا هى العلم الذى يتناول الانسان من كافة جوانبه الجسمية والاجتماعية والثقافية. وهى ايضا العلم الذى يعلم التنوع ، ويلتمس لكل ثقافة منطقها ويبحث فيها عن تكاملها الداخلى ورقيها وإنسانيتها.

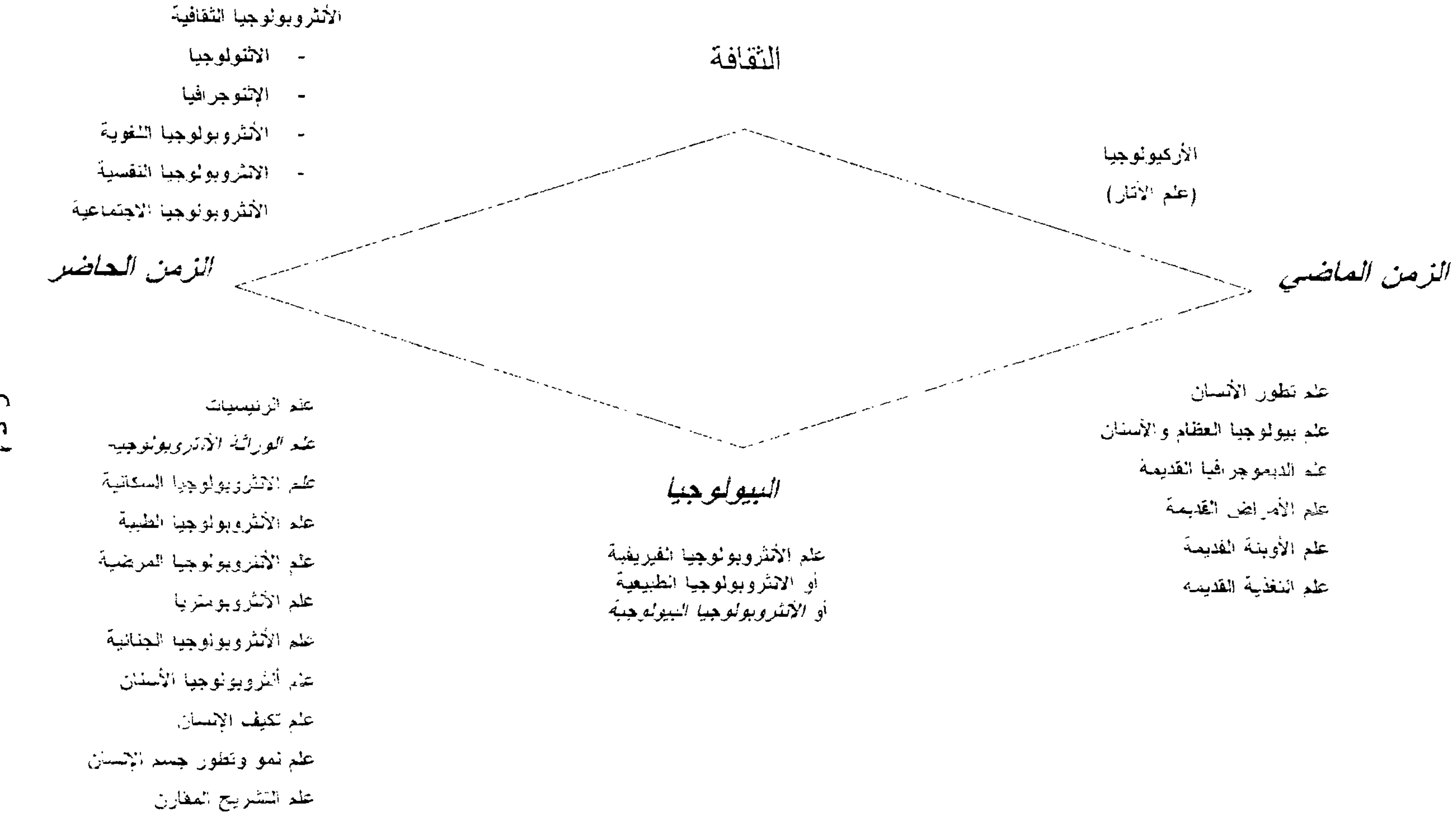
والأنثروبولوجيا تدرس الحياه الاجتماعية للمجتمعات شبه البدائية والمتخلفة.

ولقد تقدم هذا العلم فى أوربا وأمريكا واصبحت له عشرات الأقسام فى الجامعات الكبرى.

والوطن العربى بما يشمله من بدو وريف وحضر وما يستلزمه من مشروعات للتنمية والتخطيط والتوطن وغيرها من السياسات لن يكتب لها النجاح الا اذا ارتكزت هذه المشروعات وتلك السياسات على دراسات أنثروبولوجية علمية تبحث الواقع لتقدم للمخططين والمهندسين الاجتماعين المادة العلمية الصحيحة التى يمكن ان يبنوا على أساسها ويبلوروا فى ضوءها السياسات الاجتماعية والاقتصادية بأنواعها المختلفة.

ولقد اصبح من الواضح ان الأنثروبولوجيا هى العلم الذى يعرفنا بصورة علمية ودقيقة طريقة معيشة تلك المجتمعات أى نظمها الاقتصادية والعائلية والسياسية والدينية واللغوية والفنية وغيرها.

شكل (١) المحاور الأساسية لعلم الأنثروبولوجيا



ومن الواضح ان العوامل المحيطة بمجتمعنا تقتضى منا مزيدا من الجهد فى سبيل تثبيت دعائم الدراسة الميدانية الحقلية للقطاعات العربية المختلفة لان هذه الدراسات بمفهومها العام اوسع الدراسات الاجتماعية نظاما واشملها موضوعا وأغزرها مادة واقدمها عهدا وذلك لن هذه الدراسات الأنثروبونوجية يفهم منها الدلالة على كل دراسة تتعلق بنشأة الاجناس البشرية والثقافات والحضارات الانسانية والنظم الاجتماعية والبحوث المتعلقة بالصفات الطبيعية المميزة للعائلة البشرية وكذلك الاراء المستنبطة من مخلفات الكائنات التى عثر عليها فى الحفريات والتى ترجع الى عهود تاريخية ساحقة وعصور جيولوجية قديمة فضلا عن النظريات والأفكار الشائعة عن عادات وتقاليد واساطير وامزجة الجماعات البدائية والمتأخرة والمتخلفة وما يقال عن طرقها فى التفكير واستعدادها للتثقيف ووسائلها فى التفاهم والتعبير ومدى ارتباطها بظروف البيئة والطبيعة وتأثر حياتها الاجتماعية ونظم معيشتها بمقتضياتها الاقليمية والمحلية.

وهذه النظرة العامة الشاملة جعلت موضوع الدراسات الأنثروبولوجية شاملة لكل المظاهر الطبيعية والحيوية والنفسية والاجتماعية للإنسان اينما وجد على وجه الارض لهذا نجد ان علم الأنثروبولوجيا يشترك فى الطائفتين الرئيستين للدراسات الإنسانية (الطبيعية والحضارية) اما كلمة (أنثروبولوجيا) Anthropology فقد اشتقت عن اصلين يونانيين الأول :Anthropos ومعناه الإنسان ، واما الثانى فهو : Logos ويعنى العلم.

وبذلك تعنى كلمة الأنثروبولوجيا حرفيا "علم الإنسان" ولما كان الهدف النهائى لمعظم الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية وخاصة علم النفس وعلم الاجتماع دراسة الإنسان أيضا صارت الأنثروبولوجيا كعلم مستقل فى حاجة الى تعريف ادق فهى ذلك الفرع من دراسة الإنسان الذى ينظر الى الإنسان من حيث علاقته بانتاجه.

وتهدف الأنثروبولوجيا الى فهم الإنسان من خلال دراسة عدة ميادين علمية قد تكون مستقلة ولكنها متصلة بعضها ببعض أيضا يجمعها علم واحد.

ويهمنا فى دراستنا ما قدمه لنا رواد الفكر العربى الاوائل من الفقهاء والمفسرين والرحالة المتجولين وما قدموه من مادة أنثروبولوجية غنية عن كثير من الجماعات والمجتمعات الإنسانية ولقد ساهموا بذلك فى أقامة صرح علم الأنثروبولوجيا الحديث أمثال هؤلاء "ابن جبير" وما تضمنته رحلته من دراسات وصفية عن مصر وعن

مـدن الكوفـة وبغداد والموصل وحلب ودمشق وغيرها كذلك اورد الرحالة بن بطوطة روايـات مفصـلة عن اخلاق وعادات الشعوب التى كانت تعيش فى البيئات التى زارها والـتى امتدت من الغرب الى الصين. وحلل العلامة بن خلدون" البناء الاجتماعى لقبائل الـبدو الصـحراوية كما حلل الهيكل الاجتماعى لسكان المدن المستقرة تلك الشواهد وما الـيها ممـا زخرت بها الموسوعات التى تركها لنا علماء الفكر العربى القديم من أمثال الخوارزمـى واليـعقوبى والمسـعودى وبـن حوقل والبغدادى والبيرونى وغيرها من المؤلفـات والمخطوطات العربية يمكن ان تعتبر رمزا هاما لمعرفة التطورات الاجتماعية الـتى مـرت بهـا تلـك الجماعات البشرية. وينبغى فى هذا المجال ان نشير الى أهمية اسـتخدام اللغـات واللهجات الوطنية والمحلية عند القيام بدراسات أنثروبولوجية حقلية وهـذا يسـاعد بلا شك على دقة جمع المادة العلمية والى سهولة الاتصال المباشر بين الباحـث الأنثروبولوجـى والمواطن وهذا الاسلوب يجب ان يلجأ اليه الباحثون العرب لا كما يفعل الأنثروبولوجيون الاجانب من الاستعانة بالمترجمين والمفسرين لان هذا يؤدى الـى فقدان عنصر الاتصال المباشر من ناحية والى عدم دقة المادة الأنثروبولوجية من ناحـية أخـرى ومجتمعنا فى أشد الحاجة للدراسات الأنثروبولوجية الميدانية للقطاعات والبيئات والجماعات المختلفة وتلك التى تشهد تطورات لتتكيف بالمرحلة التصنيعية التى تتهيأ لها البلاد فى الوقت الحالى.

فروع الأنثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا الفيزيقية :

الأنثروبولوجيا هو علم الإنسان فهو ذلك العلم الذى يهتم بدراسة تنوع الإنسان البيولوجى والثقافى والاجتماعى.

فالإنسـان كائـن بـيولوجى متمـيز كما أنه كائن اجتماعى أيضا يتميز بقدرته الفريدة على خلق وابتكار الثقافة.

من هذا المدخل نستطيع ان نقدر ان علم الأنثروبولوجيا يتمحور حول محورين أساسـين همـا ثقافـة وبيولوجية الإنسان. كما ان هناك بعد ثالث أساسى فى دراستنا للإنسان الا هو البعد الزمنى ، حيث ان الأنثروبولوجيا تهتم بدراسة المجتمعات الإنسانية الآنـية والتاريخـية والقـبل تاريخـه . شـكل (١) يمـثل مخطط توضيحى لأفرع علم الأنثروبولوجـياالعامة وموقع علم الأنثروبولوجيا الفيزيقية وفروعه بينها. ترجع اصول

علـــم الأنثروبولوجــيا الفيزيقــية الى القرن السابع والثامن الميلادى حيث كان الاهتمام منصــب علـــى دراســة الخصائص المورفولوجية للجماعات الإنسانية وتصنيف وتقسيم ســلالات الإنســـان. كما كانت للدراسات فى مجال التشريح المقارن (Comparative anatomy) مكانـــتها مـــنذ تلك الفترة. هذا بالإضافة الى الاهتمام المبكر بدراسة تطور الإنســـان البـــيولوجى منذ نشأته وارتقائه على مر الزمن والذى تزامن مع نشر العلامة داروين لنظريـــته الـــتطورية فى كتابة اصل الأنواع فى عام ١٨٥٩. وقد استمر هذا الاهـــتمام الى الان ،والذى يتمثل فى أحد افرع الأنثروبولوجيا الفيزيقية وهو علم تطور الإنسان (Human evolution).

ويعـــتمد المتخصصـــون فى هذا العلم على دراسة بقايا الهياكل البشرية القديمة ومورفولوجـــية الأســـنان ، مســـتخدم فـــى ذلـــك أدوات علـــم الأنثروبومـــترى (Anthropometry) والأنثروبوســـكوبى (Anthroposcopy). فيهتم الأول بقياس أبعاد الإنسان سواء كان على قيد الحياة فيطلق عليه السوماتومترى (Somatomety) أو علـــى الهيكل العظمى فيسمى بعلم الاوستيومترى (Osteometry) أو على الجمجمة ويطـــلق علـــيه الكـــرينيومـــــترى (Craniometry) أو علـــى الرأس ويسمى السيفالومترى (Cepholometry) أما العلم الثانى ، الانثروبوسكوبى فهو يهتم بدراسة الصـــفات الجسمانية التى يتعذر على الباحث قياسها حيث ان هناك الكثير من الخصائص والمميزات التى توجد فى بعض السلالات البشرية ولا توجد فى غيرها.

هذا وقد اتسعت دائرة هذان العلمان ليشمل الاهتمام بوضع أنماط مختلفة للجسم الانسانى فى للسلالات المختلفة والاستفادة منها فى حالتى الصحة والمرض. فأسهامتهما فـــى مجال صناعة الملابس الجاهزة واضحة ، وكذلك الاستفادة منها فى إجراء العمليات الجراحـــية التقويمـــية (Plastic Surgery) لتصحيح الأخطاء الخلقية الوراثية التى قد تصـــيب الإنسان. كما تستخدم القياسات الانثروبومتريه فى عملية تقويم الأسنان والفكين هـــذا بالإضافة الى استخدام تلك القياسات لمتابعة النمو الطبيعى عند الاطفال وتشخيص الأمراض وتحديد الحالة الغذائية للصغار والكبار على حد سواء.

وقـــد ركـــز الرواد الأوائل للأنثروبولوجيا الفيزيقية فى دراساتهم على التصنيف والوصف للبقايا العظمية (OSteology) والمجوعات الإنسانية . حيث ان ادوات البحث العلمـــى بالأنثروبولوجـــيا المـــنظم لم تكن قد ظهرت بعد ، كما كانت العلوم البيولوجية والحيوية القريبة الصلة بالانثروبولوجيا الطبيعية فى بداية تطورها. ولكن مع تطور تلك

العلوم وتقدمها وتحسن طرق وأدوات البحث العلمى بدأت دراسة العظام (Osteology) تتحول من الدراسات الوصفية الى الدراسات العلمية التحليلية المنظمة ومتخذين من المنظور البيولوجى الايكولوجى الثقافى منهجا لها وذلك فى محاولة لإعادة بناء تطور التاريخ الانسانى البيولوجى والثقافى ونتيجة لذلك التطور تنوعت مجالات التخصص لتشمل أفرع مختلفة للأنثروبولوجيا الفيزيقية تساهم كل منها فى الإضافة الى معرفتنا عن النواحى البيولوجية للمجتمعات الإنسانية القديمة والحديثة على حد سواء.

- علم الديموجرافيا القديم Paleodemography يهتم بمحاولة إعادة بناء الخصائص الديموجرافية للجماعات الإنسانية المختلفة ، حيث تمدنا الدراسات فى هذا المجال بالمعلومات التى تساعدنا على معرفة طبيعة النمو السكانى وكيف وصلت المجتمعات الإنسانية الى ما وصلت عليه الان من انفجار سكانى كما تذودنا بالمعلومات التى بها نستطيع التوصل الى استنتاجات عن البيئة التى كان يعيش فيها اسلافنا ومدى تكيفهم معها، وتساعدنا على تفهم افضل للدور الايكولوجى الذى لعبه الإنسان العاقل على مر الزمن فالنمط الديموجرافى لمجتمع ما يختبر مؤشر حساس لمدى تكيف المجتمع لكامل البيئة التى يعيش فيها.

- علم الأمراض القديم Paleopathology

تخصص أخر يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم الديموجرافيا القديم ، حيث يوفر لنا معلومات هامة عن تاريخ الأمراض التى تصيب الإنسان وجغرافيتها وتوزيعها بين الجماعات الانسانية المختلفة كما تساعدنا على تفهم طبيعة التفاعل المتبادل بين المرض والثقافة من منظور تطورى. كما يوفر لنا هذا التخصص الفرصة لدراسة نمو العظام وتطور العملية المرضية. ولا تقف مهمة الباحث المتخصص فى هذا العلم عند عملية وصف وتشخيص الأسراض من العظام وبقاياها وانما يتخذ من مدخل علم الاوبئة (epidemiology) منهجا له حيث يستخدم الباحث العمليات الإحصائية المختلفة لبيان مدى انتشار المرض بين أفراد المجتمع المدروس من حيث النوع (نسبه الذكور الى نسبه الإناث) الفئات العمرية الأكثر إصابة بالمرض (أطفال ، شباب . شيوخ). كما يحاول الكشف عن العوامل البيئية (ثقافية أو طبيعية) المؤثرة على طبيعة الأمراض التى تصيب الجماعة السكانية واهمية الممارسات الثقافية للمجتمع فى منع أو زيادة انتشار الأمراض ، فهناك الكثير من الاكتشافات والتغيرات التكنولوجية على مدى التاريخ الإنسانى التى عملت على تنشيط عملية الإصابة بالمرض. حيث تؤدى النشاطات

الإنســانية فــي حــدوث تغيرات خطيرة في التوازن الايكولوجي الذي يؤدي الى ازدياد الاصــابة بالأمــراض (مثل اكتشاف الزراعة المتنقلة وانتشار مرض الملاريا في غرب أفريقيا .بناء السد العالي وانتشار مرض البلهارسيا) .

- علم التغذية القديم **Paleoneutrition**

مــن التخصصــات الــتي لاقــت الكثير من الاهتمام في الفترة الأخيرة حيث بدأ الاهتمام بمحاولة فهم وتبيان العلاقة بين طبيعة الغذاء والتطور الثقافي للإنسان .

فقــد كــان من الطبيعي التوجه لهذه الدراسات بعد توافر المعلومات عن ديناميكية التغذية بيــن المجتمعات الانسانية والتضخم العالمي في تعداد سكان الأرض والخوف من هاجس نقص الغذاء .

فالوضــع الغذائــي لمجــتمع مــا هو نتيجة طبيعية للتفاعل بين العوامل البيولوجية (الــنوع . العمــر . الصــحة والمــرض) والبيئة الطبيعية (الموارد النباتية والحيوانية والمائــية الخ ..) . بالإضافة الى المعلومات التي تتوافر عن الأمراض الناتجة عن سوء الــتغذية والــتي تترك آثارها على الهيكل العظمي . فإنه هناك من الاساليب الحديثة التي توفــر معلومات هامة عن طبيعة الغذاء ونوعيته وذلك عن طريق تحليل العناصر النادرة (**Trace element analyses**) والــنظائر المستقرة (**Stable isotope analyses**) الموجــودة فــي نســيج العظــام والاسنان . ومن أهم العناصر النادرة التي استخدمها الأنثروبولوجــيون بكــثرة هــو عنصــر الاسترونشــيوم (**Strontium**) وأهم النظائر المستقرة استخداما كانت لعنصري الكربون والنيتروجين.

- الأنثروبولوجــيا الســكانية **Demograbhic anthropology** ويهــتم هذا التخصــص بدراســة اثــر التفاعل القائم بين الجوانب البيولوجية والاجتماعية والثقافــية علــى الخصائص الديموجرافية للمجتمعات الإنسانية . فيقوم الباحث بتوضــيح اثــر عمليــات التحضر والتحديث والهجرة والصراعات الاثنية على التركيب السكاني

علــم الوراثــة الأنثروبولوجية **Anthropologicol genetics** ويرتبط هذا العلم بعلم الأنثروبولوجيا السكانية حيث يرى الأنثروبولوجيون الفيزيقيون أنه لا يمكــن فهم أو قياس التطور إلا على المستوى السكاني فالباحث في هذا المجال يركــز فــي دراسته على العلاقة الوثيقة بين التكوين السكاني وتوزيع الجينات (الموروثــات) وانــتقالها بيــن الجماعــات الإنســانية . وبالتالي فهو يرى ان

البارامسترات الديموجرافية من معدلات الخصوبة والوفاة والمرض والهجرة الخ ما هى الا عوامل هامة فى دراسات الوراثة السكانية.

- الأنثروبولوجيا الطبية Medical anthropology

وتعتبر الأنثروبولوجياالطبية فرع من الأنثروبولوجيا الفيزيقية وتعد الأنثروبولوجياالطبية أو أنثروبولوجيا الصحة كما يمكن ان نسميها ايضا ، احد الميادين التى نمت بسرعة فائقة ، خاصة فى الولايات المتحدة خلال العشرين عاما الماضية ، ولا يرجع تنامى الاهتمام بهذا الميدان الى مجرد الحذق الكبير فى الخطاب الأنثروبولوجي عن المرض ، وانما يرجع كذلك الى الانفتاح المتزايد للأطباء ومخططى الشئون الصحية على مختلف اتجاهات العلوم الاجتماعية ويرتبط هذا الاتجاه نحو الاهتمام بهذا الميدان الى تزايد مشروعية الاهتمام بأساليب الطب البديل فى العلاج واستراتيجيات الرعاية الصحية على مستوى المجتمع المحلى ، كما يركز هذا الفرع على دراسة الإنسان الطبية غير الغربية ، وعلى دراسة المعتقدات والممارسة التى تختلف عن تلك المرتبطة بالطب العلمى التقليدى.

حيث توجد فى كل مجتمع مجموعة من القواعد المتعارف عليها بين أعضاء المجتمع الواحد لترجمة الاشارات الى اعراض ولتعريف المرض وأنماط العلاج ولا تؤثر القوى الاجتماعية على التشخيص فقط وانما تؤثر كذلك على امكانية الحصول على مختلف أنواع العلاج وزيارة المعالجين بالنسبة لمختلف قطاعات المجتمع..

- اما علم الأنثروبولوجيا المرضية Anthropological pathology

فينصب اهتمامه على دراسة نمط الأمراض السائدة فى المجتمع متخذين من منهج علم الاوبئة (epidemeology) الأداة للتحليل والتفسير. فالعلاقة وثيقة بين الممارسات الثقافية والسلوك الاجتماعي وطبيعة الأمراض السائدة فى المجتمع. كما ان التقدم الثقافى المتمثل فى التغيرات التى تطرأ على الإمكانات التكنولوجية للمجتمع تؤثر سلبا أو ايجابا وبطريقة مباشرة فى أنماط العدوى وانتشار المرض بين أعضاء المجتمع كما يهتم الباحث بتقييم الآثار الاجتماعية للمرض وقدرة المجتمع على تحمل تبعياته.

- علم أنثروبولوجيا الأسنان Dental anthropology

الاسنان لهـا اهمية خاصة في الدراسات الأنثروبولوجية الفيزيقية ، فهي تحتوى على أقوى نسيج في جسم الانسان (المينا) فهي تحفظ لملايين السنين كما ان لها سمات وراثـية ثابـتة ومعروفة . فتستخدم في الدراسات التي تهتم بنبيان العلاقات البيولوجية بيـن الجماعات الإنسانية القديمة وأصول الانسان والسلالات البشرية هذا بالإضافة الى أنها تتأثر بالممارسات الثقافية للمجتمع مثل عادات طهي وإعداد الطعام عادات الاكل وقد تسـتخدم كأداة في بعض المجتمعات الانسانية (مثل: في صناعة السلال ..الخ) فدراستها توفـر لـنا معلومات هامة عن أنواع الطعام الذى كانت تعتمد عليه المجتمعات الإنسانية القديمـة . فـنمط أمـراض الأسـنان يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الاقتصادى للمجتمع . فدراسة الأسنان توفر لنا معلومات لا غنى عنها عن عمليات التكيف البيولوجي والثقافي على حد سواء.

- علم التكيف الأنساني Human adaptation ويهتم الباحث في هذا التخصص بدراسة الاختلافات البيولوجية بين الجماعات الأنسانية المختلفة تواكب متطلبات البيـئات المختلفة التي تعيش فيها تلك الجماعات. فالنوع الإنساني يمتلك قدرات هائلة في التكيف لمدى واسع من البيئات المتباينة المنتشرة على وجه الأرض. فقـد اسـتطاع الإنسان ان يتكيف لأقصى البيئات عدائية ويكون مجتمع ويبتكر ثقافـة .فالانسـان مـن انجـح خلـق الله علـى الاطلاق . وعليه فإن الباحث الأنثروبولوجـي المتخصـص في هذا المجال يهتم بدراسة دينامية التفاعل بين عناصر البيئة المختلفة (الطبيعية، الحيوية ، الاجتماعية ، الثقافية) وكيفية تأثير هذه التفاعلات على بيولوجية الانسان .
- علم الأنثروبولوجيا الجنائية Forensic anthropology

ويهـتم الباحث المتخصص في هذا العلم بالطرق المختلفة لتحديد هوية الاشخاص سـواء كانوا احياء أو امواتا مكتملي الاجساد أو اشلاء أو عظام ومحاولة تحديد اسباب الوفـاة . وهـناك مـن الوسائل المختلفة التي ابتكرها الأنثروبولوجيون لتحديد الجنس والعمـر والعنصـر من الهيكل العظمي أو بقاياه. كما يهتم الباحث في هذا المجال بطرق وإعـادة بـناء ملامـح الوجه للجمجمة وتقدير ارتفاع القامة وقت الحياة .كما يستخدم فصائل الدم المختلفة والبصمة الجينية لتحديد الهوية والعلاقات الأنثروبولوجية.

- علم نمو وتطور جسم الإنسان Human growth and develepment

جسم الإنسان يبدأ فى النمو منذ لحظة التقاء الخلية الجنسية الذكرية مع الخلية الجنسية الانثوية لتكوين الذايجوت (الخلية المخصبة). ويستمر الذايجوت فى الانقسام حتى يتكون الجسم الإنسانى الذى ينمو بعد ذلك بسرعات مختلفة، فهناك فترات تتميز بسرعة النمو (فترة النمو داخل رحم الام) وأخرى تتسم ببطء النمو (بعد البلوغ) الى ان يقف النمو كليا عند اكتمال النضج مع بداية فترة الشباب. ويستخدم الأنثروبولوجي العديد من المؤشرات الجسمية (مثل حجم ووزن الجسم، القياسات الطولية والعرضية والمحيطية. نمو العظام والأسنان والنضج الجنسى) التى بهما يتتبع عملية النمو أخذاً فى الاعتبار العوامل التى تؤثر على هذا النمو (مثل: العوامل الوراثية) والعوامل البيئية سواء داخلية (داخل رحم الأم) أو خارجية (مثل: مدى توافر الغذاء، الصحة، المرض، العوامل الطبيعية والمحيط البيولوجى من حيوان ونبات وجراثيم وبكتريا وفيروسات) هذا بالإضافة الى العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

- علم بصمات الجلد Dermatoglyphics

يتركز علم البصمات على استخدام خطوط واضحة تظهر على سطح اليد والقدم وخاصة ما يظهر منها على سطح السلامية الاولى من أصابع اليدين، ولهذه الخطوط إنساط معينة من الانحناءات الكاملة وغير الكاملة (نصفية) بحيث تم تصنيفها الى عدة أنواع، لكل نوع منها خصائصه المميزة من حيث الشكل وعلاقة الخطوط بعضها بالبعض الأخر. ولا شك ان للبصمات أساس وراثى قوى مما جعلها ذات قيمة عالية فى مجال الادلة الجنائية وحقل التعرف على مجهولى الهوية والمفقودين وضحايا الكوارث. هذا بالإضافة الى ان بصمات الجلد قد تعكس بعض الأمراض وخاصة فيما يتعلق بالاضطرابات والعيوب فى المادة الوراثية.

- علم الرئيسات Primatology

وهو علم يهتم المتخصص فيه بالدراسة الحقلية المركزة للرئيسات غير الإنسانية (human primates-non) فى بيئتها الطبيعية، حيث يركز الباحث الأنثروبولوجي الفيزيقى على توضيح وتبيان علاقة الإنسان بالرئيسات الأخرى من حيث الشبه والاختلاف السلوكى والتشريحى. كما تمتد اهتماماته لتشمل دراسة التطور البيولوجى للرئيسات منذ اقدم العصور حتى وقتنا هذا. وهذا الاهتمام

بالرئيسات غير الإنسانية امر طبيعي حيث ان التركيب البيولوجي لتلك المجموعة من الرئيسات (وخاصة القردة العليا) يقترب كثيرا جدا من التركيب البيولوجي للإنسان من حيث الشكل والعظام والتكوين البيوكميائى والوظائف العضوية والكثير من أنماط السلوك.

وأخيرا يجب التأكيد على ان مجالات علم الأنثروبولوجيا مجالات متداخلة ومترابطة ومن الصعب على الباحث الأنثروبولوجي الفيزيقى ان يهمل الجوانب الثقافية والاجتماعية فى دراسته وتفسير الظواهر البيولوجية للإنسان سواء فى زمن الحاضر أو الماضى . لذلك تتميز الأنثروبولوجيا الفيزيقية بدراسة بيولوجيا الإنسان فى اطار ثقافته.

أنثروبولوجيا الجسد

تطورت أنثروبولوجيا الجسد البشرى فى نطاق دراسة عمليات تجميل الجسد التى اعتبرت أسلوبا يتحول فيه الجسد البشرى الطبيعى الى ظاهرة ثقافية.
اما الطرق التى تنفذ بها هذه العملية فتشتمل على تغيرات موقتة (كارتداء الزى والتزين وأسلوب تصفيف الشعر وتلوين الجسد...الخ) كما تتضمن تغيرات دائمة مثل الوشم والتشليخ .وغير ذلك مما قد تعده المعايير الغربية ضربا من التشوية الجسدى.

فبينما ينظر الى تجميل الجسد فى المجتمعات الحديثة على اعتبار انه يعبر عن موضة .فإنه يتضمن فى المجتمعات البسيطة ضربا من الرمزية الاجتماعية والدينية فتجميل الجسد يجسد عضوية الجماعة كما يشير الى المكانة وتغير الدور الذى يقوم به الفرد.

الأنثروبولوجيا المرئية

يتضمن هذا الميدان الحديث نسبيا من ميادين التخصص الأنثروبولوجي بعض جوانب دراسة الابعاد البصرية للسلوك الإنسانى .وكذلك تطوير الوسائل البصرية التى تزداد دقة وتعقيدا من اجل توظيفها فى البحث الأنثروبولوجي ، وتعليم الأنثروبولوجيا ، والتبادل الثقافي.

فهذا الميدان يربط عدة ميادين ببعضها مثل أنثروبولوجيا الفن واستخدام التصوير الفوتوغرافى والفيلم الاثنوجرافى (التسجيلى) فى الأنثروبولوجيا

وقد بدأ الأنثروبولوجيون حديثا فقط فى تمحيص المفاهيم البصرية والتصور البصرى بكل دقة سواء داخل الثقافات المختلفة التى يقومون بدراستها ، أو على مستوى نقد وتدقيق أدوات البحث. من هذا قيام بعض العلماء بفحص استخدام الصور الفوتوغرافية والفيلم الأثنوجرافى كأدوات بحثية من ناحية وكأدوات تعليمية من ناحية أخرى .واتجه مزيد من الاهتمام الى اختبار ما اذا كانت تلك الوسائل تنقل رسائل ضمنية بشأن الموضوع الذى تصوره. ومن التطورات المهمة فى هذا الصدد تدريب الاخباريين على استخدام معدات التصوير السينمائى والفوتغرافى لإتاحة الفرصة لهم للتعبير من خلال هذه الوسائل عن تصورهم لترتيب واقعهم الخاص.

الأنثروبولوجيا النفسية:

يتضمن هذا الفرع دراسة علاقة الفرد بالثقافة والمجتمع وكذلك المجال الاوسع للعلاقة بين علمى النفس و الأنثروبولوجيا وهو مجال متعدد الأبعاد . وهناك بصفة عامة نوعان من الدراسة انتشرا فى فرع الأنثروبولوجيا النفسية ، الأول هو البحوث ذات الطابع التعليمى أو المسحى التى تتناول موضوعات تنشئة الأطفال أو التنشئة الاجتماعية ، أنماط الأعاشة ، الادراك ، الفهم...الخ

وتقسم هذه الدراسات السلوك البشرى الى متغيرات متميزة ، وسمات جماعية محددة تلخص جميعها ضروب السلوك الفردى ثم يحاول الباحثون فى هذا الميدان الربط بين أنماط السلوك هذه وعوامل أكثر عمومية . قد تكون بيولوجية ، أو بيولوجية اجتماعية أو بيئية أو تاريخية أو متصلة بالبناء الاجتماعى.

وذلك حسب التوجه النظرى للباحث.

ويوجه الاهتمام الاكبر لدراسة الشخصية والتغير الثقافى والدراسة المقارنة للتغير المرتبط بالنمو على امتداد دورة حياة الفرد ودراسة مفهوم الهوية.

وهناك روابط وثيقة بين الأنثروبولوجيا النفسية و الأنثروبولوجيا الفيزيقية أو البيولوجية، بمعنى ان كلا الفرعين تسعى الى اكتشاف الاساس البيولوجى فى تشكيل السلوك الإنسانى .فالشخصية والسلوك هما ثمرة التفاعل بين الاستعدادات البيولوجية والخبرات المكتسبة ان الميول والعواطف البشرية الأساسية يمكن تشجيعها أو التعبير عنها بعدة طرق تبعا للأساليب المختلفة التى تفرضها النظم الثقافية المعمول بها.

ومن المهم ان نتذكر على اى حال ان هناك فروقا مهمة فى المزاج والسلوك بين مختلف أبناء الثقافة الواحدة وان الاستعدادات السلوكية البشرية توجد على مستوى شديد العمومية . ولا توجد فى صورة أنماط سلوكية مبرمجة بشكل معين أو فى صورة غرائز ، ولكنها توجد فى ميول أو نزعات مفتوحة تعبر عن نفسها أثناء عملية التعليم الثقافى داخل سياق معين . ومن ثم تتباين تباينا كبيرا فى مظاهرها الخارجية.

ومن المؤثرات النظرية الأساسية فى الأنثروبولوجيا النفسية نظرية فرويد أو التحليل النفسى.

الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

يطلق هذا المصطلح على التراث المهيمن فى الانثروبولوجيا البريطانية . وذلك وفقا لتأكيد العلماء البريطانيين على مفاهيم مثل : المجتمع والبناء الاجتماعى والتنظيم الاجتماعى . ولا شك ان هذه السيطرة لما هو 'اجتماعى' ترتبط بمفكرى النظرية البنائية الوظيفية أمثال: راد كليف براون وفورتس وتضم الأنثروبولوجيا الاجتماعية

الانثروبولوجيا الاقتصادية :

التى تتناول بالدرسة الانتاج والتوزيع والتبادل . الملكية والتسويق والعمل أو اى سلوك يرتبط باكتساب وسائل المعيشة . ذلك الوصف الأثنوجرافى لنظم اقتصادية معينة وتحليل التكوينات الاقتصادية والنظم الاقتصادية القومية والدولية والعالمية وتأثيرها على المجتمعات الصغيرة أو الريفية ودراسة الأنثروبولوجيا الاقتصادية تتطلب القيام بتحليل كل من القرابة والدين والسياسة حتى يستطيع الخروج بتحليلات اقتصادية مفيدة عن المجتمع الذى يدرسه.

لقد كان الدارسون الأنثروبولوجيون فى المراحل الأولى يعرفون الاقتصاد كأسلوب للأنتاج وليس كنظام، ولكن بدأ محتوى الأنثروبولوجيا الاقتصادية مؤخرا يضم موضوعات أساسية مثل الحراك الاجتماعى ، التنظيم السياسى ، طبيعة تقسيم العمل. حجم وحدات الانتاج طرق تنظيم التجارة مع الاهتمام بالنواحى الاجتماعية والسياسية ودراسة الموارد الطبيعية كأضلاع اساسية فى الأنثروبولوجيا الاقتصادية وفى هذا الصدد يهتم علماء الأنثروبولوجيا الاقتصادية بالعمل والصناعة لان العمل هو العملية التى تنظم الأنشطة التى تهدف الى دعم المجتمعات الأنسانية .ولا تقتصر

عملية العمل على استخدام الطاقة الانسانية بشكل هادف فقط ، بل تتضمن أيضا استخدام وسائل الانتاج وتنظيم عمليات توزيع واستهلاك نتاج العمل .وتقسيم المجتمعات التي يوجد بها تقسيم عمل متقدم بوجود سوق عمل .وقد حقق هذا السوق أعلى مستويات التطور داخل الرأسمالية . حيث يتم النظر الى العمل بوصفه سلعة تخضع لعملية البيع والشراء في السوق المفتوح. ولم يكن هذا السوق موجودا، أو منظما داخل المجتمعات قبل الرأسمالية .حيث كان العمل داخل هذا المجتمعات يرتبط بالعلاقات القرابية أو الشخصية. وتهتم أنثروبولوجيا الصناعة بدراسة الجوانب المعرفية للعمل الصناعي . كما اهتم علماء هذا الميدان بدراسة دور المرأة وكيف تؤثر أبنية الهيمنة الذكورية والانتماء الطبقي على مشاركتها في العمل الصناعي.

الانثروبولوجيا السياسية:

تعد الانثروبولوجيا السياسية احدى أفرع الانثروبولوجيا الاجتماعية. ويعد موضوع الضبط الاجتماعي احد الموضوعات الهامة التي تعالجها الأنثروبولوجيا السياسية .ويقدم الباحثون تعريفات وظيفية للمجال السياسي تؤكد على مهمة الحفاظ على الاكتمال والتماسك المادي للمجتمع . ومهمة صنع القرار وتوجيه الشئون العامة. وهذا الميدان يعتمد على الفلسفة ، السياسة وعلم السياسة في استخلاص اتجاهاته في دراسة الأنساق السياسية ومشكلة القوة من المنظور الأنثروبولوجي .ويمكن القول أنه على حين كان تحليل البعد السياسي يمثل جزءا مهما من غالبية الدراسات الأنثروبولوجية الا ان هذا البعد كان يفسر عادة على أنه جانب من جوانب مجالات أخرى .أو كامن فيها مثل القرابة والدين والاقتصاد وغيرها.ومن الطبيعي ان تعريف الجانب السياسي في المجتمعات التي لا تعرف حكومة رسمية، او دولة مركزية .قد لا تعرف في بعض الاحيان قيادة (زعامة) واضحة منظمة.

ويلاحظ ان التعريف الوظيفي للتنظيم السياسي .هو الذي يربط هذا التنظيم بالمعايير والأدوار المستخدمة في المجتمع للحفاظ على النظام الداخلي والمحافظة على الحدود الإقليمية . وتوزيع القوة وصنع القرار بشأن نشاط الجماعة، يلاحظ ان هذا التعريف ينبغي الا يطمس رؤيتنا للعمليات السياسية الأكبر والأوسع التي تأخذ في أعتبارها أرتباط المجتمع المحلي القروي أو القبلي ببناء القوة السياسي الأقليمي

والقومي والدولي. ان القوة السياسية كافية في شتى أنواع المجتمعات بما فيها التي لا يملك اليات رسمية للحكم. ولقد بذل علماء الأنثروبولوجيا قدرا كبيرا من الاهتمام لدراسة كيف تستطيع المجتمعات التي لا تملك نظاما للسلطة الرسمية المركزية ان تحافظ على النظام وتحافظ على تماسكها. ولا يقتصر ذلك على مجتمعات صغيرة الحجم وانما ينصب أحيانا على مجتمعات كبيرة مثل قبائل النوير في السودان . ولكنهم يستطيعون ،كما أوضح إيفانز بريتشارد ، الحفاظ على بناء سياسي منظم قائم على نظام البدنه الانقسامي ودون وجود سلطة مركزية عامة. فالثرثرة واطلاق الشائعات قد تكون هامة جدا في ضبط سلوك أعضاء المجتمع في القرية الصغيرة ، لأن هناك علاقات مباشرة بين أعضاء مجتمع القرية .يعني ذلك ان الوسائل تنبع من ثقافة المجتمع أو القيم الاجتماعية السائدة.

وتنتشر أيضا التهديد بالسحر لضبط السلوك والعرف والقسر أو القهر .

وقد اتجه تفسير الانساق الوظيفية الى تأكيد وظائف التماسك التي تضطلع بها السلطة السياسية ووظيفتها ذات الطابع المقدس على الحد من الصراعات والمنافسة. ومن ثم يعمل على المحافظة على النظام الاجتماعي ،واصبحت العلاقة بين القوة والقسر والشرعية تمثل نقطة جوهرية في ميدان الأنثروبولوجيا السياسية وميدان الدراسة المقارنة للأنساق السياسية .

<u>الأنثروبولوجيا الدينية :</u>

الأنثروبولوجيا الدينية شأنها شأن مجالات عديدة مهمة من مجالات البحث الأنثروبولوجي لا تملك تعريفا محددا ومقبولا من الكافة لموضوعها الأساسي، وهو الظاهرة الدينية ، ومع اننا نستطيع ان نقدر حدسا نوع السلوكيات التي تنبغي ان توصف بأنها دينية الا أنه من الأمور البالغة الصعوبة تحديد وتعريف الدين نفسه لأغراض الدراسة الأنثروبولوجية. وترجع أولى محاولات تعريف الدين على أساس مضمونه الى تايلور الذي عرفه بأنه الايمان بالكائنات الروحية (١٨٧١) .وقد وجه النقد الى هذا التعريف على أساس أنه ليس من الواضح دائما ما إذا كان يعتقد ان ظاهرة معينة تعد روحية او طبيعية، وان هذا الحكم يختلف من وجهة نظر المعتقد. ولا يوافق غالبية الأنثروبولوجيين المعاصرين على ان الايمان بالكائنات الروحية أو الكائنات فوق الطبيعية يختلف في جوهرة عن الايمان بالظواهر الطبيعية طالما ان نوعى الايمان يتم اكتسابه خلال عملية التنشئة الاجتماعية والعمليات التربوية وأنه

يستد التسليم بها على مسئولية الأخريين وذهب أنثروبولوجيون أخرون الى تفضيل التعريفات الوظيفية للدين ، أى فى ضوء ما يفعله ،وهى النظرة التى تأثرت بنظريات دوركايم عن الوظائف الاجتماعية للمعتقدات والأفعال الدينية ونهج اخرون سبيلا اخر فى تطوير اعمال دوركايم حيث حاولوا عزل الملامح الرمزية الخاصة التى تميز المقدس عن العلمانى.

الأنثروبولوجيا الثقافية:

تعد الأنثروبولوجيا الثقافية التراث المسيطر فى الأنثروبولوجيا فى الولايات المتحدة ،حيث تشمل كلا من الأثنولوجيا أو التحليل المقارن والتاريخى للثقافات.

ولمصطلح "الأنثروبولوجيا الثقافية" معنيان: معنى واسع واخر محدود فهى بالمعنى الواسع تتضمن علم اثار ما قبل التاريخ وعلم اللغة الأنثروبولوجي ، بالإضافى الى الدراسة المقارنة للثقافات والمجتمعات الإنسانية، وهى بالمعنى الضيق، تقتصر على دراسة الثقافات والمجتمعات الإنسانية فقط. ويعرف هذا المجال فى الأنثروبولوجيا البريطانية عادة بأسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذى يقابل الاهتمام الامريكى بمفهوم الثقافة وتعد الأنثروبولوجيا الثقافية عموما ميدانا مستقلا عن الأنثروبولوجيا الفيزيقية. وتلمس فى الممارسة انفصالا واضحا بين هذين الميدانيين من ميادين البحث. رغم ان التطورات الحديثة قد ربطت بينهما فى بعض مجالات البحث كما حدث على سبيل المثال فى التطورات التى تمت فى علم الاثار ونبعت من كل من الأنثروبولوجيا الفيزيقية والثقافية. لقد ظهرت الأنثروبولوجيا الثقافية فى القرن التاسع عشر ولكن رواد الأنثروبولوجيا لم يكونوا متخصصين فى هذا العلم لعدم معرفة الأنثروبولوجيا فى الجامعات فى ذلك الوقت بل كانوا متخصصين فى علوم اخرى .وكانت دراساتهم فى الأنثروبولوجيا نوعا من الهواية .هذا وتعد أمريكا المركز الرئيس للأنثروبولوجيا الثقافية فى العالم ويطلق إصطلاح الأنثروبولوجيا الثقافية على دراسات الاثنوجرافيا التى تهتم بدراسة ثقافة معينة بالذات، و الاثنوبولوجيا التى تتميز عن الاثنوجرافيا باهتمامها منها بالدراسات المقارنة للثقافات المختلفة.

ومن فروع الأنثروبولوجيا الثقافية :

الاثنولوجيا

وهــى علم الإنسان ككائن ثقافي وهى الدراسة المقارنة للثقافة وكذلك الدراسة التاريخـية والمقارنــة للثقافات أو للشعوب .وتمثل السلالة وحدة الدراسة الاساسية فيها. وقد عرف كروبر ميدان دراسة الاثنولوجيا بانه يشمل كلا من الثقافة والتاريخ والجغرافيا.

ويســتخدم مصــطلح الاثنولوجيا بدلا من مصطلح الأنثروبولوجيا في عديد من الــدول الأوربية ، حيث يعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك علم عام لدراسة الإنسان بــدون الدراســة التاريخية المقارنة للشعوب وهكذا تجمع الاثنولوجيا بين الدراسة التاريخـية والميدانية للثقافات الجماهيرية والشعبية والقبلية وبين المقارنة الثقافية والتعميم .

ولقــد اصــبحت الانثروبولوجيا الثقافية علما مستقلا متميزا فى موضوعه عن الدراســات الأنثروبولوجــية واصــبح يخــتص بالدراسات المتعلقة بنشأة السلالات والاصــول الأولى للنوع الانسانى العاقل ويدخل فى نطاقه دراسة أصول الحضارات والمــناطق الثقافــية وهجرة الثقافة وانتشارها والخصائص النوعية لكل منها ولهذا كــان هــذا الــنوع مرتــبطا بفــرع اخر من فروع الأنثروبولوجيا يعبر عنه باسم الأنثروبولوجيا الثقافية فكانت الجماعات البشرية والمجموعات السلالية تصنف على اســاس ثقافــتها وكانــت عــناية العلمــاء عامة هى تتبع الاصول الأولى للثقافات والحضــارات الإنسانية وتحليلها ومما هو جدير بالذكر ان الأثنولوجيا هى الاساس العلمي الذى ارتكزت عليه الأنثروبولوجيا الثقافية التى اخذت تظهر كعلم مستقل فى الــربع قــرن الاخــير مــن هذا العصر وقد ظهر بعد ذلك الاتجاه الى فصل الدراسة الاثنولوجــية عــن الدراسة الأنثروبولوجية الاجتماعية وبذلك استقل كل من فرعى الأنثروبولوجيا.

ويــبدو هــناك اختلاف واضح فى المنهج بين فرع الدراسة الأنثروبولوجية فقد يعــتمد العلماء على نفس المعلومات الأثنوجرافية عند دراسة ظاهرة من الظاهرات ولكن يختلف عالم الأثنولوجيا عن عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى الانتفاع بهذه المعلومــات الأثنوجرافــية وفــى طــريقة معالجــتها ويذكر لنا إيفانز برتيشارد E. Pritchard مــثلا يوضــح لــنا الفرق بين الدراستين حين يتناول كل منها نفس

الظاهرة (مثل عبادة ارواح الموتى أو عبادة الاسلاف) ففى حالة الأنثروبولوجيا الاجتماعية تؤول العبادة وتفسر فى ضوء النظم الاجتماعية الاخرى المتصلة بها كنظام الاسرة وبناء العائلة ونظام القرابة الى غير ذلك باعتبار أنها من عناصر النسق الاجتماعى العام للجماعة التى تنتشر فيها تلك العبادة. اما بالنسبة للعالم الاثنولوجى فانه يدرس هذا النوع من العبادة كجزء من الثقافة العامة ويعنى بدراسة الافعال والعادات والممارسات التى يقوم بها الأفراد المعتنقون لهذه الديانة تجاه الارواح التى يعبدونها أو يتقربون اليها بتقديم القرابين .والمناسبات الدينية والطقوس الجنائزية. ويحاول عالم الاثنولوجيا ارجاء هذه العناصر الى اصولها الأولى ومعنى ذلك ان الأثنولوجيا تعنى بصياغة حقائقها فى حد ود التاريخ وعلم النفس بخلاف الأنثروبولوجيا الاجتماعية التى تهتم بتتبع العلاقات الوظيفية التى تربط الظاهرة التى يدرسها بالبيئة الاجتماعية العامة للجماعة ودور هذه الظاهرة من الفاعلية فى الحياة الروحية والمادية والاجتماعية كذلك يلجأ عالم الأثنولوجيا الى تتبع اثار الظاهرة الحضارية فى مختلف الجماعات الإنسانية ليتعرف على موطنها الأصلى ومدى انتشارها وسريانها وبذلك تعتبر المدرسة الانتشاريه من أهم المدارس الاثنولوجية.

فمثلا نجد ان بعض علماء الاثنولوجيا الانتشارية حينما يدرسون عادة أو ممارسة اجتماعية أو عقيدة وطقوسها دينية فأنهم يتتبعونها أو يتتبعون مثيلاتها أو اغلب عناصرها فى جماعات متعددة ثم يحللونها الى ابسط اشكالها ويستخلصون من ذلك موطنها الاصلى بأعتبار انها توجد فى ابسط مظاهرها فى ذلك الموطن . ونذكر على سبيل المثال لا الحصر نظم المحرمات المقدسة المعروفة اصطلاحيا بأسم التابو Tabu والتى بمقتضاها يمتنع افراد الجماعة الواحدة عن رؤية أو لمس شخص أو شئ أو اتيان عمل من الاعمال أو تناول طعام من الاطعمة وهذه النواحى لهـا صفة القداسة سواء كان مصدرها تقديس أرواح او الهه وكذلك الشأن بالنسبة لعقيدة التوتمية فأنها تسود على اشكال ومراتب مختلفة فى كثير من الجماعات المختلفة والمنعزلة عن تيار الحضارة الإنسانية وتتركز هذه العقيدة فى اتخاذ القبيلة او الجماعة البشرية رمزا لها تقدسه وتعتقد انها منحدرة عنه ويكون هذا الرمز المقدس (التوتم) حيوانا او نباتا او جمادا او ظاهرة طبيعية.

ومن العادات الاجتماعية التى حظيت بعناية علماء الاثنولوجيا عادات واد البنات والثأر والزواج الاغترابي او من خارج الوحدة الاجتماعية.

الاثنوجرافيا

الاثنوجرافــيا هى الاثنولوجيا الوصفية اى ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من المـيدان وهــى تعــنى ايضا وصف اوجه النشاط الثقافى كما تبدو من خلال دراسة الوثــائق التاريخية. ويعتقد العلماء ان مصطلح اثنوجرافيا قد ظهر فى عام ١٨٠٧ يعنى (وصف الشعوب) وهذا هو المعنى العام للكلمة حتى فى ايامنا هذه.

فالاثنوجرافيا تعنى بالمواضيع المادية التى تصور التقدم التكنولوجى العام الذى يظهر ديناميكية العقل الإنسانى فى محاولته للسيطرة على الطبيعة وقد اتخذ العلماء من الادوات والالات التى استخدمها الإنسان فى العصور الجيولوجية المتعاقبة دلائل وسـمات على التطورات الحضارية فهى تدل على المهارة والمعرفة العلمية فى تلك الازمــنة كمــا انهــا تعكس النظم الاقتصادية القائمة فى الجماعات التى تستخدمها كوســائل انــتاج ومــن المألوف تقسيم عصور ما قبل التاريخ الى العصر الحجرى والعصــر البرونزى والعصر الحديدى نسبة الى المواد التى كانت تستخدم فى صنع الالات الــتى اســتخدمها الإنسان على فترات زمنية متعاقبة ،هذه الادوات تعبر فى الواقــع عــن شــكل الانتاج وطريقة تنظيمه فمثلا اذا اخذنا (الفأس الحجرى) كدالة حضــارية نجــد انه يعبر عن الانتاج المنزلى الذى يسود فى الجماعات التى تعيش علــى مــبدأ الكفاية الذاتية فى الانتاج والاستهلاك وهى الجماعات التى تعتمد على الصيد والزراعة ولم تكن هذه الجماعات فى مراحل نشأتها الاولى تعرف التخصص وتقسـيم العمــل اما الفأس البرونزى فهو يحتاج الى نشاط انتاجى تخصصى بمعنى انــه يســتلزم توافر عمال متخصصون يعتمدون فى الحصول على مواردهم الغذائية على الفائض مما ينتجه عمال اخرون متخصصون ونادرا ما يوجد النحاس والصفيح اللازمـين لصناعة الفأس البرونزى وقد يتطلب الحصول عليها تبادلا تجاريا ونشاطا انتقالــيا ،وكذلــك يســتخدم العلمــاء معرفتهم وحصولهم على الادوات التى خلفها الإنســان كوســيلة للكشف عن ظهور الجماعات البشرية وانتشارها فى انحاء الكرة الأرضية .وكانت الادوات الأولى تصنع من الخشب والعظم والحجارة واستخدام هذه الادوات يــدل علــى مظهر من المظاهر الحضارية التى تتطلب قدرا معينا من العلم والتجريــب والخبرة يسمح له بأن يميز بين أنواع الحجارة المختلفة ويختار اصلحها

لتحقيق اغراضه. وقد ساعد اكتشاف النار على اضاءة الكهوف التي تأوى اليها هذه الجماعات كما انها مكنت الإنسان من اتقاء شر الحيوانات الضارية التى كانت تخشى النار التى كانوا يشعلونها بصفة مستمرة دائما كما انها ارشدت بطريق التجربة الاجتماعية ان الاشياء واللحوم التى كان الإنسان يتناولها تصبح ميسورة الاكل بعد علاجها بالنار فكان هذا اساسا للاهتداء الى الطهى.

وتطورت هذه الجماعات من جماعات الصيد للأستهلاك الى جماعات رعاه للقطعان بعد ان تعلموا استئناس الحيوان واشتملت هذه الثقافة ايضا على صناعة الفخار والنسيج ويمكننا ان نقرر ان اهتداء الإنسان الى استئناس الحيوان والزراعة البدائية وصناعة الفخار قد ساعد على استقراره وكان له عدة نتائج اجتماعية على جانب كبير من الاهمية فقد اصبح الإنسان متحكما فى انتاجه الغذائى وقد ادى هذا بالتالى الى زيادة كبيرة فى عدد السكان والى الاستقرار النسبى وزيادة العمران. ويرجع الفضل فى التعرف على هذه المعلومات وخاصة فى الدراسات الاثنوجرافية الحديثة الى مجموعة من رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية من أمثال مالينوفسكى وراد كليف براون وايفانز بريتشارد وريموند فيرث ومارجريت ميد ونادل وكثير غيرهم واذا اردنا ان نزيد الامر وضوحا فلابد من الاشارة الى بعثة كمبردج الى مضايق توريز والتى قادت الى أول دراسة اثنوجرافية للتدريب على الملاحظة الميدانية والملاحظة بالمشاركة.

ومما هو ملاحظ ان هذا الفرع من الأنثروبولوجيا نشأ فى ثنايا كتابات الرحالة القدامى الذين كانوا يدونون كل ما يقع عليه نظرهم عن الجماعات المختلفة فى الحضارة، فالى هؤلاء الرحالة يرجع الفضل فى اتساع نطاق الدراسات الاثنوجرافية. ولم تكن دراسة الرحالة تخضع للدراسة المنهجية المنظمة وكذلك لعبت البعثات البشرية دورا هاما فى تزويد المكتبة الأنثروبولوجية بدراسات وصفية عن الجماعات المتأخرة. ومن الواضح ان هذه الدراسات كانت تهدف اساسا الى تحقيق اغراض طبيعية دينية غير انها تضمنت اوصافا شاملة للمظاهر الأثنوجرافية للجماعات المعنية فالدراسات الأثنوجرافية الخاصة بالجماعات الأفريقية مثلا قامت فى اغلبها على ايدى الاساقفة والمبشرين. غير ان هذه الدراسات ما لبثت ان تطورت بعد ان تناولها جمهور من المتخصصين والذين اتبعوا الدراسة الميدانية وتصف الأثنوجرافيا التى تمثل فرعا من البحث الأنثروبولوجى بالدراسة المباشرة

للمجتمعات الصغيرة أو الجماعات العرقية. وتجمع هذه الدراسات بدرجات متفاوتة بين عناصر وصفية وأخرى تحليلية .ولكن السمة الاساسية للأثنوجرافيا التقليدية تتمثل في انها تركز على ثقافة أو مجتمع معين. ويعود أصل تراث البحث الأثنوجرافي الحديث الى مالينوفسكى . الذى ركز كجزء من نظريته الوظيفية فى المجتمع على أولوية البحث الميدانى والملاحظة بالمشاركة والى بواز الذى ناهض مثل مالينوفسكى – التاريخ التأملى لنظرية التطور ودعا الى الوصف الدقيق لثقافات معينة.

علم اثار ما قبل التاريخ:

يهتم هذا العلم بدراسة مجتمعات وثقافات ما قبل التاريخ ،ويتناول اقدم المجتمعات الانسانية ،كما يدرس مختلف المراحل التطورية لثقافة الإنسان. ويحدد عالم اثار ما قبل التاريخ معالم تفكير الإنسان الأول ويدرس مخلفاته ويتتبع هذه المخلفات والبقايا ويدرس تطوراتها من حالتها البدائية الأولى الى حالتها الراقية ، وقد يستعين عالم اثار ما قبل التاريخ بعلوم اخرى لدراسة البقايا المادية للهياكل والعظام عن طريق الاستعانة بعلم التشريح المقارن والبيولوجيا الانسانية. اما دراسة الخصائص الجنسية والمعالم الثقافية للشعوب الماضية فأن عالم اثار ما قبل التاريخ يستخدم علم الأنثروبولوجيا الثقافية ،وعن طريق الاستعانة بالجيولوجيا يستطيع العالم الأثرى ان يحدد العصر الجيولوجى لآثاره وحفرياته واذا كان علم اثار ما قبل التاريخ يدرس انسان ما قبل التاريخ فأن علم الأنثروبولوجيا الثقافية يدرس مختلف الثقافات البدائية المعاصرة اى ان علم اثار ما قبل التاريخ يدرس الثقافة التى مضت وانقضت اما علم الأنثروبولوجيا الثقافية يدرس الثقافات الحالية او المجتمعات البدائية الراهنة والقائمة هنا والان.

ويمكن تقسيم علم الآثار الى قسمين اساسيين علم الآثار الكلاسيكى ،وعلم اثار ما قبل التاريخ. يهتم علم الآثار الكلاسيكى اساسا بدراسة الحضارات اليونانية والرومانسية القديمة بينما يتناول علم اثار ما قبل التاريخ مجالات اوسع من الناحيتين الزمنية والجغرافية . نظرا لانه يعيد تركيب أساليب حياة الشعوب فى كل ارجاء العالم منذ ظهور الإنسان وحتى حلول التاريخ المكتوب. ويعد علم اثار ما قبل التاريخ علما اجتماعيا فى المقام الأول ،ذلك لأن عالم الآثار لا يسعى لفهم البقايا الفيزيقية التى يدرسها فحسب . بقدر ما يسعى لفهم التراث الاجتماعى والثقافى

الـذي انتج هذه البقايا. وبذلك يحاول عالم الآثار اعادة تركيب العمليات الاجتماعية التي تقود التغير في المجتمع من حال الى حال .فهناك ثمة روابط وثيقة وعديدة على المستوى النظري والمنهجي بين علم اثار ما قبل التاريخ والدراسات الأنثروبولوجية . ويقوم علم الآثار على الوصف والتصنيف للبقايا المادية في تتابعات زمنية واقليمية. ويتبنى اكثر من ذلك رؤية شاملة لعملية تكيف المجتمعات السكانية ببيئاتها في الماضي .وعملية التغير الاجتماعي الثقافي والنمو.

لقد اصبح عالم الآثار الحديث اقدر من اسلافه القدامى على إعادة تشييد نظريات اكثر ثراء ودقة عن اساليب الحياة في الماضي وتطوراتها.

ويعتبر علم التطور البشري امتدادا طبيعيا للدراسات السابقة فهو يعنى بتتبع التطور الفيزيقي والعقلي والنفسي الذي طرأ على النوع البشري.

علم اللغة والأنثروبولوجيا:

العلاقة بين علم اللغة والانثروبولوجيا كانت دائما علاقة وثيقة وقد ارتبطت الانثروبولوجيا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ارتباطا وثيقا بعلم اللغة المقارن

علم الجمال :

ان فكرة الجمال التي تحدد مفاهيم الجميل والجذاب تنهض بالطبع على أساس ثقافي ، كما أنها وعلى نحو يشبه الأفكار المتعلقة بالفن تختلف حسب السياقات الفنية .وتنطوي الخبرة الجمالية على احساس (انفعال) وادراك وتحاول الابحاث الانثروبولوجية التي تهتم بعلم الجمال التوصل الى المقولات والمبادئ الأصلية في كل مجتمع. ان الفن ذاته يعد مكونا اجتماعيا من العناصر الجمالية.

أنثروبولوجيا الفن :

كان الأنثروبولوجيون يركزون اهتمامهم على دراسة الفن في المجتمعات الأمية، وكذلك على دراسة صور من التراث الفني الذي ينتمي الى ثقافات شعبية او اقليات سلالية ضمن نطاق ثقافة مسيطرة متعلمة.

وقد حظيت الفنون التشكيلية وفنون الجرافيك باهتمام كان يفوق الاهتمام بفنون الأداء . حيث كانت دراسة فنون الأداء تندرج تحت دراسة الشعيرة وهناك قلة من المجتمعات الأمية التي كان لها فنانين متخصصين ، ونادرا ما كان الفنان فيها

يختص بدور محدد مستقل .فالأنتاج الفنى شأن يضطلع به قطاع كبير من أفراد المجتمع. وغالبا لا تعرف هذه المجتمعات التفرقة التى نعرفها بين الفن والحرفة ، نظرا لان كثيرا من هذه المجتمعات لا تميز بين الوظيفة والجمال فى الانتاج الفنى وبالمثل تتباين مفاهيم الابداع والتجديد تباينا هائلا من ثقافة لأخرى. وهناك بعض الاتجاهات التى تركز على الوظيفة الاجتماعية للفن ،حيث تتضافر تلك الدراسات مع دراسة الشعيرة والدين.

علم الفلكلور :

كان يستخدم فى الأصل بمعنى دراسة جوانب الثقافة القروية الريفية ،ثم وسع مدلولة بحيث أصبح يشير الى ثقافات وثقافات فرعية أخرى وتشمل بحوث علم الفلكلور دراسة المعرفة التقليدية، والعادات الاجتماعية ،والتراث الشفاهى والفنى لأى مجتمع (او قطاع من المجتمع) يتسم ببعض العوامل التى تجمع بين أفراده ،مثل حرفة مشتركة أو هوية سلالية واحدة ولذلك يمكن ان نتكلم عن فلكلور جماعة حرفية معينة او جماعة دينية . أو نظام معين ، وجوهر الفلكلور هو طبيعته التلقائية او العضوية . أى انه ثمرة خبرات وتفسيرات خبرة أشخاص يجمع بينهم تفاعل اجتماعى.

أنثروبولوجيا المدينة :

تثير الدراسة المقارنة للمدن أسئلة مهمة فى الأنثروبولوجيا خاصة فيما يتصل بعمومية او خصوصية الفروق الريفية. الحضرية التى تسلم بوجودها الدراسات الأنثروبولوجية.وفى هذا السياق تم التميز بين إنماط مختلفة من المدن المدينة قبل الصناعية والمدينة الغربية الصناعية او المدينة الصناعية غير الغربية .والمدينة الاستعمارية ومدينة ما بعد الاستعمار .فمدن ما بعد الاستعمار بما فيها من سكان مهمشين او ساكنى احياء واضعى اليد وما ورثته هذه المدن من ميراث استعمارى فى شكل صيغ اجتماعية وثقافية ،تقدم حالات مثيرة للدراسة.

ولقد نظرت الأنثروبولوجيا الى المدن باعتبارها بيئات خاصة لها صفات نفسية اجتماعية متميزة. وقدم العلماء تعريفا وظيفيا لشعب المدينة باعتباره نمطا من تركز السكان والأنشطة الاجتماعية المتنوعة والمدينة كمركز للتكامل السياسى، الاقتصادى، الاجتماعى فى منطقة محددة يجب الا تدرس منعزلة عما حولها ولكن فى علاقتها بالسياق الإقليمى الذى توجد فيه.

وركزت دراسات الأنثروبولوجيا الحضرية الحديثة على العلاقات بين الجماعات الأثنية في المدينة ،وعلى الخصائص الاجتماعيه ،الثقافية للمناطق المتخلفة او الهاشمية ،وعلى عمليات الهجرة الريفية الحضرية وعلى اليات العزل والتكامل الجغرافي الاجتماعي والتى تعمل للمحافظة على الطابع المميز لكل مركز حضرى.

العمارة والأنثروبولوجيا :

ان المحاولات التى بذلت لاكتشاف العلاقة بين فن العمارة والأنثروبولوجيا قليلة جدا برغم اهمية ذلك الميدان الكبير بالنسبة لعالم الأنثروبولوجيا فالبيوت التى شيدها الإنسان وطريقة ترتيب تجمعاته السكنية تعكس قيود البيئة وما تفرضه من ضرورات وتعكس نمط معيشة الإنسان وتصوره عن الفرد والأسرة والحياة الاجتماعية وكما يعكس التصميم المعمارى التوقع العام لطبيعة البيئة وطريقة استخدام الإنسان للموارد، فأنه يتدخل كذلك فى تشكيلها والتأثير عليها. ويمكن للتصميم المعمارى ان يعبر عن العقائد او الافكار السياسية فى شكل عام ودائم الى حد ما. صحيح ان البيوت والمجتمعات المحلية عند الشعوب ذات التطور التكنولوجى المحدود ذات عمر اقصر من نظيراتها فى المدن الحديثة ،الا انه بإمكاننا فى هذه الحالة الكشف عن التفاعل الدينامى بين العناصر المادية والبيئية والنماذج المثالية التى كونها الإنسان حول الأسرة والحياة الاجتماعية وقد لا يوجد التصميم المعمارى فى المجتمعات التقليدية بشكل واضح الاستقلال والتميز ،حيث ان شكل وتصميم المبنى او المنزل يظهر وتتضح معالمة مع اكتمال عمليات التشييد بل ان المنشأت التى شيدت على نحو مرتجل تعكس نماذج مقننة ثقافية لتوزيع سكانها ومستخدميها وللأنشطة التى يمارسونها بالإضافة الى ما تتميز به هذه المنشأت من طابع رمزى ،يعبر فى كثير من الاحوال عن علاقة المنزل بانسان معين او بدنة معينة او ما شابة ذلك وهكذا يكتسب توجه المبنى ووضعه ،والعلاقات الداخلية بين أجزائه دلالة رمزية. ومن ثم تعكس المبادئ الثقافية للعمارة اهم المفاهيم والعلاقات الاجتماعية والثقافية من خلال العرض السابق للأنثروبولوجيا وفروعها عرفنا ان الأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة مخترعات الشعوب وادواتها وأجهزتها وأسلحتها وطرز المساكن ووسائل الزينة والملبس والفنون والاداب والقصص والخرافات او كافة انتاج الشعب المادى والروحى . كما تركز على الاتصال الثقافى بين الشعب ومن يتصل به من الشعوب وما يقتبسه منهم والتطور والتغير الثقافى.

ومن هنا يتضح ان محور الدراسة فى هذا الفرع الانثروبولوجيا الثقافية هو الثقافة.

الثقافة:

ان موضوع الثقافة من الموضوعات الحيوية الهامة فى الدراسات الأنثروبولوجية وذلك لأنها عماد الحياة الإنسانية وهى المحيط الذى يخلقه المجتمع ويعيش معه ومن خلاله يؤمن احتياجات الإنسان المادية والمعنوية.

ولقد اعتبر العلماء الثقافة نوعا من الظواهر ،وهى تتكون من تقاليد وعناصر مستمدة ومتداخلة مع بعضها البعض ،وانها انتقلت عبر الزمان والمكان من خلال السبل غير بيولوجية تعتمد على القدرة على استخدام الرموز اللغوية وغير اللغوية المتطورة التى ينفرد بها الإنسان والتعريف الشائع للثقافة هو طريقة معيشة مجموعة من الأفراد ومن الافضل التفكير فى الثقافة على أنها موجودة فى البيئة وما حولها من العوامل الخارجية وبالتحديد العوامل الايكولوجية المحيطة وطبيعة السكان.

والثقافة هى كل ما ليس بيولوجيا ولكنه منقول اجتماعيا فى المجتمع ولكن هذا ما يعنى ان الثقافة ليس لها اساس بيولوجى .فالاساس البيولوجى عنصر ضرورى للسلوك البشرى ولكن كيفية اشباع المطالب الفطرية هو عن طريق التعلم فاشباع غريزة الجوع بالطعام سواء الأكل بالاصابع او بالشوكة والسكين يتحدد بواسطة تعلم الثقافة، واستيعاب الثقافة يتوقف على الخصائص الفيزيقية الموروثة بالجينات فبينما تنتقل الخصائص الوراثية بواسطة الجينات فان الثقافة تنتقل بواسطة الرموز التى يطلق عليها اللغة. وهذه الرموز يمتلكها الجنس البشرى فقط. اما طرق التواصل بين بقية الكائنات الحية فتنتقل عن طريق اشارات وهذه تورث بالجينات وغير قابلة للتغير. اما الرموز فهى قابلة للتعديل بشكل غير نهائى فاللغة تمكن الناس من توصيل ما يرغبون عمله وتنظيم خبراتهم. والتعبير عن الافكار فالعديد من فروع الثقافة كالاخلاق ،الدين الفلسفة. الادب ، العلم، الاقتصاد والتكنولوجيا....الخ تعتمد جميعا على هذا النمط ذات المستوى الاتصالى الرفيع (اللغة) لهذا السبب فانه يقال بأن. الثقافة كامنة فى اللغة ويقر بعض علماء الاجتماع ان معظم السلوك يرجع جزئيا للتأثير الجينى . حتى التعليم الذى ينقل

المسلوك الاجتماعى الى الاجيال يرجع فى الاصل الى جهاز عصبى . وايضا قدراتنا على التعليم لها ضرورة جينية.

ولكن المتطلبات الاساسية من طعام .ومأوى وجنس ليست فقط مطالبنا البيولجية الاساسية .فان الحاجة الى التفاعل الاجتماعى مطلب اساسى للبشر مثل الحاجة الى الطعام والراحة والاشباع الجنسى.

ومن الجدير بالذكر ان بعض العوامل الايكولوجية يمكن ان تتغير بواسطة عوامل الثقافة مثلا سطح الأرض قد تغير فى كثير من البلاد المتقدمة وعلى سبيل المثال فان فلاحة الأرض الصحراوية جعلها أرضا خصبة لانتاج المحاصيل وكذلك بالنسبة لجسم الانسان فان بعض الشعوب مثلا تربط رأس الوليد حتى تصبح مستديرة وليست مستطيلة.

ومما هو معروف ان الثقافة عماد الحياة الانسانية، وان الجماعات البشرية تسلك سلوك يتبع غالبا ثلاثة اشياء فى المجتمع. البيئة والنشاط الاقتصادي والتعليم فالثقافة ظاهرة حقيقية وعامة وهى ليست موجودة عند تفكير شخص بعينة ومن هنا نجد ان الثقافة تفكير جماعى وتطبيع للأفراد الجدد بهذا النمط من التفكير .وهى تفكير وسلوك فى نفس الوقت وهى قابلة للتغير نتيجة احتكاكها بثقافات أخرى.

ومن نتائج الدراسات العديدة التى اهتم بها العلماء انهم قسموا الثقافة الى قسمين:

ثقافة مادية وأخرى معنوية فكل الاشياء الطبيعية التى يصنعها الانسان.

تعتبر ثقافة مادية وتتمثل هذه الاشياء فى الغذاء والملابس والمساكن والاثاث والادوات ..الخ وغيرها من مظاهر الحياة وكل ما يتصل بالانتاج والتكنولوجيا والاختراعات التى تحدث مثل هذه الاشياء.

اما الثقافة غير المادية فهى كل خواص الثقافة التى يعملها الانسان ولا تدرك بالحواس مثل المهارات التكنولوجية بالمعايير .المعرفة المعتقدات وجهات النظر واللغة.

ويعد التعريف الكلاسيكى للثقافة هو ذلك المأخوذ من تايلور Tylor ،الذى يعتبره الكثيرون مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية الحديثة ويقول تايلور فى كتابة الثقافة البدائية (١٨٧١) الثقافة او الحضارة بالمعنى الإثنوجرافى الواسع. هى ذلك الكل

المركب الذي يتضمن المعرفة والمعتقد والفن والاخلاق والقانون والعادات وأي قدرات او عادات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع.

ويستخدم مصطلح الثقافة الفرعية للأشارة الى ثقافات الاقليات داخل ثقافة اكبر مسيطرة. كما يمكننا ايضا ان نتكلم عن الثقافة الشخصية الخاصة بفرد واحد.

وفي كل هذه الاستخدامات فأن المصطلح لا ينطبق على وحدة سكانية محدودة بل نسق من الأفكار والمعتقدات والسلوك التي يعزلها الأنثروبولوجي من اجل دراستها. فالثقافة الفرعية هي ثقافة جماعة معينة تختلف جزئيا عن الثقافة السائدة في المجتمع الكبير. وهي تتميز بتعارض منظم مع قيم الثقافة السائدة التي قد نسميها ثقافة مضادة.

هذا ويقابلنا ما يسمى ثقافة الفقر وهي نظرية تتناول حياة الشعوب الريفية في البيئات الحضرية طورها لويس (١٩٦١، ١٩٦٦) ويمكن مقارنتها بمفهوم فوستر عن الخير المحدود في المناطق الريفية. وقد ذهب لويس الى ان الفقر ليس مجرد حرمان اقتصادي وتفكك اجتماعي. ولكنه يخلق اسلوب حياة يتميز باستراتيجية وتلائم لهما ملامح خاصة.

وتتكون ثقافة الفقر من خليط من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية. ومن السمات الرئيسية التي حددها لويس لثقافة الفقر نقص مشاركة الفقراء في النظم الاجتماعية الرئيسية .ووجود انماط خاصة للحياة العائلية بينهم .وللعلاقات الجنسية واساليب تنشئة الأطفال.

الثقافة المادية:

تشمل الثقافة المادية مجموع رصيد التكنولوجيا والمصنوعات المادية لدى الجماعة البشرية والتي تتضمن العناصر المرتبطة بأنشطة توفير المعاش. وكذلك العناصر التي انتجها الإنسان لأغراض الزينة والفن والطقوس وترتبط دراسة الثقافة المادية من ناحية بعلم الآثار على أساس ان الشواهد المادية على وجود شعب معين غالبا ما تكون هي الشواهد الوحيدة المتاحة التي تشير الى ثقافتهم وترتبط دراسة الثقافة المادية من ناحية أخرى بأنثروبولوجيا الفن والموسيقى والرقص والرمزية والشعائرية بالإضافة الى أنثروبولوجيا الانسان التكنولوجية.

لقد سبق واشرنا الى تعريف تايلور للثقافة (١٨٧١) وهو ان الثقافة (هى ذلك الكل المركب الذى يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وأى قدرات أخرى او عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا فى المجتمع).

وهذا التعريف يمثل القاعدة الاساسية التى قامت عليها جميع تعريفات الثقافة، فيما بعد وهذه بعض التعريفات التى وردت منها تعريف بواز Boas وتشتمل الثقافة على كل مظاهر العادات الاجتماعية فى مجتمع ما وردود فعل الفرد فى تأثره بعادات الجماعة التى يحيا فيها ونتاج الأنشطة البشرية كما تحدده هذه العادات.

ويقول كوبر ان الثقافة تمثل مجموع ردود الفعل المركبة المكتسبة والمتناقلة والعادات والافكار والقيم والسلوك الذى يؤدى اليه هذا الى جانب عدة تعريفات تدور كلها حول هذه المفاهيم واخيرا هيرسكوفيتس Heroskovits ان الثقافة هى ذلك الجانب من البيئة الذى هو من صنع الإنسان يستخدم مصطلح بيئة هنا بأوسع معانية بما فى ذلك البيئة الاجتماعية هذ ويعتبر مالينونسكى Malinoviski . اكثر من ساهموا فى هذه المجموعة من التعريفات وهو يعرف الثقافة (بأنها الميراث الاجتماعى الذى يشتمل على العناصر المادية الموروثة) والسلع والعمليات التكنولوجية والافكار والعادات الفردية والقيم ويذهب ابعد من ذلك اذ يقدم تفسيرا لجوهرها ووظيفتها.. فالثقافة تسبغ على الإنسان امتدادا اضافيا لجهازه العضوى وهى تؤكد اساسا من خلال اشباع الاحتياجات البيولوجية وهكذا تظهر الثقافة اول ما تظهر وبصفة رئيسية على انها التنظيم الاجتماعى والافكار والعادات والمعتقدات والقيم وجميعها تتيح للإنسان اشباع حاجاته البيولوجية من خلال التعاون وفى داخل بيئة اعيد تنظيمها وتكيفها).

من هذا يتضح ان المفهوم العام للثقافة انما يحمل فى ذاته معنى التكيف .كما تكشف فكرة الثقافة عن بعض الدلالات التى تشير الى تدخل الإنسان فى تعديل الطبيعة او تحويرها بأضافة عناصر بشرية على الوجود الطبيعى وادخال اشياء اجتماعية لم تكن موجودة فى الطبيعة فكل اضافة انسانية على الوجود الفيزيقى او العالم الطبيعى "هى ثقافة" هذا ويستخدم بعض العلماء كلمة ثقافة بنفس معنى كلمة حضارة ولكن البعض الأخر يقصرون كلمة ثقافة على الامور المعنوية فى المجتمع كالاراء والمعتقدات والمعارف والنظريات وما يستحدث من مظاهر الفن ويطلقون لفظ حضارة على كل ما يتعلق بالناحية المادية فى المجتمع وهى التى تتمثل فى

المخترعات والابتكار والتنظيمات التى يلجأ اليها الإنسان لدعم كيانه الاجتماعى وتحقيق اهدافه فى سهولة ويسر.

ولكن هذه التفرقة لا تقوم على اساس معقول فهناك تشابك بين المظاهر المادية والمعنوية للثقافة فالمخترعات كالراديو والتلفزيون مثلا كانت قبل خروجها الى ميدان التطبيق العملى افكارا ونظريات.

وقد يكون من الاصح ان تستخدم كلمة حضارة فى التعبير عن مستويات من الثقافة اكثر تقدما .فالحضارة هى ثقافة معقدة وهى درجة من ثقافة متقدمة نوعا ما فهى من ناحية ارقى اشكال الثقافة ومن ناحية اخرى الشكل الخارجى "المادى للثقافة" ومع ذلك فأن جمهور المتخصصين فى الدراسات الأنثروبولوجية لا يفرقون بين التعبرين تفريقا كبيرا بل يستخدمون الاصطلاحين مترادفين لنفس الحقيقة وذلك وفقا لتعريف تايلور السابق. هذا ومهما اختلفت التعريفات فانها تتفق كنها فى النهاية مع تعريف تايلور وهذا التعريف يؤلف اهم خصائص الثقافة ومقوماتها. وقد اهتم علماء الأنثروبولوجيا بدراسة لغات الجماعات المنعزلة عن التيارات الحضارية وقد وضعوا مزيد عنايتهم الى اللغات البدائية واللهجات الإقليمية والمحلية والآداب الشعبية وهذا الاهتمام يرجع الى ان اللغة خاصية إنسانية ووسيلة للتواصل والتناقل الفكرى بين أفراد الجماعة الواحدة.

وبهذا المعنى الواسع تدخل فى دراسة اللغة دراسة التعابير الحركية التى تفصح عنها أعضاء الوجه ومن أمثلتها حركات العيون والفم وهزات الرأس ويدخل فى نطاقها الاشارات وحركات اليد والاشارات الصوتية ولذلك يستخدم المنهج العلمى فى دراسة اللغات ويعتبر احد فروع الأنثروبولوجيا الثقافية لان اللغة كما عرفنا احد عناصر الثقافة بل هى اهم تلك العناصر.

وتوجد علاقات تعاونية بين عالم اللغة و الأنثروبولوجى وذلك لان على الاثنولوجى و الأنثروبولوجى ان يدرس لغة المجتمع الذى يبحثه ولا يتم ذلك الا عن طريق دراسة مبادئ علم اللغويات ولكن من الناحية الواقعية نلاحظ ان علم اللغويات له اقسام مستقلة فى الجامعات والسبب فى ذلك امكان دراسة اللغة وتحليل عناصرها بصورة مستقلة عن بقية عناصر الثقافة ويقوم المتخصصون فى تلك الاقسام بتدريس مادة اللغويات وفروعها لطلبة اقسام الأنثروبولوجيا.

لقد تحدى الانسان موطنه بحضارته ذات الادوات التكنولوجية البسيطة والمصادر الاقتصادية المحددة ومن وجهة النظر هذه فقد قبل الانسان التحدى ،هذا التحدى الذى يبدو واضحا قويا فى تلاثير على الانسان وتشكيله لاسلوب حياته فرضه علية الموقع الطبيعى ،وينطبق ذلك على من تكون بيئتهم قاسة ويعيشون فى الصحراء وفى مناطق مهجورة. ولهذا وجب ان نركز بالضرورة على المكان ووسائل التكيف التى تبعوها من اجل هذا التكيف.

ونأخذ كمثال لهذا (الاستراليون) فقد عرفوا البذور والجذور الصالحة للغذاء من خلال خبرتهم وتجوالهم فى البيئة الطبيعية كما عرفوا الفواكه والخضراوات والزهور وعسل النحل والحشرات والضفادع والقشريات مثل سرطان البحر السحالى والسمك والتماسيح بالقرب من مجارى الانهار، كما وجدو من الطيور الحمام والدجاج والكنجارو ، لكن لم يكن عندهم فنوس للزراعة واسلحتهم كانت بدائية للغاية ،كما عرفوا طرقا واساليب للصيد تدل على دهانهم فقد وجدوا ان الكنجارو يمكن صيده بارهاقة بالمطاردة فكانوا يتبعونه جريا طوال النهار ثم ينامون حيث تنتهى بهم المطاردة ويتعقبونه ثانية فى اليوم التالى حيث تضعف قواه لعدم تعودة على هذا الجهود فيهوى عليه الصياد بهراوة غليظة

وكمثال أخر لقسوة الموطن بلاد البنمن فى صحراء كلهارى والاقزام فى غابات الإيتورى فى افريقيا فهم لم يعرفوا من ادوات الصيد سوى السهم البسيط والقوس. فكان الصياد يتخفى بلبس ريش النعام لكى يقترب من الطائر مقلدا حركته بحذر شديد ويطلق سهمه فيه بدون ان يشعر ،وهكذا يستخدم ايضا فرو الحيوان المراد صيده للتخفى.

ولسندرة الماء فى صحراء كلهارى فهم يحفظونه فى بيض النعام وقت المطر اما اذا جفت مواقع الماء فيزرعونها بنبات ذات شكل دائرى او مستطيل (تقارب الشمام والبطيخ) للحصول على قدر من السوائل منها ، ويستخدمون البوص الاخضر فى امتصاص الماء من الاماكن المنخفضة.

اما المثال الثالث لحالات تكيف الإنسان والبيئة فيبدو ذلك عند الاسكيمو فى اتخاذ مساكنهم على شكل قباب من الثلج وتسمى بالكوخ القبوى الذى هو حصيلة الخبرة والتجريب باستخدام ما هو متواجد امامه والكوخ القبوى يؤدى الوظيفة

الكامنة للسكن من توفر المأوى والراحة في البرد القارس .كذا استخدام قبعة البحر والمركبات المنزلقة المربعة والغطاء الساقط من اعلى الرأس الى قرب الحاجين ليحميهم من الشعور بانعدام التوازن بسبب السرعة او صد طلوع الشمس فجأة.

كما ان رؤوس السهام المدببة تستخدم لصيد فيلة البحر والحيتان وطريقة صيدهم للحوت بتركه يطفو بعيدا ثم يستخدمون قطعة خشبية ثقيلة وطويلة يقذفونه بها من علي بعد لتجنب ضرباته المفاجئة التي تؤذي الصياد. وفيلة البحر المنتفخة بالدماء فتفجرها رأس الحربة المدببة.

ولبس غطاء للرأس معين والكوخ الدائري والملابس كل هذه وسائل تستخدم من اجل الدفء وهذا تكيف مع البيئة.

وتصف المدرسة الانسانية انطباع وتأثير الموقع الطبيعي على اساليب حياة الناس فيما يسمى تاريخ الجنس البشري.

ما هي الثقافة

يتميز الانسان عن الحيوان باختلاف تصرفاته من مجتمع لاخر وخاصة فيما يتعلق بالطرق التي يؤدي بها نشاطه اليومي فهو يمارس تصرفات تختلف من مجتمع لاخر ومن وقت لاخر ويمكن ان نلمس هذا الاختلاف واضحا في اغلب انواع النشاط الذي يمارسه الانسان فاذا مثلنا بنماذج التصرف التي تتعلق بالغذاء في عدد من المجتمعات وجدنا مثلا ان قبائل الاسكيمو التي تعيش في المناطق القطبية تقتصر في غذائها على اللحوم والاسماك تقريبا في الوقت الذي نجد فيه الهنود الذين يعيشون في المكسيك يعتمدون اساسا في غذائهم على الحبوب الخضروات كما اننا في الوقت الذي نجد فيه اللبن ومشتقاته غذاء كماليا جدا بالنسبة لقبائل البجندا في شرق أفريقيا يعتبرد سكان غرب أفريقيا شيئا لا يؤكل بل وساما في بعض الاحيان وبالمثل تختلف نظرة بعض المجتمعات الى السمك ففي الوقت الذي يعتبر السمك فيه غذاء هاما عند كثير من القبائل الهندية التي تعيش في امريكا نجده عند قبائل اخرى شيئا لا يصلح للغذاء بل وينسب اليه حدوث بعض الامراض كما هو الحال عند بعض القبائل في نيومكسيكو كما يمكن ان نمثل لهذا الاختلاف ايضا بموقف أفراد المجتمع الواحد من بعض انواع الغذاء ففي الوقت الذي نجد فيه سكان السواحل في مصر يقبلون على اكل كثير من أنواع الحيوانات البحرية كالقواقع وغيرها نجد سكان المناطق الداخلية يشمئزون من منظر مثل هذه الحيوانات ولا

يمكن اقناعهم باكلها واخيرا نجد كثيرا من المجتمعات تعتمد على لحم الكلاب كغذاء رئيسى مثل قبائل هنود المكسيك التى تربى الكلاب لاكلها بينما نجد مجتمعات اخرى تستنكر مجرد التفكير فى لحم الكلاب كغذاء.

ويمكن ان نمثل لاختلاف نماذج التصرف فى المجتمعات الانسانية بما هو متبع نحو الملابس وادوات وطرق الزينة وذلك حينما نجد عددا من المجتمعات مثل سكان استراليا الاصليين يعيشون شبه عرايا بينما نجد قبائل الباجندا فى شرق أفريقيا يلبسون ملابس كاملة من الرقبة الى القدم كما تختلف شعوب العالم عامة فى الوسائل والطرق التى يغطون بها اجسامهم ويختلفون ايضا فيما يتعلق بوسائل الزينة التى نجدها كثيرة الاختلاف بين مجتمع واخر فهى قد تشمل حلقة الانف والشفة وحلق الاذن ودبابيس الشعر كما نجد مجتمعات اخرى تزين الجسم نفسة بواسطة الطلاء او الطين او الوشم. أو بأثار الجروح المعتمدة فى بعض الاحيان.

وإذا اكتفينا الان بهذه الامثلة لتوضيح مدى اختلاف المجتمعات الإنسانية بعضها عن بعض فى تصرفاتها فأن الخطوة التالية هى ان نسأل عن الاسباب التى أدت الى كل هذه الاختلافات على الرغم من ان الإنسان فى كل هذه المجتمعات ينسب اصلا الى نوع واحد هو فصيلة الإنسان العاقل.

واجابتنا على هذا السؤال يمكن ان نجدها فيما يلاحظ من ان الإنسان يختلف عن الحيوانات الاخرى فى انه يتعلم الجزء الاكبر من تصرفاته فهو حينما يولد يكون ضعيفا وتولد معه بالوراثة ايه طرق للتصرف وهو لكى يعيش يجب ان يتعلم كيف يأكل وكيف يمشي ويتكلم بل ويتعلم كل التصرفات الاخرى التى تمكنه من ان يعيش ويظل الانسان على هذا الحال طوال فترة الطفولة والصبا فى دورة لا تنتهى من تعلم اشياء جديدة تهيئه لكى يعيش وينسجم فى المجتمع الذى ولد فيه وتعلم فيه. فالإنسان يعيش اذن فى مجتمعات تشترك اعضاء كل منها فى طرق مميزة للسلوك والتصرف ويتكون من كل هذا فى النهاية ما اصطلح على تسميته بالثقافة ولكل مجتمع انسانى ثقافته الخاصة والتى اذا تناولناها كوحدة بكل تفاصيلها وجدناها تختلف بالمثل عن ثقافة أى مجتمع اخر وعلى الرغم من ان لكل جماعة انسانية ثقافتها الخاصة فاننا نلاحظ ان هناك دائما ثقافة مشتركة بين اغلب هذه الجماعات وبين عدد كبير منها على الاقل ففى منطقة السهول فى امريكا الشمالية

تعيش جماعات هندية مختلفة لكل منها ثقافتها المميزة ولكل منها اسمها القبلى ولكن منها لغتها التى تتخاطب بها. كما ان كل منها مستقلا سياسيا عن الاخر ولكن مع ذلك نجد ان لكل هذه القبائل عددا من الصفات الثقافية المشتركة بينها جميعا منها ان الجاموس كان يعتمد للغذاء وان المساكن عامة كانت تبنى على اعمدة وتغطى بالجلود وان الكلب ثم الحصان فيما بعد كان يستعمل للحمل والجر وان الملابس كانت تصنع من جلد الجاموس والغزال. اما عن رجال هذه القبائل فكانوا ينقسمون الى طوائف من المدافعين يسكنون فى معسكرات على شكل دائرى ويمارسون فى عباداتهم طقوسا تكاد تكون موحدة فيما بينهم ونظرا لاشتراك افراد هذه الجماعات المختلفة فى كثير من صفاتهم الثقافية امكن تعيين هذه الثقافة الموحدة والشائعة التى اظلتهم جميعا وتسميتها ثقافة السهول تمييزا لها عن ثقافات هندية اخرى تكون لها السيادة فى مناطق أخرى مثل ثقافة سكان الغابات الشرقية او الشمالية او منطقة كاليفورنيا.

واذا فمسا نعنيه بثقافة السهول او ثقافة ساحل المحيط الهادى الشمالى او ثقافة الغابات الشرقية هو طرق السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات التى تتميز باشتراكها فى عدد من مظاهر الثقافة نتيجة لدرجة معينة من الاتصال والتفاعل.وقد يتميز المجتمع الواحد بعدد من الثقافات اذا ما انقسم الى مناطق او اجزاء يتميز بها جزء دون غيرة من الاجزاء الاخرى ويكون هذا التقسيم واضحا فى المجتمعات التى يسودها نظام الطبقات وحيث نجد لكل طبقة طرقها الخاصة فى السلوك وهذه الظاهرة لا نجدها فى المجتمعات الامريكية فحسب بل وفى الاوربية والاسيوية والأفريقية أيضا فى الماضى وفى الحاضر .ومن ذلك ما نلمسه فى اختلاف بين المجتمعات الريفية والمجتمعات الحضرية فى كثير من نماذج التصرف ويمكن ان نمثل لذلك بمصر وما نجده من اختلاف بين ريفها وحضرها او ما نجده من اختلاف بين سكان المناطق الساحلية والمناطق الداخلية رغم انتساب هؤلاء السكان جميعا فى النهاية الى مجتمع واحد هو المجتمع المصرى. مما تقدم يمكننا القول ان الثقافة اصطلاح يستخدمه الأنثروبولوجيون بمعانى مختلفة يمكن أن نجملها فيما يلى:

١ - طرق الحياة او نماذج المعيشة الشائعة فى وقت من الاوقات لكل المجتمعات الإنسانية ويمكن ان نمثل لطرق التصرف هذه بالزواج اوارتداء الملابس وغير ذلك من التصرفات التى تكاد تكون عالمية.

٢- طرق الحياة او نماذج المعيشة التى تتميز بها مجموعة من المجتمعات التى يوجد بينها نوع من التفاعل يختلف فى درجة عمقه ويمكن ان نمثل لذلك باشكال التصرفات التى تكاد ان تكون قاصرة على المجتمعات الاسلامية نتيجة لعقيدتها الدينية الموحدة كالصلاة بطريقة معينة والصوم والاحتفالات ذات الطابع الدينى.

٣- طرق الحياة او نماذج المعيشة التى يتميز بها مجتمع بذاته مثل لبس شئ على الراس يتميز به مجتمع بعينه عن المجتمعات الاخرى او الاحتفال باعياد معينة فى مجتمعات بذاتها.

٤- طرق الحياة او نماذج المعيشة التى تتميز بهاطبقات معينة او اجزاء بذاتها فى مجتمع واحد بظله تنظيم واحد مثل ما نجده من اختلاف فى الزى بين سكان الريف وسكان الحضر واختلاف فى اللهجات.

ولا تقتصر الثقافة من وجهة النظر الأنثروبولوجية على مجتمع معين وانما هى موجودة فى كل المجتمعات بدائية وغير بدائية وعلى ذلك فعلم الأنثروبولوجيا لا يعترف بالاصطلاح الشائع بين الناس حينما يقولون مجتمع عنده ثقافة ومجتمع ليس عنده ثقافة لان هاتين الكلمتين انما تعنيان فرقا فى الثقافة وليس استبعادا لها فالثقافة توجد فى لندن وباريس والقاهرة كما توجد عند قبائل الباجندا والازاندى والتفاهو

خصائص الثقافة ومجالها :

ولقد قدر ميردوك Murdock عدد الثقافات التى تم اكتشافها بما يزيد على ثلاثة الاف ثقافة تتميز كل منها بخصائص وسمات معينة.

الخاصية الأولى:

تتميز الثقافة باستقلالها عن الافراد الذين يحملونها ويمارسونها فى حياتهم اليومية ومعنى ذلك ان عناصر الثقافة أمور يكتسبها الإنسان بالتعليم من المجتمع الذى يعيش فيه على اعتبار انها هى التراث الثقافى الذى يتراكم على مر العصور بحيث يتمثل فى اخر الامر فى شكل التقاليد المتوارثة.

الخاصية الثانية:

نجد ان كل العلماء الذين تعرضوا لمشكلة تعريف الثقافة يعطون اهمية كبرى لعنصر التعليم او الاكتساب فالفرد يتعلم انماط السلوك التى تسمى الثقافة من خلال عملية التكيف الاجتماعي ويكتسب الطفل ثقافة المجتمع الذى تربى فيه والتى تصبح من خلال مراحل نموه جزءا لا يتجزأ من شخصيته بعد ان كانت عند ولادته خارجة عنه وعن طريق التعليم والمحاكاة يترسب فى شخصية الطفل مركب ثقافى مميز من العلاقات والعادات.

وهناك كثير من الشواهد التى توضح الدور الذى تلعبه الثقافة فى حياة الأفرادفهى تمثل بالنسبة للفرد رأس المال الذى يبدأ به حياته فاذا عزل او حرم منه فقد الكثير من مقوماته حتى القدرة على الكلام او الاستجابة او التمييز لما حوله من الامور والمواقف فمعظم التعريفات تؤكد ان الثقافة هى حصيلة العمل والاختراع والابتكار الاجتماعي وانها حصيلة النشاط البشرى وان وجودها بذلك غير مرتبط بوجود الأفراد من حيث هم افراد وحين يتكلم علماء الانثروبولوجيا والاجتماع عن ثقافة شعب ما من الشعوب فأنهم يقصدون على العموم طرق المعيشة وانماط الحياة وقواعد العرف والتقاليد والفنون التكنولوجية السائدة فى ذلك المجتمع والتى يكتسبها اعضاؤها ويلتزمون بها فى سلوكهم وفى حياتهم.

الخاصية الثالثة : وهى الاستمرار :

فللسمات الثقافية قدرة هائلة على الانتقال عبر الزمن بل ان كثيرا من هذه الملامح والسمات التى تتمثل بوجه خاص فى العادات والتقاليد والعقائد والخرافات والاساطير تحتفظ بكيانها لعدة اجيال لا لشئ الا انها ووجدت فى وقت من الاوقات فى المجتمع فتظل موجودة حتى بعد زوال السبب الذى ادى الى ظهورها فى اول الامر وقد يتعرض المجتمع كله لبعض عوامل التغير التى تبدل بشكل مفاجئ او بالتدريج – الظروف العامة التقليدية – ومع ذلك تستطيع بعض هذه السمات البقاء والاستمرار مع احتفاظها بصورتها الاصلية. والثقافة تنتقل من مجتمع لأخر نتيجة الهجرة او غيرها من وسائل الاتصال الثقافى كاللغة مثلا.

الخاصية الرابعة :

هي انها كـل معقد نظرا لاشتمالها على عدد كبير جدا من السمات والملامح والعناصر التي حاولت بعض التعريفات ان تذكر جانب منها كما هو الحال في تعريف تايلور مثلا ويرجع هذا التعقيد الى تراكم التراث الاجتماعي خلال عصور طويلة من الزمن وكذلك الى استعارة كثيرة من السمات الثقافية من خارج المجتمع نفسه وهذا التعقيد معناه ان الفرد لن يستطيع ان يكتسب كل عناصر الثقافة السائدة في المجتمع الذي ينتمي اليه كما يعني ايضا ان عالم الانثروبولوجيا او الاجتماع لن يستطيع مهما بذل من جهد ان يسجل كل مظاهر وسمات اي ثقافة من الثقافات التي يدرسها مهمـا بلغت من البساطة ولذلك حاول بعض العلماء ان يرد ذلك التعقيد الى شئ من البساطة التي تساعد على تحليل الثقافة .فميزوا بين نوعين من الثقافة هما :

الثقافة المادية والثقافة المعنوية :

بحيث تشمل الثقافة المادية كل ما يصنعه الانسان في حياته العامة وكل ما ينتجه العمل البشري من اشياء ملموسة وتتمثل هذه الجوانب المادية في السيارات والقطارات والعدد والالات والقناطر والطرق والمنازل والملابس والاثاث وغيرها من الادوات المستخدمة في الاعمال الفنية.وكل هذه الماديات من انتاج الانسان فلم تظهر السيارة كقوة خارقة بدون ان تمر في خط طويل من المخترعات ومن ثم تمثل وسائل الانتاج واساليبه والادوات المصنوعة جانبا هاما من جوانب الثقافة الانسانية تتأثر وتؤثر في غيرها من الجوانب الاخرى.

امـا الثقافة اللامادية فتشمل مظاهر السلوك التي تتمثل في العادات والتقاليد والتي تعبر عن المثل والقيم والافكار والمعتقدات.

وتمتاز الثقافة في العصر الحاضر بسرعة الذيوع والانتشار نظرا لوجود العوامل التي تساعد على تحقيق هذه العملية فقد ارتقت وسائل المواصلات التي تساعد على تيسير حركة المواصلات الفكرية والروحية بين الشعوب وبعضها وربطت بين اطرافها وقربت بين وجهات النظر بين معظم هذه الشعوب – وقد ساد بذلك التفاهم وتحققت المصالح المشتركة وتبادلت الشعوب المنافع العامة والمخترعات الحديثة ومن اهم هذه الوسائل انتشار الكتب العلمية واتساع نطاق الاذاعة اللاسلكية عن طريق الراديو والتلفزيون وارتقاء فن السينما والمسارح

وتبادل الخبرات والبعثات وتتم عملية الانتشار بواسطة محركات ووسائل كالتجارة والحرب والتزاوج وتبادل الآثار العلمية والجامعات .

وتحتوي ظاهرة انتشار الثقافة على ثلاث عمليات هي :

١- نقل العنصر او العناصر الثقافية من مكان لآخر .

٢- قبول هذا العنصر بواسطة جماعة او مجتمع معين.

٣- توافق العنصر او العناصر المنقولة او المقبولة مع عناصر الثقافة السائدة في تلك الجماعة او تلك المجتمع وانتشار الثقافة معناه انتقال النمط الثقافي من جماعة الى اخرى او من وسط ثقافي الى اخر.

وتنتشر الثقافات عن طريق الافراد والجماعات فالانماط الثقافية (لا حياة لها في ذاتها ولا تنتقل الا بواسطة الاشخاص الذين يحملونها).

واذا تم انتشار الثقافة عن طريق الهجرات التي يقوم بها الاشخاص والذين يتركون بلادهم بفعل عوامل الضغط الاجتماعي او عوامل الطرد المادي حاملين معهم الانماط الثقافية السائدة في بلادهم واذا لاءمت هذه الانماط الثقافية الوسط الذي هاجروا اليه وانتقلت هذه الانماط الى ثقافة هذا الوسط الاخير او الجديد يسمى انتشارها بهذه الصورة طريق عرضي وهناك طريق اخر – طريق شعوري متعمد: ويسمى يتم انتشار الثقافات عن طريق الهجرات الاستعمارية او التجارية التي تهدف من خلال فرض ثقافتها الى استغلال الشعوب المستعمرة.

يتضح مما سبق ان مجال الانثروبولوجيا الثقافية او المادية التي يدرسها الباحث في الانثروبولوجيا الثقافية هي (السلوك البشري ومنتجات هذا السلوك) ويتم جمع هذه المادة عن طريق الدراسة المفصلة لسلوك اعضاء ثقافات معينة وتمثل انماط السلوك المحددة ثقافيا بؤرة اهتمام الباحث في الانثروبولوجياوتتطلب تحديد هذه الانماط وفهم دلالتها ودراسة تنوعها عبر الزمان والمكان.

وتقدم لنا دراسة تاريخ السلالات جانبا من المادة التي تتعلق بالثقافات القديمة ولكن علم الآثار يعد المصدر الرئيسي للمعلومات الخاصة بالجانب الاكبر من التاريخ البشري .

وتهتم الاثنوجرافيا بدراسة ثقافات الشعوب الحية من خلال الملاحظة المباشرة وغير المباشرة للسلوك وتتطلب اختيار الشعوب للدراسة والاعداد لدراستها تمهيدا

وتخطيطا على جانب كبير من الدقة ولقد كان هدف الاثنوجرافيا فى عصورها الأولى استكشـافيا وصفيا اما اليوم فقد اتضح لنا مدى التنوع الثقافى وتتطلب الاثنوجرافيا استخدام اساليب متنوعة فى الملاحظة والتسجيل فالانثروبولوجي على خلاف اغلب المتخصصـين فـى العلوم الاجتماعية يقوم بجمع وتحليل مادته ويتم جانب من هذا التحلـيل فـى المـيدان ومع ذلك فان الجانب الاكبر منه يجب ان يتم بعد العودة من الميدان.

الموطن والحضارة :

لقـد وضـع Forde مفهومـا للحضارة حيث جعلها وسطا بين البيئة الطبيعية والنشـاط الأنسانى بحيث يصبح جوهر المشكلة فى تفاعل البيئة الطبيعية والانسان ومـن هـنا ظهـرت الايكولوجـيا البشـرية لتدرس هذه العلاقة بمزيد من التقصى والتحليل لكيفية تكيف الإنسان ،هذا الكائن البيولوجى ،لنفسه مع الموقع الجغرافى.

وكلمـة بيـئة Environment بمعـناها التخصص تشير الى الموقع الطبيعى بمفهـوم الجغرافيـين الذيـن اهتموا بالمظهر الطبيعى للعالم ،وهذا المعنى توضحه العـبارة الاتـية (حتمـية البيئة) التى تعبر عن مركز او مكانة البيئة فى الحضارة ومـراحلها التى مرت بها ،ويتركز الاهتمام بالبيئة اكثر من أى شئ أخر ،اى تفضل الموقع الطبيعى على ما عداه.

بيـنما يركز المهتمون بالموقع الاجتماعى (السكان) على كيفية التفاعل بين الأنسان والبيـئة واسـلوب الأنسان للسيطرة على البيئة والتكيف معها ثم استمرار ذلك من جـيل لأخر ،وفى الحقيقة فان العنصر الطبيعى وعناصر الحضارة والأنسان هى كل واحـد لكـن التعريفات الاصطلاحية تجعلها غير ذلك .ولهذا الغرض فاننا سنوضح المقصود بكل منها

الموطن :

يعنى به الموقع الطبيعى للوجود الأنسانى واثره فى الملامح الفيزيقية للجماعات البشـرية او الناس فى المنطقة ،وكذا المناخ والسمات الجغرافية الاخرى التى كيف الأنسان نفسه معها.

الحضارة :

تعنى ذلك الجزء من الكل الذى يشمل الاشياء المادية التى هى من صنع الانسان وطـريقة صـنعها مـثل الأدوات والالات وكذلك الاشياء غير مادية مثل وجهات النظر والاراء وكذا العقوبات المترتبة على عدم الالتزام بالسلوك الاجتماعى المقرر ونتائجها.

اما البيئة .

بمعـناها الشامل فتشمل التأثيرات الخارجية وتأثيراتها فى الحياة والنمو للكائن العضوى ،وفى هذه الحالة تعنى الأنسان فى موقعة الطبيعى والحضارى.

وبعـد هذه التعريفات نعود لنناقش كيفية تفاعل الأنسان مع البيئة والى اى حد تؤثـر البيـئة فـى حـياة الأنسان وفى ثقافته وحضارته وشخصيته وماذا يفعل الافراد بحضارتهم فى البيئة واخضاعها لمصالحهم واخيرا مدى التوافق بين الأنسان والبينة.

امـا الموطـن فهو عامل محدد للسلوك الاختيارى اذا استطاع الأنسان ان يقبل تحـدى الموطـن ، مـنها يصبح بعيدا عن تأثيره ،اما الموطن فتأثيره واضح فى تحديد الحاصـلات الزراعـية وكمية الحشائش وكذا تحديد الدورة الزراعية وطرق الزراعة . ونقـدم طرق زراعة الارز فى الشرق الاقصى كمثال جيد على ذلك حيث توجد أنواع من الارز تـنمو فى أرض جافة واخرى فى أحواض للرى او البرك ذات الماء الضحل وكما هـو متبع هناك فان الارز المبتل ينمو بسرعة ويكون ذو طعم افضل من الارز المهجن كمـا يـزرع فى الارض المستوية وفوق المدرجات الجبلية وتنصح التكنولوجيا الاوربية بتنوع وسائل الرى وذلك ايضا ينطبق على نظام الرى فى أفريقيا المدارية.

فاساسـيات الحضـارة التكنولوجية وادواتها تسهل الكثير فى المناطق المدارية كمـا تحميها من الامراض الفتاكة .وعليه فان الحضارة بخاصيتها التكنولوجية المميزة يمكـنها ان تـتحرك اكـثر مؤثرة فى الموطن وبطريقة يمكن معرفتها وتحديدها ،ونرى اثـرها على الموقع الطبيعى، فكل الذين اقاموا نظاما للرى تغيرت ملامحهم الفيزيقية فى موطـنهم واستمر ذلك مثل الايفا وزراعة الارز اذ تغيرت ملامحهم الفيزيقية بالرغم من وجودهم فى منطقة جبلية ولنذهب ابعد من ذلك فالتأثير الذى احدثته قناة السويس وقناة بـنما علـى الموطن واستخدامه فى العبور لمجموعة بشرية ضخمة او الى السد العظيم الـذى خلـق بحـيرات ،وعلى الأنسان عند عبورها ان يعد خطوات معينة كل ذلك بفعل التأثير الهندسى الذى صنعه الأنسان .

وهكـــذا رأيــنا ان الموطـــن وحـــده لا يحدد حضارة الإنسان ، وتأثيره فى كل الحضارة ليس تأثيرا بدرجة واحدة وما اختلاف الحضارات فى مظاهر خاصة عن بعضها الا مـــردة لتكنولوجيا والنظام الاقتصادى وتلبيته لمطالب البيئة الطبيعية التى تؤثر على الجانب غير مادى من الحضارة كما تؤثر على الجانب المادى منه.

ويمكـــن ان نوضـــح العلاقة بين الحضارة والموطن بان سهولة حصول الناس على التكنولوجيا يقلل الى درجة كبيرة اعتمادهم على الموطن .

والحقـــيقة هـــى ان الحضارة وسط بين الإنسان والموطن وهذه ظاهرة واضحة خاضـــعة لمقايـــيس الاختيار الجمعى ولا يمكننا ان نفهم الحضارة الا بنظرة كلية للبيئة ولمحـــتوياتها والتى تعنى كما سبق ان عرفناها بانها تشمل الموقع الطبيعى اى الوجود الكلى للحياة الإنسانية بالمعنى الشامل.

الحضارة وكيف تعمل

اولا قـــبل ان ندخـــل فـــى عمـــل الحضـــارة وماذا فعل الانسان لابد من معرفة اساســيات المجتمع من اقتصاديات وايديولوجيات[١] وجنس واى منهم اقوى من الاخر فـــى التأثـــير وايهـــم يعتبر مظهرا من مظاهر الحضارة : فنقول مثلا ان شعب الولايات المـــتحدة الامريكـــية يشمل (الموقع الطبيعى، المناخ، امكانية التصنيع، التجارة، الدين، الامـــتداد، كـــبر الحجم) وبالرغم من ان ذلك قد يمثل امتدادا للحضارة التى صنعت الا ان دارسى الحضارة يعارضون بشدة ان ينسب ذلك الى عامل الحتمية البيئية وحده لان ذلك العلم (علم الحضارة) لا يخضع فقط للضغوط الجغرافية والبيولوجية والطبيعية ،حيث ان الـــتاريخ يلعـــب دورا هـــو الاخر مع انه لا يمكن التأكيد على عامل واحد منهم باعتباره العامل الرئيسى .

١- Ideology "ايديولوجـــى وهـــو نظام الافكار المتداخلة (كالمعتقدات ، والتقاليد، والمـــبادئ والاســـاطير) التى تؤمن بها جماعة معينة او مجتمع ما وتعكس مصالحها واهتماماتها الاجتماعية والاخلاقية والدينية والسياسية والاقتصادية والنظامية وتبررها فى نفس الوقت.

قـــاموس علـــم الاجـــتماع ، د. محمـــد عـــاطف غيـــث ، الهيـــئة المصـــرية العامـــة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ٢٣:

ولكـــى نؤكـــد عـــامل الحتمـــية البيئـــية او ننفـــيه فانه يجب علينا البحث عن موضوعات سلبية لم يظهر للبيئة فيها اثر كلى او جزئى فى تشكيل الحضارة.

وذلـــك يـــتأتى بعـــدم الاعـــتراف بالعوامل الضاغطة للبيئة او وجود حضارتين مختلفتيـــن فى موقع طبيعى واحد يتعرض لنفس العوامل الضاغطة التى تؤكدها الحتمية البيئـــية. ونســـترجع حالات تحدثنا عنها قبل ذلك قامت على هذه النقطة .فلقد اشرنا الى التكيف الذى تم بواسطة

لاســـكيمو ولا ســـيما الاســـكيمو الشرقيين بالنسبة لبيئتهم وموطنهم وقد تحدد ووضع مدى استخدامهم لما فى بيئتهم من خامات حتى بالنسبة للكلب .ذلك الحيوان الوحـــيد الـــذى يســـتخدم لجر الزحافات والمألوف لديهم .كما نجد القوارب المضادة للمـــاء والتى يمكن استعمالها عدة مرات وتعرف باسم (كاياكا) وما زالت باقية لليوم مـــع مهـــارات اخرى للتكيف يمكن للدارس ان يتصورها لانها بديهية ومقبولة من الجميع الذين يعيشون فى هذه البيئة القاسية بشتائها الطويل.

وعـــندما نطـــوف حول سيبيريا الجليدية .فبالرغم من تشابه المناخ الا اننا نجد حضـــارة مخـــتلفة تمامـــا ذات نمـــط اخر. فالكوخ الثلجى غير معروف. والملاجئ مصـــنوعة مـــن الخشـــب بالرغم من ندرة الخشب هناك .كما ان اهل سيبيريا رعاة وليســـوا بصيادين كالاسكيمو . وقد انقرض حيوان الرنة منذ فترة طويلة وكان هذا الحـــيوان هـــو غذائهـــم الاساسى. وبالرغم من ان الحرارة تصل الى ٣٠ °م تحت الصفر فقد قاد الرجال قطعانهم الى اراضى جديدة بحثا عن المرعى تاركين وراءهم النساء والاطفال وواجب النساء اخلاء المعسكر ورفع الخيام وحمل الجلود والاوانى والاطفـــال حيـــث يحملونهـــم فى محمل مثبت خلف الظهر ليسهل حملهم . كما ان الرجال وقطعان الماشية يصلون قبل النساء بفترة طويلة الى ارض المرعى الجديد. وهـــم لا يبنون بيوتا من الثلج كما يفعل الاسكيمو ولعدم توافر الخشب لديهم للتدفئة يجلســـون معـــا فى انتظار مؤخرة الحيوانات ومعها النساء التى تقوم بأقامة الخيام حيث ان ذلك من عمل النساء وحدهن.

ونحـــن نـــرى هنا فى هذا الموطن الصعب نمطين مختلفين اختلافا واضحا من اســـلوب الحـــياة .احدهمـــا يقوم على الصيد والاخر على الرعى .ويلاحظ ان تكيف

الانســان فــى كلاهما مثمر جدا والدليل على ذلك هو استمرار بقائهم فى هذه البيئة القطبية منذ اجيال طويلة وحتى الان.

فتأثير الاسكيمو على الموطن بالنسبة لاهل سيبيريا عظيم جدا بالرغم من انهما لــم يتطورا فى وقت واحد .لكن من الواضح ان هناك عوامل اخرى مؤثرة فى البيئة هى التى شكلت الحضارة ، وهذا هو ما تقوله الحتمية البيئية.

كمــا يؤثــر الموطــن فى دوام الحضارة ومما سبق نخلص الى ان العلاقة بين عــامل واخــر ليس بنسبة واحدة اذا ما طبقناه على هذه الحضارات السابق ذكرها (البيئة والانسان).

وتستمر ايضا الدراسات والمناقشات حول الشعوب التى تشهد الظروف بصعوبة موطنها بالإضافة الى التكنولوجيا والاقتصاد البسيط والتى تلفت الانظار.

الثقافة والمجتمع :

ومــن اهــم خصــائص الثقافة انها تنتقل من جيل الى اخر فلا يمكن بالطبع ان نفــترض استمرارية مجتمع ما تعنى استمرارية افراده وادوارهم التى يلعبونها حيث ان المواليد والوفيات لابد وان تغير باستمرار من اشخاص المجتمع لكن تبقى انماط من السلوك يتم توريثها للأفراد الذين يشكلون المجتمع الحالى .

وكما سبق ان اشرنا ان من اهم خصائصها ايضا انها ظاهرة انسانية ، فالانسان هو الحيوان الوحيد الذى يتمتع بالثقافة. فالذئاب تجتمع فى جماعات والثيران البرية فــى قطعان. وكذلك حشرة الخنفساء تجتمع فى جماعات للبيات الشتوى ،وقد تشكل الحيوانات التى تتشابه فى ذلك اجزاء من مجتمعات كبيرة لا تشتمل فقط على انواع مختلفة تسكن فى اماكن او اقاليم معينة ،ولكن تشتمل ايضا على كل مظاهر الحياة ، وحينما ندرس المجتمعات الحيوانية سنجد كثيرا من العناصر تنطبق على الجماعات البشــرية فهناك عمليات السيطرة والخضوع وعمليات التنافس فيما بينهما وتشابك العلاقــات . امــا الــثقافة فهى ظاهرة ينفرد بها الانسان ،فهناك اختلاف كبير بين السلوك الثقافى للإنسان . فالمنبهات الفعالة التى يشمل عليها سلوك الحيوان تورث بصــورة اساســية كعامل فسيولوجى . اما فى الانسان فنجد انه يحشد خبراته خلال احاديــثه كما نجد ان سلوكه هو حصيلة حياة وخبرات افراد سابقين حتى البيئة التى يعيش فيها البشر هى حصيلة تراكم الاجيال السابقة.

فـــى المجـــتمع الحـــيوانى او مجـــتمع الحشـــرات يعتمد الحيوان على الوظيفة المباشرة لعامل الوراثة –اما فى المجتمع البشرى فان العمليات الوظيفية تتأثر تماما بالعوامل النفسية تبعا لشكل الثقافة ، والارث الاجتماعى.

(وخلاصـــة هـــذا ان المجـــتمع هو جامع الافراد وان الثقافة هى كيان السلوك المكتسب لهولاء الافراد جيلا بعد جيل).

ولكنـــنا نجد مجتمعات انسانية كثيرة وليس مجتمعا واحد كليا ، وهناك اختلافات كبـــيرة بين كل من هذه المجتمعات الانسانية ، ولابد ان كل مجتمع يتعلم طرقا كثرة للتفكـــير والعمـــل ويســـلك سلوكا يختلف عن المجتمعات الاخرى. هذا التفكير وهذا الســـلوك هو ما يصنع الثقافة التى تميز مجتمعهم عن مجتمعات الاخرين . والانسان هـــو الـــذى يملـــك القدرة على ان يطور مثلما نقل السلوك المتعلم او المكتسب. اما العملـــية التى يجد الفرد بها اكتماله فى مجتمعه فهى ما تسمى التأقلم او التكيف فى المجـــتمع وهـــى توائـــم الفرد مع تصرفات وسلوك الاخرين وتوقعاتهم منه ورد ود الفعل المتوقعة وهكذا .

وكمـــا ان المجتمع يتكون من عديد من المؤسسات والهيئات فان الانسان يتميز بمقدرتـــه علـــى الاتصـــال برفقائه باشكال الحديث الرمزية والتصورية .بل انه هو الكائـــن الوحـــيد الـــذى اســـتطاع ان يخاطب هذا العدد الغير محدود والمختلف من الهيئات والمؤسسات كما يتخاطب مع عائلته وبنفس اللغة الموروثة والمكتسبة معا (موروثـــة باعتـــبارها اســـاس التراث الثقافى نقلت اليه من اجيال سابقة ومكتسبة باعتبارد تعلمها من المجتمع).

والتثقـــيف مـــا هو الا عملية تكيف لفرد داخل الحياة الاجتماعية.والتثقيف هو عملـــية وعـــى ضرورية للتفرقة بين ما هو مقبول وما هو مقبول وما هو مرفوض ،وبهذا المعنى فهو جزء من خبرات المجتمع حيث يترك جانبا كل مالا يرضى الفرد داخل مجتمعه.

والتثقـــيف ايضـــا هـــو تلك العملية التى تسمح باظهار معظم السلوك لمستوى الوعى او الادراك حتى ليقبله الاخرين دون ان يتساءلوا عنه.

ويعـــرف منـــتاجو Montagu ايضـــا الـــثقافة بانها استجابة الانسان لاشباع حاجاته. فهى الوسائل التى يلجأ اليها الانسان لاشباع تلك الحاجات. وتقوم الحاجات

الانســانية على حاجات ضرورية مثل المأكل والمشرب والملبس والمسكن وخرفه. ومــا يفرق الحيوان عن الانسان ان الانسان يلجأ الى عقله ليبدع له وسائل وطرق ينظم بها هذه الحاجات ويهيئها له . ويستطيع الانسان بعقله وقدرته على التعلم ان ينشــئ تلك الوسائل ويغير فيها وينقلها الى الخلف بعد ان نقلها من السلف فى حين ان الحيوان يعتمد على الغريزة فى اشباع تلك الحاجات.

وتتميز الثقافة عند "منتاجو" بالصفات الاتية :

١- انها اختراع او اكتشاف انسانى وهى ميزة للإنسان عن الحيوان .

٢- انها تنتقل من جيل الى اخر على شكل عادات ونظم وتقاليد كما تنتقل من وسط اجتماعى الى أخر .

٣- انها قابلة للتعديل و التغيير.

وتكثر التعريفات وتتعدد اذ انها تقارب مائة وستون تعريفا. وقد قام "كروبر" و "كلوكهون" بفحصها ووجدا قصورا فى التعريفات الكثيرة الا ان السمة المشتركة لمعظــم تعــريفات الـثقافة هى انها تكتسب بالتعلم وبالتالى فليست غريزية او فطــرية كما انها لا تحدد بيولوجيا .ومعنى انتقالها واكتسابها بالتعلم انها تتعدل نتــيجة المــزيد مــن التعلم وينطبق ذلك تماما على العادات والتقاليد فقد يهذب التعلــيم مــن بعضها او قد يلغيها او يعدلها – ولما كانت الثقافة تكتسب بالتعلم فمــن الطبــيعى انهــا ترتبط بمجتمعات معينة وقد عرفها "كلوكهن" بانها جميع مخططــات الحــياة التى تكونت على مدى التاريخ. وتتعدد الثقافات وتكثر بتعدد المجتمعات البشرية.

ونخلص الى الاتى:

١- ان الانســان هــو الحــيوان الاجتماعى الوحيد الذى له ثقافة رغم وجود حــيوانات تمــيل الــى العيش فى جماعات مثل مملكة النحل ومملكة النمل وهمــا تقومــان علــى العيش فى جماعات او تجمعات او مجتمعات ولهما حياتهما الاجتماعية القائمة على الغريزة.

٢- ان الانســان هــو المخلــوق الوحيد الذى له ثقافة ينميها ويغيرها ويبدلها وتنتقل اليه من جيل الى جيل وهو يختلف عن غيرة من الحيوانات.

٣- ان الثقافة هى اسلوب الحياة للإنسان.

٤- ان الانسان هو المخلوق الوحيد الذى له تراث اجتماعى وان الثقافة تتمتع بالاستمرار والدوام.

٥- ان الانسان يستخدم عقلة فى اشباع حاجاته الاساسية وتحديد أسلوب حياته ، بعكس الحيوان الذى يعتمد على الغريزة ، وتكتسب الثقافة بالتعلم.

فالمجتمع هو الذى يساعد على بقاء الثقافة واستمرارها وكما يقول تارد Tard ان المجتمع يتكون من جملة افراد يحاكى بعضهم بعضا او يلتقون فى صفات مشتركة موروثة كما يذهب بيرجى الى ان المجتمع جملة علاقات تربط الافراد بعضهم ببعض بعلاقات متبادلة . فلا يوجد مجتمع بدون افراد ، وكل مجتمع يقوم على العلاقات القائمة بين افراده لكنه يشمل الى جانب تلك العلاقات ثقافة المجتمع ونظمه وعاداته وتقاليده .

وقد أوضح جريفتش فى ايجاز العلاقة بين الفرد والمجتمع بان الفرد كامن فى مجتمعه وان المجتمع كامن فى افراده . وعلى هذا فان العلاقات المتبادلة وما تمثله او تعبر عنه من سلوك هى نابعة من المجتمع وثقافته.

وهذا يبرز لنا دور المجتمع فى التنشئة الثقافية فتعلم الفرد اللغة وعقيدة مجتمعه وممارسته للفنون والاوجه الاخرى للنشاط الثقافى ، كل ذلك يتعلمه الفرد من المجتمع وبالتالى يمكن ان يعكس سلوك الفرد نوع الثقافة السائدة فى مجتمعه ولذا فما قاله تارد Tard من ان المجتمع يعلم الفرد الثقافة التى تنعكس على سلوكه قول صحيح وكذلك ما ذهب اليه جريفتش من ان الفرد كامن فى مجتمعه والمجتمع كامن فى الفرد هو صادق وتأكيد على اهمية هذه العلاقة وابعادها.

مما تقدم يتضح ان الثقافة تنتقل من فرد لاخر رغم تعرض الفرد للموت .واضافة أفراد جدد الى المجتمع فالفرد هو الذى ينقل الثقافة للفرد الجديد القادم للمجتمع.

وبهذا الانتقال فان استمرار الثقافة امر حتمى لأنه لابد من تماثل الفرد مع جماعته او مجتمعه - فالفرد اذن يتعلم الثقافة من المجتمع ويلزم نفسه بالتوافق مع المجتمع ليعامل بالمثل وتبقى عضويته فيه مقبولة وذلك لميل الانسان الى العيش فى حياته اجتماعية .ويشاركه فى ذلك بعض الحيوانات وبعض الحشرات كالنمل والنحل .ولكن ميزة المجتمعات الانسانية عن

المجـتمعات الاخـرى هـو وجـود ثقافة للمجتمعات الانسانية ،وانعدامها فى المجتمعات الاخرى.

واذا طبقـنا هـذا الكلام على القارة الأفريقية فسنلاحظ ان أفريقيا من اكثر الاماكـن تعقدا بالنسبة لتعدد لغاتها ولهجاتها وكثرة قبائلها وتبعا لذلك ستتنوع الـثقافات. واذا ما ادخلنا فى اعتبارنا الاحتكاك الاوربى ونقل الثقافة الغربية الى أفريقـيا واثـاره سواء اكان سلبا او ايجابيا لادركنا مدى الضغط الخارجى على اسلوب الحياة وسلوك الانسان فى أفريقيا وتعرض ثقافات للتغيير .بفضل المزيد مـن المعـرفة عـن العالم الجديد والثقافات الاخرى .واذا ما لاحظنا زيادة ذلك الانفـتاح الـثقافى الجديـد فى أفريقيا بعد التحرر لادركنا ان التغير الثقافى فى أفريقـيا هـو سمة بارزة فيها وان كان يعطينا فهما اكثر لقابلية الثقافة للتغيير والتـبديل وسـيبرزلنا ان الثقافة تتميز بالديناميكية المتوافقة مع مطالب الحياة المتطورة.

توافق الفرد مع ثقافة المجتمع :

ان كل مجتمع يتبنى انماط ثقافية معينة ومن ثم تصبح هذه الانماط كمعيار لتنشئة الاجتماعية التى يربى اعضاء المجتمع وفقا لها وتتشكل شخصية الطفل تحـت تأثـير التنشئة الاجتماعية فى بيئة ثقافية معينة وعن طريق هذه العملية يصـل الوفـاق الاجتماعى الى الطفل وعلى اعضاء كل مجتمع ان يتماثلوا لهذا الوفاق وتكمن الصعوبة او الخطورة فى حالة عدم وجود مثل هذا التماثل ويبدأ الفـرد فى التوافق فى مرحلة مبكرة من العمر وبالممارسة يزداد سروره ويقل قلقه تدريجيا ومن ثم تصبح له الحياة اكثر سهولة ويسر فالطفل يتعلم ما نطلق علـيه (الـتوافق) الثقافى على قدرة ما يمكن ان يتكيف به من المحيط والمناخ الذى نشأ فيه.

وتخـتلف عملية التنشئة الاجتماعية فى كل مجتمع باختلاف طبيعة الثقافة فالمجـتمع الـذى يغرض سياجا من القسوة سوف يظهر نموذجا من الشخصية يخـتلف عـن ذلك النموذج الذى يظهره المجتمع الذى يدلل فيه الأباء وأبناءهم وتلك وغيرها من العناصر التى تفسر النمط الذى يمكن ان نطلق عليه (نموذج) الشخصية الاساسى لمجتمع ما وتعتبر الاسرة المختبر والمعمل الاساسى لعملية

التنشئة. فمن اهم الوظائف الاسرية ما تلقته للطفل من مجموعة الانماط الثقافية التى يتعامل بها الطفل فى محيطه الاجتماعى ولما كانت التنشئة الاجتماعية للأطفال هى عملية تعلم المتوافقات المقبولة فالاسرة هى التى تعطى الطفل انماط الثقافة كما يهمها، وبهذه العملية تعنمه كيف يناضل ويتوافق مع كل العالم الفيزيقى والعالم الاجتماعى – وتختلف انماط الشخصية من مجتمع لاخر فالفرد فى المجتمع العربى له قيم ثقافية مميزة ومختلفة عن تلك القيم التى يأخذ بها الفرد الذى نشأ فى مجتمع غربى كما توجد مظاهر هذا الاختلاف فى المجتمع الواحد الذى تتنوع وتتعدد فيه الثقافات الجزئية ويؤكد هذا ما نجده فى الولايات المتحدة الامريكية من تفاوت بين القيم الثقافية التى تعكس شخصية الرجل الزنجى عن تلك القيم المميزة لشخصية الرجل الامريكى الابيض وهذا هو السر فى عوامل القلق واحتمالات التصدع فى هيكل البناء الاجتماعى الامريكى.

والوصل الى المشاكل الاساسية الخاصة بطبيعة الثقافة والسلوك الاجتماعى البشرى يكون عن طريق دراسة الشعوب ميدانية ، ونظرا لان عالم الأنثروبولوجيا يدرس مجالا واسعا من افعال وسلوك الناس فان ذلك لا يعنى علــى اى حال ان علم الأنثروبولوجيا الثقافية يمكن تعريفة وتحديده بالعلم الذى يستطيع ان يدرس سلوك البشر البدائى او سلوك الناس غير المتعلمين وعلى دارس الثقافة أن يراقب ويصف ويحلل تقاليد وعادات الشعوب التى يقوم بدراستها . وهذه مهمة ليست سهلة وتتطلب تدريبا خالصا لانه كما رأينا ان هذا الفرع المتخصص من هذا العلم يتطلب الاقامة الكاملة لوضع الحكم الصادق على المجتمع ومشاكله.

وعلــى العموم فــان نجــاح الــدارس فى عملة يعتمد الى حد كبير على حساسيته للمواقف الانسانية التى يقوم بدراستها اكثر من اعتماده على مهارته. ولابد ان يتضمن اى بحث تقريرا عن نتائج هذا البحث كما اوضح ذلك مالينوفسكى عــام ١٩٢٢ فــى دراسته التى قام بها وذلك من خلال ما اسماه (الملاحظ المشارك) الذى يعنى انه يجب على عالم الأنثروبولوجيا اساسا ان يعيش بين المواطنين الذين يجرى عليهم الدراسة.

ونظرة مثل هذه الشعوب الى الدارس تختلف من منطقة لاخرى كما اوضح ايفانز ريتشارد انه عندما قام بدراسة النوير فانهم اصرو على ان يعاملوه كفرد منهم. امـا عندما قام بدراسة قبائل الازاندى فانهم كانوا ينظرون اليه كغريب ويعاملونه كغريب.

وقـد اوضـح انه يجب على الباحث ان يحترم تقاليد وعادات الشعب الذى يدرسه والمكان الذى خصص له لان كل ذلك سيساعده على اكتساب ثقتهم.

وقـد اوضـحت الدراسـات ايضـا انه يجب على الباحث ان يحقق كيفية الالـتحاق بهـذه المجموعـة فـورا حيث تعتبر هذه الخطوة من اصعب واهم الخطوات التى يجب علية ان يواجهها.

وتعـتمد طـريقة الحصول على المعلومات على نوع الدراسة التى تجرى ونوع المجتمعات التى تجرى عليها هذه الدراسة واسلوب حياة هذه المجتمعات.

ومن المعروف ان الثقافة تمثل عدة اوجه وان وجهات نظر افراد المجتمع الواحـد تخـتلف حول اسلوب حياتهم ولذلك لا يمكن اعتماد على مصدر واحد لجمـع المعلومـات ولا ينصـح بذلك . ان استخدام اكبر عدد ممكن من مصادر المعلومات للادلاء بملاحظاتهم يعتبر هاما وضروريا للتأكد من المعلومات سواء بالنسـبة لالغاء بعضها او تحديدها او تكذيبها . وقد يكون عدم الصدق او الدقة ناتجة عن الحذر او النسيان او حتى الخوف.

وبجانـب اسلوب الملاحظة بالمشاركة يوجد اسلوب الملاحظة والاستفسار وتعتبر ملاحظات واستفسارات الأنثروبولوجى عنصرا مفيدا للتحقيق من النقاط التى يغطيها فى دراسته .

وهناك اسلوب اخر هو اسلوب النسب ،وقد اثبت هذا الاسلوب نجاحا كبيرا لانـه رغـم بسـاطته فأنـه يوفـر مجالا كبيرا من المعلومات الخاصة بالبناء الاجتماعى ومؤسسات الشعوب المطلوب دراستها. وباستخدام هذا الاسلوب فانه لابـد من استخدام ابسط التعبيرات مثل الام ، الاب ، الزوج ، الزوجة . الا انه فى نفس الوقت فان هذا الاسلوب لا يمكن استخدامه او لا يكون عمليا فى بعض المجتمعات.

ويـثار دائما سؤال عند مناقشة تحديد العمل الميدانى وهذا السؤال يختص بمـدى اسـتخدام اللغـة المحلية (لغة المواطنين). يفضل ويستحسن ان يعرف

المدارس لغة المواطنين . واذا لم يكن يعرفها فلابد ان يتأكد تماما من سيطرته على اللغة التى سيجرى بها بحثه اولا سوف يجد نفسه طافيا على السطح لا يعلم ماذا يبلغ له ولا يتفهم ما يسمعه .

ومن الممكن الاستعانة بمترجم ولكن هذا الاسلوب يمثل مشاكل كثيرة منها انه يجب ان يكون متحمسا للموضوع .ليس فقط متفهما له . والطريقة المثلى هى استخدام قواعد اللغة المتوفرة ،فان اللهجة اللغوية المنطوقة تتوفر اذا ترافرت لغة الجماعة . ومعرفة الباحث اللغة الوطنية قد تمكنه من اجراء المراجعة على مدى كفاءة المترجم كما ان توجيه السؤال باللغة الوطنية قد يوضح بعض النقاط اكثر من توجيه نفس السؤال بلغة اخرى.

الثقافة وعلاقتها بالشخصية :

لقد قدر العالم ميردوك عدد الثقافات التى تم اكتشافها بما يزيد على ثلاثة الاف ثقافة تتميز كل منها بخصائص وسمات معينة وفى مقدمة ما توصف به الثقافة انها اما ان تكون ثقافة ظاهرة ملموسة ومتطورة واما ان تكون ثقافة ضمنية او متضمنة وتبدو انماط الثقافة الظاهرة فى الهياكل البنائية التى تجسد العادات الجمعية باعتبارها نماذج سلوكية مكتسبة ومعممة عن طريق الحس وخاصة حاسة السمع والبصر اى بالاذن والعين .اما الثقافة الضمنية فيقصد بها العادات الجماعية والاعراف المتواترة وانماط السلوك الذى يحدث بانتظام فنرى الناس مثلا يأكلون ويشربون ويعملون ويتزاوجون ويتحاربون ويرتبطون فى كثير من اشكال التفاعل الاجتماعى وعندما نختبر هذه الانشطة نجد انها ليست انفرادية او جاءت عشوائيا ولكنها جاءت بفعل تقليد الاشكال المتعارف عليها.

كما نجد ان الممارس لهذه الانشطة لا يشعر بطبيعة سلوكه نحوها بينما الملاحظ لها يستطيع ان يتصورها ومن خصائص الثقافة ايضا والتى تؤثر فى شخصية الفرد ان الفرد يتعلمها من خلال عملية (التكيف الاجتماعى) حيث يدخل الفرد فى تفاعل رمزى كامل مع الجماعة وبذلك يتعلم نسق السلوك التى تسميها الثقافة.

ويكتسب الطفل ثقافة المجتمع الذى تربى فيه كما تتحد الثقافة اتحادا كليا مع العناصر الاخرى لدرجة انها تقع دون مستوى الاحساس الواعى وبمعنى انها تحرك سلوك الفرد وتوجهه دون ان يشعر هو بذلك او يتبينه بوضوح .

وقد اثبتت البحوث النفسية الاجتماعية ان الطفل يولد دون ان تتبلور شخصيته التى تتكون فى مراحل نموه بفضل امكانياته الفطرية وتفاعلها مع محيطة الخارجى وتذيب فى شخصية الطفل اثناء احتكاكه بثقافة المجتمع وشخصياتها مركب ثقافى مميز من العلاقات والقيم والعادات وذلك عن طريق التعليم والمحاكاة. وهناك كثير من الشواهد التى توضح الدور الذى تلعبه الثقافة فى حياة الافراد فهى تمثل بالنسبة للفرد "رأس المال" الذى يبدأ به حياته فإذا ما عزل او حرم منه فقد الكثير من مقوماته البشرية حتى القدرة على الكلام او الاستجابة او التمييز لما حوله من الامور والمواقف كما سبق ان اوضحنا ذلك . يمكن للثقافة ان تنتقل من جيل الى جيل اخر ويمكن للفرد ان ينمو على حصيلة الاجيال السابقة فهو ليس فى حاجة لان يبدأ من جديد فى كل جيل ويجد الفرد طرقه السلوكية معدة ومستقلة عنه وما عليه الا ان يتبع هذه الطرق اذا رغب فى ان يكون ناجحا فى جماعته.

والثقافة بصفة عامة تشبع الرغبات والحاجات الانسانية وقد تكون هذه الحاجات بيولوجية كالجوع والعطش وما شابه ذلك او اجتماعية ثقافية مثل التى تظهر من خلال التفاعل الاجتماعى فغالبا ما تشبع العادات الاجتماعية للثقافة الحاجات الجماعية وأيه ذلك ان الفشل فى تحقيق ذلك يعنى الاختفاء التام لنمط ثقافى معين.

وينظر عادة الى العادات الجماعية التى تتضمنها ثقافة ما على انها انماط مثالية للسلوك وعلى الاعضاء أن يتوافقوا معها وان كان هناك تفاوت كبير بين المثل الاعلى وبين التطبيق ولكن وجود المثل الاعلى متفق عليه بصورة عامة اذ ان هذه الصفة المثالية تميز العادات الجماعية عن العادة الفردية التى لا تحوى اى مضمون مثالى .

فالثقافة : تحتل مكانها فى عقول الافراد ولا تجد تعبيرا عن نفسها الا عن طريقهم ولما كانت الثقافة نفسها شيئا غير ملموس ولا يمكن استيعابها عن طريق الاحساس المباشر لذا يصعب على المرء ان يدرك بوضوح الفرق بين الثقافة ومظاهرها فى سلوك الافراد الذين يتمثلونها .

<u>الثقافة والفرد :</u>

التنشئة الثقافية هى الطريقة التى تقوم الجماعة فيها بنقل اشكال الثقافة السائدة فى الجماعة والقيم والمعتقدات – الى الفرد – ليبلور سلوكه الشخصى فى ضوئها – فهى بذلك (التنشئة الثقافية) .عبارة عن المعبر (الكوبرى) بين الثقافة كأشياء مجردة وبين الثقافة كسلوك على ظاهر للأفراد .

وبإيجاز - يمكن القول بأن التنشئة الثقافية تستهدف العمل على مساعدة الافراد على التكيف والتوافق مع ثقافة الجماعة والمجتمع الذى ينتمون اليه .

وعلـى الرغم من انه قد تنجح فئة قليلة من الافراد فى التوافق مع الجماعة او المجـتمع نتيجة لمقاومتها للثقافة السائدة او تعثر التنشئة الثقافية لها لظروف معينه. الا ان هؤلاء الافراد ليسوا الا قلة نادرة اذا قورنت بالغالبية العظمى من افراد المجتمع التى تجتاز مرحلة التنشئة الثقافية بنجاح .

فالإنســان ،خاصــة فى المراحل الاولى للتنشئة الثقافية يكون لينا سهل التشـكيل وقــادرا على اكتساب الثقافة السائدة فى جماعته وتعلمها ، وتلقى ما يضـمن انتماءه وتقبله لانماط السلوك السائدة ،ولكنه سرعان ما يؤثر فى ثقافة الجماعـة فى مراحل نموه التالية لمراحل الطفولة سلبا او ايجابيا ،وفقا لظروف الشخصية التى مر بها .

المراجع العربية :

١- احمد الخشاب : دراسات انثروبولوجية ، دار المعارف المصرية ١٩٧٠

٢- إيفانـــز بريتشارد : الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، ترجمة د. احمد أبو زيد. دار المعارف ، ١٩٦٠ .

٣- احمد زكى بدوى : معجم العلوم الاجتماعى .مكتبة لبنان ، ١٩٧٨ .

٤- أمـــيرة حلمـــى مطر: فلسفة الجمال،المكتبة الثقافية ٧٤،وزارة الثقافة والارشاد ١٩٦٢.

٥- ســعد الخـــادم : الفن الشعبى والمعتقدات السحرية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥ .

٦- عاطف وصفى : الأنثروبولوجيا الثقافية . دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ١٩٧٥ .

٧- عبد الحميد لطفى : الأنثروبولوجيا الاجتماعية . دار المعرف ١٩٧٥ .

٨- عـــبد الـــرؤوف برجاوى : أصول فى علم الجمال ، دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٨١.

٩- عبد الملك الكاشف : الثقافة الأفريقية (مترجم) تأليف هيرسكو فيتس وباسكوم . المكتبة العصرية . صيدا ١٩٦٦ .

١٠-محمد الجوهرى . حسن الشامى : قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفلكلور ، مترجم عن أيكة هولتكرانس ، دار المعارف بمصر ١٩٧٢ .

١١-محمد الجوهرى الحسينى : مقدمة فى الأنثروبولوجيا الجزء الأول مترجم عن رالف بيلز . هاوس هونجر ، نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٦ .

١٢-محمـــد طلعـــت عيســـى : علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا . ترجمة عن مارسل موسى بحث فى الهبات والرأى الملزمة ١٩٧١ .

١٣- محمـــد عـــاطف غيث : قاموس علم الاجتماع . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩

١٤- محمـــود إســـلام الفـــار : الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب. فرع الإسكندرية ١٩٧٣ .

١٥- مصطفى سليم : المدخل الى الأنثروبولوجيا . مطبعة العانى بغداد ١٩٧٥

١٦- معجم العلوم الاجتماعية : تصوير ومراجعة د. إبراهيم مدكور ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥ .

١٧- موسوعة علم الإنسان ، المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية تأليف شارلوت سيمور - سميث ترجمة - مجموعة من أساتذة علم الاجتماع باشراف محمد الجوهري. المجلس الاعلى للثقافة (٦١) ١٩٩٨ .

مدارس الأنثروبولوجيا الثقافية :

مبدأ التطور الحضاري :

بـدأ علم الأنثروبولوجيا يأخذ مظهره العلمي حوالي منتصف القرن التاسع عشر حينما بـدأ العلمـاء يهتمون بدراسة الحضارات وتطورها ولقد شجع على هذا الاتجاه العلمـي عـدد من العوامل التي يمكن ان تذكر منها : تقدم الدراسات الخاصة بعصور ما قـبل الـتاريخ فـي أوربا وفي عدد من اجزاء العالم الاخرى وقد جاء هذا التقدم نتيجة طبيعـية لـتقدم الاكتشـافات والدراسات الأثرية كما شجع على هذا الاتجاه ايضا زيادة المعـرفة عـن المجـتمعات البدائية وذلك عن طريق الرحالة والمبشرين والجنود الذين كانوا يعودون الى بلادهم فيحكون عما رأوه في تلك البلاد من عادات وعقائد وفنون هذا عـلاوة على ما كان يسجله بعضهم من بيانات وملاحظات عن هذه المجتمعات مما خلق الرغـبة عـند بعض العلماء في دراسة هذه المجتمعات بطريقة مقصودة ومنظمة .هذا ويمكـن ان نضـيف الـى هذيـن العاملين عاملا اخر شجع بدوره على هذه الدراسات الانثروبولوجـية وهذا العامل يتمثل في ظهور مشكلة هامة بين الباحثين شجعت الرغبة في حلها على القيام بدراسات تدور حول المجتمعات البدائية.

امـا هـذه المشـكلة فهي تحديد العلاقة بين حضارة المجتمعات البدائية وبين الحضـارات المتقدمة في أوربا وامريكا وهل هذه الحضارات المتقدمة امتداد للحضارات البدائـية او تطـور لهـا بمعنى هل تمثل المجتمعات البدائية بوضعها الحاضر المراحل الاولـى الـتى اجتازها المجتمع الانساني وهل تكشف دراستها عن الظروف والاوضاع التى كان عليها المجتمع الانساني في اول الامر ...؟

لقـد كانت هذه المشكلة بدأت بداية التفكير الانثروبولوجي العلمي وبداية لظهور مـا يعـرف بمبادئ التطور الحضاري والتي ظهرت واضحة فيما كتبه عدد من العلماء الذيـن يعتبرون اصحاب هذا المبدأ التقليديين وعلى رأسهم من الانجليز على القيام بمثل هـذه الدراسـات خضـوع الجزء الاكبر من المجتمعات البدائية في القرن التاسع عشر

للنفوذ الانجليزى وكان هذا بالذات عاملا فعلا على تسهيل مهمة العلماء الإنجليز لارتياد هـذه المـناطق ومحاولـة دراستها ولاعجب والامر كذلك ان نجد ان الجانب الاكبر من الدراسات الانثروبولوجية الاولى قد قام اساسا على ايدى هؤلاء العلماء الإنجليز اما عن العلمـاء الامريكيين فقـد شجعهم على القيام بمثل هذه الدراسات ما كا يخضع لهم من مجـتمعات بدائية تتمثل فى المجتمعات الهندية التى تسكن الولايات المتحدة والتى كانت بدورها مجالا غنيا للتدريب الانثروبولوجي العلمى وقد وجد فيها (مورجان) فرصته لذلك وعلـى الـرغم من ان مبدأ التطور عامة كان معروفا من قبل فى الدراسات البيولوجية وخاصـة بعـد ان نشر تشارلز دا روين فى سنة ١٨٥٩ كتابة (اصل الانواع) فان مبدأ التطور البيولوجى هذا لم يكن هو المحرك الاساسى لمبدأ التطور الحضارى مما يمكن ان نقـول معـه بان التطور الحضارى لم يكن امتدادا للتطور البيولوجى وانما يعتبر مستقلا فـى تكوينه مما يتفق وتطور الحضارات هذا علاوة على استخدام معنى التطور فى علم الاجتماع او الانثروبولوجيا لم يكن تقليد النظرية دا روين لان الواقع يشهد بغير ذلك اذا علمنا ان فكرة التطور كانت موجودة عند علماء الاجتماع قبل ظهور مبدأ دا روين بعدة سنوات . فقد اشار اليها سبنسر فى دراسته لتطور المجتمع الانسانى من الشكل البسيط الى الشكل المعقد.

رواد المدرسة التطورية :

ينـتمى الى المدرسة التطورية عدد كبير من العلماء الذين قاموا بجهود متفاوتة فى دراساتهم من هؤلاء :

لويس مورجان : Morgan Lowis (١٨١٨ - ١٨٨٠)

هو احد العلماء الامريكيين الذين ساهموا بنصيب كبير فى الدراسات الانثروبولوجية وخاصة برأيه فى تطور التاريخ البشرى - وقد اوضح ان تاريخ الجنس البشرى واحد فى مصدره وفى خبرته وتقدمه فهو بهذا قد اخضع كل المجتمعات الانسانية فى تطورها لقانون واحد ووجهة نظرة فى هذا ان الانسان فى مجتمعاته المختلفة قد وجد فى الماضى ويوجد فى الحاضر وهو يجتاز درجات مختلفة من الحضارة وقد بنى مورجان على هذا الاساس مبدأه فى تتابع المراحل الحضارية واطلق عليها اصطلاح درجات الحضارة وهذه الدرجات هى :

١ - المرحلة الوحشية الدنيا : وفيها لم يكن الانسان اكثر تقدما من الحيوان فقد عاش فى الغابة وسكن الاشجار وغذاءه كان قاصرا على الجذور والفواكه واية ثمار اخرى

٢ - المرحلة الوحشية الوسطى : وفى هذه المرحلة تقدم بعض الشئ عن المرحلة الاولى فقد بدأ فى الاهتداء الى أنواع جديدة من الاطعمة كالاسماك وعلى هذا الاساس بدأ يخرج من الغابة وانتشر على طول الانهار والسواحل وفى هذه المرحلة ايضا اكتشف النار.

٣ - المرحلة الوحشية العليا : وقد اخترع فى هذه المرحلة القوس وعلى هذا الاساس اصبح الحيوان الغذاء الرئيسى للانسان واصبح الصيد عمله الاساسى وقد تقدم الإنسان فى هذه المرحلة تقدما بسيطا فى بعض الفنون وفى بعض الاشكال من التنظيم الاجتماعى والدينى.

٤ - المرحلة البربرية الدنيا : وتبدأ هذه المرحلة بمعرفة الصناعات الفخارية وتمتاز هذه المرحلة ببداية التمييز بين الإنسان من مكان لأخر بعد ان كنا نتكلم عن الإنسان عامة فى زمن .

٥ - المرحلة البربرية الوسطى : وهى مرحلة ازدهار للمرحلة السابقة من ناحية استئناس الحيوان والزراعة .ومعرفة الانسان لعملية الرى وبناء المساكن من الاحجار وغير ذلك من المظاهر الحضارية .

٦ - المرحلة البربرية العليا : وتبدأ بمعرفة صهر الحديد واستخدامه كما تتميز هذه المرحلة بظاهرة حضارية هامة وهى اختراع الانسان للكتابة واستخدامها كما تتميز ايضا بازدياد عدد السكان فى العالم كثيرا عما كان علية من قبل .

ويقــول مورجــان انـــه لـــيس من الضرورة ان تجتاز حضارة كل مجتمع هذه المـــراحل جمـــيعا وانما قد يحدث ان تنتقل الحضارة الى مرحلة اكثر تقدما دون ان تمر بالمراحل التى قبلها ويحدث هذا نتيجة الاتصال بحضارة ارقى كما يرى ان هذه المـــراحل لا تنطبق على الحضارة ككل وانما على كل مظهر حضارى على حده كأن تمر العقيدة الدينية مثلا بهذه المراحل او ان تمر بها الاسرة او الزواج او اى مظهر حضارى أخر .

وقد قام مورجان بدراسة لتطور الزواج والاسرة وقد رأى ان هاتين الظاهرتين مـــرتا بعـــدد كبير من المراحل التى بدأت بمرحلة الاباحية الجنسية حتى وصلنا الى المـــرحلة الاخـــيرة التى تتمثل فى الزواج المونوجامى Monogamy وبلاسرة كما هـــى معروفة فة اغلب المجتمعات الانسانية فى الوقت الحاضر وهذا يعنى ان هاتين الظاهرتيـــن قد اجتازتا فى تطورهما عددا من المراحل الوسطى مثل مرحلة الزواج الجمعـــى Group marriage ومرحلة الاسرة الامومية Matriarchal family ثم مرحلة الاسرة الابوية patriarchal family .

٢- ادوارد تـــايلور : Edward Tylor (١٨٣٢-١٩١٧) يـــتفق هـــذا العـــالم الانجلـــيزى مـــع مورجـــان الامـــريكى فى مبدأ التتابع الحضارى وكما درس مورجان ظاهرتى الزواج والاسرة درس تايلور تطور ظاهرة الدين او العقيدة.

وقـــد خـــرج مـــن دراسته بعدد من النتائج منها ان كل العقائد الدينية ظهرت نتـــيجة للتفســـير الخاطـــئ لعدد من الظواهر التى كان يقابلها الانسان كالاحلام والامراض والنوم والاستيقاظ والحياة والموت .

ويـــرى تـــايلور ان فكرة الروح التى اهتدى اليها الانسان هى الاساس الذى قامت علية الاديان فالانسان كان يعتقد ان الروح تفارق جسده اثناء النوم ثـــم تعـــود الـــيه عند اليقظة وان الموت ليس الا نوما طويلا فارقت الروح فيه الجســـد ولـــم تعد اليه وقد ارتبطت هذه الافكار الدينية الاولى بعدد من الطقوس كمـــا ارتبطت بظاهرة تقديم القرابين لارواح الاسلاف التى تنتسب اليها الجماعة او القبـــيلة جلـــبا لرضاهم وهكذا بدأت العقائد الدينية تظهر وتتطور من وجهة نظـــرهم وتكلم فى هذه النظرية ايضا كل من جيمس فريزر (١٨٥٤- ١٩٤١) وريفـــرز(١٨٦٤- ١٩٢١) ولكن قوبلت اراء هذه المدرسة التطورية بكثير من

النقد نظرا للبساطة وعدم الدقة التى حاولت بهما هذه المدرسة ان تعمم النتائج التى كانت تصل اليها فيما يتعلق بالتتابع الحضارى واخضاع المجتمعات على اختلافها فى كل زمان ومكان لقانون واحد تتطور تبعا له حضاراتها .

والواقع ان دراسات المدرسة التطورية لم تكن تقوم على اساس علمى تجريبى واهم ما يعيبها انها لم تقم على اساس متين من الدراسة الميدانية المباشرة علاوة ان تخصصاتهم جميعهم كانت تتجه اتجاها اخر غير الدراسات الانثروبولوجية فبعضهم كان يعمل بالمحاماه والبعض الاخر كان مترجما او اديبا او شاعرا وعالما نفسيا .

ورغم النقد الذى وجه اليها فيمكن القول فى نفس الوقت بان هذه المدرسة كان لها نصيب كبير من التقدير والفضل على الدراسات الانثروبولوجية .

فكان التطوريون اول من وجه الاذهان الى ضرورة وجود علم للحضارة وذلك بعد ان اعلنوا ان الظواهر الحضارية ليست ظواهر عشوائية او ظواهر بدون نظام .

وعلى الرغم مما وجه الى محاولات التطوريين الخاصة بالتعميم الحضارى من نقد فانهم ادخلوا بهذه المحاولات طريقة منظمة فى دراسة الحضارة والطرق المنظمة هى اولى خطوات البحث العلمى المنظم وقد وضع التطوريون بذلك اساس علم الانثروبولوجية الحضارية . ويمكننا ان نقرر ان الدراسات الانثروبولوجية الميدانية قد بدأت بهذه المدرسة على يد بعض روادها من امثال مورجان وتايلور وفريزر .

مبدأ الانتشار الحضارى :

من الاراء السابقة لعلماء القرن التاسع عشر فى التطور نجد ان وجهة نظر هؤلاء العلماء تسير فى اتجاه واحد وقد تجاهلت هذه الاراء بذلك اهمية الانتشار كعامل فى بناء الحضارة .

ووجهة نظر انصار مبدأ الانتشار الحضارى ان نماذج الحضارة غالبا ما تستعار وان تشابه النماذج الحضارية فى المجتمعات المختلفة لا يكون نتيجة لتطور تلقائى او مستقل وانما نتيجة لظهور النموذج الحضارى لاول مرة عند شعب معين فى مكان معين وزمان معين ثم انتقاله بعد ذلك الى المجتمعات الاخرى وهذه هى نقطة الاختلاف الرئيسية بين كل من التفكير التطورى والتفكير الانتشارى .

ولـم تكـن الدراسات الخاصة بمبدأ الانتشار الحضارى قاصرة على بلد بالذات وانمـا وجدناهـا ممـثلة فـى كثير من البلاد ولكن مع ذلك كان للولايات المتحدة الامريكـية نصيب كبير من هذه الدراسات بينما لم تزدهر هذه الدراسات فى انجلترا علـى عكـس مـا كـان عليه الامر فيما يتعلق بالدراسات التطورية التى وجدناها مزدهرة فى انجلترا

وفـيما يخص هذا المبدأ قامت عدة مدارس منها المدرسة الامريكية والمدرسة الانجليزية والمدرسة الالمانية .

المدرسة الامريكية :

يعتبر كلارك ويسلر Clark wissler من اهم العلماء الامريكيين الذين درسوا الانتشـار الحضـارى وقد قام ويسلر بدراسة بين القبائل الهندية الامريكية وخرج منها بمـبدئه الـذى اطلق عليه مبدأ المساحة الحضارية والمساحة الزمنية وقد اتخذ من هذا المـبدأ وسـيلة لتصنيف الحضارات او بمعنى ادق لتصنيف التجمعات الحضارية بالنسبة للمـناطق الجغرافـية وعلـى هذا الاساس قسم ويسلر كلا من الامريكيتين (الشمالية او الجنوبية) الى مساحات حضارية وتنظر المدرسة الانتشارية الى الثقافة على انها ظاهرة سـيالة تنشأ وحداتها فى بيئة معينة ثم ما تلبث ان تتسرب وتنتشر من موطنها الاصلى الى مواطن اخرى كما تنتقل من الجيل المبدع الى الجيل المقلد وهى نتيجة لهذه السيولة تنتشـر بالاسـتعارة او بالتقليد او ما شابه ذلك ولذا فان تشابه الانماط الثقافية على ما يـرى الانتشـاريون – فـى المجتمعات المختلفة لا ينشأ على النمو التلقائى الناتج عن تشـابه الامكانيات الاجتماعية والطبيعية الانسانية ولو امكننا تتبع تاريخ الاختراعات فى التكنولوجيا او الفن او العرف لرأينا انها لم تظهر تلقائيا عند كل شعب على حده وانما توصـل اليها اولا شعب واحد فى مكان معين من تاريخه ثم انتقل بعد ذلك كله او بعضه مـن ذلك المجتمع الى المجتمعات الاخرى وكان هؤلاء العلماء يتبعون فى بحثهم المنهج التحليلى المقـارن ويـنظرون الـى الثقافة ككل مترابط ويحاولون تتبع نشأة العناصر الرئيسـية وانتشـارها وتداخلهـا فـى العناصـر الاخرى ويدرسون الظروف الطبيعية والاجتماعـية الـتى تسـاعد او تعـوق انتشار الثقافة ويحللون مختلف الثقافات ليردوا عناصـرها الى اصولها الاولى وقد كانت وسائل الانتشار فى العصور القديمة عن طريق اخـتلاط السلالات او التزاوج بينهما. فيما يعرف بالاستعارة فان الانتشار قد اتخذ حديثا

ومسائل مختلفة ولا يستدعي اتصال الاجناس اتصالا دمويا أو سلاليا ذلك ان وسائل الاتصال الحديثة مثل المواصلات السلكية واللاسلكية واجهزة الراديو والتليفزيون وكذا الصحافة والإذاعة والسينما كل ذلك قد جعل انتشار حضارة او ثقافة ما اسهل بكثير مما كان عليه الحال من قبل .

فقد اصبح مثلا انتشار اللهجة المصرية في الاقاليم العربية سهلا بواسطة الافلام التي تصدر الى هناك واصبحت عادات الاكل والحياة الاجتماعية الاوربية تنتشر عن طريق الافلام الغربية واصبحت الافكار تنتشر عن طريق الكتب وعن طريق وسائل الطباعة الحديثة .فهذه المدرسة التي يرأسها ويسلر تأخذ بفكرة الانتشار ولكن في حدود معينة تقتصر على منطقة او مناطق بعينها .

المدرسة الانجليزية :

وعلى رأسها اليوت سميث Elliott Smith وبرى W. perry . وبرى سميث ويتفق معه برى ان المدينة الحقة لم تحدث سوى مرة واحدة في التاريخ الانساني وان مصر بالذات كانت مركزا لهذا الحدوث ثم انتشرت هذه المدينة من مركزها هذا الى انحاء العالم الاخرى حتى ما كان منها بعيدا عن هذا المركز كالمكسيك وامريكا الوسطى ولقد امكن تتبع انتشار النماذج الحضارية الهامة التي نشأت في مصر ومنها على سبيل المثال عبادة الشمس واقامة التماثيل الكبيرة وبناء الاهرامات وتحنيط الموتى ووضع اهمية كبرى للذهب والجواهر وخلاف ذلك من مظاهر حضارية تميزت بها مصر قديما ويرى سميث ايضا انه قبل نشأة وانتشار هذه الصفات المعقدة لم تكن شعوب العالم تعرف سوى الضروري من المظاهر الحضارية مثل ما هو معروف حاليا بين سكان استراليا الاصليين وان انتشار هذه الصفات الحضارية المعقدة قد حدث عن طريق الغزوات المصرية في كل الاتجاهات وما كان يصاحبها من ادخال مظاهر المدينة المصرية بصورة جزئية او بصورة كاملة في جميع الاماكن التي تميزت بهذه الصفات الحضارية المعقدة وهذا لا يمنع طبعا ان يكون هناك من الشعوب ما لم تصلها مظاهر المدينة المصرية اطلاقا او تكون قد وصلتها ثم اندثرت فيما بعد .

واذن فحسب رأى سميث يعتبر العالم كله منطقة او مساحة حضارية واحدة توضع مصر مركزها كحضارة اساسية فاذا ما وجد تشابه بين المناطق المختلفة كان هذا عن طريق الهجرة والانتشار مهما كان بعد المسافة بينها . ويبدو هذا التشابه واضحا بنوع خاص بين الاهرامات المصرية واهرامات المايا والازتك mayas ، Aztecs في

(المكسيك) مما جعل سميث يرى ان حضارة المايا والازتك قد تأثرت قطعا بالحضارة المصرية عن طريق الهجرة والانتشار على الرغم من طول المسافة التى تفصل بين مصر والمكسيك وبنوع خاص فى العصور القديمة وحيث يضاف الى طول المسافة صعوبة الاتصال بينهما لعدم وجود وسائل النقل والاتصال المتوفرة فى ذلك الوقت .

والبيوت سميث برأيه هذا يستبعد امكان قيام مظهر حضارى واحد او شبيه بالاخر فى مكانين مستقلين بطريقة تلقائية فى كل منهما اى دون ان يكون احدهما معتمدا على الاخر فى قيامه وهذا الرأى يعتبر تطرفا واضحا لان الانسان بطبيعته حيوان مفكر وليس غريبا ان يتحد فى تفكيره مع انسان اخر امام موقف معين او مشكلة بذاتها ففكرة الشادوف مثلا كوسيلة لرفع الماء من مكان منخفض الى مكان اكثر رتفاعا قد تخطر على بال اى انسان تواجهه مشكلة رفع المياه وهو فى هذه الحالة ليس فى حاجة الى ان يستعير هذه الفكرة فاذا ظهر الشادوف فى اكثر من مكان لا يمكن الجزم بأنه قد ظهر اولا فى مكان بالذات ثم انتشر منه الى باقى الامكنة الاخرى لان نشأة هذا الاختراع تلقائيا فى اكثر من مكان ممكنة وما يقال عن الشادوف يمكن ان يقال على كثير من الاختراعات الاخرى كاستعمال الاسلحة المختلفة واستخدام القوس مثلا .

ولرالف بيلز palph Beals رأى فى مسألة التشابه الموجود بين الاهرامات فى المناطق الثلاث التى مثل بها اليوت سميث لتوضيح مبدئه فى الانتشار الحضارى فيقول بيلز ان التشابه الموجود بين هذه الاهرامات فى مصر والمكسيك يعتبر سطحيا اذا قيس بالاختلافات الجوهرية الاخرى كطريقة البناء مثلا وحيث نجد ان الاهرامات المصرية مدببة الشكل كما تتميز باحتوائها فى داخلها عددا من الحجرات التى كانت تستخدم مقابر للملوك اما الاهرامات المكسيكية عند المايا والازتك فلم تكن مدببة القمة وانما مسطحتها كما كانت هذه القمة المسطحة تستخدم فى اقامة المعابد الصغيرة عليها او لوضع موائد القرابين هذا وتختلف الاهرامات المكسيكية ايضا فى ناحية اخرى هى بناء سلالم خارجية ضخمة للصعود عليها الى قمة الهرم ثم يضاف الى ذلك ان بناء الاهرامات المكسيكية كان يتم على اساس تشكيل احد الجبال لكى يأخذ شكلا هرميا ثم تغطية هذا الجبل بعد ذلك بالاحجار وهذا يخالف طريقة بناء الاهرامات المصرية. ويرى بيلز ان هذا الاختلاف فى الشكل والوظيفة يفوق كثيرا ما يمكن ان يكون بين الاهرامات المصرية والاهرامات المكسيكية من تشابه سطحى كما توحى بان الاهرامات المكسيكية ربما تكون قد اخترعت مستقلة عن الاهرامات المصرية

المدرسة الالمانية :

تتفق المدرسة الالمانية في تطرفها مع المدرسة الانجليزية وان كانت اكثر منها اعتدالا ومن ابرز علمائها وليم شميت welhelm وفرتيزجر بنز Fritz Graebner ويطلق على هذه المدرسة (المدرسة الحضارية التاريخية) .

ويرى شميت ان الانتشار عملية ميكانيكية فهذه المدرسة تختلف عن المدرسة الانجليزية في انها تضع في الاعتبار عملية تقويم التشابه بين بعض الصفات المتناثرة والتي يفصل بعضها عن البعض الاخر المسافات الطويلة .

ويعتبر رأى المدرسة الحضارية التاريخية رأيا وسطا بين المدرستين السابقتين الامريكية والانجليزية لانها ترى ان اغلب مظاهر الحضارة الحديثة ان لم تكن كلها ترجع الى عدد محدود من المصادر الاصلية الموزعة في اماكن مختلفة من العالم القديم وفي ازمنة مختلفة من العصور القديمة ثم يتم انتشارها بعد ذلك من مراكز النشأة هذه وكانت بذلك سببا بطريقة او بأخرى في نشأت الحضارات المتأخرة ويقال ان رأى هذه المدرسة رأى وسط لان المدرسة الامريكية ترى ان المظاهر الحضارية قد نشأت تلقائيا في مناطق عديدة من العالم هي ما اطلقت عليه المساحات الحضارية بينما ترى المدرسة الانجليزية ان النشأة التلقائية لم تحدث سوى مرة واحدة في الوقت الذى ترى فيه المدرسة الالمانية أن هناك عددا محددا من المصادر الاصلية . هذا وتربط المدرسة الانتشارية الالمانية بين وحدة الانتشار ووحدة التاريخ بمعنى ان وجود نموذج معين في مكانين مختلفين يدل على تعاصر هذين المكانين تاريخيا وقد اتخذت المدرسة الانتشارية في المانيا وجهة نظر اخرى هي النظرة التجريدية في دراستها للثقافات فتحاول تجميع قوائم الصفات الحضارية لعدة ثقافات وتطلق على اشتراك بعض الحضارات في مجموعة من السمات الاساسية المتجانسة اسم (المناطق الثقافية او الدوائر الحضارية) ومن ثم يدرس علماؤها تتابع الهجرات والانتشار الاثنولوجي طبقا لانتشار هذه السمات الاساسية .

والنقد الموجه الى هده المدرسة في انها تركز على عملية الانتشار كعملية ميكانيكية دون ان تراعى ما يمكن ان يكون هناك من تعديل مظهرى او وظيفى للنماذج المستعارة هذا علاوة على ان اية بيانات تاريخية يمكن الحصول عليها لا يمكن لها الا

ان تزيد معلوماتنا عن الحضارة ولكنها لا تفسر بالضرورة نشأتها او تحدد الظروف التى تسبب فى التغير الحضارى .

وبهذا نكون قد استعرضنا اراء مدارس الانتشار الحضارى الثلاث – الامريكية ، الانجليزية والالمانية – وواضح من هذا العرض انه على الرغم من اختلاف اراء المدارس حول طريقة الانتشار الا انها تتفق كلها فى التركيز على الانتشار كعامل فى بناء الحضارة كما انها تتفق ايضا فى معارضتها لمدرسة التطور الحضارى فى انها تعتبر التاريخ هو العامل الاساسى بتفسير المظاهر الحضارية ، وان اى حضارة لا يمكن فهمها الا اذا عرف تاريخها او امكن تخيله على الاقل .

بعد العرض الوافى للثقافة لابد أن نوضح ماهى الأنماط الثقافية التى يهتم بها الأنثروبولوجى فى الدراسة والتى تتبع طريقة رصدد للمادة الثقافية التى تعكس الثقافة وتطرح تساؤلات عنها ويضيف بعض الملاحظات التى يجب الأنتباه اليها.

نبدأ بالحديث عن أستخدام النار :

أن أستخدام النار أمر هام فى المجتمعات الإنسانية جميعها . ويهمنا فى هذا الموضوع المجالات الآتية :

صناعة النار ، الأحتفاظ بالنار . فوائدها وأستخداماتها . مكانة النار فى المجتمع وفى الشعائر وفى الطقوس الدينية .

صناعة النار :

تصنع النار بعدة طرق بسيطة وشائعة مثل ، طريقة الأحتكاك . والنار عادة تصنع بواسطة أحتكاك الخشب أو قدحه وتكون بحك قطعة واحدة من الخشب خلال ألياف قطعة أخرى ويمكن أن يكون الاحتكاك بقطعة صلبة من الخشب أو البامبو .

طريق الجرف وذلك بعمل حفر على طول الياف قطعة خشب بواسطة قطعة خشب أخرى

طريقة المثقاب فى وجود أسطوانة خشبية داخل حفرة فى مكان محدد أو فى الموقد ويسمى (مثقاب النار) وتتم بأستخدام قوس ووتر فتولد الشرارة (طريقة حديثة)

أما الاحتفاظ بالنار ، فلكل جماعة طرقها الخاصة فى الاحتفاظ بها مع أستخدام أنواع مختلفة من الوقود المتوفر فى المنطقة .

أما أستخدامات النار وفوائدها فهى الضوء والحرارة وبالنسبة للضوء والحرارة فإما أن يكون باشعال المواد بصورة مباشرة أو شموع أو لمبات .

كما تتم التدفئة داخل الأكواخ والمنازل بالأفران والمواقد وأماكن صناعة الحديد عند الحداد . وإخراج الدخان والتهوية من العوامل الهامة جدا بالنسبة لاستخدام النار ويلاحظ أن للنار مكانة كبيرة فى كل مجتمع وفى الشعائر الدينية والمعتقدات المرتبطة بها ، ويمكن أن تستخدم لأبعاد الشياطين الشريرة . كل هذا يدل على أهمية النار فى معتقدات الشعوب

الأنثروبولوجيا والتغذية :

إذا كانت النار هى أول مخترع عظيم عرفته البشرية وكان له اعظم الأثر على مسيرة تقدمها فإن الغذاء هو زاد الحياة ومحركها وأن أستغنت بعض الشعوب عن الملبس المعتاد أو المسكن المعتاد فأنه لايوجد شعب أو جماعة بسيطة أو معقدة تستغنى عن الطعام أو لاتجعله فى مقدمة أحتياجاتها الاساسية .

* ويجب أن نلاحظ أن فى أى نوعية من نوعيات الغذاء من طعام وشراب توجد ضرورة نفعية وهى أستمرار الحياة . كما أنه قد يرتبط فى الشعوب البسيطة بطقوس وشعائر وعادات وأساطير قديمة .

ويتضمن هذا الجزء الحديث عن :-

أولا الطعام ويشمل :-

(١) المواد الغذائية ومصادرها	(٢) اللبن
(٣) حفظ وتخزين الغذاء	(٤) الطهى
(٥) التوابل والبهارات	(٦) العادات والتقاليد المرتبطة بالطعام
(٧) الوجبات وعادات الأكل	(٨) المحظورات والمحرمات
(٩) الاطعمة الاستثنائية	

ثانيا : الشراب ويشمل :-

(١) الماء والمشروبات الطبيعية .

(٢) المشروبات المصنعة { الخمور / البيرة + الشاى والقهوة / الكحوليات

(٣) أستخدامات وملاحظات عن الشراب .

ثالثا : المثيرات والمخدرات .

ويشمل الحديث عن المواد المخدرة والتدخين وما شابه ذلك من مواد تستنشق أو تمضغ .

رابعا : تساؤلات عن الغذاء وطرق الحصول عليه وتشمل .

(١) جمع الغذاء (٢)الزراعة البستانية (٣) استئناس الحيوان

(٤) صيد الحيوان للأستئناس (٥) صيد الأسماك .

أن عدد سكان العالم حوالى ٤ بليون شخص ، مئات الملايين منهم يعانون من سوء التغذية . ولا يوجد حصر للجوع ولاخط فاصل بين التغذية السليمة وغير السليمة. ويعتبر الجوع من اهم العوامل التى تقف حاجزا فى وجه الصحة السليمة عند الفرد فى معظم دول العالم . سوء التغذية يؤدى إلى أنخفاض مقاومة الجسم للأمراض ويسبب عدد من الأمراض المزمنه من مختلف الأنواع كما تؤدى أيضا إلى أستحالة قيام الفرد بعمل يحتاج لمجهود . وينتج سوء التغذية عن العادات السيئة للغذاء وهى ليست محصورة فى العالم الثالث فقط بل أيضا فى بعض الدول المتقدمة .

والوصول إلى نظام غذائى سليم لايأتى فقط بزيادة إنتاج الطعام بل أيضا بتغير بعض العادات فى الغذاء لنستطيع الوصول إلى أقصى درجة للإستفادة من الغذاء المتاح.

وعلاقة الغذاء بثقافة الشعوب أمر عملى يختص به الأنثروبولوجيين . فلقد أهتم الأنثروبولوجيون بدراسة علاقة نظام الغذاء ومعتقدات الناس فى الطعام . وتهتم الأنثروبولوجيا فى هذا المجال :

- بالمجتمع والثقافة وعلاقتها بالغذاء
- الطريقة التى يسيطر بها المجتمع والثقافة على الغذاء وعلاقتها بمشكلة النقود على نظام معين من الغذاء خصوصا فى المجتمعات التقليدية .

علاقة الطعام بالثقافة :

تعتبر عادات الغذاء نتيجة لمجموعة من نشاط الطبخ والمقبول من الطعام وغير المقبول منه . وإعتقاد بعض الجماعات فى بعض العادات الدينية ، كل هذه تؤثر فى انتاج وإعداد وأستهلاك الطعام .

والطعام ظاهرة طبيعية فسيولوجية مهمة للحياة ويؤكد الأنثروبولوجيين تأثير الثقافة على الطعام . وكما أن الطب يلعب دورا هاما فى المحافظة على الصحة وعلاج المرض . نجد أيضا أن العامل الأجتماعى يلعب دورا كبيرا فى غذاء الطفل .

تحديد الثقافة للطعام :

يبرز هنا سؤال هام ماهو الطعام ، هل هو الذى يزرع فى الحقول أو الذى يأتى من البحر أو الذى يظهر على موائدنا وقت الطعام أو الذى يباع فى المحلات؟

الطعــام (الغــذاء) كظاهرة ثقافية أو اجتماعية ليس ببساطة مركب عضوى كيماوى يحمــى الانســان . كــل فرد أو عضو فى المجتمع له طابع معين عن الغذاء وهو متأثر بــثقافة المجــتمع الخاص به تحت الظروف المفروضة والانتفاع بالغذاء وتحويل جميع المــواد الغذائــية الى طعام . ولكن لبعض العادات والمعتقدات الدينية والصحة وحوادث التاريخ . تأثير قوى لابعاد بعض المواد الغذائية المتوفرة نهائيا كطعام يؤكل على أساس أنها ليست طعام . مهم جدا أن نفرق بين الغذاء Nutriment والطعام Food

الغذاء : (Nutriment)

مادة كيماوية قابلة للأكل وتجعل الكائن الذى يأكلها فى حالة صحية عادية .

الطعام : (Food)

كاعتقاد ثقافى أو اجتماعى يقال عنه (المادة المناسبة لغذائنا)

وبالطبع ليس كلنا نحب أو نتمتع بكل شىء يعترف به المجتمع كطعام .

وتــأتى خــبرة الطفــل بالطعام من اسرته . فنلاحظ دائما أن الطفل يفضل الطعام الذى تفضله أسرته ويرفض الطعام الذى ترفضه أسرته .

الشهية والجوع :

لــيس الطعــام فقط هو الذى يعرف ثقافيا . هناك أيضا تصور بالنسبة للوجبه . وقــت هذه الوجبه ومما تتكون وسلوك الأكل من خلال الأشخاص الذين يعتنون بغذائهم حيثما يشعرون بالجوع وكيف وماذا يأكلون للتخلص من هذا الجوع .

الشــهية والجــوع ظاهــرتان مختلفتان ولكن لهم علاقة ببعض فالشهية وماذا تحتاج لاشباعها تعتبر تصور ثقافى وتختلف من ثقافة لأخرى .

أمــا الجــوع فيعتبر ظاهرة فسيولوجية . ويقسم كل الناس الطعام تبعا للصحة والمرض والمرحلة السنية .

ويعتبر الطعام من أساسيات الحياة ومهم أيضا بالنسبة للمعاملات والمخالطة بين الناس . فتقديم الطعام أو الشراب في جميع المجتمعات يعتبر تعبيرا عن الحب ومنه يخلق الشكل الصداقي ، فعندما يقدم الإنسان الطعام . فكأنما هو يبادلهم ويشاركهم الشعور ، وعلى هذا فنجد أن تقديم الطعام يعبر عن الصداقة والشعور بالحب .

دور الثقافة في تحديد وحصر صلاحية وكفاية الغذاء .

أن الذين يعيشون في نفس المكان ولمدة طويلة من أهل القبائل والفلاحين لديهم خبرة لاستغلال الظروف التي حولهم لتوازن طعامهم ، ومع ذلك فهم لايعترفون بجميع المصادر الغذائية كالطعام ، ومن خلال التجربة والخطأ تعلموا ماذا يحتاجون اليه لسيحافظوا على قوتهم وصحتهم . ولكنهم لايعرفون العلاقة بين الطعام والصحة . الطعام المخصوص الذي تحتاجه الحامل أو الذي يحتاجه الطفل بعد فترة الطعام .

ويرجع سوء التغذية في العالم إلى نقص الغذاء ، وهذه المشكلة تزداد أيضا ببعض المعتقدات الدينية التي تحرم أكل بعض الأطعمة الموجودة في الطبيعة. لكي نخطط للصحة فيجب الا نركز على توفير كميات الغذاء الناقصة ، بل والعمل أيضا على التأكد من أستخدام جميع المواد الغذائية المتاحة بطريقة فعلية ومؤثرة . والطعام المضبوط يعتمد على النوعية وليس على الكمية وطعام معين وليس عدة أصناف وهناك سوء فهم واضح في الطريقة المثلى لاستخدام الطعام وهذا يرجع إلى سوء فهم العلاقة الصحيحة بين الطعام والصحة .

التغذية ومشكلة تغير الثقافة :

عندما يهاجر أهل الريف الذين عاشوا فيه مدة طويلة الى المدن ، وكانوا في الريف يحصلون على الغذاء بطريقة التبادل السلعي ، سوف يغيرون نظام الغذاء وكذلك أيضا عندما يزيد الدخل ، ويتحول الى دخل عمله يتوجهون الى شراء أشياء أخرى غير الغذاء مثل الدخان والكوكاكولا ، وكذلك أيضا عندما ينتشر التعليم ويزيد التمدن ، نجد أن الأم لاترضع طفلها كما كانت بل تلجأ الى المرضعات وإلى الرضاعة الصناعية .

أن الأنشطة المرتبطة بالحصول على الطعام وأعداده والمشاركة فيه وأستهلاكه والوقت المخصص له من الموضوعات الهامة جدا في الأنثروبولوجيا الثقافية ، فهناك ممارسات ومعتقدات وعادات مرتبطة بالطعام .وتوجد علاقة قوية بين نظام الغذاء والتغذية والثقافة ، وقدم العلماء دراسات تهتم بالقيمة المعنوية للطعام واستخدامه كعنصر رمزى في العلاقات الاجتماعية ، حيث يساعد على الحفاظ على البناء

الاجتماعى . وقدم علماء الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكيون وأتباعهم النظرية الوظيفية لمالينوفيسكى ' وظيفة الممارسات المتصلة بالطعام وأثار تلك الممارسات على نفسية الجماعة وثقافتها .

ثم قامت الايكولوجيا الثقافية بدفع هذا الأتجاه خطوات أبعدالى الامام . حيث حاولت أن توضح أن مايبدو لنا غير منطقى من المحرمات والممارسات الغذائية ليس فى الحقيقة سوى اليات للتكيف يستهدف الحفاظ على التوازن بين البشر والموارد فى بيئة معينة . ونجد أن المواد الغذائية تتعدد وتختلف على مدار العام .

واللبن من المواد الغذائية الهامة فى معظم المجتمعات وتعتبره بعض الكجتمعات مقدس.

وتوجد أماكن لتخزين الطعام وحمايته من عبث الحيوانات وطرق الحفظ تكون أما بالتدخين او التمليح أو التجفيف بواسطة الشمس أو على البارد .

وبالنسبة لطهى الطعام نجد أن أكثر من المواد يفضل أن تؤكل نيئة أو طازجة .

ويمكن أن يحمص الأكل أو يشوى وربما يسلق أو يقلى ويضاف الى الطعام التوابل والبهارات التى تكسب مذاقا خاصا .

بجانب هذا كله نجد لكل شعب عاداته وتقاليده فيما يختص بمكان الطهى ومن يقوم به من الجنسين وأعداد نوعيات خاصة للرجال أو النساء أو تميزطبقة عن أخرى فى نوعية الغذاء أو أنواع الأكل الخاص فى المناسبات والأعياد .

وكذلك بالنسبة للوجبات وعادات الأكل وتحديد مواقيته والاجتماع على الوجبات وطرق تقديم الطعام وكميته لكلا الجنسين ودعوة الضيوف أو الأجانب للطعام والتخديم فى توزيع الأكل وأدواته . وكذلك تختلف طرق الأكل أيضا من منطقة لأخرى مثل الأكل باليدين والأصابع دون أستخدام أدوات .

والعناية بالمرأة الحامل وأنواع غذائها أثناء الحمل وكذلك الأطفال او الشباب فى فترات تكريس معينة . تتعدد طرق الحصول على الطعام فمنها :

جمع الطعام -- زراعة النباتات الحقلية ، أستئناس الحيوان - الصيد والقنص . صيد الأسماك .

وجمع الطعام هو أبسط الطرق للحصول على الطعام بجمع نماذج من الحيوانات البرية والحشرات أو النباتات البرية واعشاب وطحالب البحر . وكل منها له أدواته الخاصة ويقتسم الجنسين الحصول على الطعام بهذه الطريقة .

يلـــى هــذا زراعـــة النبات وهو يتضمن فنون الفلاحة والزراعة للحصول على الطعـــام ويســـتلزم هـــذا تعـــاون الجنسين والاولاد وادوات خاصة وكذلك أيضا أستخدام الحـــيوانات كمـــا نجد عصى الحفر والجرف وآله العزق والمحراث والشادوف وتوجد أيضــا شبكة للرى والصرف ويضاف الى ذلك العدات والتقاليد الخاصة بالزراعة وحفظ المواد المنتجة وكيفية حفظ المحاصيل من السلب والنهب ومن عبث الحيوانات والطيور، وربمـــا يستخدمون بعض التواعيذ او رقى فى الحقل والشعائر والرقصات التى يكون من شـــأنها أن نجعل المحصول جيد ووفير وتختلف طرق الحصاد وجمع المحصول وتخزينه فـــى شـــكل أكـــوام أو كهوف وحفر وفى غضون حديثنا عن الغذاء لابد من الإشارة الى الشراب ومن أهم هذه الموضوعات الماء وأماكن تواجده وكيفية الحصول عليه والأوانى الـــتى تســـتخدم لـــنقل الماء وطريقة تخزينه والحفاظ عليه من التبعثر وتنقيته . وإذا لم يـــتوفر المـــاء فلابـــد من الحصول على بدائل ولهذا نجد بعض المشروبات مثل الخمر والبيرة .

إن المصـــادر التى تمد الناس بالمياه متعددة مثل مياة المطر ، العيون ، الجداول والبرك والآبار . ويحاول الانسان أن ينقل الماء لمحل سكنه للإستخدامات المعتادة والى المـــزارع لأجـــل الـــزراعة فيقيم الصهاريج والقنوات والأنابيب والسدود والقناطر ذات الفتحات للتحكم فى تدفق المياه وبوابات التسريب على القناة أو النهر .

يضاف الى كل هذا التبغ وبدائلة وأهميته للشعوب .

يهمـــنا هـــنا أيضـــا أستئناس الحيوان والفنون التى يتم بواسطتها الابقاء على الحـــيوان تحت تصرف الإنسان ومن ثم يصبح نافعا للطعام والاستخدام فى كافة الأغراض، وكذلـــك الانشـــطة الاجتماعـــية الـــتى تتصف بها المجتمعات التى تعتمد على أستئناس الحيوانات كمصدر للطعام وكسبيل للعيش والرزق .

ومـــن فصائل الحيوانات المتوافرة لدى الشعوب الأغنام والماعز والبقر والجمال وهـــذه كلهـــا تســـتخدم للغـــذاء مـــع منـــتجاتها ، كما يوجد بجانب هذا أيضا فى بعض المجتمعات الخيول والكلاب .

وتـــربى الشـــعوب الدواجن والطيور والنحل لإنتاج العسل ولذلك تهتم الشعوب الـــتى تستأنس الحيوانات بالعناية بها وحمايتها وتحسين النسل وتهتم بالبحث عن أماكن العشب والكلأ والمياه من أجل الحيوانات .

وتهـتم الأنثروبولوجيا الثقافية أيضا بالطرق التى تساعد على حركة الناس فى داخـل المـنطقة وخارجها ووسائل الانتقال والسفر بين النجوع والقرى لأغراض الحياة اليوميـة فـنجد أن الناس يسافرون أفرادا وجماعات والبعض يفضل السفر مع جماعة معيـنة وتوجد لهذا الغرض عربات مجهزة وأجراءات خاصة لسماح المسافرين بالدخول فى القرى والبيوت .

كمـا تسـاعد أيضا القنوات والمجارى المائية على التنقل وهذا يتطلب المعرفة بفن بناء القوارب والزوارق وكيفية صيانتها والحفاظ عليها .

كما تقام الكبارى بغرض التنقل والسفر ايضا ومنها البسيط جدا الذى يتكون من شـجرة أو عدة شجيرات يتم العبور عليها أو كبارى من الخوص او من الحبال وربما تكون أيضا من الحجارة الكبيرة .

ونقل البضائع يتم بطرق عدة إما بواسطة الانسان أو الحيوان أو عربات خاصة بذلك

كانت هذه بعض الأنماط العامة التى يهتم بدراستها الأنثروبولوجى ثقافيا لما لها مـن تأثير كبير على حياة الناس يهمنا أيضا أن نوضح بعض الأنماط الثقافية التى يقوم بانتاجها الانسان من واقع المواد المتوفرة فى البيئة منها صناعة الفخار .

كثـير مـن الشـعوب البدائـية صنعوا الفخار ، وتتعلق نشأة الفخار بكثير من المعتقدات والأساطير . وترتبط بمسائل هامة . بصدد الصناعة . مكانها . طريقة النقل .

الطـرق الأساسية لصناعة الأوانى (القدور) تكون كما يلى : تبطين أو تغليف القالب بالطين وربما يصنع القالب خصيصا لذلك ويسمى الصناعة بالقالب.

التشـكيل باليد . عـن طريق النماذج الفردية من الصلصال (الطين) تشكيل الآنـية له عـدة طـرق أكثرها شيوعا من القاعدة إلى أعلى عن طريق استخدام لفائف طويلـة أو قصـيرة . أو خطوط من الطين فوق بعضها ثم تضغط قبل الحرق. التشكيل بـالدولاب ، وفـى كـل هذه الطرق يجب على الخزاف تخصيص فترات فاصلة بين كل العمليات المتوالية .

الطـرق والاسـاليب الفنـية لزخرفة ونقش الفخار عديدة منها الحفر الغائر أو البارز . الزخـرفة بالقالـب . الضـغط بالاصابع أو الحبل . الرسم والتلوين باستخدام الألوان. الزخرفة تحت الطلاء بالاكاسير المعدنية .

يجب مراعاة التدرج فى عملية الحرق . التبريد . التكييف للأوانى والقدور .

صناعة الفخار فى مصر كنموذج لانتاج شعبى .

١ - صناعة الفخار :

تعتــبر صناعة الفخار من الحرف التقليدية التى كان يمارسها قدماء المصريين ومازالــت تمــارس للــيوم فى صعيد مصر . وهى من الصناعات التى تحتاج الى خبرة ومــران طويــل . ويتعلم الأبناء هذه الحرفة من الأباء والأجداد . ويقال أن السيدات هن اللاتــى كــن يقمن بهذه الصناعة قديما بمفردهن . ولكن من باب الشفقة ساعد الرجال النساء (كما يقول الرجل) . ومازالت المرأة تقوم بالجزء الأكبر فى التصنيع . وتنتشر هذه الحرفة فى عدد كبير من قرى الصعيد . ولكن تتخصص كل قرية فى صناعة صنف معين من الفخار ، أما المواد الخام والأدوات التى تستخدم فهى نفسها لاتتغير . ويمكن الاختلاف بين كل فاخورة والاخرى (الفاخورة هى المصنع الذى يصنع فيه الفخار) فى الانــتاج الــذى يخرج منها . وفى حجازة قبلى بصعيد مصر توجد عائلة واحدة هى التى تقــوم بصــناعة الفخــار حيــث يتولى أحد افرادها – من له دراية وخبرة بالمواد التى يحــتاجها وهى الطين والهمر ، والهمر هو المادة الاساسية فى الفخار – أحضار الطين من مكان معين الى المصنع محمل على عربات

طريقة عمل الفخار :

يحضــر الطيــن الأسود من الأرض الزراعية ويضاف اليه الهمر الذى يؤتى به من جبال البحر الأحمر ويسمونها الحاجر (وقد أرتفعت أثمانة فى السنوات الأخيرة لان الحكومــة تحصــل علية رسوم محاجر) . وتخلط المادتان بمقادير متساوية (المقدار عــبارة عن أربع مقاطف (غلق) طين . وأربع مقاطف همر). ويطحن الهمر بواسطة الــدق جــيدا بالعــتلة . ويقوم بهذه العملية شخص أجير يسمى دقاق ، ثم ينخل الهمر بغــربال ويخلط بالطين الأسود مع الماء ويمكن خلط الفخار القديم بعد تكسيره أيضا مع الخلطــة الســابقة . وهــم يستعملون فى عمليات العجن والخلط الأيدى والارجل وتقطع العجيــنة حسب الحجم والنوع المراد عمله وتوضع قطع العجينة فوق الدولاب لتشكيلها وتلف الطبلية بحركة من رجل الفخرانى الى أن يتكون الشكل المطلوب ثم ترفع القطعة مــن فوق الدولاب وتوضع فى الشمس فتره حتى تجف . وتقوم النساء بتركيب مقابض للآنية إذا كانت فى حاجة الى ذلك ، وتنعم الاسطح قبل تركيب المقابض وذلك ببل الأيدى بالماء وتسوية وتنعيم سطحها، وبعد أن تجف الأشكال فى الشمس تنظف بحجر أحمر أو قطعــة من الزلط وتدهن بمادة حمراء ثم تلمع بقطعة قماش (بالخلج)، بعد ذلك ترص جمــيع الأشكال الفخارية مقلوبة فى فرن كبير الحجم لكى تحرق ويشعل الفرن ثم يغطي

بالتراب ويسقف ويظل الفرن مشتعل حوالي ثلاث ساعات. وهم يشترون الوقود (الوجيد).

وبعد أن تخرج الأواني من الفرن تلمع مرة أخرى وتعرض للبيع .

وتشترك العائلة جميعها في العمل حيث تقوم النساء بمساعدة الرجال ، فبعضهن يعملن العجينة والبعض يقوم بتشكيلها وحرقها ، ويشترك كذلك ايضا الأبناء والاحفاد .

يتضح مما سبق لأن المراحل التى تمر بها صناعة الفخار هى :

١- اخذ الطينة السوداء من الأرض الزراعية حيث تكون على شكل كتل كبيرة تكسر وتنقل بالمقاطف .

٢- احضار الهمر وهو مادة تأتى من جبال البحر الأحمر وتضاف الى الطينة السوداء .

٣- طحن الهمر بواسطة الدق بالعتله ويأخذ الذى يقوم بهذه العملية اجرا على ذلك.

٤- نخل الهمر بغربال .

٥- خلط الهمر مع الطينة السوداء بنسبة ٥٠% لكل منهما ويعجن بالماء .

٦- وضع قطعة من الخلطة على الدست - وهو القطعة الخاصة بذلك فى الدولاب - ويتم تشكيلها بواسطه هذا الدولاب الى الأشكال المختلفة .

٧- بعد رفع الشكل من فوق الدولاب تتولى النساء تنعيمة بالماء وتسويتة ثم يقمن بتركيب المقابض .

٨- وضع الأشكال المنتجة فى الشمس حتى تجف .

٩- بعد أن تجف الأشكال تنظف بحجر أحمر أو قطعة من الزلط وتدهن بمادة حمراء عبارة عن قطع من الحجر الأحمر .

١٠- تلمع بقطعة قماش .

١١- رص الأشكال المختلفة مقلوبة فى الفرن بعد أن يمتلىء الفرن بالاشكال يغطى بالتراب ويسقف ثم يشعلمدة ثلاث ساعات .

١٢- بعد ان تخرج الأشكال من الفرن توزع على البيوت فى القرية نفسها أو فى القرى المجاورة أو يذهب بها الفخارانى الى الأقصر يوم السوق .

وصف الدولاب .

١- الدولاب عبارة عن دستين من الطوب الأحمر او النوع يستخدم احداهما لجلوس الفخارانى نفسة ويوضع بجانبة وعاء به روث جاف لاستعمالة كبدرة لكى لاتلتصق العجينة . وتوضع العجينة على الدست الثانى .

٢- عامود من خشب السنط .

٣ قطعة حديد لتثبيت الدولاب مع العامود كمحور للتحرك .

٤- دائرة تتكون من ثلاث قطع .

(أ) دائرة من الحديد.

(ب)دائرة من خشب السنط .

(ج)دائرة من خشب الاثل (الأثل).

٥- قاعدة لتثبيت الدولاب عبارة عن قطعة من نواة ثمر الدوم (المحمص)

فالدولاب المستخدم فى صناعة أو تشكيل قطع الفخار عبارة عن طارتين احداهما خشبية من شجر الاثل والثانية من خشب السنط ويثبتان على عامود قائم خشبى ايضا يثبت بقطعة حديد تسمى علميا بنز .

وصف الفرن :

يبنى الفرن من الطوب الأحمر وهو أما أن يكون دائريا أو مربع الشكل ويرتفع عن سطح الأرض فوق ربوة ترابية وبه مكان للوقود . ويشعل من المحمى فتشتعل النار فى جميع جوانبة ومكان المحمى ينظف منه الفرن من الرماد .

نرص الأوانى الفخارية طبقات فوق بعضها ويوضع بين كل منها كمية من التبن . ويترك الفرن مشتعلا لمدة ثلاث ساعات .

أنواع الانتاج :

١- البورم (جمع برام) بأحجامها المختلفة .

٢- الطواجن المختلفة الاستعمال للبيض والسمك والتقالى. ومنها ما هو عميق.

٣- محالب اللبن .

٤- الملز ويستخدم فى تسوية الفول ويطلق عليه أسماء اخرى مثل النطال، ومن الملز نوعان ، نوع بمقبض واحد ويستعمل للعدس واخر بمقبضين ويستعمل للفول المدمس اكبر من الاول ويسوى فيه اللحم ايضا وللملز غطاء.

٥- البلاص الصغير ويسمى منشل .

٦- القادوس لرفع المياه من قاع البئر بواسطة الساقية لري الزرع.

٧- ماجور اللبن

٨- البوكلة :بلاص او قلة صغيرة .

٩- الازيار .

١٠- المباخر .

١١- رحاية صغيرة لعب للأطفال .

١٢- قصيص للزرع باشكال مختلفة .

١٣- مواسير سن الفخار مفتوحة من الناحيتين لتوصيل المياه مثلا تحت طريق او في قنوات.

١٤- انتاج انواع معينة من الطوب وهو قالب الطوب الدائري الذي يستعمل للأعمدة المستديرة في المساجد والدواوين. وطريقة بناء مثل هذا العامود ان ترص سبع قطع من هذا الطوب على شكل دائري .

وهناك بعض الاواني التي تصنع من الهمر الخالص ولا تخلط وهي تستعمل لحفظ السمن حتى لا يتسرب السمن الى الخارج او ينضح .

اما الماجور فيستخدمون في صناعته رماد الفرن حيث يضاف الى العجينة العادية للفخار لكي يصبح اكثر صلابة .

ولكي يستعمل الماجور لحلب اللبن لابد ان يحمص اولا في الفرن . ويوجد ايضا ماجور صغير تخمر فيه الخميرة .

ويصنع حسب الطلب اطباق (قوارب) تقسم من الداخل الى اجزاء حيث يوضع في كل جزء صنف من الطعام (ارز ، لحم ، خضار ، وهكذا) . كما تصنع صحون للسلطة وافران للخبيز .

ويقوم بتسويق هذا الانتاج الرئيس الذي يجلس على الدولاب ثم انه هو الذي يقوم بعملية الحرق.

من الانماط الثقافية الهادمة ايضا الملبس والمسكن والفن .

الملبس والزينة

العناية بالجسم والتزين:

ممـــا يميز الانسان عادة أنه يزين ويجمل سماته الطبيعية بوسائل صناعية فهو يحـــاول تأكيد شخصة في وضع مناسب حيث يجمل او يخفى او يغير صفات مظهرة الشخصـــى. كملامحـــه وبشرته وشعره .فنجده يزين نفسه بزينات شخصية ويغطى نفسه بالملابس لتحميه او لتميزه عن غيرة .

(أ)النظافة :

تبدو النظافة الشخصية .والتى تختلف درجتها اختلافا كبيرا من المميزات القبلية وهـــى لا ترتـــبط غالبا بوفرد الماء او ندرته. فنجد شعوبا كثيرة تهتم بالاغتسال فى اوقـــات منـــتظمة قـــبز الأكل وبعده. وقبل الذهاب الى الاعمال الرسمية وبعد العودة مـــنها. كالـــزيارات او فى مناسبات اقامة الطقوس والشعائر وتدهن بعض الشعوب اجسامها بالزيت او الدهن او بالرماد الناعم ربما للحفاظ على الجلد فى حالة طبيعية لحمايته من الحشرات او من الطفيليات الخارجية وغالبا توجد أماكن وأدوات محددة للأغتســـال والاســـتحمام .كمـــا تخـــتلف المنظفات حسب اختلاف الشعوب ولبعض الشـــعوب رائحـــة ممـــيزة بالنسبة للجسم والملبس. وتستخدم العطور غالبا لتخفى الرائحة الطبيعية.سواء كان ذلك مقصودا او كنتيجة لرائحة المراهم او طلاء الوجه، او مستحضـــر تجمـــيلى أخر كالكريم وغيره .وربما تستخدم العطور او مواد أخرى ذات رائحة لتقوية الجاذبية الجنسية .

وبغض النظر عن النظافة فان المظهر الشخصى للإنسان ينال منه اهتماما كبيرا ويأخذ صورا مختلفة فالبعض يعدل من مظهره الطبيعى ولهذا سببه الأكيد وأول هذا التعديل.

(ب) الحلاقة :

وهـــى واحـــدة من اكثر وسائل التزين او تغيير المظهر الشخصى شيوعا سواء كانـــت بغـــرض الملاءمـــة او التزيـــن .او للتمييز بين الأفراد والجنسين والمراتب الاجتماعـــية كالـــزعماء المتزوجين وغير المتزوجين والمواطنين والاشخاص ذوى المكانـــة الخاصة، وتختلف الشعوب فى الطريقة التى يحلق بها الشعر وشكل الشعر، فمـــنهم من يقصر الشعر فقط او يحلق بعضه او تترك خصلات معينة او يزال جزء كـــامل منه او يترك بدون قص. وربما تحدث هذه التغيرات للجنسيين او أحدهما، او

تكـون شـائعة بين كل الناس او خاصة بطبقة معينه او بأرباب حرفة ما ،وبعضها يمثل اتجاها طبيعيا يميز احد القبائل او الشعوب.

وتسهل الرخاوة الكبيرة التى يتميز بها رأس الطفل حديث الولادة فى تشكيلها الـى احـد الاشكال التى غالب ما تختلف بشكل ملحوظ عن الوضع الطبيعى ويمكن تقسيم التغيرات فى شكل الرأس الى قسمين رئيسيين.

١ – تلقائـية : فعلى سبيل المثال يمكن ان يحدث تستطيح تام لموخرة الرأس نتيجة لـرقاد الطفل فى فراش صلب او لشدة بأربطة منفوفة الى لوح الفراش.ويمكن ان تفقد الرأس تناسقها من أثر وضعها على نفس الجانب او حملها على نفس الـذراع كذلك يمكن تعديل الشكل من غير قصد باستخدام نوع ضيق من اغطية الـرأس حيث يسبب ذلك تسطيحا للجبهة او يؤدى الى ان يكون موخر الرأس مخروطيا او كلاهما.

٢ – مقصودة : وتتم هذه التغيرات المقصودة :

(أ) بمجرد تشكيل رأس الطفل باليد

(ب) او باستخدام الأربطة

(ج) أو بوضـع لـوح او اكـثر او قطع من اللباد حتى يبلغ اقصى طول له وربمـا تكـون هذه الطرق مرتبطة بالعمر او بالحالة الاجتماعية كالزواج، والحـداد فى حالة الوفاة او بسبب الدين. ويقوم بعملية الحلاقة او التقصير غالبا شخص معين يستخدم ادوات محددة.

هذا وطريقة تصفيف الشعر من الاشياء التى تتفنن فيها الشعوب فمنهم مـن يجدل الشعر او يلفه فى تجعدات والبعض يزينه بأنواع من الحلى مثل الامشـاط والدبابـيس والخـرز والريش والزهور ويدهنه بعضهم بالزيت والشـحم والدهـن والطيـن او ربمـا يصبغ لغرض ما ،وقد تلبس بعض الشـعوب باروكـة فى مناسبات معينة وكذلك قد يتركون اللحى والشوارب تنمو بشكل طبيعى

<u>(ج) الأظافر :</u>

وتحـتل الأظافر كذلك مكانة فى العناية فيقلم اغلب الناس اظافر ايديهم بصـفة منـتظمة وبعضـهم يقلمـون اظافر اقدامهم ايضا، ويثقب أخرون أظافرهم او يطلونها وهذا الطلاء تتعدد الوانه ومادته.

(د) التغيرات في الشكل :

مـــن الشائع تشكيل الجسم طبقا لنموذج جمالى مقصود سلفا، او لأغراض طقوســـية او كنتــيجة لعملية جراحية، او لتسهيل وضع حلية ما ،يمكن ان تثبـــت حول الرأس بالأربطة ،او النوم على نوع معين من أسرة الأطفال او أداة ما تثبت بالمهد.

ومن الانماط المشهورة للتغيرات فى شكل الرأس ما يأتى :

١ - تسطيح الجبهة مع زيادة او نقص اظهار الجمجمة .

٢ - تسطيح الجمجمة مع الزيادة فى ارتفاع وعرض الرأس .

٣ - تسطيح كل من الجبهة والجمجمة مع الزيادة الملحوظة فى العرض.

٤ - اســـتطالة مخروطـــية او أســـطوانية فى الجمجمة او أعلى الرأس.

وربمـــا تؤثـــر هـــذه العملـــية علـــى الصحة او الصفات العقلية او المعنوية.

التغيرات فى الوجه :

تقـــع مثل هذه التغيرات اساسا على الانف والأذنين والخدين والشفتين والاسنان.

وتنشأ اكثر التغيرات فى شكل الانف شيوعا من :

١ - التشـــكيل البســـيط لأنف الطفل والذى تقوم به الأم او المربية ،اما لضغطة او إبرازه

٢ - ثقب جدار الأنف

٣ - ثقب احد او كلتا الفتحتين .

٤ - عمل ثقب فى طرف الأنف.

وتصـــنع الحلى التى تثبت فى الأنف من مواد متنوعة كما ان لها أشكال وأحجام وأوزان مختلفة وربما لا تلبس فى جميع الأوقات ولا لكل الأعمار ولكن فى أوقات معينة ولسن محدد.

أمـــا الأذنيـــن فغالـــبا ما تثقب ثقبا او أكثر ،اما فى الجزء السفلى او فى شحمه الاذن أو فـــى حافـــتها الخرجية ،أو فى الجزء العلوى منها ويمكن وضع الحلى فى هذه

الـــثقوب او تعليقها فيها. وأحيانا يزداد حجم او وزن الحلى بالتدريج حتى يفتح الثقب او الثقوب الموجودة بها .

الخدين والشفتين والأسنان يمكن ثقبها وتثبيت الحلى بها احيانا .

التغيرات فى الأسنان : هناك أربع طرق لذلك:

١- تلوينها : هناك تلوين عرضى وتلوين مقصود لتغطيتها بسبب تاكلها او تلفها ويستخدم فى ذلك مواد معينة تعد بطريقة خاصة .

٢- الحشو او التغطية :ليس هناك شك فى ان لكل مجتمع طريقة لإعداد المواد المستخدمة وكيفية ثقب السن وطريقة تثبيت الحشو والتغطية او الطلاء.

٣- التهذيب والبرد : هناك أدوات خاصة لاتمام هاتين العمليتين وأشخاص معينيين للقيام بهما .

٤- الخلع :يحتاج الخلع كذلك لنفس ما قيل فى عمليتى التهذيب والبرد، ويمكن ان تجرى عملية تغطية الأسنان وحشوها أو خلعها على الأفراد او الجماعات من صغار السن من الجنسين .وربما يشكل هؤلاء الأشخاص الذين تجرى لهم مثل هذه العمليات نوعا من الجماعات الخاصة في وقت معين.

التغيرات الحادثة فى الاطراف والجسم :

يطرأ التغير على الأطراف أحيانا بواحدة أو اكثر من الطرق الأتية:

١- شد الطرف باستخدام الأربطة الضيقة او الحلى الثقيلة.

٢- الضغط على الاطراف باستخدام الأربطة (كما يفعل الصينيون عندما يعدلون من شكل اقدام النساء) كما ان الخواتم والحلقات التى ترتدى فى أصابع الاقدام والأحذية والصنادل والشبشب التى تتداخل بين أصابع القدم لها تأثيرها فى تعديل هذه الأطراف.

٣- بتر اصبع او اكثر .

٤- ترك الاظافر تنمو بدون تهذيب او ثقبها لوضع ما تزين به .

وهناك أماكن غليظة من الجسم وأماكن أخرى بها تجعدات وغيرها من التغيرات غير المتعمدة والناشئة من أوضاع او أعمال معتادة اما لشعب باكمله او لمن ينتمون الى طبقات او صناعات معينة. وأحيانا يضغط خصر الرجل او المرأة بحزام بسيط أو بلباس أكثر تعقيدا يماثل الكورسيه.

الأيدى :

تحاول بعض الجماعات ان تمسك أشياء فى اليدين او تلف بين الأصابع باستمرار بغية إعطائها شكلا محددا

(هـ) تزين الجلد :

يفهم من اصطلاح الزينة زخرفة الأدوات والاوانى التى يستخدمها الإنسان او جسم الانسان نفسه بأشكال زخرفية بالرسم او طرق أخرى وتندرج أنواع تزين جلد الإنسان تحت الأقسام الآتية : التلوين ،الصباغة ، الوشم. والندوب والتشليخ .

١- التلوين: ويشمل كل أنواع تزين الجلد بالمواد الملونة (كالمساحيق والطين والجير. الخ) او الاصباغ المعينة التى توضع على الجلد لتلوينه بصفة مؤقتة .

٢- الصباغة : وهى تؤثر على لون الجلد نفسه بشكل دائم تقريبا. وترجع بعض الاختلافات الموضعية فى اللون الى أثر حرارة الشمس او الى البشرة الفردية فيظن أنها مصبوغة .وكذلك يمكن صباغة أظافر اليد والقدم.

٣- الوشم : نقش رسوم معينة على الجلد بغرز الابرة بحيث تعطى شكلا لا يمحى ويعمل بصفة خاصة على ظاهر اليد او الذراع او على الخد. والوشم عبارة عن عادة بولينيزية .ووجدت منتشرة على نطاق واسع فى شرق بولينيزيا على جزيرة ماركاسا وكذلك فى غرب بولينيزيا (نيوزيلندا) وللجماعات فى ممارسة هذه العادة طرائق مختلفة بالوخز والتلوين .وكانت بعض الجماعات تمارس الوشم قديما لأغراض نفعية كالمناعة ضد المرض وللحماية من الحسد ،او لإبراز امتياز طبقى او رابطة بين قبيلة او مكانة اجتماعية .كما كان يستعمل فى ان يكتب على جلد العبد اسم سيدة.

٤- والوشم تسمية مناسبة فمنشؤها من أثر وخز اللون فى الجلد تاركا سطحا ناعما. ويتكون اللون الأسود بصفة خاصة من الهباب او الفحم بواسطة ادخال ابرة مغموسة بهذه المادة تحت الجلد .ولاعداد الألوان طريقة خاصة .كما ان هناك الوان بعينها تنتشر فى بعض الأماكن وربما تكون هذه الالوان مستوردة من أماكن أخرى أو انها مفضلة وسهلة الحصول من المنطقة.

التندوب : تتم بخدش الجلد وقطعة وثقبة او حرقة وعمل رسوم وعلامات على جسم الانسان بواسطة وخز الابر وتحدث الندوب عن طريق منع الشفاء العاجل بقطع الجرح من جديد وعدم التنظيف، بهدف الحصول على ندوب واضحة بارزة بقدر الامكان .ويمكن ترك الجروح لتشفى تلقائيا مكونة الندوب الواضحة. او تعصر بخفة بمادة معينة .او تسوء حالتها فتصبح جروحا بليغة .ويمكن ان تنشأ الندوب العالية من اللمس المستمر للقطوع او بادخال مادة غريبة.

د- التشليخ : هذا نوع آخر للزينة او للتفرقة بين القبائل وبعضها وهو اقل الما، ويعمل برسومات صعبة جدا على فترات متباعدة ويستغرق عادة عدة سنوات ويتم بواسطة أبرة في شكل شوكة او قطعة خشب في شكل المشط مدبب الاطراف او عظم مدبب يشق بها الإنسان الجلد في العلامات والزخارف المرغوبة. وفيها يوضع اللون الذى يستخرج من الهباب وعصير النباتات ويجعل الرسم يظهر بلون أزرق .وكان القائمون بهذا العمل الفنى سكان جزر بحر الجنوب ومن بينهم كان سكان ماركساس Marquesas فى المقام الأول وكانوا يغطون الجسم كله بما فيه الجمجمة .حتى جفون العين والشفاه واللثه برسم جميل . عبارة عن صفوف منقطة ودوائر وخطوط متعرجة ومتموجة او مثلثات وأشكال هندسية نجوم، شمس وأشكال حلزونية .والأخيرة مرغوبة بصفة خاصة لدى الماورى Maori فى نيوزيلاند . ونادرا ما توضع أشكال ورسومات بجانب بعضها . ولكل منظر اسمه المعين. وبوصول البنات سن البلوغ لابد ان تنتهى عملية التشليخ. ويعمل التشليخ بالنسبة للرجال كعلامة للقبيلة وللمكانة الاجتماعية. ويصحب التشليخ أغانى الاستعطاف وتقديم الاضاحى والرقصات التى .وضح وتعبر عن أهمية وطبيعة المعاملات المقدسة ولقد كان التشليخ والندوب والوشم منتشرا لدى الشعوب البدائية، وحوالى نهاية القرن السابع عشر أتى الى أوربا أول سكان بحر الجنوب، ومن هنا عاد الاهتمام لتقاليد وخز الجلد القديمة فى اوربا، وظهر فى هذا المجال من بين الشعوب البدائية اساتذة وصنعت الرسوم اليابانية التى فسرت بطريقة أوربية كنماذج تقلدها الشعوب قديما، ويقابل الإنسان أحيانا أيضا فى أوربا هذه العادة القديمة لدى البحارة والعمال والعساكر . ومع ذلك فقد انمحت اليوم فى جميع

أنحاء العالم وعكس هذه التشكيلات الفنية اليابانية قبل كل شئ تظهر ندوب التزين، وندوب التشليخ التى هى اكثر خشونة وبدائية وكثيرا ما يصحب عملها أهداف سحرية تجلب الحظ لنصياد مثلا لدى البشمن (جنوب أفريقيا) وتعمل للأولاد غالبا أثناء تكريسهم عند الوصل لسن البلوغ وتكون بين الحواجب أو بين الأكتاف. وكان هذا من عمل الساحر وبعد انتهاء هذه العملية المؤلمة يسمح للأولاد ان يعودوا الى أقاربهم. ومن هذه اللحظة يدخلون فى زمرة الرجال البالغين وقد كانوا يحرقون قطعة لحم حيوان وحشى مرغوب الى ان تصير رمادا ثم توضع فى الجرح ومن المفروض ان يكتسب الشباب نفس خواص هذا الحيوان الوحشى ،مثل سرعة القفز والشجاعة وغيرها وعلاوة على هذه الدوافع السحرية تدخل أيضا خاصية الزينة الخالصة فى الظهور، وخاصة بالنسبة للسيدات. اللآتى تعمل لهن نفس هذه الندوب على الوجه والفخذ والمقعدة.

يوجد الكثير من الشبه بين هذه الأنواع العديدة لتزيين الجلد، حتى ان الملاحظات التالية تنطبق على اى منها، او عليها جميعا فيمكن ان يجرى الوشم وعمل الندوب وتلوين جلد شخص واحد فى بعض المناسبات وكقاعدة عامة ينحصر عمل الندوب فيمن لهم بشرة بالغة السواد. اما الوشم فهو يصلح اكثر على الجلود التى يمكن ان تزين بالرسومات .ويمكن اقتباس الرسوم من شعوب أخرى كما عرف على أولئك الذين أجروا الندوب أنهم كانوا يوشمون كذلك ولهذه الرسوم أهمية بالغة فى مفاهيم الشعوب، ويلاحظ انها تتم فى مراحل عمرية مختلفة فربما يقصد بها التفرقة بين الاعمال المختلفة او بين الجنسين او يكون لتأكيد زيادة الملامح والمحيطات الطبيعية للجسم او إعطائه تكوينا مستقلا فى الشكل واحيانا تدل العلامات الوشمية المميزة لفرد على المكانة الاجتماعية او الطائفة او المهنة والعشيرة والقبيلة والديانة.

ان لأشكال التزيين الشخصى معنى معينا لدى بعض الشعوب. ربما يكون هذا المعنى اجتماعيا (أى لتقوية التطور الطبيعى، او الاشارة الى سن البلوغ. اتمام عقد زواج. عدد الأطفال .الوفاة .الحداد، عضوية جمعية سرية ،او كعلامة على الشجاعة او القتل..الخ) او يكون المعنى دينيا سحريا (قبل ممارسة تجربة خطيرة، كتعويذة للحب، للزينة او الوقاية او لاى أسباب سحرية أخرى) وقد يدل المعنى على القرابة

بين أسرة او عشيرة يجمع بين أفرادها طوطما مشتركا .او للتكريس لاله او التشبه بــه ممــا يفيد الفرد في الحياة الأخرى .وكثيرا ما يكون التزين لذاته لزيادة الجمال الجســماني او الحفــاظ علــيه. لاطالة الشباب بتكرار العملية) وما من شك في أنه ترتبط بكل من هذه العمليات اساطير . ووظائف محددة.

امـــا الشـــخص الذي يقوم بعملية من هذه العمليات فربما قد ينتمي الى عمر او جـــنس او حـــرفة او عشـــيرة او قبيلة او ديانة بالذات. او يكون له علاقة محددة بالمـــريض او من أقارب الأشخاص الذين تجرى لهم العملية ،وفي كثير من الاحيان يضـــطر ان يقـــوم بطقـــوس مسبقة او يلاحظ أجراءات معينة .وقد يكون له مكانة خاصة سواء في وقت قيامه باحد هذه الطقوس او بصفة عامة.

الزينة الشخصية :

بغـــض الـــنظر عن كمية الملابس او عدم وجودها على الاطلاق ،يستعمل أناس كثـــيرون الحلـــي التي يمكن وضعها على اى من أجزاء الجسم وبالرغم من الفرص المتســـاوية فـــي الحصول على الحلي الا ان هناك اختلافا كبيرا في وضعها. ويمكن القول ان استعمال الحلي مقصور على أغراض التزين بها، ولكن مع ذلك فكثير منها لـــه مغـــزى سحرى او عقائدى ،لهذا فهي تعتبر أحيانا طلاسم لجلب الحظ وبعضها يمـــثل ثـــروة ويـــتاجر فيها فعلا .ويتخذ البعض الأخر كشارات للمكانة الاجتماعية .وعـــندما يضـــعها الموظفون فقط أثناء العمل تسمى الشارة وهو اللفظ الذى يمكن اطلاقة على مجموعة محددة من هذه الحلي يضعها أولئك الذين اثبتوا أنهم مقاتلون .او صيادون جديرون وكثيرا ما ترتبط الحلي بالأحداث الاجتماعية او الدينية ويضع البعض الزهور بصفة خاصة او الريش وأشياء أخرى ذات جمال طبيعي .

(١) العلامات المميزة – القبلية والشخصية :

يمكن استخدام أشكال مختلفة من التغيرات وخاصة العلامات المميزة على الجلد كالـــندوب أو الوشم او التلوين للتحقق من الفرد. وهكذا تكتسب هذه العلامات معنى اجتماعـــيا . وقـــد يكون التوتم في بعض الحالات تمثيلا او تقليدا او رمزا يدل على قبـــيلة الفـــرد وهكذا يمكن ان يكون تحذيرا من ارتكاب الفحشاء بالمحارم .وتكتسب

هــذه العلامـــات فـــى حالات أخرى مغزى قبليا .ولكن غالبا ما يؤكد المواطنون ان الغرض من هذه العلامات ليس الا التزين.

هــذا ويزيـــن كثـــير من الناس أنفسهم بطرق مختلفة فيرتدون الأزياء والحلى الغريبة والمتميزة او أربطة معينة. وتختلف هذه الزينات الفردية من مناسبة لأخرى فقــد يكون لها مغزى اجتماعى كالمقاتلين مثلا وهم فى طريقهم الى الحرب نجد لهم الوانـــا وأسلحة خاصة او أغطية لرؤسهم وغير ذلك من زينات تختلف عن تلك التى تستخدم فى مناسبات أخرى وتميز هذه العلامات أيضا الحيوانات والأشجار والأشياء الطبيعـــية الأخـــرى ، وربمـــا تشـــير الرموز الى الملكية الفردية او الجماعية كذلك الأســـلحة والأدوات المنزلـــية تنقش بعلامات مميزة تشير الى مالكه .ويمكن لصناع الفخـــار حفـــر امضاءتهم الشخصية او رسوماتهم على مصنوعاتهم . ويوجد أحيانا علـــى الأســـلحة علامـــات أخرى رقمية تشير الى عدد الأشخاص الذين قتلوا بهذا الســـلاح وبمعنى أخر فأن هذه العلامات تميز مالك الشئ لكنها لا تخدم فى ان تفرق بين مالك وأخر.

ممـــا تقـــدم يتضح ان الزينة فى مفهومها العام ليست قاصرة فقط على الناحية الجمالـــية فهـــى الـــى جانـــب ذلك تقوم بوظيفة رمزية وخير مثال لذلك هوما ذكره الرحالة فون فورد تشيلد عن غابات الامازون فى أوائل هذا القرن عندما كان يزور قبـــيلة البوتوكـــودو وبعد حوار مع أحدى سيدات هذه القبيلة استطاع ان يقنعها بان تبـــيع له الأقراص الخشبية التى يضعها أعضاء القبيلة فى الأذنين والشفاه ،وحينما خلعـــت هـــذه الزينة شعرت بخجل شديد وجرت مختفية فى الغابة برغم أنها كانت عاريـــة تمامـــا .فـــالخجل هـــنا يرتبط بأنها (تعرت) بخلعها الأقراص الخشبية فهذه الأقراص ترمز الى البوتوكودو وبدونها يفقد الشخص هويته، كذلك أشكال الوشم هى علامـــة او علامـــات رمزية على الهوية القبلية للشخص (مثل جواز السفر الحالى الـــذى توضح فيه صورة الشخص وتختمه الدولة بخاتمها) ففى سودان وادى النيل الأوسط تلتزم القبيلة بوشم واحد على صورة معينة وان كان الشكل النهائى يختلف فـــى تفاصـــيله من شخص لآخر وذلك يرجع الى الطريقة التى يختارها القائم بهذه العملـــية وهـــذه تـــتأثر بشكل الوجه، وتعمل للذكور غالبا فى سن مبكرة لا تتجاوز الخامســـة وتـــتأخر عـــند الاناث حتى يبلغن العشر سنوات حين تتضح معالم الوجه ويســـهل علـــى الشخص اختيار الصورة المناسبة للوشم. وليس هناك شخص معين

ينفرد بإجراء العملية اذ الغالب ان يقوم بها الحجام او المزين او المطبب او "القابلة" وغيرهم.

وصارت هذه العلامات سمة تميز بين قبيلة وأخرى ولما قلت الحاجة للتميز بين القبائل لاستتباب الأمن عامة ونتيجة للتداخل بين الجماعات القبلية اكتسبت الشلوخ مفاهيم جمالية اخرى خلقت نوعا من الاعتقاد انها تضفي حسنا وجمالا على المرأة وتكسب وجهها سحرا وكذلك المفهوم الجمالي للوشم الذي تأثر به كثير من النساء في أجزاء كبيرة من الشرق الاوسط فأصبحت تزين وجوههن الا ان سواد بشرة السودانيات لا يساعد كثيرا في اظهار الوشم فتقل قيمته الزخرفية ، لذا فقد اكتفين بإجراء عملية الوشم على الشفتين واللثة .

وهناك أنواع كثيرة من أشكال الزينة الشخصية ولكن معظم هذه الأشكال تركز على الرأس والوجه والعنق قبل بقية الجسم لأن ذلك الجزء هو ما يميز الانسان تماما وترتبط به عدة وظائف إنسانية بحتة كالتفكير والكلام الى جانب النظر والشم والسمع ،وكل هذا أدى الى تركيز في أهمية الرأس عامة عند البدائيين والمتقدمين على حد سواء وان كان الاهتمام بزينة الرأس قد قل كثيرا عند الرجال في الحضارات الراقية بينما برزت زينة المرأة واحتلت مكان الصدارة في هذا المجال.

ولما كان التشليخ والوشم من الوسائل الجمالية الثابتة عند بعض المجتمعات التقليدية فقد ابتكرت بعض الجماعات وسيلة غير ثابتة وهي تلوين الوجه والجسم بالأصباغ وكانت هذه تمثل مشكلة عند الجماعات التقليدية نظرا لسهولة ازالتها من على الجسم الا ان ذلك لا يمثل مشكلة في الوقت الحاضر اذ ان ذلك يتفق مع التغيرات المستمرة للألوان والأصباغ عند نساء المجتمعات الحديثة مثل احمر الشفاه الذي يمكن استخدامه دون ضرر للجلد .ويلي اللون الأحمر في الاستخدام اللون الأزرق والأسود ثم الأبيض والاصفر . والأسود او الأزرق في منطقة العين (الرموش والجفون) .و لأبيض مع مشتقات الاصفر والأحمر للخدود .

اما البدائيون فيستخدمون هذه الالوان أيضا لتلوين أجزاء كثيرة من الجسم بالاضافة الى تلوين الوجه. والتلوين عند البدائيين يرتبط بالمناسبات الطقسية والاحتفالات الرسمية . كما ان المحاربين يلونون انفسهم بألوان معينة لها ارتباط سحري أي ان الالوان و المساحيق عند البدائيين لها وظيفة رمزية الى جانب قيمتها الجمالية (مساحيق التجميل والعطور) .

(ب) امـــا تصفيف الشعر كوسيلة جمالية للزينة فقد احتل اهمية كبرى عند الانسان مـــنذ العصـــور الحجرية .ويتضح هذا فى تمثال فنوس منذ العصر الحجرى الأعلى حيث اعطى المثال اهتماما واضحا لتصفيف الشعر . وكان كثير من البدائيين ينامون منبطحيـــن علـــى بطونهـــم خوفا من تشويه شكل الشعر واخترع بعضهم نوعا من المســـاند للرقـــبة ايضـــا للغـــرض نفسه اذا كانوا ينامون على ظهورهم . واشتهر المصـــريون القدماء بالضفائر الكثيرة الرفيعة ، كما نجد عند نساء واحة سيوة حاليا نوع من الضفائر تمثل سمة مميزة لهن .

والـــى جانـــب هـــذه الاشكال من الزينة المرتبطة بالجسم والوجه) توجد ايضا أنـــواع عديدة من الزينة المضافة الى الجسم مثل الأقراط والعقود والأساور وأحزمة الخصـــر. هـــذه الأشـــكال من الزينة تصنع من خامات متعددة مثل الخشب، العظام، الاصـــداف والخـــرز، ومن المعادن مثل النحاس والفضة والذهب والماس . ومازال عـــند البدائيين أنواع من الحلقات فى الانف والفتحات والثقوب التى تعمل فى الاذن والشـــفاه لوضـــع الأقـــراص الخشبية وكذلك توجد أشكال من التشويهات الجسدية المتعمدة المرتبطة بالقيمة الجمالية مثل أطالة الرأس منذ الطفولة او المحافظة على حجـــم القدم الصغير وخاصة عند البنات او برد الأسنان او تسويدها بحيث لا تكون بيضاء كأسنان الكلاب

فمـــن الملاحظ كما شاهدنا ان وسائل الزينة تتعدد فى المجتمعات المختلفة وذلك نتـــيجة لاختلاف القيم الجمالية اختلاف الوظائف وتطور الابتكارات لدى الحضارات المختلفة .

وفـــى أفريقـــيا نجـــد ان الافريقى قد بلغ شأوا بعيدا فى فن زخرفة الجسم من تشريط ووشم وتلوين لأنه يعيش فى جو حار ويعرض أجزاء أكثر من جسمه للزينة . وهـــو يمارســـه فى جدية كما لو كان يزخرف قرعة او أى وعاء أخر. وهو ايضا يعشـــق الجســـم اللامع المطلى بالزيت وان كان فى بعض الاحيان يغطيه بالطين او بمـــادة أخـــرى ملونة وسواء كان هذا الطلاء بالزيت او باللون فأنه غالبا ما يعمل تمهيدا للرقص .

ويعتـــبر التشريط اكثر التزين ذيوعا وهناك عدة أسباب لممارسته ،فمن العادات الشـــائعة بيـــن عديـــد من القبائل تمييز اعضائها بعلامة القبيلة ، ويكون ذلك على

الخديسن غالبا ويستعمل الطب سواء الوقائى او العلاجى . طريقة تشريط الجسم ثم تدلك الجروح بعقار مفروض فيه أنه يشتمل على خصائص سحرية ولكن لا تمارس كل القبائل التشريط على مستوى عال. فكثير ما يكون مجرد صفوف من الجروح المتوازنة ومع ذلك فهناك نماذج محكمة جميلة وخاصة بين قبائل أواسط الكنغو حيث تغطى النماذج الزخرفية الجسم كله. وبيانها من عملية مؤلمة . فعلى كل أجزاء الجسم من الجبين الى الوجنتين والعنق والذقن والبطن والعجز والفخدين مع الساقين تشرط الرسومات بسكين حادة او موس ثم تدلك الجروح بالفحم وبمادة نباتية حتى تنتفخ وتلمع آخر الامر.

الملبس

والملبس لفظ يشمل الملابس بدءا من الرباط الى مختلف قطع الملابس . لهذا فالملبس يشمل واحدا او اكثر من القطع. او أنواعا معينة من الملابس او الزى. كذلك يمكن تحديد نوع وشكل كل من أجزاء الملابس باستخداماتها الثانوية. مثلا لتمييز مرتبة اجتماعية وسياسية او دينية لمن يرتديها او عملا ما او مهنة مفروض ان يؤديها الشخص أثناء ارتدائه لها .

وعندما نتكلم عن الملابس فاننا نجد الانسان ككائن بيولوجى يواجه الظروف الطبيعية عامة والمناخية خاصة ويتغلب عليها بواسطة الثقافة فالانسان اقل تكيفا مع الظروف الطبيعية من بقية الحيوانات ومرد ذلك الى انتشاره فى كافة الامكنة ذات المناخ المختلف بينما تتأقلم الحيوانات مع مناخات محددة. والانسان لم يهزم الظروف الطبيعة الا بابتكار الملابس او استعارة فراء وجلود حيوانات البيئة.

واصبحت الملابس الى جانب وظيفتها جزءا جماليا من حضارة الانسان بفضل حب الانسان للجمال. ولا نعنى هنا مجرد الملابس بل ان الزينة جزء من ملابس الانسان فى مختلف الحضارات. كما سبق ان عرفنا.

والى جانب وظيفة الملابس وعنصرها الجمالى ايضا فى الحضارات فانها ترتبط باعتيادات المجتمع قبل ان تكون وظيفة او قالب جماليا. فدور الاعتياد الحضارى اقوى من وظيفة الملابس. ففى بعض المناطق الحارة لابد للرجال من ارتداء سترة كاملة مع ربطة عنق فى كثير من الاماكن وفى المناسبات والحفلات على حين فى المناطق الباردة

ترتدي السيدات ملابس خفيفة تكشف عن الظهر أو الجزء العلوى من الجسم فى المناسبات المختلفة .

والملابس أيضا لاتعنى مانعنية فى مفاهيمنا الحضارية العربية أو الغربية كذلك نجد أن للعرى مفهوما مختلفا.

وهناك اختلاف كبير فيما يكون من غير اللائق تركة عارياً من مناطق الجسم وقد يكون لدى بعض الناس ملابس يمكن ارتداوها لتغطية العورات لكنهم لا يفكرون فى ذلك الا حينما يسخر منهم من يختلفون عنهم فى هذا أو عندما يكون هناك أحتمال اللقاء بغرباء على الرغم من أنهم يعودون لعادتهم الخاصة عند انفرادهم بأنفسهم ، وفى بعض المجتمعات على سبيل المثال . تعتبر بعض النساء أن ستر أفواههن أمام الناس أهم من عوراتهن .

ولكن عموما فان هناك اتجاها عاما إلى أن يكون من بين وظائف الملابس تغطية العورات . فهناك الكثير من القبائل البدائية التى تلبس انواعا مختلفةً من المأزر (مثل سترة صغيرة ' تشبه نجونلة تتدلى من الوسط مصنوعة من القش أو الخرز أو نسيج بدائى أومن الجلد) . وحاول بعض الأثنولوجيين القدماء تفسير تغطية هذا الجزء بأنها تمنع العين الشريرة عن الأعضاء التناسلية أى أن الوظيفة هناترتبط بالسحر . ولكن ذلك لا ينطبق على الجماعات التى لا تعرف الملابس تماما ومع ذلك تعتقد فى وجود العين الشريرة .

وعند غالبية البدائيين لايعنى العرى الجنسى . فليس هناك ارتباط بين الاثنين الا حينما تنص اعتيادات مجتمع ما على عكس ذلك وتفرض عقوبات على العرى وبذلك يصبح التعرى جريمة سلوكية ، فالاسكيمو على سبيل المثال يلبسون رداء الفراء وغطاء الرأس والحذاء فيغطون بذلك الجسد من قمة الرأس إلى أخمص القدم ولكن بمجرد أن يدخلو المسكن يتعروا تماما حتى برغد وجود غرباء لأنهم جميعا يتجردون من الملابس داخل المسكن : الضيوف أو أصحاب البيت . والملبس ليس عند كل الجماعات هو مانعنية هذه الكلمة من معنى ضيق فى لغتنا. فبرغم أن التجرد من الملابس يعد عريا عندنا ، إلا انه ليس كذلك عند مجتمعات بداتية كثيرة فعند الأستراليين الأصليين لا تكون المرأة عارية الا إذا خلعت عقد الخرز الذى تلبسة حول عنقها كذلك ليس هناك عرى عند المجموعات التى تمارس الوشم أو تصبغ الجسم بألوان مختلفة أو

التى تمارس تشريط الجلد فى الوجه . وبهذا فإن الفوارق هى بين ما يعتبرة ملبسا وما نعتبرة زينة . وإن كانت هذه الفوارق واضحة لدينا فهى صعبة التحديد وغير واضحة بالنسبة لثقافات أخرى كثيرة ويمكن اجمالا ان نقول ان التزين يعتبر جزءا من وظيفة الملابس .

ومــا زال السير بدون ملابس تماما يوجد فى العصر الحاضر لدى عدد قليل من قبائل الصيد والقنص الأفريقية . وجنوب شرق آسيا والمحيطات وأستراليا وجنوب امريكا . ويقتصر عند بعض القبائل الأخرى على أحد الجنسين ، غالبا الذكور . ويغطى عدد كبير من الشعوب جزء من الجسم على الأقل بالملابس . التى تقى بها الأجسام من التأثيرات الجوية . ومن هنا يوجد الدافع لها ، ولكن الشعور بالخجل كعامل محلل لارتداء الملابس هو بدون شك عامل ثانوى ، وربما يرجع سبب تغطية الجسم بالملابس لدى كثير من الشعوب البدائية نتيجة لتأثير البعثات التبشيرية . وأكثر الملابس بساطة هى مآزر تغطية العورة ويلبسها الرجال والنساء فى كل أنحاء العالم ما عدا أوروبا . ومنهاغطاء الذكر الذى يصنع من القماش أو الجلد ، ويضعة الرجال فى غينيا New Guinea وايضا لدى كثير من قبائل زنوج افريقيا كزى فريد للذكر . وكذلك أزار العورة الذى يوضع بين الأرجل ويربط بشريط أو حزام حول أسفل الظهر (الأرداف) وما زالت أغطية العورة لدى كلا الجنسين فى الاحياء اليابانية الريفية هى أبسط ملابس العمل .

ويلبس الأطفال الهنود عموما أوراقا فضية لتغطية العورة فى شكل وحجم ورق شجرة الزيزفون (التليا) وهى تربط بواسطة حبل حول وسط الجسم. والملابس البسيطة للرجال الهنود عبارة عن فوطة مربوطة على الارداف وموضوعة بين الأرجل (دوتى Dhoti) وهى تقترب من أزار العورة وتوجد أيضا جونلات تغطية العورة القصيرة لدى كثير من الشعوب البدائية واحيانا ايضا الشعوب ذات الحضارات العليا ،وتعدد هذه الأنواع من الملابس التى تغطى أسفل الجسم وتعتبر النمط المنتشر على نطاق واسع . ويلبس الرجال والنساء بنطلونات لدى بعض الشعوب ، وتكون غالبا من الفرو فى الحزام القطبى وفضفاضة واسعة فى كل الدول الاسلامية بالنسبة للرجال والنساء ، ولها غالبا رباط على الظهر واسع طوله مترين أو أكثر . وهناك أيضاً غطاء الساق المصنوع من الجلد أو القماش ويغطى الساقين لدى هنود شمال أمريكا ، وهو على هيئة أسطوانة تلتف على الساق وتغطى أكثر الشعوب البدائية الجزء العلوى من الجسم جزئيا بالزينة. ولم تظهر قمصان الرجال وبلوزات السيدات الا بعد الأحتكاك بالأوروبيين ولكن باستثناء

هـذا فـان الشعوب القطبية تلبس البنطلونات المصنوعة من الفرو ويغطى كذلك الجزء العلوى من الجسم ببلاطى من الفرو أو الجلدأو جلد السمك (أنوراك Anorak)

وتـبعا للظـروف الجغرافية نجد أن بعض القبائل البدوية العربية تلبس جوارب مشغولة لكى تحمى كعب القدم من رمال الصحراء الساخنة المتوهجة . وتعودت الشعوب القطبـية علـى لـبس أحذية طويلة من الفرو . وتنتشر الصنادل المصنوعة من أشغال مجدولـة علـى نطاق واسع فى أسيا وشمال أفريقيا وتنتشر الأحذية والصنادل الجلدية حديثا فى أسيا ولدى هنود شمال أمريكا (موكاسين Mokkassin) ويتراوح حجم غطاء الرأس من ربطة صغيرة تحافظ على الشعر مثلما يوجد فى اليابان ، إلى لفافة كبيرة من القمـاش كمـا هـو الحـال فى العمامة التى توجد فى الشرق الإسلامى وكذلك الطواقى وأغطية الرأس المختلفة والمصنوعة من الفرو توجد بصفة خاصة فى أسيا على أشكال عديـدة لـم يسـمع عنها . وأيضاً أغطية الرأس المصنوعة من الريش والتى توجد فى أمـريكا قـبل كـل شـىء وهكذا . كما نجد أيضا علامات الرتب التى تفصل عن الزينة وبجانـب هذه القطع الرئيسية الثابتة للملبس توجد أعداداً كبيرة يكون لها أحيانا أهداف أخـرى مـثل القطع التى تلبس فى اليد . واللثام ومناديل الرأس والحجاب وغيرها ففى شرق أسيا يعرف الانسان ملابس خاصة للمطر مجدولة من القش أو الحلفا ، خيوط من لحاء الشجر .

وبجانـب وظـيفة الوقاية بالنسبة للملابس ، هناك الوظيفة الاجتماعية ، فتوجد قطـع ملابـس معينة أوحتى قطعة واحدة فقط . وأيضا نقش خاص للقماش يخص دائما الطبقات الاجتماعية والقبائل المختلفة .

ولقـد ظهر بوضوح تأثير المبشرين والغرب عامة والاسلام خاصة على الملبس ويؤكـد هذا تغير عادات ملبس الأفريقيين ، فالاستيراد الكبير للملابس الجاهزة والأقمشة الأوروبـية والآسـيوية لـم تترك أى ركن فى أفريقيا بدون أن يمس . أن عرى الرجال والنسـاء ، وغطـاء الذكر أو زى أوراق الشجر للسيدات كانت تخص الشعوب الزنجية القديمـة . امـا أغطـية وقوط الذكر تخص شعوب الصيد القديمة التى تقابلنا اليوم فى المناطق المتخلفة المنعزلة ، ويرتبط العرى اليوم فى أفريقيا بالفقر .

ولقـد بـدأت الملابـس بمعناها الحرفى فى المناطق الباردة للتكيف مع المناخ يضـاف إلـى قلة الملابس دهن الجسم بانواع الشحم والطين والحمرة وكان ذلك سائدا بيـن سـكان تاسمانيا القدماء وفى أخرى مثل جبال الأنديز فى بيرو ، ولكن هذه ليست

المقصودة بالملابس بل يقصد بها ما يفضى من خامة ويفصل بحيث ينسجم مع جسم الأنسان ويتفق البعض على أن ذلك حدث في منطقة باردة بواسطة جماعات الصيادين في شمال أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية .

وكانت أول أثر للحياكة من العقاد ترجع إلى الحضارة الاورينياسية (العصر الحجرى القديم) وازداد ظهور هذه الأبر في العصور الحجرية التالية وغالبا فان الملابس المخاطة بهذه الابر كانت من الجلد أما الملابس المصنوعة من أنواع النسيج المختلفة فترجع إلى العصر الحجرى الحديث في حضارة ساكنى البحيرات سويسرا حيث كانوا يزرعون الكتان .

وبالرغم من قدم الحضارة في الشرق الاوسط واليونان والرومان . الا أن خياطة الملابس بصورتها الحالية لم تعرف . بل أن سكان البحر المتوسط . رغم معرفتهم للنسيج. فقد كانوا يقتصرون على العباءات والأرواب والمآزر ولعل مرد ذلك إلى ظروف المناخ لم تكن تتطلب الملابس الثقيلة المخيطة .

وهناك آراء ترجع أصل الملابس المخيطة الى الصين ومنها أنتشر شمالا الى سيبيريا ثم غربا الى شمال اوروبا وشرقا سيبيريا الى امريكا الشمالية والواقع أن أحسن ملابس مخيطة في الماضى نجدها بين صيادى الرنة من المغول من قبائل شمال أسيا واوروبا وعند الأسكيمو والامريند المجاورين لهم في حوض نهر ماكنزى . هى ملابس مصنوعة من فراء الحيوانات الصغيرة ولعل هذا اقتضى الحياطة لربط هذه القطع الصغيرة معا. إلى جانب ما سبق هناك أنواع مختلفة من أردية مخيطة تأخذ صورة الروب أو الجلباب وتصنع من الجلود يضاف اليها زخرفة من الخرز أو الصدف ثم استبدلت بعد ذلك بملاحف عن الصدف المنسوج بعد خول الأوروبيين .

ما الخامات والمواد التي تصنع منها الملابس فهي تتعدد بحسب ظروف البيئة والمصادر . فالمحيط والبيئة أثر كبير على الملبس . ويدخل هنا حوادث تاريخية مثل تنقل أو تجسول الشعوب الاستعمار والبعثات والعلاقات التجارية وغيرها والتي لم تؤثر فقط في الحاضر ولكن لها أيضا استمرارية تغير عميق غالبا في الملبس في العصور التاريخية ومن هنا فهناك علاقة بين الملبس والبيئة ففي المناطق البربة والمراعى لبلاد السافانا التي هي المكان الملائم للصيادين ومربى الماشية يسود بالنسبةللزى المادة الحيوانية أما الغابات الاصلية توجد النبات في المقام الاول وتغطى بعض الشعوب العورة

بواسطة صدفة قشر القرع او رباط أو قطعة صغيرة من النسيج او أهداب أو مجرد ورقة أو أوراق من الشجر

المواد التي تصنع منها الملابس

ويمكن أن نتحدث عموما بالنسبة لمربى الماشية عن الملابس المصنوعة من الجلد كنمط قديم وهي تتكون من مآزر وأعطية (بلاطي) وعموما تمثل الجلود والفراء الخامة الرئيسية فى صنع الملابس المخيطة فى المناطق الشمالية الباردة ولما كانت الجلود ليست صالحة للاستخدام بدون معالجة فانهم يعالجونها بطرقهم الخاصة مثل كشط الجلد من كل بقايا الدهنية ودقه جيدا لكى يصبح مرنا طريا واستخدام الزيت والنخاع الحيوانى فى عملية الطرق .

كذلك يمثل اللباد الخامة الثانية ويتميز بخفة وزنة ويصنع منه أنواع من الأحذية أشتهرت عند الأمريند (موكاسان) ويتم تصنيع اللباد عن طريق تجميع الصوف الحيوانى على حصير ثم يبلل ويلف الحصير بقوة بواسطة عدد من الاشخاص غالبا نساء ثم يطرق جيداً ويعد لفة وتتكرر العملية الى أن يتماسك الصوف ويصبح قطعة نسيج واحدة ويرجح ان اللباد نشأ فى الصين ثم أنتقل الى سيبيريا والخامة الثالثة هى الصوف الحيوانى بعد غزلة ونسجة وقد يكون الصوف قد أستمد أولا من الكلاب من بين الحيوانات المستأنسة ثم بعد ذلك من أنواع الصوف المختلفة حسب نوع الحيوان السائد مثل الأغنام وقد ظهر الصوف المنسوج فى العالم القديم خلال العصر الحجرى الحديث .

اما الملابس المصنوعة من أصول نباتية فكثيرة أقدمها وأقلها تنوعا هو استخدام العشب فى عمل المآزر فى جزر المحيط الهادى أما نسيج لحاء الشجر فقد كان شائعا فى المناطق المدارية بأفريقيا وجنوب شرق آسيا وتستخدم قطع الياف الشجر بكثرة كمادة لازار العورة وهى معروفة لدى الأقزام ووجدت فى أوغندا قطع من لحاء الشجر الكبيرة القوية المزخرفة بلون الطين تلف على الجسم تماما وتربط على الكتف الأيمن ويستخدم لملابس اعلى الجسم فى اندونيسيا قطع من الالياف ويستخدم الانسان غالبا لانتاج قطع لحاء الشجربعد عمل قطعين متقاطعين وقطع طولى ينزع اللحاء من الجذع وتبعد القشرة الخارجية وترسل طبقة الالياف لتشغل ، وتلين فى الماء وتطرق بخفه على جزع ناعم موضوع على الارض بمطرقة مستوية من الخشب أو مطرقه من العاج وفى اثناءهذه العملية تبلل قطعة من مادة لحاء الشجر بالماء عدة مرات ويستمر

العجين وعندئذ يظل الانسان ممسكا بها ويسحبها بعناية ويفردها من الاطراف بدقة . ويلينها ويطربها بواسطة الطرق المتواصل .

ولقد ظهر ايضا نسيج خيوط خوص النخيل لمنتج على النول اليدوى الرأسى كنسيج خيوط الرافيا وكان هذا النسيج يستخدم للتبادل كنقود وعلى نول النسيج الرافيا يظن الانسان انه انتج نسيجا دقيقا من الياف نسيج نخيل الرافيا ومازال هذا نسيج ينتج لليوم فى الكميرون لعمل النشط حيث يعكس انتاجة صورة مميزة لمعرفة فن يدوى قديم ولقد لعب نسيج خيوط الرافيا هذا حقيقة دورا كبيرا امام نفاد القطن ودخل بالتأكيد فى قطع الملبس ولكن لم يعد لنسيج خيوط النخيل القديم معنى بعد ، نتيجة ضغط أستيراد الاقمشة القديمة التى كانت مألوفة فى الغابات الأصلية تثير الانتباة ، ولم يعد هناك ميل من جانب الزنوج للبس هذه الاقمشة القديمة الطراز مع تعلق الزنوج بالملابس الأوروبية الطراز

والانسجة النباتية المنتشرة فى الوقت الحاضر هى المنسوجات القطنية والكتانية وهذه المنسوجات تتطلب المعالجة بواسطة الغزل والنسيج فى نول خاص ونبعت هذه الفكرة من طريقة عمل السلال . ورغم أن الغزل معروف فى جهات كثيرة من العالم الا أن النسيج لم يكن كذلك وقد عرف النول فى منطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط والهند منذ فترة طويلة وحدثت تطورات كثيرة على النول اليدوى ولا يزال له أشكال كثيرة الى أن دخل النول الالى الميكانيكى مجال الانتاج .

ولقد أنتشرت الملابس القطنية فى مساحات واسعة من افريقيا منذ فترة طويلة قبل التأثير الاوروبى ولقد سيطر على كل شمال افريقيا واندفعت من منطقة البحر المتوسط الى الجنوب والشرق ومعها يرتبط النسيج وتدخل الملابس القطنية غالبا فى شكل ملابس مخيطة ، كما هو الحال على ساحل شرق افريقيا . وهناك حاك الرجال ملابسهم بأنفسهم ، وينسج الرجال القطن على النول اليدوى الذى انتشر على نطاق واسع فى السودان وبذلوا اهتمام كبيرا بصفة خاصة لشغل الطواقى البيضاء والكوفيات، التىتغيرت فى نهاية القرن التاسع عشر وحل محلها الطربوش الاحمر ويوجد ثلاث مناطق رئيسية واسعة للملابس القطنية شمال افريقيا ، السودان ، والمنطقة بين مونونابا ولوانجا .

Menotapa &Loanga (جنوب روديسيا) ووجد أقدم انتاج للنسيج القطنى فى السودان فى مقابر المرو . وهى ترجع إلى ٥٠ ق.م. ولهذا يتحدث كثيرون ان نسيج القطن ومعه الملابس الكاملة التيظهرت قبل الاسلام قد وصلت السودان عن طريق مرو المستعمرة المصرية القديمة فى منطقة اعالى النيل وكانت مرو ومعها اثيوبيا واكسوم القديمة هى بلاد القطن . ولقد صادفت زراعة القطن فى كل مكان من أثيوبيا قبولا واسعا .

وانتشرت مؤخرا الاحزمة القطنية الضيقة كمأزر بالنسبة للرجال والنساء ونجد لدى مربى الماشية بشمال شرق افريقيا ملاحف ، ربما تكون احذت من شكل الملاحف السورية القديمة ووصلت إلى الشعوب الحالية مثل البشارية ، الماساى ، والنيليون ، عن طريق الامهريين ، وأستمرت معظم هذه الشعوب فى المحافظة على أشكال الأغطية هذه . وتتكون أجزاء الزى لدى البقارة مربى الماشية فى السودان من بنطلونات من القطن واسعة بيضاء تصل تقريبا الى الركبة وفوقها قميص واسع طويل باكمام واسعة وجبة Dschuppa ، وبالطو واسع وغامق بالنسبة للرجال وبنطلون قطنىوقميص طويل وفستان بالنسبة للسيدات . وهو تقريبا نفس الزى الذى تلبسة معظم القبائل البدوية والعربية الاخرى فى السودان .

ولارتداء كل قطعه من الملبس دافع فمنها ما يرتدى للاحساس بالخجل أواللياقة أو لتحمى صاحبها من الناحية السحرية أو بدوافع دينية أو لتقى الانسان اثار الطقس أو ربما لجذب الانتباه وزيادة الجاذبية الجنسية .

غطاء الرأس والأحذية

تعتبر أغطية الرأس والاحذية جزءا من الملابس وتختلف أغطية الرأس باختلاف الظروف المناخية فالفراء يستخدم فى المناطق الشمالية الباردة . ويستخدم اللباد فى المناطق الممطرة المتميزة بشتاء بارد ، وقبعات الخوص تستخدم فى كثير من المناطق الحارة ذات الشمس الساطعة كما يستخدم البدو فى الشرق الاوسط غطاء الرأس المعروف للوقاية من حرارة الشمس وتسير معظم الجماعات هناك عارية الرأس وعند كثير من البدائيين تحل أشكال تصفيف الشعر محل غطاءالرأس حيث لا يكون المناخ متطرفا.

أمـــا الـــنعال والاحذية فهي أهم كثيرا من غطاء الرأس من حيث وظيفة الحماية الـــتي تعطـــيها للأفراد ومع ذلك فأن المناطق المطيرة الحارة يسود فيها الحفاء لان اى نـــوع مـــن الاحذيـــة سوف يودى الى بلل الاقدام لفترة طويلة اما المناطق الباردة التى تـــتعرض للجليـــد خلال الشتاء فانها تحتم انتعال احذية سميكة طويلة بحيث تغطى جزءا مـــن الساق وتصنع من الجلد أو الفراء ومن المعتقد ان هذا النوع من الاحذية قد صنعة ســـكان اسيا الشمالية وانتقل من هناك إلى الاسكيمو فى شمال امريكا وقد انتقلت انواع الاحذيـــة الى اوروبا نتيجة لانتشار حضارة من شعوب الصيد وانتشر الحذاء الى جهات كثيرة من العالم بعد الكشوف الجغرافية والتوسع الأوروبى فىالعالم .

وهناك أنواع أخرى من النعال تقوم بوظيفة حماية القدم اثناء المشى ففى مصر والـــبحر المتوسط نشأ الصندل وهى فكرة مستمدة أصلا من فكرة صنع السلال والنسيج وكـــان ذلـــك مرتـــبطا بالطقس الحار قليل الرطوبة ومن النعال ايضا ما يستخدمها البدو للـــتحرك فـــوق الرمال وانواع اخرى عند رعاة الجبال مثل نعال البربر فى شمال افريقيا امـــا فىالوقـــت الحاضـــر فقد تعدت الأحذية والنعال وظيفة الحماية حيث أصبحت أيضا جزءامـــن الانـــتاج الجمالى للملابس والقبعات ومن ثم تتعدد الأشكال وتتغير الموضات بسرعة فى الملابس كافة .

وفـــى بعـــض الاحيان يكون لارتداء الاحزمة والاذيل او الاشياء الاخرى التى يمكن أن تربط بالاحزمة او تعلق فيها مغزى معين فربما تلبس الاحزمة وأساور الأذرع فقـــط للزينة وربما تكون لتثبيت غيرها من الملابس او يكون ارتداؤها لمناسبات خاصة طقســـية او لجـــنس بعينة أو عمر معين فقد تتعدد تفاصيل الأربطة والاحزمة والمآزر (اغطـــية العورة والأثواب النسائية وغيرها من الملابس والازياء الى درجة كبيرة وكذلك زيـــنات الملابـــس ربمـــا يكـــون المغزى منها جماليا . سحريا ، ، او دينيا . ولكل منها التقالـــيد الخاصـــة بـــه كما انه ربما يصحب ارتداء بعض القطع المعينة لأعمار محددة طقـــوس خاصـــة وتـــأتى أهمـــية المواد التى تصنع منها الملابس فى أنها توضح مدى اســـتخدام الانســـان للبيـــئة ومدى علاقتة مع الجماعات المجاورةكما تشير إلى نشاطة الاقتصـــادى لانهـــا ربمـــا تكـــون مـــن اجزاء حيوانية او نباتية وربما تكون محلية أو مســـتوردة وكذلـــك طريقةالارتداء وتثبيت ملبس أو جزء منه . وأيضا الأبر المستخدمة ونـــوع الخيط وعملية الحياكة والاشخاص الذين يقومون بها وتختلف الملابس بأختلاف فصـــول الســـنة والأعياد والملابس المستعملة داخل وخارج البيوت وللأعمال اليومية .

وللحمايـــة مـــن الأحـــوال الجويـــة وملابس النهار وملابس الليل كما أنها تختلف أيضاً بالنسبة للجماعات الاجتماعية والمهن والأماكن المختلفة . وللرجال الذين قتلوا أعدائهم أو صـــرعوا حـــيوانا مفترســـا ، أو لمهـــن بعينها وللعسكريين أزياؤهم الخاصة وكذلك الاطـــباء ورجـــال الديـــن ورجال السلطة كما ان للشارات التى تعلق فى الملابس أهمية خاصة نظرا لاختلاف شكلها ومناسباتها والمادة المصنوعة منها قد تكون خاصة بالشعار الملكى أو شعار الدولة أو شعارات أخرى وهناك بعض الشعوب التى تتخلص من ملابس المتوفى أو المريض بعد الشفاء باعدامها وغيرها كثير .

نجـــد ممـــا سبق ان الملابس عموما يمكن بواسطتها تمييز مرتبة اجتماعية أو طبقة سياسية أو دينية أو مهنة معينة وذلك من نوع الزى الذى ترتدية .

كمـــا أنـــه يمكن فى بعض المجتمعات ان يستخدم جزء من الملابس عند تقديم التحـــية مـــثل رفـــع القبعة عند تحية سيدة فى الغرب وعند زيارة شخص عظيم أومكان مقدس .

<u>الملابس لدى بعض شعوب افريقيا</u>

١ – الملابس وادوات الزينة لدى بعض الشعوب العربية والافريقية

<u>عندما نبحث</u>

عـــن الـــزى القديم فى مراكش فانة يبحث عنه فى القرية لانها هى التى تحافظ علـــى هـــذا الطراز بعكس الجزائر وتونس حيث نجد الملابس التقليدية أيضاً فى المدينة وهـــى تتشـــابه بالنسبة للرجال والنساء فى التفصيلة وهى عبارة عن بنطلونات قصيرة واســـعة ويلـــبس فوقهـــا باقى قطع الملابس كلها . وتكون بنطلونا ازرق غامق أو بنيا غامقـــا شتاءا وابيض صيفا وتحب النساء الألوان الفاتحة مثل الوردى ، الأزرق الفاتح أيضـــا الابـــيض . ويزيـــن القطن والكتان وأيضا الحرير بالتطريز ويلبس القميص فوق البـــنطلون وفوقة القفطان (Tunika)طويل من الحرير الملون أو القماش المطرز ولقد اتـــى القفطـــان الـــى شمال افريقيا من الحكم التركى واختفى ثانية من الجزائر وتونس ويلـــبس الانســـان اكثر من قفطان للوقاية من البرد وايضا للتفاخر ويلبس الانسان فوق القفطـــان غطـــاء خفيفايكون شفافا بالنسبة للسيدات (من قماش الحجاب تل أوحرير) ويكـــون بالنسبة للرجال قطن خفيف أوكتان وتعتبر الاحزمة والأكمام اجزاء مهمة لزى المـــرأة . ويســـتورد التجار العرب حاليا ملابس ملونة جاهزة على الطراز العربى بكمية

كبيرة . ومازال الاطفال والعبيد والمسنون والفقراء يلبسون الزى القديم المصنوع من الجلد .

وكما علمنا ان الثقافة قابلة للتغيير نتيجة احتكاكها بثقافات اخرى فإن الاحتكاك الأوروبي ونقل الثقافة العربية الى افريقيا يشكل ضغط خارجى على اسلوب الحياة وسلوك الانسان فى هذه القارة، فأصبح التغيير الثقافى ثمة بارزة فيها . وان كان هذا يعطينا فهما اكثر لقابلية الثقافة للتغيير والتبديل فتتميز الثقافة بالديناميكية المتوافقة مع مطالب الحياة المتطورة . واهتمام الانسان بنفسه من حيث زينته وملبسه يعتبر ثقافة مادية ويتميز الانسان عادة عن باقى المخلوقات أنه يزين ويجمل سماته الطبيعية بوسائل صناعية فنجده يزين نفسه بزينات شخصية ويرتدى الملابس لتحمية او تميزه عن غيره وتتعدد الطرق والاساليب والمواد والمفاهيم المرتبطة بالزينة والملبس ويبدأ الانسان بالاهتمام بنظافته الشخصية وهناك يظهر اهتمام الشعوب بهذه الناحية أو الهدف منهاوطرقها والمواد المستخدمة فيها والاشخاص الذين يقومون بها وينال المظهر الشخصى للإنسان اهتماما كبيرا ويأخذ صورا مختلفة ، منها الحلاقة وتعديل بعض اعضاء الجسم هذا وتتفنن الشعوب فى طريقة تصفيف الشعر ووضع ادوات الزينة فيه ، وكذلك الجسم نفسه حيث يستخدم فى تزيينه أشكالا زخرفيه بالتلوين أو الصباغة أو الوشم والندوب والتشليخ وتحتاج العمليات الثلاث الأخيرة الى جرح الجلد أو وخزة بالابر ووضع مواد نباتية أو رماد أو هباب أو رماد قطعة لحم محروق لحيوان وحشى فى الجرح لاكتساب صفات هذا الحيوان. ولهذه الرسوم أهمية بالغة فى مفاهيم الشعوب ويستخدم بعضها فى مراحل عمرية مختلفة او للتفرقة بين الجنسين او لتميز طائفة معينة او طبقة معينة فى المجتمع عن باقى أعضائه ولأشكال التزين الشخصى معنى معينا لدى بعض الشعوب ربما يكون اجتماعيا او دينيا او سحريا او لذاته لزيادة الجمال كما تستخدم الشعوب الحلى بأنواعها واستخداماتها المختلفة ويمكن ان يقال ان استعمال الحلى مقصور على اغراض التزين رغم ان بعضها له مغزى سحريا او عقائديا وتختلف الزينات من مناسبة لأخرى فالزينة ليست قاصرة فقط على الناحية الجمالية ولكنها تقوم بوظيفة رمزية وتتركز الزينة فى الرأس والوجه والعنق عند البدائيين والمتقدمين على حد سواء لأن هذا الجزء من الجسم هو ما يميز الانسان تماما وترتبط به عدة وظائف إنسانية بحتة كالتفكير والكلام بجانب النظر والشم والسمع واما الشعر فقد احتل اهمية كبيرة عند الانسان منذ العصور الحجرية كوسيلة جمالية للزينة ،هذا بجانب أنواع الحلى

المضـــافة اليه والى الجسم مثل الاقراط والاساور واحزمة الخصر. وهذه كلها تصنع من خامـــات مستعددة تـــبعا لإمكانيات كل شعب ومفاهيمه واهدافه منها. فمنها مثلا الخشب والعظام والاصداف والخرز والنحاس والفضة والذهب والماس ويلاحظ ان أدوات الزينة تخـــتلف وتتعدد نتيجة لأختلاف القيم الجمالية واختلاف الوظائف وتطور الابتكارات لدى الحضارات المختلفة .

ولقـــد اظهـــر الافريقـــي مهـــارة فائقة في فن زخرفة الجسم من تشريط ووشم وتلويـــن ويعتبر التشريط اكثر التزين شيوعا لدى شعوب أفريقيا لاسباب عدة منها تمييز أعضاء القبيلة بعلامتها .ويستعمل الطب سواء الوقائى او العلاجى طريقة تشريط الجسم ثـــم تدليك الجروح بعقار مفروض فيه انه يشتمل على خصائص سحرية .ويعمل التشليخ او تشـــريط جلـــد البشرة بقصد التزين كما ان الجبهة تشرط فى حالة الاصابة بالصداع، والخـــد فـــي حـــالات مرض الاسنان ويعتبر التشليخ مظهرا من مظاهر الجمال وكذلك الـــندوب الـــتى تعمـــل فى الجبهة فوق الحاجبين وهى عبارة عن أجزاء محببة . ويعمل بعضهم ثلاثة شلوخ عرضية افقية او ثلاثة اشرطة راسية فى الوجه للجمال .

وتستعمل بعض الشعوب من أدوات الزينة سلاسل مصنوعة من قطع قشر بيض الـــنعام وحلقـــات الـــيد الرفـــيعة المصنوعة من الخشب وحلقات جلدية وحلقات الاذرع والارجـــل المصـــنوعة مـــن الـــنحاس الاصفر والخرز او من العاج وحلقات اليد والقدم المصـــنوعة من النحاس الاصفر الخام والقصدير والفضة والاسلاك النحاسية الحلزونية ولفـــات عديدة من سلك حديدى حول المعصم والجيد والساق وكثير من الشعوب تستعمل أدوت الزينة الفضية ،كما انهم يستخدمون عقود من اللؤلؤ واللبان والجلد وحبات العنبر والاصـــداف والاقراط والقلائد الذهبية وعقود مصنوعة من الخرز ويصنعون اساور من العاج والخيزران ويلبسون الخلاخل وحلقات الأنف .

فنجد ان هناك من أدوات الزينة ما ينتج من مواد نباتية مثل اللبان، والخيزران والعنـــبر والخـــيوط القطنـــية الـــتى تستخدم لربط الرقبة للزينة والبذور ونواة الفاكهة والخشب وأخرى تنتج من مواد معدنية مثل النحاس والحديد والقصدير والفضة والذهب وهـــناك أيضـــا أدوات الزيـــنة المصنوعة من القواقع واللؤلؤ والاصداف وقرن الحيوان والاحجـــار الكريمة والعاج والجلد والريش وتطعم الحلى المصنوعة من الذهب والفضة بالخـــرز وتســـتخدم للشـــعر والعـــنق والاذرع وهناك الاقراط وحلقات الأنف الذهبية او

الفضـــية ويحملـــون تعـــاويذ واحجبة فى علب من الجلد وتزين ايضا بالخرز وتلبس فى الرقبة او الذراع وتستعمل الحناء والكحل ايضا للزينة .

وتهتم معظم الشعوب الأفريقية بتصفيف الشعر غالبا بهدف التزين فتعمل ضفائر رفـــيعة طويلـــة . ويخـــتلف تصفيف الشعر حسب السن والحالة الاجتماعية فمثلا يقص الشـــعر كلـــه الا من اطار حول الرأس للبنت التى لم تصل بعد سن الزواج، ويترك لكى يطـــول ثم يجدل فى ضفائر عند بلوغ سن الزواج ثم عمل ضفيرتين كبيرتين بعد الزواج (صـــومال) وتعمـــل أغطية للرأس من الطين او دهن الشعر بروث البقر والزيت الى ان يشـــبه القـــبعة (شيلوك) او دهن الاطراف بمسحوق الاوانى الفخارية القديمة مع الزيت والعطر (بجا) .

امـــا الملـــبس فيشمل مختلف قطع الملابس بدءا من الرباط من هنا فهو يشمل واحد او اكثر من القطع .

ويعتبر الانسان ككائن بيولوجى اقل تكيفا مع الظروف الطبيعية عامة والمناخية خاصة ولهذا فهو يتغلب عليها بواسطة الثقافة ويرجع هذا الى قدرته على الحياة فى اى مكـــان مهمـــا اخـــتلف المـــناخ، وهو لم يهزم الظروف الطبيعية الا بابتكار الملابس او استعارة فراء وجلود حيوانات البيئة وبفضل حب الانسان للجمال اصبحت الملابس جزءا جماليـــا مـــن ثقافته .ويتوقف كل هذا على عادات المجتمع التى هى الثقافة حيث تختلف من مجتمع لآخر. ولذلك نجد ان هناك اختلافات كثيرة بين مفاهيم الشعوب فيما يجب ان يـــترك عاريا من اجزاء الجسم ولكن هناك اتجاه عام بأن يكون من بين وظائف الملابس تغطية العورات وربما تكون هذه التغطية لاسباب أخرى عقائدية مثل منع العين الشريرة من اصابة هذه الأجزاء اى ان الوظيفة هنا ترتبط بالسحر .

وبالـــرغم مـــن ان الـــتجرد من الملابس يعد عريا لدى بعض المجتمعات الا انه ليس كذلك عند مجتمعات بدائية كثيرة فلبس هناك عري بالنسبة لبعض المجموعات التى تمـــارس الوشم او تصبيغ الجسم بالوان مختلفة وغيرها مع ان الوشم او الصبغة ودهان الجسم تعتبر زينة لدى بعض الجماعات مع ان الفوارق بين ما يعتبر زينة واضحة لدينا فهـــى صعبة التحديد وغير واضحة بالنسبة لثقافات أخرى كثيرة ولكننا يمكن اجمالا ان نقول ان التزين يعتبر جزءا من وظيفة الملابس .

ولقـــد كان العرى سمة بارزة لدى معظم شعوب أفريقيا ، وهو لا يعنى فى مثل هـــذه الشـــعوب الســـير بدون ملابس وكان الإنسان يزين جسمه برسومات تغطيه كله.

واكثر الملابس بساطة هى المآزر بالنسبة لكلا الجنسين وهى تصنع اما من الجلد او من لحاء وأوراق الشجر وتعتبر قطع الملابس التى تغطى العورة النمط المنتشر على نطاق واسع .

وتغطى بعض الشعوب الجزء العلوى من الجسم بقطع من الفرو او الجلد ويلبس سكان الصحراء جوارب مشغولة لكى تحمى كعب القدم من رمال الصحراء الساخنة وتعودت الشعوب القطبية على ارتداء أحذية طويلة من الفرو، وبجانب الوظيفة الأساسية للملبس "الوقاية" فلها وظائف أخرى "اجتماعية" مثل تمييز طبقة معينة او فئة عمرية او طقوس دينية شعائرية وهكذا.

وكان عرى الرجال والنساء وغطاء الذكر او زى أوراق الشجر للسيدات يخص الشعوب الزنجية القديمة أما أغطية وقوط الذكر فتخص شعوب الصيد القديمة، والتى نجد لها بقايا اليوم فى المناطق المختلفة المنعزلة ويرتبط العرى اليوم فى أفريقيا بالفقر .

ولقد ظهر تأثير المبشرين والغرب عامة والإسلام خاصة على الملبس وذلك نتيجة لاستيراد الملابس الجاهزة والاقمشة الأوربية والآسيوية التى لم تترك اى ركن فى أفريقيا بدون ان يمس.

وإذا اردنا أن نعرف أصل الملابس سنجد أنها بدأت فى المناطق الباردة بهدف التكيف مع المناخ . ويقصد بالملابس ما يفصى من خامة ويفصل بحيث ينسجم مع جسم الانسان ويتفق البعض أن حدوث هذا كان فى منطقة باردة بواسطة جماعات الصيادين فى شمال أوروبا وفى أسيا وأمريكا الشمالية وأستخدم الإنسان آبر من العظام لاول مرة فى العصر الحجرى القديم ، وكانت معظم الملابس المخيطة بهذه الأبر من الجلد ، أما أنواع الملابس المختلفة الأخرى فترجع إلى العصر الحجرى الحديث وظهرت فى حضارة ساكنى البحيرات " سويسرا" وكانوا يزرعون الكتان .

ويقول البعض أن أصل الملابس المخيطة يرجع إلى الصين ومنها أنتشر الى الاماكن المختلفة شمالا الى سيبيريا ثم غربا الى شمال أوروبا وشرقا من سيبيريا إلى أمريكا الشمالية . وأحسن ملابس مخيطة هى المصنوعة من فراء الحيوانات الصغيرة والتى كان يجدها الإنسان بين صيادى الرنة من المغول لدى قبائل شمال آسيا واوروبا وعند الأسكيمو الامريند المجاورين لهم فى حوض نهر ماكنزى ويلاحظ أن الملابس

والخامسات المصنوعة منها تتأثر كثيرا بالبيئة الطبيعية بجانب الانتشار الثقافى الذى يحدث عن طريق تنقل الشعوب والأستعمار والبعثات والعلاقات التجارية وغيرها .

كما ان المواد المصنوعة منها الملابس ترتبط أيضا كثيرا بالحرف التى تزاولها بعض الشعوب فنجد ان الجلود والفراء واللباد والصوف الحيوانى هى المواد التى يصنع منها مربو الماشية والصيادون ملابسهم والعشب ولحاء الشجر ونسيج خيوط خوص النخيل ونسيج خيوط الراقيا ترتبط بشعوب تعيش فى الغابات والسافانا وتزاول حرفة الجمع والالتقاط او الزراعة . أما الأنسجة النباتية المنتشرة فى الوقت الحاضر فهى تتمثل فى المنسوجات القطنية والكتانية وهذه ترتبط بالغزل والنسيج وقد لوحظ أنتشار الملابس القطنية لدى عدد كبير جدا من الشعوب الافريقية فى الوقت الحاضر ويقال أن أقدم نسيج قطنى وجد فى السودان فى مقابر المرو . ووصلتها من منطقة أعالى النيل وكانت مرو وأثيوبيا وأكسوم القديمة هى بلاد القطن .

ولارتداء كل قطعة من الملابس دافع فمنها ما يرتدى للاحساس بالخجل أو للسياقة أو لتحمى صاحبها من الناحية السحرية أو بدوافع دينية أو لتقى الإنسان آثار الطقس أو ربما لجذب الانتباه وزيادة الجاذبية الجنسية ونجد أن اغطية الرأس والاحذية تعتبر جزءا من الملابس وترتبط كذلك كثيرا بالبيئة . فيلبس الفراء فى المناطق الشمالية الباردة وقبعات الخوص فى المناطق الحارة ذات الشمس الباردة ويلاحظ ان معظم الشعوب البدائية تترك شعرها بدون قص وتصففه بطريقة تشبه القبعة وبهذا تحمى أيضا الراس.

وتعتبر النعال والاحذية هامة جدا بالنسبة لوظيفة الحماية ايضا. وتصنع فى معظم الأماكن الباردة من الجلد والفراء ولقد أنتشر الحذاء فى جهات كثيرة من العالم وتوجد أنواع من الصنادل نشأ فكرة تصنيعها من صنع السلال والنسيج ويرتبط هذا النوع بالطقس الحار قليل الرطوبة ومنها ما يستخدمة البدو المتحرك فوق الرمال وانواع اخرى عند رعاة الجبال .

أما فى الوقت الحاضر فقد أصبحت وظيفة الاحذية وظيفة جمالية ومن ثم تتعدد الاشكال وتتغير الموضات بسرعة لكافة قطع الملابس ومن القطع المكملة للملابس الاحزمة والأذيلة او الاشياء التى يمكن ان تربط بالاحزمة او تعلق فيها ويكون لهذه القطع مغزى معين فربما تلبس فقط للزينة وربما تكون لتثبيت غيرها من الملابس او

تكون خاصة بمناسبات طقسية أو لجنس معين أو فئة عمرية معينة وكما تتعدد الملابس بقطعها المختلفة فتتعدد كذلك أنواع الزينة الخاصة بها من ناحية الشكل أو المادة والمغزى فربما تكون ذات مغزى جماليا أو سحريا او دينيا ولكل منها تقاليده الخاصه به

وتتضح أهمية المواد التي تصنع منها الملابس في أنها تشكل مدى استخدام الانسان للبيئة ومدى علاقته مع الجماعات المجاورة كما تبين النشاط الاقتصادى للشعوب كما أن طريقة ارتداء قطعة الملبس وتثبيتها او جزء منها وكذلك الابر المستخدمة ونوع الخيط وعملية الحياكة والاشخاص الذين يقومون بها يوضح ثقافة الشعوب ويلاحظ أيضا أن الملابس تختلف باختلاف اوقات اليوم (نهارا أو ليلا) وفصول السنة والاعياد وفي بعض المجتمعات يظهر الفرق بين الطبقات في الملبس كذلك المهن مثل ابطال الصيد والمقاتلين والعسكريين والاطباء ورجال الدين والسلطة وهكذا .

يتضح مما سبق أن الملابس عموما يمكن بواسطتها تمييز مرتبة اجتماعية او طبقة سياسية أو فئة دينية أو مهنية معينة وذلك من نوع الزى الذى ترتدية كما أنه يمكن في بعض المجتمعات ان يستخدم جزءا من الملابس عند تقديم التحية مثل رفع القبعة عند تحية سيدة في الغرب وعند زيارة شخص عظيم أو مكان مقدس وفي افريقيا تتعدد أنماط الملابس مثلما تتعدد شعوبها وانشطتها الاقتصادية وبيئاتها فإذا اردنا أن نبحث عن الزى القديم في بعض دول شمال افريقيا نجدة في القرى بمراكش لان القرية هناك تحافظ على هذا الطراز ولكن نجدة ايضا في المدينة في الجزائر وتونس ويتكون هذا الزى عموما من بنطلونات قصيرة واسعة وفوقها قميص ويصنع الأثنان من القطن أو الكتان ، ويلبس فوقهما القفطان من الحرير المطرز وفوق كل هذا غطاء خفيف غالبا شفاف بالنسبة للسيدات وقطن أو كتان للرجال ولقد أنتشرت الملابس الاوروبية حاليا ، وهم يلبسون العمامة ويفضل الطوارق للبوم الأقمشة الزرقاء ذات اللمعان الجميل والمخططة كما يلبسون بنطلونات وقمصان قطنية وبرانس بأكمام وصنادل جلدية ويشتهرون بلبس اللثام ، وطواقيهم غالبا من الصوف .

ويلبس أهل النوبة ملابس تشبه ملابس القرويين في مصر بالنسبة للرجل وتلبس المرأة ثوبا يغطى جسدها وينسدل حتى قدمها ويعقد طرف هذا الثوب على الكتف اليسرى .

ومــازال للمــازر الثار في شرق أفريقيا فيلبس الرجال جلد المعقدة وبلاطى من الجلد والفراء وتلبس النساء مآزر من أوراق الشجر والاعشاب أو الجلد .

ولكــن مــثل هــذه الازياء القديمة قد اندثر معظمها فى غرب أفريقيا وأصبحوا يلبسون الاقمشة القطنية .

ومــازال بعــض مــربى الماشية يلبسون القطع المصنوعة من الجلد ويضعون على الــرأس تاجــا مــن الريش مثبتا على شريط من الجلد وربما ايضا قلنسوة من جلد الاسد أو غيرة من الوحوش (الماساى)

ويلــبس فى (الصومال) نسيج خفيف من القطن عبارة عن ثوب يتراوح طوله بيــن ٥ . ٨ أمــتار قطعــة واحدة أو قطعتين للجزء العلوى والسفلى من الجسم وقطعة أخرى تلف حول الرقبة وعمامة بالنسبة للرجال وتلبس النساء قطعة واحدة من القماش يتراوح طولها بين ٥ .٨ امتار تلف حول الجسم مع ترك احد الكتفين عاريا .

وتلــبس المجموعــات (السنوباوية) حاليا الأقمشة المستوردة اما (النوير) فمازال الرجل عندهم يلبس قطعة من جلد النمر وتلبس المرأة قطعة من جلد الخراف أو الماعز حول الخصر .

ويستخدم (الأزاندى) قطع من لحاء الشجر أو الجلد تلبس بين الرجلين وتربط حول الوسط وقطعة أخرى خلفية من جلد الوعل الصغير على شكل فوطة تحمى صاحبها مــن رطوبة الحشائش ويلبسون نعال من الخشب أو الجلد ومن الخوص . وبجانب هذا كلة يلبسون الاقمشة المستوردة

وأصــبح (الشــيلوك) يلبسون الاقمشة القطنية التى تغطى الجسم وتربط احد الاطــراف على الكتف الأيسر بالنسبة للرجل وعلى الكتف الأيمن بالنسبة للمرأة وتلبس تحــتها قطعــة مربعة أو مستطيلة من نفس النسيج تتدلى من وسطها وتزين جميع هذه القطع بالخرز ويسير الشيلوك غالبا حفاة الأقدام .

ويلبس رجال النيجا اقمشة خفيفة تأتى الى المنطقة من الهند وتبلغ طول القطعة حوالى ٩ أمتار تلف حول الجسم من أسفل الى أعلى ويترك الكتف الايسر عاريا ويلبس تحت هذا الثوب سروالا كما تلبس المرأة قطعة كبيرة من القماش القطن او الحرير ايضا مــن الهند ويصل طولها إلى حوالى اثنى عشر متراً تلف حول الجسم وتغطيه من الرأس الى القدم كما يلبسون صنادل من الكاوتشوك .

ولقد أتضح من الدراسة كذلك ان الصيادين وملتقطى الطعام (البشمن والاقزام) يكـتفون بالقليـل مـن الملابس . وهى لا تتعدى مآزر من الجلد أو لحاء الشجر بجانب أقـنعة التخفى والصنادل التى تساعدهم على الجرى وراء الفريسة وهذا كلة يتمشى مع البيئة والنشاط الاقتصادى .

ويميـل (الفانـتى) الـى لـبس الملابس المزركشة فى العطلات والمناسبات والملابس الغربية فى الايام العادية كما يلبسون قبعات مزركشة .

ومـازال (الهررو) يلبسون ازارا جلديا بأهداب وقلنسوة ايضا من الجلد بأهداب للمـرأة المـتزوجة وتزيـن هـذه الآنمـاط لقطـع من قشر بيض النعام والحديد أما (الهوتنـتوت) رجالا ونساءا فيلبسون مازر مزخرفة من الجلد وطواقى وصنادل من الجلد ايضا .

المراجع العربية

- سعد الخادم : الأزياء الشعبية - القاهرة -- ١٩٦٠

- عبد الرحمن زكى : الحلى فى التاريخ والفن ، المكتبة الثقافية .

- محمد بن مصطفى اللباب : فى أحكام الزينة واللباس - مطبعة الشرقية . الجزائر ، ١٩٠٧.

- يوسف فضل الله : الشلوخ أصلها ووظيفتها فى سودان وادى النيل ، دار جامعة الخرطوم للنشر ط ١ . ١٩٧٦

المراجع الاجنبية

1- Buckland A .W.: on Tatooing Journal of the Royal Anthropological Institute. Xvii 1888) .
2- Cattani p.: Das Tatauierung 1922 .
3- Hambly W.D.: The Histoy of Tatooing and its Significance . New york, 192" .
4- Junger, k.: kleidung und umwelt in Afrika. Leipzig, 1926.
5- Hirschberg, W.: kleidung in Cmeyers Handbuch uber Afrika 1962.

المســــــاكن

مقـــــدمة:

بنيـــت البيوت منذ ما لايقل عن ثلاثمائة ألف سنة –ويمكن القول أنها بدأت مع الجنس البشرى . ورغم تقدم الانسان فى بعض النواحى الحضارية الا أنه لم يستطع أن يقـدم تحسـينات تجـارى التقدم فى النواحى الأخرى . فالتحسينات التى طرأت على المسـكن كانـت بطيـئة وفى معظمها تحسينات شكلية لم تمس جوهر المسكن . ونفهم التـنوع الهائل لاشكال البيت أكثر اذا اعتبرت العوامل الثقافية أنها أكثر أهمية من الجو والتقنـيات والمـواد المسـتخدمة والاقتصـاد وعلى أى حال فانة تأثير متبادل لكل هذه العوامـل التى توضح أكثر شكل المسكن الذى يبنية الناس . ولهذا فإنه لا يكفى توضيح عـامل واحـد بمفرده . فالبيت أكثر من أن يكون موضوع المادة المستخدمة أو البناء ، أنـه مؤسسـة خلقـت بواسطة مجموعة معقدة من القوى . أنه ظاهرة ثقافية وباعطاء الصـدارة أو الأولوية للعوامل الاجتماعية الثقافية والنظرة للمسكن كظاهرة ثقافية ، فإنه لمـن المدهش أن نجد أن الانثروبولوجيا قد أهملت دراسة الملابسات المحيطة بالبناء ، ومعظـم أكتشـافاتها المألوفة كالمسكن والمعدات التى تعتبر جزءا نتيجة للقرابة الوثيقة الصـلة بين شكل البناء والثقافة ودراسة المساكن ، كيف تستخدم وكيف انها تنتمى الى انظمة متعددة ستكون مفيدة للنظرية الانثروبولوجية . ان المدخل الانثروبولوجى سيظهر أنـه ضـرورى لأى دراسة متعددة الأنظمة لتفاعل الانسان والبيئة . بينما دور وأهمية المسكن والمعدات لابد أن يكون جزء مهما للأنثروبولوجيا التطبيقية . والمسكن : عبارة عـن مبـنى مخصـص لسـكن أسرة أو أكثر وهو منزل أو شقة أو مأوى ويزود عادة باللوازم السكنية الملائمة . ويقاس حجم المسكن بعدد حجراته

والمســاكن بصفة عامة هى محلات الإقامة التى تهيأ للناس فى مجتمع معين . ويعتبر المسكن من أهم العوامل التى تؤمن استمرار الحياة الاجتماعية وكذلك أهم أشكال الـثقافة الماديـة ويوجـد فى كل المجتمعات فيما عدا مجتمعات الرحل كما توجد علاقة وثـيقة بيـن السكن والتنظيم العائلى فى جميع الثقافات وفى جميع الأزمان . فإن شكل المسكن يتفق بشكل ما مع التنظيم العائلى . كما أنه بدوره يدعم ويقوى النظام العائلى .

ولا يوجد أى شعب بدون مساكن . وهى تخدم المأوى فى المقام الأول كأماكن للنوم وحماية من التقلبات الجوية لدى الشعوب البدائية . وتقدم حفائر النوم فى الرمل (استراليا أو أحواض شاع الأنهار الجافة (الفلبين) والكهوف والأسقف الحجرية وغيرها امكانية المأوى للصيادين وجامعى الطعام ويستعمل الإنسان بجانب هذا أيضاً مساكن صناعية (مصدات الرياح والأكواخ القبوية) .

ومازال فى القرن العشرين مئات من الناس فى الريف وفى الأحياء الفقيرة فى المدن من مختلف المجتمعات تعيش فى مساكن لا يمكن أن توصف بأكثر من كونها سقف والحاجة الى سقف هو كل ما يحتاجه الانسان ومن ثم فان أبسط أنواع السقوف كانت وما زالت تكفية . ولم تكن الوظيفة الأساسية للمسكن هى مكان الغذاء ، فقد كان هذا يحدث خارج المنزل ولم تكن الوظيفة كذلك هى الراحة الجسدية اذ كانت تتم خارج المسكن ايضا .أنما يبدو أن المسكن كان اداة حضارية تغلب بها الإنسان على الظروف المختلفة مثل البرودة والمطر واشعة الشمس ، ومن ثم تنتشر المساكن بصورها المختلفة فى كل الحضارات .والى جانب الحماية من المناخ الحماية ايضا من مفاجآت الاعداء والحيوانات الضارية التى تعتبر جزءا اساسيا من وظيفة المسكن . ولذا تطور شكل المسكن من اتخاذ الكهوف مأوى للتجمعات الانسانية . الى شكل من المسكن شيده الانسان بمواد مختلفة حسب نوع الحضارة ونوع الخامة السائدة ولم نجد بعد التاريخ المبكر أى تقدم ملحوظة فى جوهر ونوع الخامة السائدة :جدران فى صورة مربع أو مستطيل وكانت الحوائط المستديرة أو البيضاوية أسبق فى الغالب لأن فكرة التلاحم بين جدارين يسيران فى اتجاهين مختلفين أرقى نسبيا . وحتى جوهر أنواع الأثاث لم يتغير . كالمقعد والسرير والموائد . وذلك لأنها تكفى الاحتياجات البيولوجية للإنسان من حيث الراحة والاسترخاء وتناول الغذاء إلى جانب عامل التوارث الاجتماعى ، فالإنسان يقضى فترة طويلة فى مسكن والديه ويعتاد على تخطيط معين للسكن والأثاث اعتياداً يصعب تغييره ومن ثم فإن نوع التطور فى نوع المسكن ومخططه بطىء جدا فهناك حجرات للنوم وحجرات للاجتماع والشىء الذى أضيف هو المطبخ والحمام كغرف مستقلة والمطبخ فى العصور الحجرية وعند بعض الجماعات البدائية عبارة عن موقد جماعى وفى العصور الوسطى وفى المدن القديمة كان المطبخ جزءا من حجرة الجلوس وكان مجرد موقد يعطى الدفء ويطهى الطعام وهو مازال كذلك فى الريف فى أنحاء العالم.

اما الحمام فلم يكن له وجود بالمسكن الا فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحـــالى ومازالت كثير من الابنية القديمة فى المدن الأوروبية مثل فيينا وباريس والمانيا تخلـــو مـــن حمامات خاصة بالشقق أما فى الحضارة العربية والرومانية ومنطقة البحر المتوسط فقد كان الحمام ضروريا وأن لم يوجد الا فى قصور الأغنياء .

وقـــد أرتـــبط أنتشـــار المطـــابخ والحمامات داخل المساكن كثيرا بدخول المياة الجاريـــة الـــى المساكن وظهر ذلك فى الحضارات العليا القديمة بواسطة أنابيب فخارية ولكـــن كـــان هذا قاصرا على المبانى العامة أو مبانى الملوك والنبلاء والاغنياء كل على حده لا يرتبط بشبكة مياة رئيسية ومن أغراض المسكن العديدة حماية الناس ونشاطاتهم وممـــتلكاتهم من الطقس والاعداء البشرية والحيوانية ومن القوى فوق الطبيعة وللدلالة علـــى المكانـــة الاجتماعية ولأسباب رمزية فليس المأوى هو الوظيفة الوحيدة للمسكن كماأن هناك علاقة واضحة بين شكل البيت والطقس .

الانواع ــ الاشكال ــ مواد البنا

أولا : أنواع المساكن

يرتبط المسكن بنوعين من الضوابط هما : الاقتصاد والنظم الاجتماعية . ونعنى بالنظم الاجتماعية هنا شكل التجمع الأولى فقط : عشيرة أو أسرة ممتدة أو أسرة نووية (الزوجان وأولادهما) لأن المسكن هو الاحتياج المباشر لهذا التجمع الأولى والاستجابة الحقيقية لمشكلة المأوى بالنسبة له . ولما كانت كل التجمعات مرتبطة بالنظام الاقتصادى السائد فاننا سوف نجد أشكال المسكن عبارة عن استجابة لهذين العاملين معا : النمط الاقتصادى والتجمع الأولى ففى التنظيم القائم على الأسر النووية يصبح المسكن محدود المساحة وهو بذلك اصلح اشكال التنظيم الاجتماعى لسكن المدن .

والنوع الثانى هو الخيمة التى تستخدم أثناء تنقل الرعاة والصيادين والنوع الثالث هو البيت الجليدى عند الاسكيمو وهو مسكن مؤقت يقيم فية الاسكيمو بضع ليال أثناء تجولهم المستمر خلال الشتاء المظلم .

ويوجد فى سيبيريا نوعان من المساكن . المساكن الحجرية الثابتة فى الأرض والخيام المتنقلة أثناء موسم الصيد فى الصيف ، وعند الجماعات التى تمارس الزراعة البدائية والرعى فى أفريقيا نجد المساكن أو الأكواخ الدائمة المبنية من الطين عند الحقول ومعسكرات الرعاة أثناء موسم المطر خلال الصيف ، كذلك الحال عند رعاة البقر فى المناطق الجبلية فى أوروبا واسيا نجد مساكن القرية الدائمة فى بطون الأودية وأكواخ الرعاة على سفوح الجبال . أما الجماعات المستقرة (زراعية أو صناعية) فالغالب أن لها نوعا واحدا من المساكن يرتبط بالوظيفة الاقتصادية حيث نجد المسكن الريفى عبارة عن مجمع يحتل القسم الأكبر من مخازن المحصول ومأوى الحيوان ومخزن الادوات والآلات المستخدمة فى الزراعة ، أما القسم الأصغر فهو عبارة عن مأوى الأسر ، بينما المسكن فى المدينة رمز الاقتصاد الصناعى والتجارى . فلا يضم بين جدرانه سوى مأوى الأسرة فهناك انفصال حقيقى بين المسكن ومكان العمل على عكس المسكن الريفى الذى لا يوجد بينه وبين الحقل فاصل بل نعتبرهما معا امتدادا لشىء واحد .

وفيما يخص ترتيب أنواع المساكن التى عرفها الانسان قديما فقد وجد أنه من الصعب ترتيبها ترتيبا تصاعديا لكثرة التداخل والفروق الحضارية ولاختلاف البنية

الجغرافية . ولكن هناك اتفاقا عاما على أن الانسان قد أستخدم فى البداية أكثر أشكال البنية المحيطة به لتحقيق أغراضة السكنية . وكانت هذه الأشكال تأخذ صورا متعددة من التجاويف الصخرية الواسعة شبه المسقوفة الى الكهوف الضحلة والمتعمقة . فالكهف الغائر رغم رطوبته يعطى مأوى جيدا ضد الرياح الباردة خاصة مع استخدام النار لزيادة التدفئة ومنذ العصر الحجرى القديم نجد مساكن مبنية من الأخشاب والطين وفى العصر الحجرى الحديث ظهرت البيوت المبنية من الطين المقوى بالبوص أو الطين اللبن وشاع استعمال الحجارة فى بناء المساكن . ومع ظهور المساكن المستقرة المبنية من الطوب عند الزراع حدث تطور عند الرعاة المتنقلين حيث أصبح المسكن متنقلا يصنع من مادة يمكن نقلها مع تنقلهم سعيا وراء العشب والماء . فظهرت أنواع الخيام المختلفة كالتى نعرفها عند بدو الصحراء وفى خيام المغول والتركمان المصنوعة من اللباد والمسماة يورت (Yurt) وهى أكبر مسكن متنقل من حيث المساحة والارتفاع والزينة المضافة اليه .

ويفرق الانسان بين الانواع الرئيسية الاتية :

مصدات الرياح : أبسط أشكال المساكن المصنوعة التى تعرف عند المجتمعات البدائية المعاصرة وهى على شكل حائط واق ضد الرياح السائدة وهو عبارة عن اطار من الأغصان يغطى بلحاء الاشجار وأوراقها ويوضع فى صورة مائلة بالاستناد الى حائط صخرى ، أوشكل قوس كبير يقام تحت الأشجار ويغطى بالأعشاب ويحمى الناس من الأمطار والرياح .

الأكواخ :

عبارة عن مسكن يكون حائطة وسقفة وحدة واحدة متداخلة مع بعضها ولا تنفصل ويستخدم معظم البدائيين أشكالا مختلفة من الأكواخ منها ما هو على شكل قبة من الأغصان والأعشاب فوق هيكل من الخشب أو كوخ خشبى بأعمدة خشبية ينتهى بسقف قمعى الشكل لتجنب مياه المطر وهذه الأكواخ شائعة فى جنوب شرق آسيا وهى ذات أسقف منحدرة فى النطاق الاستوانى وآحيانا تقام جدران الأكواخ من الحجارة .

ولهذه المساكن عدة أشكال ويستخدم فى بنائها مواد عديدة غالبا ما تكون متوفرة بالمنطقة . كما أن عملية البناء أما أن تكون فردية أو جماعية أو تقوم بها طبقة

معينة وهي تعد بشكل خاص . فالحجرات أما أن تكون منفصلة يتوسطها فناء أو مرتبطة معا عبر ممر أو أكثر وربما يتكون هذا المسكن من أكثر من طابق وفي هذه الحالة لابد أن يكون هناك سلالم خارجية او داخلية أو متنقلة أو مثبتة وكثيرا ما يقسم المسكن الى قسمين أحدهما للنساء والآخر للرجال ، كما يخصص به أيضاء مكان للمطبخ، وأخر للحيوانات الأليفة والطيور ، ويتاح بهذا المسكن عمل فتحات للتهوية والأضاءة ويقوم الرجال غالبا بعملية البناء .

البيوت :

البيت هو مسكن يكون جزء من حائطة وجزء من سقفة منفصلين عن بعضهما ويكونان وحدتين انشائيتين منفصلتين .

ويفرق الناس بين اصطلاح كوخ وبيت .فبالنسبة للكوخ يكون الحائط والسقف وحدة واحدة ويستقر السقف على الأرض ، أما البيت فيكون السقف والحائط منفصلين عن بعضهما بوضوح وللبيت حوائط وليس للكوخ . كما يفرق بين أجزاء المنشآت الفردية (الأساس الداخلي : أساس السقف وغيرها) وكذلك بين المباني الدائرية والمستطيلة المختلفة . وهناك أيضا البيت المخروطي الشكل (أو البيت الأسطواني) والبيت القبوي .البيت الجمالوني السقف . البيت الجمالوني الأسطواني السقف . بيت بشرفة سقف الجمالون . بيت بسقف منفصل . بيت بسقف مسطح أو صندوق والبيت الهرمي السقف .

وهناك أنواع عديدة وفريدة من أنماط البيوت مثل :

بيوت مصنوعة من الطوب : وتشيد اما من الطوب اللبن أو المحروق وهو النمط الشائع ويمكن أن يرتفع الى عدة طوابق .

بيوت مشتركة : وهي تخالف النوع السابق وتسمى البيت الطويل . ويرجع هذا المسكن إلى العصر الحجري القديم . ويوجد حاليا في غابات الأمازون وأمريكا الجنوبية وكثير من جزر المحيط الهادي وكان شائعا عند الايروكويز كما وصفها لويس مورجان وصفا دقيقا .

بيت جماعي : وهو عبارة عن بيت جماعي يستخدم بواسطة المحاربين في المجتمعات التوتمية .

بيـت العظـام : مسـتودع عظام أو بقايا عظمية عند الهنود فى جنوب شرق الولايات المتحدة تنظف العظام وتوضع فى سلة من الخيزران قبل الذهاب الى بيت العظام .

بيـت شعبى : بيـت كبير ضخم . ويوجد غالبا فى المجتمعات الأمومية ويعيش فية من ١٥الى ٢٠ شخص .

بيـت الـرجال : مسكن منفصل وجد غالبا فى المجتمعات القديمة ، ويسكن فيه الرجال المتزوجون أو غير المتزوجين .

ويسـتخدم اصـطلاح البيـت ليشير الى سته أنواع مختلفة من البيوتات : بيت العـزاب، بيـت جمـاعى ، محـل الـرجال ، بيت الرقص والأعياد ، بيت العبادة ، بيت المجلس. كما نجد أيضا فى بعض المجتمعات .

بيت الحفر :

بيـت يبنى بحيث يغور جزء منه او كله فى الارض ، ويمكن ان يشار إليه بيت محفـور ، طالمـا يوجـد لدية سقف فوق الحفرة ويشبه الحائط لدى بيت الحفرة جانب الحفـر . وتسـتغل هذه المساكن حفرا طبيعية فى الارض أو تحفر الارض إلى العمق المطلـوب ، وجـدران الحفرة تكون سندا قويا للجدار الذى يبنيه الانسان من الخشب أو الحجارة وهذا النمط مازال شائعا فى النطاق الشمالى من آسيا وأمريكا . والمسكن بذلك عـبارة عن حجرة بيضاوية أو مستديرة وتوجد أيضا عند صيادى شمال سيبيريا مساكن الحفر ولكنها نصف غائرة .

بيت مربع بالجوانب :

واحـد مـن أقدم أشكال البيوت ، يصنع بواسطة وضع سقف على مساحة بين متوازيين لمصدات ريح عمودية

البيت الجليدى :

مسـكن شتوى حلزونى لدى الأسكيمو . يصنع من الواح الثلج الذى يذوب فى الربيع .

بيـت العـرق : (خـص) يسـتخدم لحمامات العرق ، وخاصة بين الهنود ، وتشـكلت هذه الحمامات استعدادا للحرب ، والطقوس الدينية ، أو لجزء من طقوس سن البلوغ . وهـذا البيـت محكم الغلق وينقط به ماء ساخن جدا على أحجار تعطى بخارا متصاعدا.

الخيام :

تشبه الخيمة في شكلها الخارجي الكوخ أو البيت وتكون قاعدتها وسقفها قابلين للتنقل . وترتبط الخيام بالرعاة المتنقلين وتصنع من شعر او جلود الحيوانات التى ترعاها المجموعة ويستخدمها ايضا بعض الصيادين فى آسيا الشمالية وامريكا الشمالية لكثرة تجولهم وراء الصيد . وغالبا ما يكون هذا المسكن بسيطا وخفيفا ومع ذلك يمكن أن يقسم من الداخل الى حجرات ويكون له نقوب للدخان والتهوية ونوافذ وأبواب وغطاء للأرضية وتقوم النساء عادة بصنع هذا المسكن .

الكهوف والأشجار وغيرها من الملاجىء الطبيعية : تعتبر الكهوف أقدم أشكال المساكن المعروفة. وهناك بعض الجماعات التى مازالت تستخدمها لليوم وخاصة فى أسبانيا ولجأ الانسان اليها كملجأ جيدا ضد البرودة الشديدة خاصة فى العصور الجليدية . وربما تستخدم مثل هذه الأماكن لأغراضها العادية أو كأماكن للمأوى ، وبأسماء مكانية تشير إلى هذا الاستخدام ومن المحتمل أن تكون قد أدخلت عليها التحسينات بالحفر أو بإضافة الجدران الصناعية أو الستائر . كما أن جدران وأسقف هذه الكهوف تزين بطريقة ما بتلوينها أو الحفر عليها .

وهناك بعض المساكن ذات الوضع الفريد مثل :

المسكن المرتفع أو المبنى المقام على ركائز : كوخ أو بيت مؤسس على مسطح أو على شجرة .

مساكن مقامة على البحيرات وأبنية أخرى على أعمدة محاطة بالمياة : لهذا المسكن استخدام خاص وبطريقة معينة فى البناء . ولابد من توفير الصيانة والاصلاح للدفاع وللحماية من الثأر وللتخلص من القمامة .

المساكن المقامة على المستنقعات : أن هذا النوع من المساكن يكون له معاملات خاصة قبل البناء حيث تقوى أرضيات الأكواخ المبنية وترفع فوق مستوى الماء .

ومع كل ما تقدم فانه نتيجة لمناخ أفريقيا الحار بصفة عامة والأمطار الموسمية فان معظم الانشطة يمكن ممارستها فى المناطق المفتوحة .

أماكن العبادة :

وتوصف العقائد الأفريقية غالبا بأنها وثنية . ومع ذلك فهناك اختلافات كبيرة في العقائد ، ولكن لا يستطيع أحد إنكار أن هذه العقائد لها تأثير كبير على أنماط الحياة. وتعتبر أفريقيا من الأماكن الغنية بالمقدسات والطقوس ، كما تتميز بثروة هائلة في أنماط مبانيها .

فالانسان في هذه المجتمعات يؤمن بقوة هذه العقائد في داخل وخارج المجتمع . ونجد أن بناء الأضرحة والمزارات تكون هادئة بعيدة عن المنازل وتبنى غالبا في ظل شجرة ، أما عن التماثيل التي يعبدونها فعادة ما يتم اقامتها في المناطق التي يوجد بها الكهنة(بنى Bini اليوروبا ، الاشانتي والكبسجن) وتكون التماثيل في بعض المجتمعات ممثله في للطبقات الوسطى والخدم (الجاندا) وبعض المجتمعات تقيم تماثيلها في المناطق الريفية .

ويذكر برودى Broody أن هناك نمطين أو أسلوبين من أساليب بناء هذه الأماكن . يوجد أحدهما في لجزء الغربي والآخرى في الجزء الشرقي ، والتصميم الأول عبارة عن مجموعة من الشوارع على شكل محاور ، استخدمت بعض الجماعات المسيحية الأخشاب والحجارة في البناء وتوجد مسطحات بين الحوائط والأسقف ، أما النمط الثاني فيتميز باتخاذ شكل المربع الذي يخترقه ممر، ويعتمد على استخدام الصخور الصلبة والأسقف شبه المنحرفة (هذا هو نمط المدن المسيحية) .

وكان المسلمون متميزين بالنشاط التجاري . مما ساعد على نشأة العديد من المراكز في الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي لأفريقيا ، وكذلك عبر الصحراء نحو غرب أفريقيا عن طريق التجار ، ثم نقلت العقيدة وما يتبعها من بناء المساجد ، وكان بناء معظم المساجد مناطق متميزة ويتم بنائها غالبا بالحجارة . وكانت المساجد في مصر في القرن الرابع عشر بلا أسقف ويختلف نمط حوائطها عن جدران المساكن .

وبالنسبة للمساجد المخصصة لصلاة الجمعة كانت تبنى في المناطق المفتوحة على عكس الأخرى خلال أيام الأسبوع فكانت ذات أسقف .

يتبين مما تقدم أن هذا الجزء يتضمن كل أنواع المأوى ومكان السكن ، سواء المؤقت منها أو الدائم (كالكهوف ، والمأوى الصخرى والأشجار) أو التي ينشئها أو يبنيها الانسان بشكل تام تقريبا ولكل نوع غرض معين وتخطيط وترتيب في أجزائه

وكذلك تختلف المواد المستخدمة وطريقة البناء من منطقة لأخرى ، كما أن للموقع الذى يختار لبناء المساكن مغزى يجب معرفته ، وأحيانا تكون المساكن منفردة منفصلة ، عن بعضها أو تجمع الأكواخ والمساكن فى مجموعة واحدة .

وكمـا شـاهدنا نجـد أن كثيرا من المجتمعات تخصص مساكن جماعية للعزاب ويكـون لهـا موقـع خاص خارج التجمع السكانى وتعمل بها طقوس معينة ، أما باقى الـتجمع فغالبا ما يكون لكل أسرة سكن خاص بها ، كما يخصص للضيوف كذلك مساكن خاصة خارج التجمع السكنى .

ثانيا : أشكال المساكن :

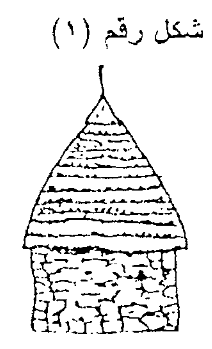
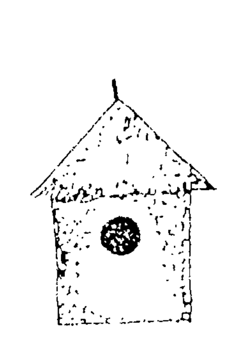
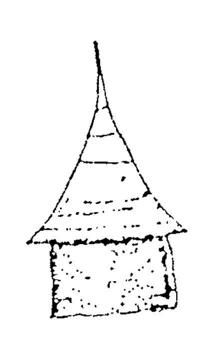
مـن الملاحـظ أن مـبانى أى شـعب مـن الشـعوب تعكس اقتصاده وتاريخه وجغرافيته، ولذا نجد أن أشكالا معينة من المساكن تتناسب مع أقتصاد وتاريخ وجغرافية وملامح اقليم

معينة ولكل قبيلة ثقافة مادية فريدة . ليس في كل خصائصها بالطبع ، ولكن بالتأكيد في مجموعها . وكثير من القبائل لها أكثر من نمط واحد للمسكن ويعرف النمط أو الطراز بأنه شكل الابنية الفردية ولكنه أيضا طريقة تنظيمها .

ويمكن تجميع الاشكال في فئات رئيسية :

١) شكل دائرى قائم بذاته قطرة أقل من أرتفاعة ومغطى بالطين والحجر او الحجر فقط ، والأساسات غالبا من الحجر ، أما السقف فهو القش والغب بشكل مخروطى أو بوقى وتنتظم الابنية في مجموعات على نمط حلقى وتحاط بسور أو فناء (السودان ، تنزانيا ، شمال نيجيريا ، شمال الكميرون ، مالى ، سنغال وغينيا ، شمال توجو وبنين ، جمهورية أفريقيا الوسطى) .

شكل رقم (١)

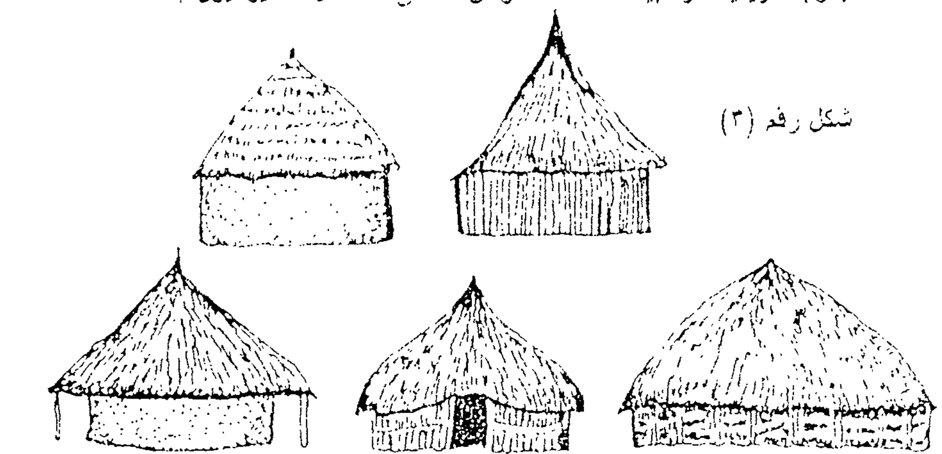
٢) شكل دائرى قائم بذاته قطرة مساو تقريبا لارتفاعة ، والسقف عبارة عن أعمدة مرتكزة علــى هيكل مركزى ، وقد تغلف الأعمدة أحيانا بالحجارة عند قاعدتها ، وتسقف بالحشائش أو التربة المكسوة بالعشب الاخضر (أثيوبيا ، تنزانيا)

شكل كل رقم (٢)




٣) شكل دائرى قائم بذاته يزيد قطره عن ارتفاعه ، وتصنع الحوائط من الطين والوتل أو الوتل فقط أو الغاب الأفرنجى (البامبو) أو سعف النخيل ، والسقف مخروطى مصنوع من القش وغالبا له شرفة (كينيا ، زائير ، نيجيريا ، غينيا ، كميرون ، تنزانيا ، ليبيريا ، جنوب أفريقيا ، زامبيا ، غانا ، السودان ، مالى ، سنغال ، سيراليون)

شكل رقم (٣)



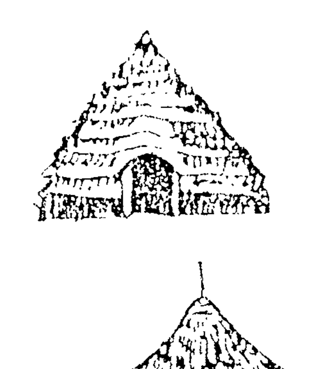
٤) شكل دائرى قائم بذاته وسقف مخروطى بدون حوائط وهيكل من عصى مستقيمة (أعناق أعواد الذرة الغينى ، البامبو "الغاب الأفرنجى") وأحيانا تسقف بالقش (شمال نيجيريا تنزانيا ، السودان ، أثيوبيا)

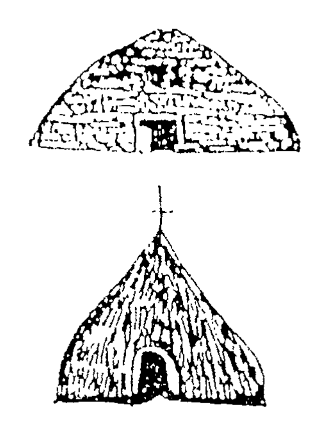
شكل رقم (٤)

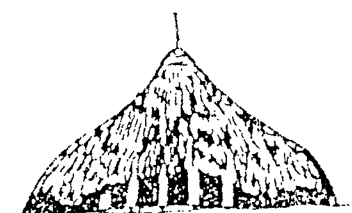


٥) شكل دائرى قائم بذاته ، هيكل مرن من الأعمدة المثبتة فى الأرض من قاعدتها ومربوطة من القمة ، ويعرف بنمط خلية النحل ومنظرها الجانبى محدب طفيفا (مسنم) يسقف احيانا بأوراق الموز ولكن الغالب عادة هو الحشائش أو الغاب ويكون السقف مدرجا أو مسطحا ويكون له أحيانا حائط محيط منخفض وقد يكون مدعما مركزيا ويقسم غالبا من الداخل بحواجز ، نفس التصميم كمنزل ، غالبا له مقيفة باب (السودان ، تنزانيا ، رواندا ، أوغندا ، بوروندى ، نيجيريا ، أثيوبيا ، تشاد ، النيجر ، كينيا ، جنوب غرب أفريقيا)

شكل رقم (٥)

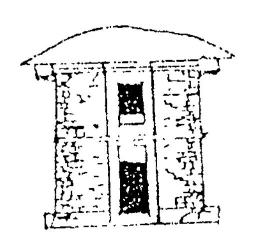






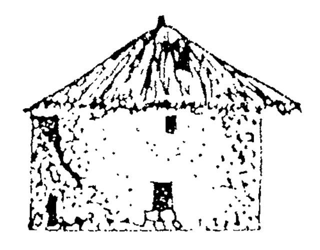
٦) شكل دائرى ، قائم بذاته من طابقين والحوائط مغطاه بمونه من الطين والشبابيك خشبية شبكية الشكل ، وبين كل طابق ممر مثقوب ، والسقف على شكل قبو من الطين مسقوف بالقش (أثيوبيا)

شكل رقم (٦)



٧) شكل دائرى قائم بذاته ذو طابقين وحوائط من مجاميع صخور دائرية صغيرة مثبتة بمونة من الطين ، ويتم الوصول الى الطابق الثانى عن طريق درج سلالم خارجى من الحجر ، بداخلة حوش محاط بجدران وله مدخل سقيفة باب بالطابقين (أثيوبيا)

شكل رقم (٧)



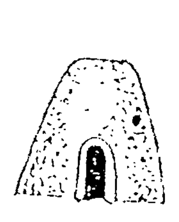
٨) شكل دائرى قائم بذاته ، الحوائط من الطين ، أو الطين والقش ، والسقف مسطح من أعمدة وطين وقش وتعمل فى مجاميع محكمة مبنية على حوائط محيطية ملونة ومزخرفة من الداخل عادة .(وللصوامع عادة أغطية او أسقف من القش) (مالى ، غانا ، فلتا العليا).

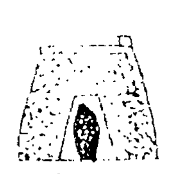
شكل رقم (٨)



٩) شكل دائرى قائم بذاته صدفى ، السقف من الطين بدون حوائط ذا منظر جانبى محدب طقسيف وأحيانا ذا نقوش خارجية بارزة منظمة فى مجاميع بداخل حائط محيط (كميرون ، غانا ، تشاد)

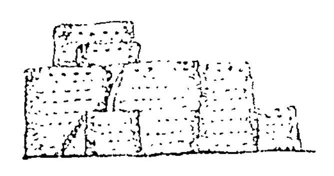
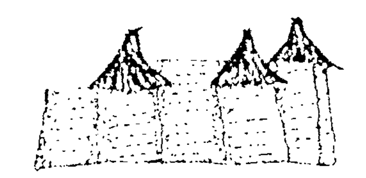
شكل رقم (٩)





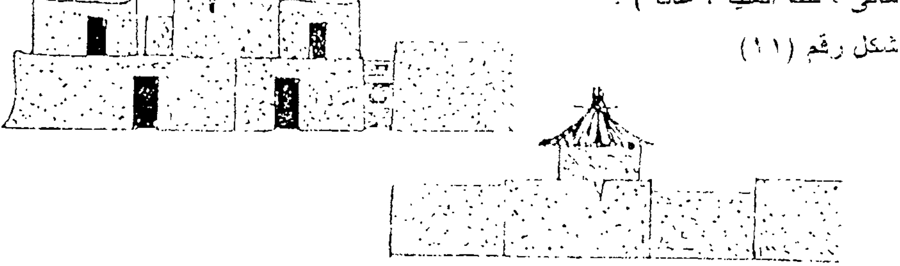
١٠) شكل دائرى من طابق أو أثنين أو ثلاثة فى الارتفاع مبنى باندماج ليشكل أبراجا منزلية ، وتعمل الحوائط من سياج من الطين ، والسقف مسطح ويتكون من أعمدة وقش وطين (فلتا العليا ،بنين ، مالى) .

شكل رقم (١٠)

١١) وحــدات ذات تصميم قائم الزوايا ، بارتفاع طابق واحد ، ولكنها تبنى بالتجاور وعلى قمــة بعضــها ، طــوب طينى أو حوائط من سياج من طين ، والسقف طينى مسطح مقوى بالخشــب وسعف النخيل أحيانا يعلوه طراز رقم (٣) (كوت دى فوار (ساحل العاج سابقا) مالى ، فلتا العليا ، غانا) .

شكل رقم (١١)



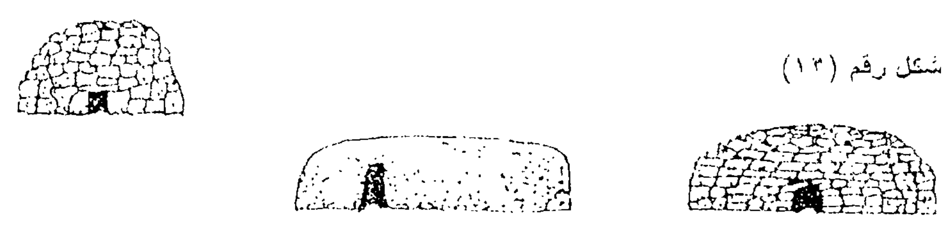
١٢) شــكل دائرى أو بيضاوى او مستطيل ذو منظر جانبى نصف دائرى أو بشكل المعين الهندسى ، الهيكل الأساسى على شكل طارة مغطى بالجلود والحصير مع سقف من الحشيش أو ســقف من الحشيش وأوراق الشجر أو من طين على جدائل خشبية يمكن عادة رفعها ، وهى منتظمة عادة بتنسق ، وترتبط غالبا بنزال الماشية :(تنزانيا كينيا ' ماساى، كميرون ، زائير ، ناميبيا ، جنوب أفريقيا ، سوازيلاند ،تشاد ، نيجيريا ، الصومال ، أثيوبيا طوارق النيجر ، مالى ليسوتو)

شكل رقم (١٢)



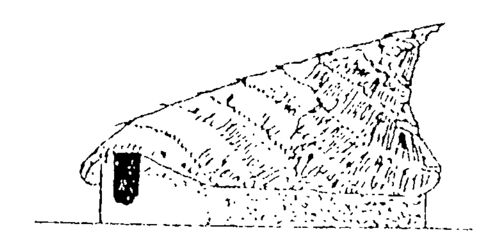
١٣) شكل دائرى أو بيضاوى قائم بذاته ، بناء حجرى ، حجر رملى غير مهذب أو نوع من الصــخور النــارية الصــغيرة المستديرة (الدولريت) أو ترابيع مهندمة من نوع الصخور النارية (الدولريت) . ليسوتو ، بتسوانا ، جنوب أفريقيا) .

شكل رقم (١٣)



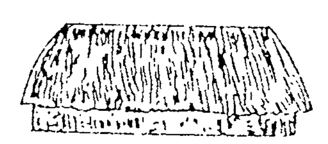
١٤) شـــكل بيضـــاوى قائم بذاته والسقف مدبب غير متماثل مسقوف بالقش ومدعم بعمود مخروطى من الطين وقوس طينى والحوائط من الطين والوتل (نيجيريا).

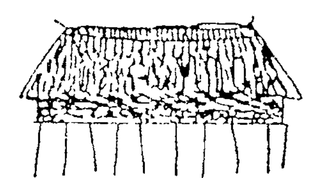
شكل رقم (١٤)



١٥) شكل بيضاوى قائم بذاته ، والحوائط من الطين أوالوتل مسقوف بالقش ومدعم بقاعدة من الخلف ذات نهائيات شبه مخروطية وأحيانا على قوائم خشبية (تنزانيا).

شكل رقم (١٥)





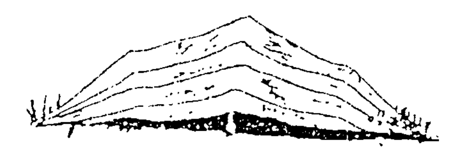
١٦) شـــكل مســـتطيل قائم بذاتة ، الهيكل من واحد إلى أربعة أقواس متنقلة متوازية مقواة بقطـــع عرضـــية أفقية ، مستقرة على النهائيات على أعمدة مجدولة مغطاه بحصير مجدول وتســتخدم عـــادة كخـــيمة متـــنقلة ، وأحياناتكون الأنماط الكبيرة منها غير متنقلة (بعض الطوارق " النيجر ")

شكل رقم (١٦)



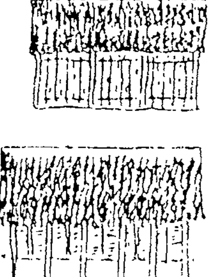
١٧) خـيمة ذات شـكل مسـتطيل ، هيكل من أثنين إلى أربعة صفوف من عصى متوازية متشـعبة محملة على قطع عرضية أفقية أحيانا أقواس بدلا من مجاميع وسطية من الأعمدة مغطاة بجلود أو أحرمة متدودة (بعض الطوارق " النيجر " ،السودان ،أثيوبيا ، الصومال)

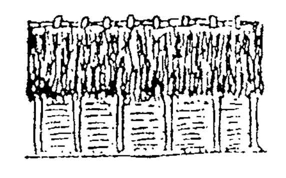
الشكل رقم (١٧)

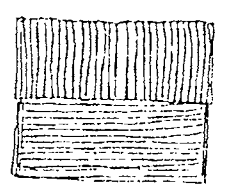


١٨) شـكل مستطيل قائم بذاته أحيانا ، سقف من القش مدعم من الخلف أم مائل ، حوائط من الواح الخشب السميك والغاب الأفرنجى (البامبو) والقصب والحصير أو قصب وحصير فقط أو قصب فقط ، والحوائط مدهونة أحيانا من الداخل ، والسقف مسقوف بحصائر أوراق النخيل والغاب ولحاء الشجر وسعف النخيل وأحيانا على قوائم خشبية (تنزانيا ، نيجيريا)

شكل رقم (١٨)

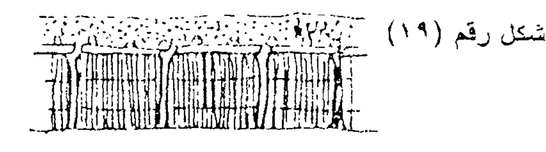






١٩) شـكل مسـتطيل يرتب عادة حول كرال مربع مركزى مفتوح ، الحوائط من الوتل أو الحجارة والطين ، مسطح أو بشكل عربة من الطين والوتل المدعم على قوائم مشعبة خارج الحوائط وملاصقة لها أو على حوائط ويمكن تعريفه على أنه طراز تمب "Tembe" (تنزانيا ، أوغندا ، أثيوبيا)

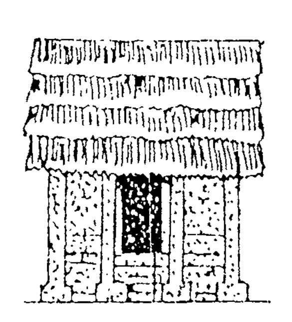
شكل رقم (١٩)

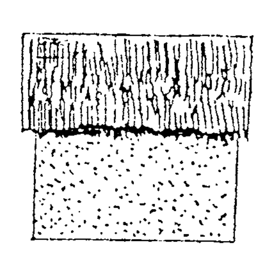




٢٠) شكل مستطيل قائم بذاته ، سقف من القش مدعم من الخلف ، مبانى مرتبة عالية غالبا مواجهـــة بالعرض لفناء صغير بعض جوانبه مواجهة لفناء مكشوف أو مغطى ، حوائط من ســياج طينى أو هيكل وتل مدهون ، حوائط بارزة أو نائتة لشكل شائع للتزين (نيجيريا ، غانا)

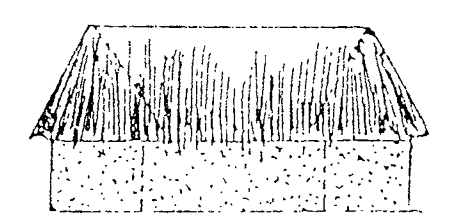

شكل رقم (٢٠)

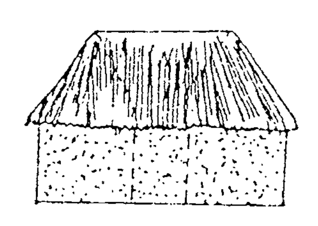




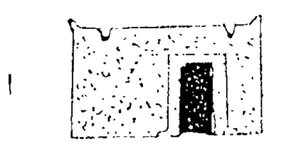
٢١) شكل مستطيل ، سقف من القش مدعم من الخلف وحدات مبنية حول فناء أو صهريج أرضـــى له سقف مستديم بحوائط من سياج من الطين أو الطين والوتل ، الجوانب مواجهة لفناء أو صهريج أرض أحيانا مكشوف أو مغطى (نيجيريا) .

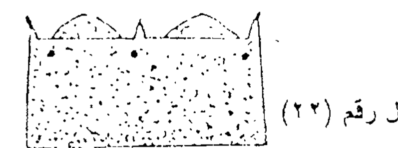
شكل رقم (٢١)



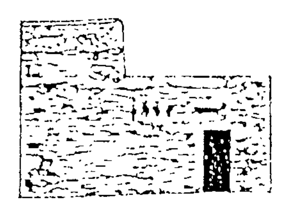


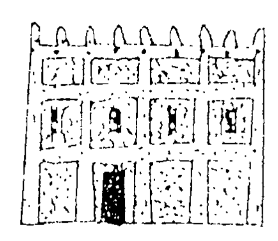
٢٢) شـــكل مســـتطيل ، حوائـــط مـــن الطوب الطينى ، وسقف طينى على شكل قبو مقوى بالخشـــب أو سعف النخيل أحيانا من طابقين ، تنتظم المبانى بداخل ساحة فناء محاط بحائط وأحيانا تشكل جزءا من حائط الفناء (نيجيريا ، مالى ، سنغال)





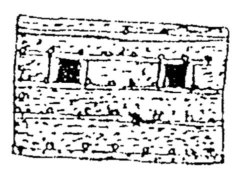
شكل رقم (٢٢)





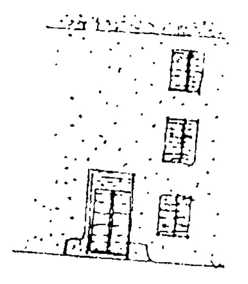
٢٣) شــكل مستطيل قائم بذاته ، حوائط من مجاميع من الحجارة المغمورة فى مونة الطين بغير تهذيب مدعمة بأجزاء خشبية وقطع عرضية قصيرة مستديرة ، سقف مسطح من الطين والاعمدة . أثيوبيا).

شكل رقم (٢٣)



٢٤) شــكل مســتطيل قائم بذاته ، حوائط من الحجارة الصغيرة والاسمنت ، سقف مسقوف بالقش ومتعدد الطوابق وعادة بأبواب خشبية منقوشة باتقان (تنزانيا ، كينيا)

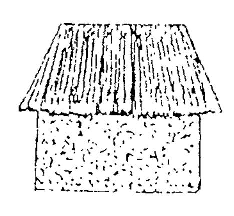
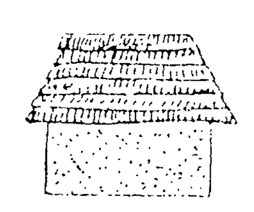
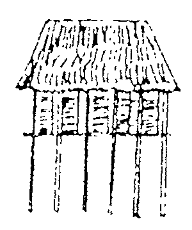
شكل رقم (٢٤)



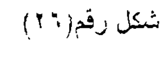
٢٥) شــكل مســتطيل قائم بذاته ، سقف قائم ، مسقوف بالقش والحصير من أوراق النخيل أحــيانا ذو جانبين طويلين مرتكزين على أثنين أخرين ، حوائط من الطين والوتل ، وأحيانا

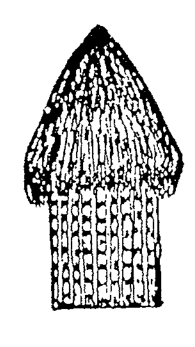
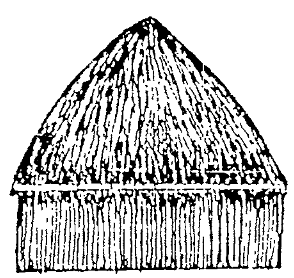
ذات أعمدة وأبواب خشبية منقوشة وأحيانا أخرى على قوائم . المناطق الساحلية فى كينيا ، تنزانيا ، نيجيريا ، بنين ، زائير)

شكل رقم (٢٥)

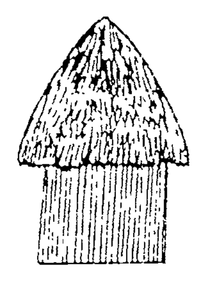
٢٦) شـكل مـربع قائم بذاته وسقف مخروطى ، حوائط من الطين أو الطين وسعف النخيل ومسقوف بالقش والحشائش أو الغاب (كميرون ، نيجيريا)


شكل رقم(٢٦)

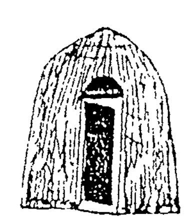
٢٧) شكل مربع قائم بذاتة الحوائط من الأعمدة أو سعف النخيل والطين ، والسقف قائم من القش والحشائش أو لحاء الشجر (زامبيا . زائير ، كميرون)

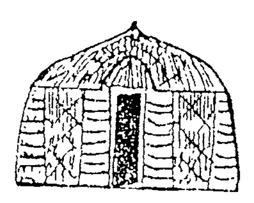
شكل رقم (٢٧)

٢٨) شكل مربع قائم بذاته وسقف ذا هيكل قائم من القش أو أعمدة مرنه مغمورة فى الأرض عند القاعدة ومربوطة عند القمة وممدودة ومنظرها الجانبى محدب قليلا ، والسقف من الحشائش ، عادة باطارات أبواب منقوشة باتقان (زائير ، أنجولا)

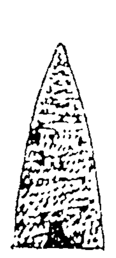
شكل رقم (٢٨)





٢٩) شكل مربع ، وسقف هرمى طويل من القش مسقوف بأوراق عرضية (زائير)

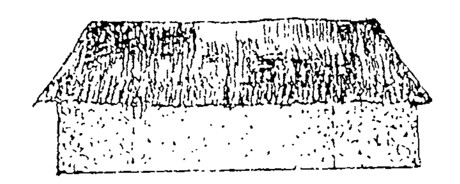
شكل رقم (٢٩)

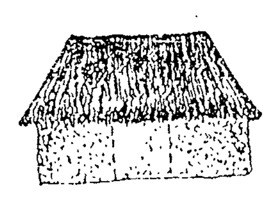




٣٠) شكل تاجى (دوائر مشتركة المركز) قائم بذاته وفناء مركزى أو صهريج أرضى ، والحوائط طينية ومسقوف بالقش المدعم من الخلف (سنغال ، غينيا بيساو ، كوت ديفوار " سابقا ") .

شكل رقم (٣٠)





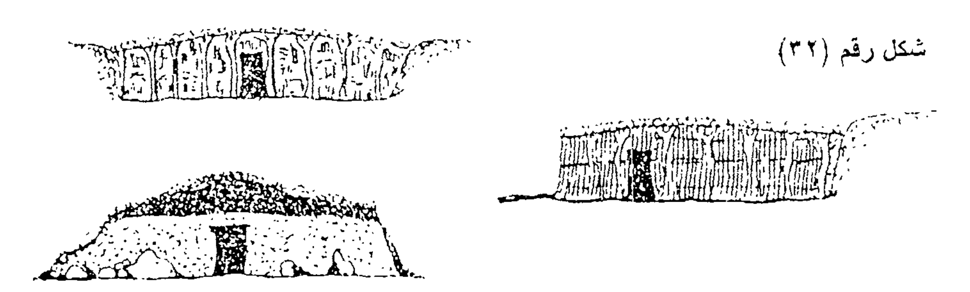
٣١) مســاكن الكهوف ، توسع الكهوف عادة صناعيا ، وتكون لها أحيانا فناء صغير محاط مــن الأمــام بحائط من الطين ، أو فناء وحوائط من الوبل ودهان غير متقن ، وأحيانا يبنى عرضيا فى فتحة الكهف (تنزانيا ، كينيا ، زائير . كمبرون . السودان ، تشاد)

شكل رقم (٣١)



٣٢) مــبان محفــورة تحــت الأرض أو شبه أرضية . ذات شكل مستطيل وأحيانا ذات ممر محفــور من الامام ، حوائط من الحجارة أومونة من الطين ، او وتل وطين ، أوطوب طينى أو التربة المكسوة بالعشب الأخضر ، والسقف مسطح أو يشبه العربة الى حد ما من الارض ، أوطين وأعمدة مدعمة على صفوف من قوائم رأسية مشعبة (تنزانيا وأثيوبيا)

شكل رقم (٣٢)



ونجد فى الوقت الحاضر أشكالا مختلفة من المسكن فى المجتمعات الزراعية الكثيفة والمجتمعات الصناعية الحديثة

ثالثا : المواد التى تصنع منها المساكن :

لقد بنيت المنازل باستخدام مواد محلية ، ولاتختلف المساكن فى شكلها وارتباطها بنوع النظام الاقتصادى السائد فقط بل اختلفت ايضا فى مادة بنائها من حيث ارتباطها بالخامات المتاحة فى الطبيعة وامكانات الثقافة ولذلك فهناك مساكن مصنوعة من خامات طبيعية وأخرى من خامات صناعية ، الأولى من فروع الشجر والأخشاب والحجارة والطين والثانية من اللبن والطوب والأسمنت والنوع الأول هو الخامة الأقدم بالطبع .

أن أقامة أى نوع من المساكن باستخدام المواد المحدودة المتاحة يتطلب قدرا كبيرا من المهارة .

ومن المواد المألوفة فى بناء المساكن :

الطين :

والطين المستخدم غالبا هو شكل جيد من الصلصال ، وفى أفريقيا نجد أن الطين خليط بنسب مختلفة من الرمل والصلصال وهذا يعد من مزايا البناء فالصلصال يجعل التربة متماسكة والرمل يعطيها القوة . وعموما فان الطين يستخدم فى عملية البناء بطريقة أو بأخرى مهما كانت نسبتة وهذه فى الواقع مادة متعددة الجوانب وقوية إلى حد ما وهناك عدة أساليب لاعداد الطين للبناء ، ففى أقصى غرب منطقة السودان يصنع الطين المجفف بأشعةالشمس بالاستعانة بقوالب خشبية . ويثبت الطوب عند بناء الحوائط ببعض الطين ، بينما تطلى الحوائط بخليط من الطين أيضا . وفى بلاد الهوسا يصنع الطوب الكمثرى الشكل ، ويخلط الطين ببعض القش ، ويثبت هذا الطوب على الحوائط فى صفوف أفقية وحوافه الى الامام وتطلى خلفيتة بخليط طينى . أما فى الغابات فلا يصنع الطوب غالبا . ويستخدم بدلا منه أسلوب يعرف أحيانا بوحل البرك . ويتم هذا عادة فى منتصف الفصل المطير فبعد حفر حفرة والتخلص من التربة العلوية ، فان الصلصال الأحمر الموجود تحتها يقطع الى كتل مناسبة الحجم وينعم بواسطة رخات المطر تسوى هذه القطع وتجهز ويترك الصلصال على هيئة كومات محمية بأوراق الموز حتى موعد البناء الذى يبدأ عادة فى الفصل الجاف .

المواد النباتية :

الحصير والقش والسبوص والحشائش وأوراق الموز والخيزران والغاب الإفرنجى

(البامسبو) وسيقان النباتات والأعواد والخشب وسعف النخيل ويجهز السعف بشقة نصفين وجدله ليكون حصيرة صلبة . وكذلك جذوع النخيل .

الحجر :

ولا تسوى الحجارة أو تهذب فى بعض المبانى الدائرية ، وفى كثير من المناطق يستخدم الحجر كأساس تحت الحوائط الطينية أو الطوبية وقد ميز Whitty بين ثلاثة نماذج رئيسية من الأساليب . الفئة "P" وضعت أحجارهاالأمامية بدون تنظيم أو تسوية . أما الفئة "Q" فأن أحجارها الأمامية قد قسمت الى بلكونات ذات أحجام مختلفة وتوضع على مراحل . والفئة "R" تبدو وكأنهاأخرالأساليب فواجهتها الأمامية تبنى بغير عناية أو تنظيم . وأحياناً تصنع الأسقف المسطحة من الحجر الصغير المرجانى تدعمة أعمدة حجرية ، والأحجار الملساء المرجانية فهى ناعمة وتستخرج من البحر على عكس الأحجار المرجانية الخشنة التى تستخرج من الشاطىء ويمكن تسويتها ونحتها حتى تصلح للاستخدام .

وكانت البيوت قديما " معابد أثيوبيا" تبنى بكتل حجرية كبيرة ومنتظمة ومستطيلة على هيئة صفوف متراصة . ويستخدم أيضا الحجر الرملى والصخور النارية

مواد جديدة :

تستخدم هـذه المواد عندما لاتتوفر مواد البناء التقليدية (ربما بسبب كثافة السكان، أو الحقوق القانونية أو بسبب موقع الأقليم) . ومنها الصاج والصفيح والحديد ومن المواد التى تستخدم أيضا الجلد والشعر المنسوج .

وعـرف الطوب المحروق في مناطق معزولة في قطاع يمتد من النيجر الأعلى عبر برنو الى دارفور والمناطق النيلية . وتقول الأساطير أنه أدخل الى السودان الغربى بواسطة مهندس أحضـرة الملك " منسى موسى " ملك مالى عندما قام بتأدية فريضة الحـج فـى القرن الرابع . وعندما أستخدم الطوب المحروق فقد أصبحت الحوائط أكثر احـتمالا وأصـبحت المبانى مسنطيلة بأسقف مستوية ومدعومة من الوسط بأعمدة من الطوب .

المراجع :

1- Denyer, S.: African Traditional Architecture Heinemann, london, 1978 .
2- Nevermann H.: Ergologie, u. Technologie (I. Adam u.H. Trimborn, hg.: Lehrb. D. Volkerkunde) Stuttgart, 1958.
3- Notes and Queries on Anthropology, A Committee of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, London 1964.
4- Richards, J. M., Seragel din I. Rastorfer D., Hassan Fathy, A Mimar Book, Concept Media. Architectura press, London, 1985.
5- Tischner H.: Die Verbreitung d. Hausformen in Ozeanien 1934.

الفـــــن

الفـــن هو مجموع المهارات البشرية على اختلاف الوانها، وللعمل الفنى وحدته المادية التى تجعل منه موضوعا حسيا يتصف بالتماسك والانسجام، ولكل فن مادته، يســتوى فــى ذلك ان تكون لفظا او صوتا او حركة او تشكيلا او نقشا او رسما او زخرفة او نحتا... الخ . ولكن المادة الخام لا تكتسب صبغة فنية الا بعد ان تكون يد الفنان امتدت اليها فخلقت منها محسوســا جماليا.

والظاهــرة الفنـــية ظاهــرة اجتماعية، لكن الفن لم ينشأ فى الاصل عن مصدر اجــتماعى صــرف، ولئــن كـــان اثر البيئة قد يطبع العمل الفنى بطابع واضح كل الوضوح الا ان الفن مع ذلك ظاهرة بشرية قد نبعت عن اصل فردى .

وممـــا لا شك فيه ان هناك صلة وثيقة بين الفن والمجتمع الذى يعيش فيه الانسان بكل ما يشمله ذلك المجتمع من المظاهر البيئية والثقافية والدينية السائدة فيه. ومن تلك المظاهر مجتمعه يستمد الفنان الافكار والصور الذهنية والوسائل التى تظهر فى شكل أو أخــر مــن أشكال التعبير الفنى سواء كانت رسما أونحتا أو فنونا زخرفية كما تظهر فى أشكال الرقص والموسيقى والقصص الشعبى وغيرها من وسائل التعبير .

واصـــطلاح الفـــنون الجميلة اصطلاح يحمل مدلولا واسعا ، إذ يشير الى أنواع كثـــيرة مـــن مظاهـــر النشاط الإبداعى وتنتج الفنون الجميلة كتكوينات ثقافية من عملية ابداعـــية تستعامل مـــع الحركة والصوت والخامة إذا يمكن تعريف الانتاج الفنى الجمالى كطرق للتفكير فى مثل هذه الأشكال .

ومـــن مـــنظور الـــثقافة الماديـــة فان الفنون تكون متكاملة اذا توافقت مع كل مستويات الثقافة الثلاثة انتاج الخامات والتلاحم الاجتماعى والتعبير الفكرى .

والتحلـــيل الأنـــثروبولوجى لاشـــكال الـــثقافة عادة ما يحاول أستنباط الوظيفة والبـــناء، والفنون ليست مستثناه من هذا التحليل ، ولقد زادت العلاقات البنائية بين الفن والمجتمع بوضوح فى السنوات الأخيرة .

وفـــى كل مظاهر الفنون يوجد الفنان الذى ينتج العمل الأساسى ولكن هذا الفنان يكتشـــف ويتم تجربته بواسطة الجمهور . فالهوية الرئيسية للعمل تكون شخصية ولكن فـــى نفس الوقت ثقافية وإنسانية فلكل فن جمهوره فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وكل فن لا بد أن يتطلب الجمهور . فلا يمكن أن تكون ثمه قيمة جمالية بدون جمهور .

والابــداع الفنى هو القدرة والتعبير على أشكال تثير عاطفة وأحساس المشاهد ولذا فإن المشاهد يتفاعل مع العمل على مستوى ثقافته الخاصة تبعا لتوقعاته النفسية أو المزاجــية وخلفيــتة التراثية ومع تسليمنا بأن المجتمع هو الذى يوحى للإنسان بوسيلة التعبــير الفنــية فــان مــا ينتجة الفنان أيضا يوظف فى النهاية لصالح المجتمع وأفراده والملاحــظ أن الشكل الفنى لا يمثل فقط انعكاس المجتمع ولكن يمثل أيضاًاتجاهات عامة لذلــك فان الاشكال الفنية تتغير بتغير اتجاهات المجتمع فنجد مثلا أن معظم الشعراء انما كانوا يتناولون فى قصائدهم موضوعات اجتماعية يعبرون فيها عن مشاعر جماعية .

ووظــائف الفن متنوعة أحديى هذة الوظائف هى أعطاء الشبع والرضا الجمالى ولكــن ذلــك فى حالة " الفن من أجل الفن فقط " وبالنسبة للمجتمع فان الفن غالبا ما يمــثل صمام الأمان للتعبيرات الخطرة والافكار المنعزلة أو المحظورة، وربما يعمل الفن مــع أو ضــد التــيارات السياســية أو الدينية فيقال بأن الفن يطلق رسائل ، لاتستطيع الكلمــات أن تــنقلها لذلــك فــان معظــم الاشكال الفنية تشجع وتعزز المعتقدات الدينية والاوامر الاجتماعية فى المجتمع .

ان للفــن علاقــات ضرورية بالدين والاخلاق والسياسة والاقتصاد وغيرها من ظواهــر المجتمع ويسهم الفنان فى تكوين التراث الجمالى لمجتمعه ، بقدر ما ينجح فى اضــافة خــيوط جديدة الى ذلك النسيج الحضارى الذى يتألف منه كيان المجتمع . فالفن عنصــر من العناصر الأصلية الهامة التى تدخل فى تركيب المجتمع نفسة وينبع الفن من صميم الحياة نفسها . أن الجمال شعور خصب ملىء بالحياة ، والفن لا يخرج عن كونه نشاطا اجتماعيا تنحصرغايتة فى الحياة أو الواقع نفسه ، فالفن اجتماعى فى نشأته وفى غايته ماهيته وظيفته، فهو ظاهرة ذات طابع اجتماعى . وكثير من العلماء يربطون بين الدين والفن ، فيقولون ان الظاهرة الجمالية قد نشأت أول ما نشأت فى أحضان المعبد ، لأن المعــبدهو الــذى عمل على ظهور أقدم الفنون البشرية جميعا وهو فن المعمار ، ثم ظهــرت الحاجة إلى تزيين جدران المعابد بالنقوش والتماثيل والاشكال البارزة فكان من ذلك أن ظهر فن النحت ولم يلبث المثالون أن تفننوا فى التماثيل الملونة ، فكان من ذلك أن ظهر فن التصوير الذى لم يكن يستعمل فى الأصل الا لتزيين جدران المعابد .

ولما كانت العبادة تستلزم بالضرورة اقامة الاحتفالات الدينية ، فقد ظهرت على التعاقــب فــنون الــرقص المقدس والموسيقى خصوصا الغناء والشعر الغنائى . وهكذا

نشـــأت معظـــم الفنون الجميلة فى أحضان المعبد ، فكان الدين هو الظاهرة الاجتماعية الكبرى التى عملت على ظهور الفن وتطوره وترقيه

ومـــن هـــنا نجد ان للمعتقدات الدينية والطقوس او الشعائر والنظام الاجتماعى تأثـــير عظـــيم على الفن .فالاشياء التى ترتبط بالطقوس والشعائر ايا كانت صورتها قد تلقـــى عناية خاصة ويمكن ان تعتبر رموزا لتطور جمالى وفن عظيم، فالمعابد قد تصبح أثـــرا حيـــث توجـــد بها التماثيل الخاصة بالالهه والابطال والاسلاف والاعمدة الضخمة والســـردهات الواسعة... الخ، وقد يؤثر وجود الملوك او القادة على تطور الفن واسلوبه. فمنازلهم وقصورهم يتم زخرفتها بطريقة خاصة.

وقـــد تســـتخدم اســـاليب فنـــية أخرى فى مناسبات عامة كاقامة دور الندوات والاحتفالات ...الخ، وكذلك للاغنياء والموسرين من القوم اثر على الفن حيث يتنافسون فى امتلاك القصور المزخرفة والتحف النادرة .

الفـــن البدائى :

تشـــير الفـــنون البدائـــية الـــى فنون شعوب المجتمعات التى لا تعرف القراءة والكـــتابة ولقـــد سجل الرجل البدائى على جدران وأسقف الكهوف التى اتخذها مأوى له ولاسرته ،رسوما بسيطة ولكنها واضحة ومعبرة ،وتشكل فى مفرداتها الافيال والوعول والزراف وغيرها. وكانت هذه الرسوم مرسومة على هيئة حفر غائر فى الصخور ولذلك احـــتفظ الملـــون فـــيها بألوانه. وكثير ما يسجل الرجل البدائىرسوماته وانطباعاته على عظـــام الحيوانات وقرون الوعول بل تعدى ذلك الى النقش الىاجسام الادمية نفسها بما يسمى الوشم .وعلى هذا فان الفنون البدائية تغطى كثير من الانشطة مثل النحت والرسم وفـــن صنع السلال والنسيج وصنع الملابس والأقنعة وزينة الاشخاص والعمارة والغناء والـــرقص والموســـيقى والشعر. هذه الفنون البدائية تحمل على عاتقها الرسالة الدينية والروحـــية وغالبيـــتها تلـــتزم بزيادة الاتصال بين القبائل والتماثيل والانسجام والهوية القبلية والعسكرية (الحربية).

ويعـــتقد أن لهذه الفنون البدائية فى حد ذاتها قوة السحر والحماية من الأرواح الشـــريرة ، وانتاجها يكون لغرض استخدامها فى الطقوس القبلية الخاصة بهم وغالبا ما تكـــون صـــناعة الاقنعة والعرائس والرسومات وسائل تعليمية متخصصة وتستخدم فى الطقوس الدينية والاحوال المدنية لتدريب الصغار وتعريفهم بذاتهم وقيمهم القبلية .

وتكشــف الآثار البدائية عن الصفاء وصدق التعبير وربما كان قصد البدائى فى ممارسة الفن هو أتخاذه وسيلة لكسب القوت أو سبيلا الى تبادل الافكار بينه وبين أفراد جماعـــته . وكـــان هدف البدائيين من انتاج سلعهم هو خدمة الأغراض النفعية كصنع أدوات الصــيد والزراعة وانتاج أوانى الفخار ومع ذلك فان أغلب ما شكلوه لايخلو من لمحات فنية ذات طابع جمالى .

الفنون الأفريقية :

توحى لنا دراسة الفن الافريقى عن خلفية ذات الألغاز . حيث فى تناولها مفتاح للثقافة الافريقية .

والمقصــود بالفــن الأفريقى مهما تعددت صورة هو ذلك الأنتاج الفنى الصادق الــنقى الــذى لا يحتوى على المهارة التقنية بقدر ما يعبر عن التلقائية والصدق ، ذلك الانــتاج الصـــادر عن أحساس فنان ينتمى بأصله وجذوره البعيدة الى أرض هذه القارة الخضــراء .. دون مؤثــرات وافدة اليه من خارج بيئته .. ربما وسط الأكواخ البسيطة بعــيدا عــن العمــران .. بيــن الأدغال أو وسط الشجيرات .. على شواطىء الانهار أو البحيرات . فن فطرى لم تشوبه شائبة .

والفـــنان الأفــريقى ذو حساسية مرهفة وقدرة فذة على إدراك العلاقات الشكلية واللونـــية والنفعية . فهناك علاقات وثيقة بين الشكل التخيلى للكوخ وما يمكن أن يصلح لصنعه من جذوع الأشجار الجافة وأعواد الخيرزان وكذلك نوع القش الصالح له كغطاء للســقف والبيــئة الأفريقية كانت ولاتزال تزخر بالكثير من المواد التى يتناولها الرجل الأفــريقى فـــى انـــتاج ما يحتاج إليه من أدوات ولقد لعبت تلك المواد دورا هاما فى توجيه سلوك الفنان الافريقى وتفكيره .

ويلعب الحداد دورا أساسيا وعظيما فى الثقافة الأفريقية ، أنه حرفى فى المقام الأول وهــو ينــتج أدوات مثل الفأس . الجاكوش (المطرقة) وكذلك الرماح والأسهم ، وتعــتمد كل الشعائر فى المجتمع الذى يعيش فيه بشكل أساسى على نشاطه علاوة على إنـــتاج الأدوات المعدنية وهو وحده قادر على نحت تمثال ذو علاقة بالاسلاف وبالارواح والدين كعبادات محلية فهو يضيف وظائف أخرى لطبيعة المجتمع .

وهو يلعب دورا ليس فقط بين أعضاء المجتمع ولكن بين الموتى والأحياء أيضاً

لقــد نشأت عملية الأنتاج الفنى من محاولة الانسان فهم الحياة . وللبيئة أهمية خاصة فالفن يرتبط بالاحوال البيئية والثقافية السائدة فى المجتمع ، كما أن المواد الخام والأسلوب والوسط المحيط ، كل هذه العوامل تؤثر وتحدد نوعية أنماط العمل الفنى .

وممـــا لا شك فيه أن المنتجات التى أخرجها الفنان الافريقى توضح وتؤكد أن تلــك المواد التى عثر عليها فى محيط بيئتة كانت تحدد له إلى درجة كبيرة نوع الانتاج الذى تصلح له على أن يتولى هو طريقة تشكيلها وأخراجها .

ولــذا كــان لدراســة فنون المجتمعات البسيطة والتقليدية بصفة عامة والفنون الافريقية بصفة خاصة أهمية بالغة .

الفن والمجتمع :

يرتــبط الأخـــتلاف بين الفنانين بالمواقف الاجتماعية والسياسية التى يعيشونها حيث تحدد المستوى الجمالى والاساليب الفنية لهم .

وفـــى هـــذا المجال يمكن أن نحدد نوعين من الأساليب الفنية المرتبطة بأنواع محددة من المجتمع .

النوع الأول : ويشمل التماثيل والاقنعة ذات التصميم الهندسى المحدود فنيا .

النوع الثانى : ذوالخصائص الطبيعية .

وهـــذان الـــنوعان يمثلان قطبى الانتاج الفنى الأفريقى فمثلا لو لاحظنا الانتاج الفنى لدى شعوب الكنغو والنيجيريين والسودانيين كل فى محيطه نستطيع أن نميز نوعا الانتاج الفنى للأفريقيين .

فــنجد أن فــن الكنغو والنيجيريين يتمثل فى التعبير عن قيم الحياة الاجتماعية المتمثلة فى زعيم القبيلة وحارسها أيضاً .

ولكـــنه لــيس من الضرورى أو نجد نوعين متشابهين من المجتمعات من حيث النظام السياسى والادارى ينتجان أعمالا فنيه متشابهة فى الشكل حتى لو كانا ينتجان فنا رسميا .

ومـــن وجهـــة نظر أخرى نجد أن حضارة السودانيين تختلف عن الكنغو وعن نيجـــيريا حيـــث أنها تعطى أهمية كبيرة للعلاقات الأجتماعية بين الأفراد والجماعات من ناحية وبين الجماعات الوثنية وباقى أنحاء العالم من ناحية أخرى

فنجد أن الفنان لدى هذه الشعوب يحاول خلق نماذج فنية هامة . فنجد مثلا أن أغطية الرأس واللحى تعتبر من الصفات الرئيسية لرئيس القبيلة (Dogon) وكان الراقصون فى الحفلات التنكرية يرتدون أقنعة الاشخاص الذين يمثلونهم .

ونجد أنه من المؤكد أن النظام السياسى والتنظيم الداخلى يشجع على تطور الفن هذا من ناحية ولكن من وجهة نظر أخرى نجد أن متطلبات الافراد أو الشعور بالتنافس بين الفنانين يعتبر عامل أساسى فى نشاط الفنان وابداعه .

ولذلك سوف نبدأ بالاشارة الى بعض أنواع الفنون الأفريقية .

الرقص والموسيقى :

يرتبط الرقص دائما بالموسيقى ، ويمكن أعتباره صورة من صور الفن أو التسلية أو النشاط الدينى ، كل من هذه الأنشطة يمكن أن يكون له رقصاته الخاصة ويمكن أن يتحدوا فى رقصة واحدة ، وطبيعة الرقصة وتشكيلها تمليها المناسبة أو طبيعة الأحتفال .

ويختلف الرقص أيضا باختلاف استخداماته . الرمزية نوع العادات الالات المستخدمة كما يتأثر الرقص بطبيعة النشاط الاقتصادى فنجد المجتمعات التى تعيش على الصيد يغلب على رقصتها محاكاة المطاردة بين الصياد والفريسة .

وإذا نظرنا إلى تأثير الموسيقى واختلاف استخداماتها فاننا سوف نندهش لحقيقة أنها سمات شاملة للثقافة ، ومن بعض هذه الأستخدامات الاحتجاج ، الاتصالات، الرقص التعبير عن الحب ، الاهانة . العمل ، الشفاء ،الصيد ، العرافة والسحر ، رواية القصص الحزن المساندة السياسية ، التربية .

ان الرقص من أبرز الفنون عند الافريقيين فهم يرقصون ويتمايلون جماعات أو فرادى مهما تباعدت بينهم المسافات واختلفت بينهم العقائد والاديان ، والرقص عندهم ميل فطرى يكاد يكون شبه غريزى يبدو واضحا فى القبائل الى ممارسة الرقص وارتداء الملابس الخاصة بحلقات الرأس وهم يرقصون سواء توافرت لديهم المصاحبة الموسيقية أم كان الرقص عملا قائما بذاته تصاحبه أنواع معينة من الصرخات أو الغناء الجماعى .

وغالبا ما يصاحب الرقص الافريقى ايقاعا من الدق على الطبول والنفخ فى الأبواق ويتصارع الراقصون فى حركاتهم وتتميز كل رقصة عن الأخرى بنوع من الصرخات والاصوات المصاحبة ويلازم كل هذا أنواع من الزينة من قطع الفراء وجلود

الصـــيد وريش الطيور والحلقات المعدنية التى يكون لها رنين رتيب طوال مدة الرقص ، وهـــناك من الرقصات ما يشترك فيه الرجال والنساء على السواء فهناك رقصة الترحيب ورقصة الحب ورقصة التقرب للالهة ورقصة الصيد ورقصة الحرب بل ورقصة الموت

وترتـــبط الموســـيقى ارتـــباطا وثـــيقا وتعتبر الطبول الافريقية من أكثر الألات الموســـيقية انتشارا والكثير من هذه الطبول مصنوع من البوص الضخم الحجم والبعض الآخـــر مصنوع من جذوع الاشجار الجافة بعد أجراء التجويف اللازم لها وتغطى غالبية الطبول بأنواع رقيقة من جلد الحيوان وتشد شداً محكما مما يساعد على تباين الاصوات الصادرة منها .

وتظهـــر وظائف الموسيقى فى المجال السياسى فى الاغانى التى تمدح الزعماء وحـــتى الأدوات الـــتى تســـتخدم لهـــا معان ووظائف مثل الطبول حيث ترمز الى القوة السياسية عند كثير من شعوب افريقيا لدرجة أنه لا يسمح باقتناء مثل هذه الطبول لغير عائلة الزعيم أو الملك وتظهر بوضوح وظائف الموسيقى فى مجال النظم الاجتماعية فى مراسم الميلاد والزواج والموت .

ومـــن أبـــرز وظائفها فى مجال الضبط الاجتماعى نجدالأغانى وما يصاحبها من موســـيقى ورقـــص وتـــندد بأولئك الذين يهملون واجباتهم وأخرى تستنكرحوادث الظلم الاجتماعى وغيرها من عوامل الضبط الأجتماعى .

ومن هنا نجد أن للموسيقى الافريقية قيمة وظيفية من ناحيتين .

الأولى / أنها تندمج أندماجا كاملا مع ضروب النشاط الاخرى فى الحياة اليومية .

الثانـــية / أنها تمارسها أعداد كبيرة من الناس فى المجتمع ويستمتعون بها فالموسيقى نشـــاط يســـهم فـــيه الجمهـــور الى جانب الممارسين لها . ويكاد كل فرد يحسن الغناء ويمارسة فعلا .

<u>الدراما :</u>

تعـــرف الدرامـــا فـــى المجتمعات على أنها تعبير حركى عن المعتقدات . القيم، المشاعر . التسلية ، أو هى تعبير عن الجو النفسى . ويبدو أن الدراما تعبير عن رغبة الإنســـان فـــى رسم وتجسيد الاشياء التى نادراً ما يشعر بها أو التى تسيطر على حياته دون أن يلاحظها ، فهم لا يرون الأرواح والالهه ولا يسمعونها ولكنهم من خلال الأقنعة والشـــعائر يحاولون التصرف كما تتصرف الالهة . وبهذا يوفر التمثيل نوع من الأرضاء النفسى فى التعبير عن أشياء يتمنونها ولكنها لايمكن أن تحدث.

الفنون الزخرفية والتشكيلية :

يمكـــن أن يعـــبر عن الأشكال الفنية بنمط طبيعى تقليدى أو يمكن إدخال رسوم هندســية يعــبر بها عن المعانى التى تخص أو تميز الفنان أو المجتمع أو المجال الذى نـــبع مـــنه الفـــن كأن يعبر عن الشمس ومقلة العين مثلا ، وكثير من الزهور والفواكه برسم دائرة بسبب شكلها الدائرى .

ويمكن أن تستخدم الدوائر بشكل رمزى تعبيرى بفكرة الألهه أو العالم اللانهائى أو بعض الأفكار المجردة . وبنفس الطريقة فجميع الخطوط المتقاطعة أو المتداخلة ينشأ عــنها أشكال الصلبان أو النجوم التى يقصد بها رموز دينية أو سحرية ومن المحتمل أن كثـــير مـــن الفن الزخرفى نتج أو نشأ من الأستخدام المستمر للرموز وعرضها بعد أن كانت معانيها واستخداماتها مهملة ، فالدافع للزخرفة له قيمة كبرى وكثير من الدوافع لا يمثل التسمية التى أطلقت عليه ، فقد يتداخل مع رموز أخرى ، ويمكن للفنان أن يرمز لقوى الطبيعة بأشكال أنسانية أو حيوانية ويرتب بعض الرسوم الزخرفية بطريقة خاصة وربمـــا مـــن نســـيج خياله وفى أحيان كثيرة يكون هدف الفنان توضيح معان دينية أو ســـحرية أو قـــيم اجتماعـــية تمارس وتطبق على الأفراد والاشياء ويستخدم الفنان هذه الـــرموز لاغراض شتى منها حماية الانسان من الاذى والشر والقوى الخارقة للطبيعة . أو لتحقـــيق الأمـــانى والوصـــول للهـــدف والغاية. ونعنى بالفن الزخرفى كل ما يتعلق بالتصـــميم والزخـــرفة وعـــندما نتحدث عن التصميم فى نمط يرضينا بما فيه من منفعة وجمـــال فى الوقت نفسه هكذا تدخل الزخرفة ضمن التصميم ، وظهرت بوضوح زخرفة الصـــخور وجـــدران الكهوف وحوائط الاكواخ ، وكانت تدهن غالبا بالأصباغ النباتية أو الطين .

وهكـــذا كـــان اللـــون والصلصال والخشب والمعادن والالياف النباتية والبوص تستغل أحسن أستغلال فى تجميل جدران المبانى وكذلك أنواع الحصير المنسوج والمحاك والمجـــدول ، أمـــا الأقمشـــة فـــيوجد مـــنها الاقمشـــة المطرزة والمدهونة والمطبوعة والمصبوغة. وكذلك السلال فهناك السلال المنسوجة والمجدولة .

يتضـــح من كل ما تقدم أنه عند دراسة الفن فى أفريقيا لابد أن نتحدث عنه فى مـــناطق محـــددة حيث يظهر جليا الاختلاف فى شكل ونوع الفنون تبعا للاقتصاد القائم والمواد المتاحة .

شرق أفريقيا

تعـــتمد معظـــم شـــعوب شرق أفريقيا على الرعى والزراعة ، ومن هنا ظهرت الاعمـــال المنحوتة من الخشب والقوالب الطينية وكذلك أقنعة الأعشاب التى تستعمل فى حفـــلات الـــتكريس لانتقال الاطفال الى مرحلة البلوغ . وقد وجد هذا النوع من الانتاج الفنى لدى قبائل التوتسى فى رواندا ، وقد صنعت قبيلة الماكوندى أقنعة لنفس الغرض. وأشـــكال خشـــبية صـــغيرة ترمز إلى النساء الى جانب أوانى خزفية مزخرفة وأخرى خشبية ذات أغطية عليها نماذج ترمز إلى الأفيال والكركدن وغيرها من الحيوانات وقد خـــبر الفـــنان الأفريقى أنواع الأشجار التى تصلح لانتاجه الفنى أن بعض أنواع الأشجار غـــير ملائمـــة للنحـــت لانها تكون صلبة أو كثيرة العقد وبعضها يفسد بسرعة نتيجة للجو أو هجوم النمل الأبيض. وقبل أن يبدأ فى أستخدام النوع المناسب يقوم بممارسات وطقـــوس معيـــنة يشعر الفنان بعدها بأن الشجرة التى أختارها تبدو ملائمة للنحت ويتم النحـــت بصورة مباشرة على الخشب . ويستخدم فى ذلك الأزميل والقدوم وسكين حادة ورمح سميك .

ويـــبدو أن النحات يحمل فى عقله الشكل الكامل وأنه يبدأ برأس التمثال وينتهى منها قبل التعامل مع الأعضاء الأخرى .

ويصنع الفنان فى هذه المناطق من الخشب ومن جلد البقر ومن الخيوط النباتية جدرانـــا للأقـــنعة ويرمـــز للأسلاف بأشكال من الخشب وفى جنوب شرق منطقة البانتو صـــنعت أوعية اللبن الجميلة من الخشب وكذلك كراسى خشبية منخفضة بدون مساند ، ومساند للرقبة وطبول وأكواب خشبية وأوعية بأغطية وعصى للمشى وملاعق وصحون وغيرها .

ولكـــن كـــل هذا لا يبرز الجانب الفنى الجمالى فى هذه المنطقة . وأنما يظهر ذلك فى صنع الخرز . والضفائر وخواتم النحاس الاصفر وتسريحات الشعر المختلفة . والملابـــس الجنديـــة والـــدروع المزينة بزخارف بسيطة وكذلك الرماح المصنوعة من الحديـــد والخشب والتى تكتسب جمالا خاصا بسبب ما تمتاز به من تناسق وأنسجام بين أجزائها .

ونجـد أن الأزياء التى تصمم للمناسبات الخاصة والاحتفالات الرسمية تنم عن وسائلهم فى التعبير الجمالى ولذلك يمكن أن تعتبر شكلا متميزا من أشكال الفن كل هذا يثبت أن وسائل التعبير عن النفس بالنسبة لسكان أفريقيا الشرقية لا تقتصر على النحت والصب ولا تدخل ضمن إطار الفن التشكيلى أو التصويرى ولكنها تجد دائما مجالا للنشاط الخلاق ومصدرا للاستمتاع الجمالى حتى فى تزيين بيوتهم بالودع والخرز والجلود والحصر والاوانى الخزفية وفى الطريقة التى يتبعونها فى ترتيب هذه الأشياء

وسط أفريقيا

ولقد أستطاعت شعوب زائير والمناطق المجاورة أن تنتج كثير من الأعمال النحتية والتماثيل وعمل الوسائد والكراسى والزجاجيات والصناديق والطبول والاقنعة وتماثيل صغيرة للحيوانات والانسان وكذلك الفؤوس ومقابض السكاكين وخلافه ، ومعظم هذه المنتجات كان للاخشاب النصيب الاكبر فيها واستخدم أيضا العاج والعظام والحديد والنحاس والحجارة والطمى وبعض هذه المنتجات غنى جدا بالزخارف وكانت الألوان غالبا الاحمر والابيض والأسود وأحيانا كانوا يلجأون إلى طرق أخرى لجعل المنتج يأخذ اللون الأسود مثل الحرق بالدخان والحديد الساخن أو بمعالجتها بواسطة الوحل أو مستخلصات النبات أو بأستخدام الزيوت .

وتصنع فى أماكن عديدة من هذه المناطق أعمال الحدادة بدلا من النحت وتتمثل هذه الاعمال فى أشكال متنوعة من السكاكين - والأسلحة وقطع الغيار ورؤوس السهام والخلاخيل وزينة العنق وقد حاول كل من أولبرشتس Olbrechts وماسنMaesen ، تصنيف أنواع وأشكال الفنون المختلفة فى وسط أفريقيا ، وأضاف آخرون بعد ذلك الكثير من هذه التصنيفات ، ولكن لا يوجد توضيح لاستخدامات ووظائف ودلالات هذه الأعمال النحتية ، ويرتبط كثير منها مباشرة بالاشكال المختلفة لعبادات الاسلاف بمعنى الاعجاب بالاسلاف ويرتبط البعض الآخر مع المعتقدات عن الوجود والروح والحياة وقوة الحياة وتستخدم فى الربط بين احتفالات دفن الموتى ومواقع القبور ، وقليل من الأعمال يمثل جزء جوهرى من أساليب العلاج والقنص والسحر والتنبؤات ، كما ترتبط أيضا بالاحتفالات القبلية والمناسبات . بالاضافة الى وظائف هذه الأعمال فى الطقوس الدينية والاجتماعية .

كما تعتبر هذه الأعمال الفنية المنحوتة ممتلكات وشارات للسلطة ، فانها تدل على الرتبة والوضع الاجتماعى لاصحابها ومصدر قوة ودليل على سمو منزلة الشخص

ويوجد الكثير من الاعمال الفنية بوظائفها وأشكالها المختلفة في العديد من القبائل وربما يحمل العمل الفنى الواحد أكثر من وظيفة . ويعتمد هذا على مضمون استخدامه وبصفة عامـة نجد أن عددا قليلا من الافراد ، هو الذى يعرف شيئا عن الفنانين جيدا وأسلوبهم فـى العمل وتدريبهم وحريتهم الابداعية . ويرجع عدم المعرفة بالفنانين وأعمالهم الى التفتت السريعللتراث الفنى العظيم فى وسط أفريقيا بسبب قوى الأستعمار والمستعمرين

لا يعمل الفنانون كفريق عمل شامل ولكنهم يؤدون أعمالهم بمساعدة عائلاتهم وأقاربهم ، وغالبا ما يكون مستخدمى الأعمال الفنية وأصحابها من الرجال ، ولكن هذا لا يمنع أن المرأة فى بعض المناطق تكون لها علاقة خاصة بالفن .

وكثـير من الأعمال الفنية تكون مملوكة لرئيس القبيلة ، والقواد والشخصيات العامة بها . وبعض الأعمال توجد فى أماكن عامة وليست لشخصيات بعينها .

غرب أفريقيا

لقـد شـهدت افريقـيا الغربية قيام عدد من الممالك الكبيرة مثل ممالك ، مالى وغانـا وايفـى وبنين وغيرها ثم سقطت بعض هذه الممالك . ولا تزال بعض هذه الدول قائمة ومنها ايفى التى توجد داخل أقليم يوروبا ، وبنين التى لاتضم الان الا مدينة بنين والمـناطق المحـيطة بها مباشرة ، وداهومى وأشانتى التى تشكل جزءا من دولة غانا الحديثة .

ونشـأت فى هذه المنطقة مجتمعات زراعية بسيطة أنحصر نشاطها الاقتصادى فـى تأمين الحاجات الاساسية واقتصرت منتجاتها الفنية على عدد قليل من الاقنعة التى كانـت تسـتعمل فـى الطقوس الاجتماعية الخفيفة وعلى بعض الاشكال التى ترمز الى الارواح والالهة .

ويمكن القول بأن البورة التى تمركزت فيها ثقافات أفريقيا الغربية هى الدين مـع أن أشـكال الدين تختلف من جماعة لأخرى ، فبعض الجماعات تعتقد فى قوة . الالهة الطبيعية ، وبعضها يمارس عبادة الاسلاف عموما ، وأخرى تؤكد عبادة الاسلاف مـن السـلالات الملكية ، وأما الهة الطبيعة فيكون لها أهمية ثانوية ، البعض يرفع من شـأن الأرواح المحلية الفرعية وتمنحها منزلة أعلى من الهةالطبيعة . ومن هذه الناحية نجـد جماعـة تركـز على الاقنعة التى تعتبر مقر قوة الهة الطبيعة والأرواح المحلية والأمـوات ، وبعضها تصور الأعضاء البارزين فى العائلة الملكية مع حاشيتهم أو تركز على إنتاج أشكال كامنة من البرونز او الطين ترمز الى عائلتها ورسلها .

يعتبر غرب أفريقيا واحد من أهم وابرز وأعظم مناطق تصنيع الفنون في العالم. وتبدأ مساحة المنطقة من الساحل الأطلنطي في السنغال متجهة شرقا الى الكاميرون يحدها جنوبا ساحل غينيا متجهة شمالا يتخللها غابات استوائية وسافانا وتصل إلى حافة الصحراء الأفريقية .

وللفن في غرب أفريقيا تاريخ طويل ، ولكنه اضمحل ، فلم تعد تصنع بعض الاقنعة والاشكال وكذلك أعمال النحاس لم تعد تجهز لفرش الأضرحة المقدسة ، وتغيرت ايضا وتطورت الاحتفالية القبلية والطقوس الدينية والحفلات التنكرية وبالرغم من ذلك فان شهرة فن غرب أفريقيا مازالت معروفة ، وينظر إليه كشكل ديناميكي له دور محرك في المجتمع . وتوظف هذه الأعمال المنحوتة لعنصر حيوي في حياة الأحياء . ولكن الأقنعة المنحوتة كانت تعبر دوما عن الأرواح والمنافع التي تحضرهاللناس ، وتعتبر فقط أعمالا فنية عند ما تستخدم في الحفلات التنكرية ، وكذلك لأبعاد الامال المحبطة لحياة الناس ولاضافة الاثارة والترفيه .

أن فن غرب أفريقيا يدوم ويستمر حتى ولو كانت أشكاله التعبيرية معدلة وموظفة بطرق جديدة لان الفنون التشكيلية العظيمة تصنع وتنتج بواسطة العديد من الأفراد في غرب أفريقيا .

ولابد أن نذكر هنا أعمال النسيج والغزل الدقيقة واستخدام العديد من الخامات في الملبس وتستخدم النساء في عملية الغزل والنسيج أنوال عمودية بينما يستخدم الرجال أنوال عرضية . كذلك صناعة الفخار من أجل الطقوس الدينية والاستخدامات المنزلية ويقوم بتصنيع الفخار غالبا النساء وأحيانا الرجال. ولديهم أيضا فنون العمارة والتشييد وأعمال أخرى من الطمي في المناطق الجافة متقنة الصنع .

وتعد منطقة غرب أفريقيا من أخصب المناطق بالتراث الفني وخاصة أقنعة شعوب غرب أفريقيا ، والرسوم المتناقضة الالوان والدروع المزينة والنحت على الخشب وابراز التقاطيع الدقيقة الرؤوس البرونزية وغيرها كثير من الأعمال الفنية الافريقية .

فللأقنعة في غرب أفريقيا وظيفة دينية وجمالية منذ أقدم العصور وإلى جانب الاقنعة فهناك أزياء من القماش تغطي الجسم كله ، كما أن هناك أيضا اشياء أخرى توضع على الرأس غير الأقنعة مثل أنواع معينة من الصحون تغطى أيضاً بالقماش

لتهبط عليها الروح إذا ما حضرت خلال إقامة احدى الشعائر الدينية . وكذلك أيضاً أغطية للرأس من الريش المزخرف ترمز إلى قوة خفية .

وهناك إلى جانب الطقوس الدينية طقوس أخرى تقام للاحتفال بانتقال الاطفال الى مرحلة البلوغ ولها أقنعتها الخاصة .

من النقوش التى وجدت على الصخور يتضح أن الاقنعة قد أستخدمت لفترة غير محدودة ، وهى تستخدم حاليا مصاحبة لزراعة الأرض والجنائز أو لبدء الاحتفالات الدينية . ولقد أتضح أن الأقنعة غير معروفة عند المجتمعات الرعوية وبهذا يمكن القول بأن الأقنعة ظهرت مرتبطة بالزراعة .

الأقنعة والشعائر الدينية

الشعائر التى تستخدم فيها الأقنعة هى عادة زراعية أو جنائزية وتصاحب هذه الشعائر غالبا الأناشيد والموسيقى ورواية الاساطير لتكون فى النهاية عناصر متناسقة من الألوان والحركة والرقص والغناء . وغالبا ما يكون أرتداء القناع خاص بالرجال فقط حيث لا يسمح للنساء بأن تراهم . ولكن فى بعض المجتمعات مثل الهند وفى سيراليون توجد شعائر خاصة بالنساء وفى الجنائز أو فى بداية مواسم الزراعة أو الحصاد يكون أرتداء الاقنعة بمثابة أستدعاء للقوى المهمة التى صنعت العالم والمجتمعات ووظيفة القناع هى التأكيد على حقيقة الوجود المباشر للاساطير فى الحياة اليومية .

وتستخدم بشكل مختلف فى بداية الشعائر . حيث يجمع الشباب خارج القرية ويخضعون لسلسلة من التجارب لقياس درجة نضجهم الفزيائية والمعنوية ، ويخضعون لمراحل تعليمية تكشف لهم بعض التفاصيل الدينية السرية بالاضافة إلى غرس أحترام قوانين المجتمع داخل أذهانهم ويظهر القناع من حين لآخر كتجسيد للروح التى أنشأت الجنس البشرى ويستخدم القناع أيضا للحماية من الغزاة ومن السحرة . كما تستخدم كأداة ضغط سياسية فى أيدى الرهبان ويستخدم كذلك فى الرقصات التى تسبق المعارك الحربية

ويصنع القناع لحماية حامله وهو مصمم لكى يمتص قوة الحياة التى تخرج من الانسان أو من الحيوان لحظة موته . فالقوة الحية المنطلقة لحظة الموت تكون هائمة وتشكل ارهاقا للاحياء يظهر فى أضطراب وجوههم ويمكن للأقنعة اصطياد وأستغلال هذه القوى وعندئذ يمكن توزيعها لاجل الصالح العام . وتحمى الاقنعة أيضا الراقص

خلال أداء الشعائر من الالات التى يتعامل معها . ويختلف القناع عن التمثال حيث أن القناع يشمل الصفات الحيوانية والادمية .

كما يعتبر تلوين الوجه أيضا نوعا من الأقنعة ويتم أزالتة بعد أداء الشعائر . وبما أن تلوين الوجه يكون مؤقتا ويظل طوال فترة الرقص فقط . لذا يجب تمييزه عن الوشم أو خدوش الجلد أو حشو الاسنان والتى تترك أثرا دائما وتكون فى ذات الوقت منشقة عن العادات الاجتماعية وليست متعلقة بشعائر الاقنعة . ويمكن أن يصنع القناع على هيئة قبعة من الالياف تغطى الرأس أو يكون على شكل خوذة تثبت على الأكتاف بواسطة الحوامل. وإذاكان من المفروض تغطية وجه الراقص تماما أثناء الرقصة وحدث أن كشف ولو لحظة واحدة يعتبر ذلك نذير شؤم فيجب أن تعمل الاحتياطات الكافية لتغطية جسد الراقص بالكامل حتى لايتعرى جزء يمكن أن يدخل منه أشياء شريرة . وكذلك لايترك راقصى الاقنعة فى المجتمعات النسانية ببوندا فى ميند بسيراليون لا يتركون الا فتحات صغيرة للعينين أثناء الرقص وهذا شائع فى المناطق الأخرى .

ومع أن الأقنعة مصممة لكى تحمى حاملها من أن تحل بداخله الروح التى يتقمصها ،لكنها فى نفس الوقت يمكنها الأمساك بقوة هذه الروح . ولذلك فأى اخلال بقواعد أرتداء القناع يعرض الراقص لاحلال هذه القوى بداخله ، ومن جهة أخرى فإن القناع نفسة يكون مكان لأستقرار تلك القوى الحيوية . والراقص الذى لايستطيع تحمل هذه القوى يكون عرضة لهجومها عليه والذين يرتدون الاقنعة يعرفون ما الذى يجب عليهم عملة أثناء نحت الاقنعة وكذلك المحاذير التى تسبق ارتدائها وهى محاذير ذات طبيعة جنسية وهم يطهرون أنفسهم ويقدمون القرابين، وعندما يمتلك شخص رجلا كان أو أمرأة بواسطة تلك القوى الروحية فانه لا يمكن التمييز بينه وبين تلك القوى .

والحقيقة وراء أرتداء القناع هو محاولة تجسيد فكرة أستمرار الحياة من خلال الموت ثم إعادة الروح للظهور من جديد ،ولا يصبح الراقص متحدا مع تلك القوى الروحية ولكنه يشعر بارتباطه معها وأن قواه قد غذيت بوجود يسمح له بالتخلى عن جسده الفانى ودخول الحياة الأبدية .

وقد أقترض العالم الألمانى ليوفر وبنيوس نوعين من المجتمعات التى فيها شعائر الاحلال تذهب بعيدا عن التصرف . والأخرى المجتمعات التى تستخدم القناع والتمثال على أسس سحرية . وهناك مجموعات أخرى تجمع بين المفهومين .

أنواع الأقنعة :

أن القناع من وجهة النظر الأفريقية يعتبر الجزء الأهم فى تقاليدهم ويضاف الى الرأس أو الوجه المصمم فى القناع عناصر أخرى مثل الشعر أو اللحى وتكون مصنوعة من الياف النبات أو من القماش .

أقنعة القماش والأوراق :

تعتبر هذه الأقنعة نمطا بسيطا من الاقنعة وعادة لايحتفظ به بعد مراسم الرقص وتقوم جماعة الميندو فى أقصى الجنوب الشرقى للكاميرون بأداء رقصة تمثل الصراع بين قوة الساحر ومحاربيه مع روح الغابة التى ترتدى قناع مصنوع من الالياف والأوراق والأعشاب وهناك اقنعة أخرى تصنع من القماش . وهناك مرحلة انتقالية ما بين الأقنعة المرنة وتلك المصنوعة من الخشب ، وهذه مصنوعة من القصب ويتم صنعها عن طريق نسج هذه الالياف وليس عن طريق الحفر ، وهذا النوع من الأقنعة موجود فى الكونغو وزامبيا وأنجولا وعلى الرغم من كبر هذه الأقنعة الا أنها خفيفة الوزن وهى تغطى الراقص تماما . وهناك فى بعض المناطق فىالكنغو تجمع فى بعض الأحيان بين الأقنعة الخشبية المنحوتة وتلك المصنوعة من الخوص أو القصب حيث يضاف الى القناع الخشبى ملحقات من الخوص الملون ، عالم الاقنعة هو عالم التخيلات حيث يندمج الراقصون و المشاهدون فى الأحداث لدرجة أنهم يعتبرون ما يقومون به هو الحقيقة .

أقنعة الوجة :

أن ملامح الوجه أخذت الكثير من أهتمام النحاتين الأفارقة الذين أنتجوا العديد من الاشكال فى بعض الأعمال الخشبية الملونة يكون الأهتمام موجه الى تجريد العناصر ثم يظهرملامح الوجه بعد ذلك عن طريق الخطوط والألوان ، ويحتوى هذا النوع على أشكال منحوتة على نحو خفيف ، وهناك بعض أعمال النحت تكون فيها منطقة الوسط منخفضة حتى أن الوجه يبرزا للخارج . وفىبعض الأحيان تكون هذه الأقنعة على شكل قلب ومحاطة بقرنين محيطين بمستوى الوجة . وتشكل الشفاه اهتماما كبيرا عند الفنانين حيث يعتقد ان أطرافها هى المكان الذى تخرج منه الروح عند الموت . وهناك أقنعة صنعت من الذهب وجدت عند الأشانتى وهى عملت غالبا لملوكهم ، فالملوك فى معتقداتهم يحيون فى السماء بعد موتهم ولكنهم يراقبون شعوبهم من هذا المكان

المميز الذى توضع فيه الاقنعة الذهبية عند أضرحتهم . كما توجد أقنعة مصنوعة من النحاس والقصدير فى الايف ، وأخرى من البرونز والعاج من بنين ، وتتميز الأقنعة الذهبية والبرونزية بغناها التشكيلى الذى يجعلها مشابهة أكثر للوجه الأنسانى .

أقنعة الخوذة :

قناع الخوذة ينحت من قطعة واحدة من الخشب على شكل انسان أو حيوان أو رأس أسطورية تغطى رأس مرتديها بالكامل ، وقناع الخوذة يمكن رؤيته من كافة الزوايا بخلاف قناع الوجة ، وهناك بعض الأقنعة تغطى بطبقة من جلدالبقر المدبوغ ، وفى بعض الأحيان تكون الأقنعة من وجهين أمرأة ورجل ملتحى ، الرأسان يكونان مرتبطين ببعضهما ولكنهما لا يكونان وحدة متجانسة . وهناك أقنعة لاتصنع من قطعة واحدة ولكن من أجزاء متكاملة تكون نصف تمثال، والاجزاء المنحوته تمتد لتشمل الرأس وأجزاء من العنق والصدر .

وبعض الأقنعة ليست بأوجه منحوته ولا نصف تمثال ولا أقنعة على شكل خوذة وأنما هى غطاء دائرى يغطى رأس الراقص .

الأقنعة الخوذية :

تمثل هذه الأعمال بعض الأشكال التى لا تخفى وجه أو رأس الراقص وانما ترتدى فوق غطاء منسوج .

الاقنعة سيفية الشكل :

بعض الأقنعة تتوج بسيف خشبى يصل طولة الى ١٥ قدم لقد أقتصر استخدام القناع السيفى على ثلاث ثقافات متشابهه وهى الدوجون والموسى والبوبوكيلى .

الربط بين الأقنعة والتماثيل يمكن اجراءه بطريقتين . وفى الوقت الذى كان فيه القناع السيفى يعتمد على خلفية خشبية مزينة نجد أن التماثيل الصغيرة بها خلفية هى أمتداد للاذرع المرفوعة ونلاحظ أن هذه الخلفية تتلاشى تدريجيا حتى تختفى تماما من ظهر التمثال .

الاقنعة والقدرة التعبيرية :

أن بعض أقنعة اليوروبا تظهر تعبيرات لاشخاص تبدو عليهم ملامح البهجة ، كما تظهر بعض السمات الوجهية وخاصة العينين اللذين يكونان ظاهرين وبارزين . والبعض يتساءل هل يمكن البحث عن مشاعر مثل الالم والفزع أو الكرب فى ملامح

القناع . هنا يجب التمييز بين السمات التى يمكن الأحساس بها ويمكن أنتقالها بواسطة القناع وبين الشعور المستحث عند المشاهد . بخلاف هذا فان شفرة التعبيرات المؤثرة يختلف معناها من ثقافة لأخرى وإذا كان هناك وجود للغة القناع فانها لايمكن أن تكون لغة عالمية حتى فى المجتمع أو المجموعة الواحدة لايمكن تعريف أى لغة تخاطب كل فرد بشكل مختلف عن الأخر

فى النهاية فأن تأثير القناع ليس بالضرورة موضحا بواسطة النحت الخشبى . ولكن تفسيره يأتى من فهم العادات ودلالات الاشياء . وكذلك المغزى الدينى للقصة التى يستخدم فيها القناع .

هذا ويؤكد كثير من العلماء على أن معظم الأقنعة توصف وتتسم بالرعب واشاعة الخوف فى القلوب .

وتفسيرنا للفن يفرض علينا طرح كافة الاحتمالات . بعض الأقنعة يظهر مغزاها من الجو المحيط داخل البيئة التى تستخدمها .

يجب أن نعلم أن القناع ليس صورة رجل ولكنه تجسيد للروح لا يمكن تغييره وشكل لايمكن للزمن أن يبدله .

فالقناع الأفريقى ليس تسجيلا لتعبيرات الأنسان ولكنه تجسيد لتلك الأرواح التى تسكنه ولهذا فإن النحات لا يمكن أن يجسد شبح لايعرفه ولكنه يستدعى قوة هذه الروح لكى يعبر عنها بتلك التركيبات وتأخذ معظم الاقنعة شكل رجل . والاقنعة التى توجد على هيئة حيوانات ليست الا تجسيد لارواح هذه المخلوقات .

تظهر كثير من الاقنعة بجفون منتفخة ومظهر أنثوى ، وغالبا لا يوجد تحديد لجنس التمثال . ويرجع هذا الى أن الروح تعمل بشكل خفى . والقضية ليست قضية جنس، وربما يظهر المظهر الأنثوى فى بعض الأحيان إلى خصوبة الارض ، وعلى أيه حال فإن الجنس ليس مقصودا ولكن الحياة هى المطلوبة .

ويبدو أن القناع الأفريقى أو التمثال اتحادمن الاشارات التى تعيد خلق الواقع (Reality)بمساعدة معانى ثابتة عناصرها ليس وحيا من الطبيعة ولكنها تحمل قالب وفلسفة خاصة .

فن جنوب أفريقيا

عندما نتحدث عن فن جنوب أفريقيا فيكون المقصود به فن البشمن وهى منطقة فــن هائلة ، وربما يكون للبشمن الحاليين نصيب فى هذا الفن حتى ولو كان بسيطا . ولقد قدم هذا الفن فى ذروة تطورة فى المقام الاول أشكالا وحيوانات وفى المرتبة الثانية أشخاصــا ونــباتات واشــكالا هندســية وتتميز أحسن النماذج الفنية بأنها تمثل حقائق الطبــيعة العظــيمة . كما هو الحال فى أعمال فن الصحراء وتتوافر مثل هذه الرسوم الصــخرية فــى المــنطقة من مدينة الكاب شمالا الى زمبيزى ومن الجبال المحيطة فى جنوب غرب أفريقيا الى الحدود الشرقية لروديسيا .

ولقد أشتهر البشمن الذين يمارسون الصيد بفن الرسم والنحت والتصوير ولكن يــبدو أنه منذ بداية القرن العشرين . قد توقف هذا النوع من الفن . فقد ظهرت أشكال هندسية متكررة فى المنطقة الشمالية الغربية لجماعات البشمن على الحجارة والمزامير المصــنوعة مــن العظام ، وكذلك على الغلاف الخارجى لبيض النعام الذى كان يستعمل لحفــظ الماء . وكانت أكياس الجلد تزين أيضا بأنماط مماثلة . وفى بعض الأحيان كانت الأدوات الخشبية والعصى تزخرف بتشكيلات من الخطوط تثبت عليها بطريقة الكى .

يضاف إلى كل ما تقدم المواد التى أشتهرت فى أفريقيا بالانتاج الفنى .

الخشب :

يعتــبر الخشــب هو المادة الصناعية الطبيعية المتاحة . ويصنع الأفريقى منه ومــن جلــد الــبقر ومن الخيوط النباتية جدرانا للأقنعة . ويرمز للأسلاف بأشكال من الخشب .

أمــا الأدوات التى تستخدم فى التصنيع فهى الفأس والسكين والمنقش ، (ألة الــنقش) والأزميل ، (أله النحت) ، والمسحل ، فارة النجار . والمبرد . ومن الأشياء الــتى يســتخدمها الانســان أيضــا لزخرفة الخشب والتى أحضرها البيض، هى الصقل بشظايا الحجر ورقائق من الزلط بالاضافة إلى التلميع والتطعيم بالخشب الأحمر المعالج بالدخــان وعصــير الأوراق للدهــان ، ومن تلك الوسائل أيضا التغطية بالجلدأو الشغل بالخــرز واســتخدام رقائق الذهب أو الواح الفضة ورقائق الصفيح أو القصدير ، وهكذا حافظ الانسان على أعمال الخشب . وفى جنوب شرق منطقة البانتو صنعت أوعية اللبن الجمــيلة مــن الخشب ، وكذلك كراسى خشبية منخفضة بدون مساند ، ومساند للرقبة ،

وطـبول وأكـواب خشبية وأوعية بأغطية وعصى للمشى وملاعق وصحون وغير ذلك كثـير . ويمكـن للمـرء أن يجد من الاوعية المزينة ذات اللمحات الفنية الخالصة التى تشـير إلى مغزى دينى الى جانب اوعية أخرى من مثل تلك اللمحات وتتمثل الاولى فى أعمـال الفخار والثانية فى أوعية القرع العسلى وأوعية اللبن التى تولع بها شعوب مثل الماساى والفلبا وشعوب رعوية أخرى .

ومـن المـواد المفضلة والتى توجد فقط فى الساحات الملكية وترمز الى القوة سن الفيل . ففى بنين القديمة واليوروبا انتاج فنى رفيع فى مجال نحت سن الفيل منها الملاعق المصنوعة من سن الفيل وحلقات الأذرع المزدوجة المفتوحة والنمور العظيمة ذات القواعد النحاسية والاقنعة المعلقة وأسنان الفيل والاجراس والأبواق التى تستعمل للنداء .

يضـاف إلـى العـاج أعمال العظام والاسنان والقواقع وقشر البيض ويستخدم الصـيادون الكبار والملوك والامراء للزينة أسنان القطط البرية والاسود والنمور ولكنها تسـتخدم أيضـا كرمـز للقوة والسلطة . كما تستخدم عظام وفقرات الثعابين والاسماك والافيال . ونفس الشيء بالنسبة لشعر الفيل والزرافة فى الزينة . ويستخرج من جسم بعـض القواقـع شرائح بيضاء مصقولة . وتعتبر فى روديسيا والكنغو وأنجولا وشرق أفريقيا رمزا للزعامة .

ويعد الصدف عنصرا هاما كأداة للزينة وكوسيلة نقدية فى أفريقيا السوداء .

ومـن الأشـياء التى كانت تستعمل ايضا فى التبادل سلاسل مصنوعة من بيض الـنعام المصقول والمشغول من الخرز وكذلك سلاسل من قطع القواقع ولقد ظن الرحالة الأوائل أنها سمة مميزة مقصورة على البشمن والهوتنتوت .

أمـا تصـنيع الحجـر فكان نادراً لدى الزنوج . ومع ذلك فقد وجدت مكتشفات حجـرية تسـتحق الذكر فى أيفى Ife والاشكال الحجرية فى سيراليون والكنغو السفلى وشـرائح الأحجـار الكـريمة والاحجار العادية فى زيمبابوى وحلقات اليد الحجرية عند الطوارق والأوانى الحجرية لدى البشاريين والعبابدة فى شمال شرق أفريقيا .

أمـا صـناعة نحت التماثيل الطينية فهى عكس ذلك . تنتشر بكثرة فى القارة ومـنها مكتشـفات نوك Nok فى نيجيريا . فقد وجد هناك – ضمن ما وجد – رؤوس وتماثـيل نصفية عديدة من الفخار . ومكتشفات الساو Saw . فى منطقة بحيرة تشاد (رؤوس كـباش فخـار كثـيرة) . ومنها أيضا أشكال فخارية فى القصور الملكية (فى

داهومـــى) . وأشـــكال حيوانـــية مختلفة واقنعة فخارية بالكاميرون . أما فى الأشانتى واليوروبا وماتاكام فى جبال المندارا وغيرها فإنهم يصنعون اوعية لحفظ أدوات السلف وتقـــوم النســـاء بصناعة نحت التماثيل والادوات الفخارية – وبصفة خاصة الأخيرة – وغالباًما تكون زوجةالحداد " قابلة " وصانعة للأوانى الفخارية فى نفس الوقت ، وتخرج مـــن تحـــت أصابعها الماهرة – كما هو الحال مثلا عند المتاكام Matakam فى جبال مـــندارا – جرارالأرواح المشكلة فى شكل بشر (فراىVray) وكذلك الأوانى الفخارية من قطع الفخار الصغيرة البسيطة ونشارة الخشب . أما فى شمال أفريقيا ومصروالهوسا والبا كونجو فتوجد قطع الأوانى الفخارية الحقيقية . وتصنع الصحون والأوانى الفخارية عـــندهم بطريقتيـــن : فأمـــا أن يصنع الإناء من قطعة واحدة من كومة الفخار المكدسة ويدهـــن الجـــدار من الداخل والخارج بنعومة وأما أن يصنع جدار الوعاء من حلقات فى شكل حلزونى .

ثـــم يـــنعم بعد ذلك ويتم حرق الفخار فى حقل مفتوح أو مع حرق الحشائش ، ويمكـــن أن تســـتعمل صـــانعة الفخار للحرق قطع الغاب وقوالح الذرة والزلط المسطح وبعض قطع القرع العسلى الجافة .

ولقـــد كـــان للمعـــدن معـــنى عظيم بالنسبة للأفريقيين ، وخاصة الحديد . وقد اســـتخرج الحديـــد من نباتا Nabata ومروى Meroe (منطقة أعالى النيل) وأنتقل إلىالغـــرب (حوالـــى أربعمائـــة ســـنة قـــبل الميلاد) وكذلك أيضاً جاء إلى نوك Nok (نيجـــيريا) ، وربما يكون الحديد قد وصل فى هذا الوقت من شمال أفريقيا (ليبيا) إلى الســـودان الغـــربى وبمعرفة الحديد دخل الزنوج التاريخ . وربما كانت معرفة تصنيع الحديد وقفا على الملوك والقساوسة وسرا يحتفظون به وما زال يعتبر الحداد إلى اليوم شخصـــية مرموقة بين الزنوج . ومن هنا يلعب الحديد فى طقوس الزنوج دورا كبيرا ، ومـــع ذلك فإن الحداد محتقر عند الحاميين كما هو الحال مثلا عند الماساى ، ولذلك فإن طـــبقة الحداديـــن تتزاوج داخليا ولا يسمح لهم بالزواج من خارج تلك الطبقة وقد ظهر الاهـــتمام بـــالحديد ايضـــا باستخدامة فى أدوات الزينة المتعددة كالسلاسل وفى المأزر المصـــنوعة مـــن الشـــرائط وفى تصنيعه فى شكل حبات كما هو عند الماساى ، جنوب شرق السودان وعند التوجو وانهررو.

أن أطـراف الرماح والسهام . الفئوس والسكاكين والمشكلة بطريقة فنية رائعة والسـيوف والمطـارق وغير ذلك من الأدوات الحديدية والتماثيل التى تحمل معنى معينا والمصـنوعة مـن الحديـد فى داهومى مثلا والتماثيل الحديدية التى تشتهر بها شعوب أفريقـية كثيرة . يشير كل ذلك إلى المعنى العظيم الذى اكتسبه الحديد فى مجالات فنية واستعمـال يدوية مختلفة فى فريقيا. ويعد نحت اشكال كبيرة من الخشب على هيئة طيور وحـيوانات مخـتلفة، وتغطيـتها بألواح حديدية. احدها الاساليب الفنية التى ترمز الى العـائلات الملكية وهناك حالات كان الطائر الخشبى يغطى فيها بألواح رقيقة من النحاس الاصفر وترفق به اجنحة من الحديد المطاوع.

ويبدو ان معادن النحاس والفضة والذهب قد بدئ باستعمالها فى أفريقيا مبكرا. ومما ذكـر فى هذا المجال ان العامة فى بنين استعملواأدوات الزينة النحاسية فى شكل أساور وخلاخيل فى أواخر القرن الرابع عشر.

وكانـت بدأ Bida تعد مركزا لصناعة متقدمة فى صب القصدير والبرونز وفى الـنقش وانـتاج اسـلاك الفضـة وتصـنيع الخرز ويذكر لويزنجر – Leuzinger ان زمبابوى واثيوبيا والقرن الشرقى وبلاد الهوسا كانت مراكز لإنتاج القصدير.

ونسـتخدم الفضة أساسا فى الزينة. وبصفة خاصة لدى الدول الاسلامية وكذلك الـبلاد الـتى تقـع تحـت التأثير العربى. وخاصة على الساحل الشرقى لأفريقيا. حيث اشتهرت بإضافة بعض المواد الى الفضة .منها شرائح ذهبية وورود صغيرة ونقط على شـكل خطـوط وعناقـيد كذلك أدوات الزينة الفضية المخرمة، والحلقات التى تلبس فى الأذرع وحلقات الأرجل الفضية على النمط العربى. ولكن نمط تزين الأنف والأذن فيرجع الـى تأثـيرات هـندية ،وكانت المادة الخام للأعمال الفضية تأتى غالبا من وديان ماريا تريـزا حيث تصهر ثم تدق وتسحب الى ان تصبح اسلاكا . ونجد سحب الاسلاك الفضية منتشـرا فى شرق ليبيريا الى شمال أداوما Adauma ،وكانت تعد من بضائع التصدير المـرغوبة مـع الذهـب والعبيد والعاج وفلفل الملاجيتا Malagetta حيث تصل هذه البضـائع مـن جـنوب القارة الى السودان ومن هناك الى الشمال وهكذا اتخذت بعض مناطق التصدير أسمائها تبعا للسلع التى اشتهرت بها مثل "ساحل العاج "وساحل الذهب" والملـح محور التعامل القوى لقوافل التجارة المارة بالصحراء وتتحدث روايات الرحالة والمؤرخيـن عن قبيلة الأشانتى والواح الذهب الرقيقة التى استعملت لتصفيح الكرسى

الملكـــي وكذلك عن حلى ذهبية يتزين بها اعضاء العائلة الملكية حتى ان الثروة الذهبية لملــك الاشــانتى فاقت كل تصور وكذلك المونوموتابا Monomotaba فقد لقب بملك مــناجم زمـــبابوى وكـــان الملـــك منساموسى احد ملوك دولة مالى الكبيرة فى السودان الغربى ويعتبر شخصية مرموقة نظرا لما حمله معه فى رحلته الى مكة للحج من كميات هائلـــة مـــن الذهب التى وزعها بسخاء كصدقات خلال مروره عن طريق اولاتا وواحة تـــوات والقاهرة. وكذلك اشتهرت الأشانتى بأعمالها الذهبية . فهناك "اقنعة" صغيرة من الذهـــب ربمـــا اســـتعملت كحلى متدلية ووصلت بأسلاك ذهبية .وهذه الأقنعة على شكل وجـــوه بشـــرية او رؤوس كباش ناطحة.. ومن اشهر هذه الاعمال هو القناع الذى يزن حوالى كيلو ونصف من الذهب الخالص من كنز ملك الأشانتى كوفى كلكالى Kalkalli وتشـــتهر هناك كذلك القطع الذهبية الكبيرة المطروقة والمنقوشة والتى تستعمل كازرار. وكـــان الصـــياغ يكونـــون طـــبقة فى قصر الملك ولم يكن يسمح لأحد غيرهم باستعمال المجوهرات خارج الساحة الملكية للأشانتى .

ان اســـتخدام الذهـــب علـــى الملابس وعلى مقابض واعمدة الأسلحة وزخرفة التـــيجان بـــأزرار ذهبية وورود صغيرة من الذهب ونجوم ذهبية يدل على مقدرة أخرى للعمل اليدوى العظيم .

وهـــناك تقاريـــر تشـــير ايضـــا الـــى استعمال البرونز عند الاشانتى والمناطق المجـــاورة لها. وقد انتشر استعمال الصب بطريقة القوالب الشمعية فى السودان الأعلى، وأغلـــب الظـــن ان معرفته قد جاءت عن طريق مشابه لصناعة الحديد، فمرة جاء عبر الصـــحراء ومـــرة أخـــرى عـــن طريق وادى النيل خلال السودان على بحيرة تشاد الى يورويـــا وبنيـــن حيث استخدم فى ساحات قصور الملوك والسلاطين. اما عند الاشانتى فكـــان النحاس الأصفر او البرونز اكثر شيوعا من المعادن الأخرى .واستعمل فى صنع موازيـــن صغيرة للذهب وفق تصميمات دقيقة .وكذلك فى صنع موازين صغيرة وجرار مزخـــرفة مـــن الـــنحاس العـــادى والنحاس الأصفر. وكان للزنوج ولع شديد باستخدام النحاس والحديد اكثر من المعادن الأخرى.

ويعتبر الجلد مادة تصنيع أخرى بنفس المستوى الفنى العالى. وهو المادة الخام عـــند الـــرعاة والصـــيادين وأبسط طريقة للدبغ هى المعاملة بالدهن .واما الدبغ بعصير النـــباتات فيرجع الى حضارة عالية. وعند الحاميين الشرقيين توضع قطع الفرو والجلد مـــع بعضها (عن طريق المرايكو(Mosaic - Work) وعند الماساى نرى دروعا من

الجلد مرسومة بطريقة فنية رائعة .وتزين المعاطف المصنوعة من الجلد بأهداب مزخرفة بالخرز والقواقع .اما الماندنجو والهوسا والفلبا فقد بلغ عندهم تصنيع الجلد الذروة .ويحتل تجار الجلد منهم في السودان مكانة عالية.وكذلك وصل تصنيع الجلد لدى الطوارق الى درجة مرموقة من التطور .اذ ان الرسم والتشقيق والنقش والضغط والتجديل .عمل الضفائر والقشط والاضافة والتطريز كلها تعتبر من فنون زخرفة الجلد . ويحصل صانعو الجلود على الالوان من البذور واكسيد الحديد .ولقد اشتهرت تقنية صناعة الجلود بصفة خاصة في السودان ودول غينيا بتصنيع الشنط والوسائد ومعدات اللجام ومقابض السيوف والخناجر المزخرفة والابواق والاغماد التي توضع فيها الخناجر وكذلك القبعات والاحذية والصنادل .

وقد ادخلت الصناعة الاجنبية الحديثة على صناعة الجلد القديمة تعديلات مناسبة ذكية .وذلك عن طريق التطور المستمر للأشياء التقليدية وجعلها في وضع يقارب القديم بهدف الكسب ولقد أشار لويزينجر Leuzinger الى عملية التجديل كعمل لشغل وقت فراغ الرجال وهم يستخدمون في ذلك أسنانهم وأصابعهم الى جانب السكاكين والامشاط. وفي الادغال والسافانا يستخدم في عملية التجديل خيوط الاوراق فتائل من جذوع نخيل السبلح ونخيل الرافيا واوراق البردى Papyrus والذرة وأنواع أخرى مختلفة من الحشائش.

وتمثل الملابس لونا أخر من الفن، وبصفة خاصة ما يرسم على القماش وقطع لحاء الشجر والطبع عن طريق الختم (أشانتي وباجندا ومنجوتو) وبالإضافة الى طريقة أخرى هي الكي .وفي البامبارا والماندجو يصنع النسيج القطني بعصير جذور صفراء وترسم فوقه المرأة – التي تقوم بعملية الصبغ او التلوين – زخارف ونقوشا وتدهنها بمادة محلية كاوية وبعد ذلك تغطي القطعة كلها بطبقة من الطين وتنفض بعد ان تجف . وبعد غسلها عدة مرات او بعد وضعها في مجرى مائي تصبح نظيفة تماما من الطين . وهناك طريقة ثانية وهي طي قطعة القماش وربطها في شكل لفائف، كما تحاك عليها ايضا قطع حجرية صغيرة ومواسير (في ساحل العاج والهوسا والجيكون واليوروبا وكوبا)، ثم توضع في محلول ملون (النيلة) وبعد ذلك تفرد وتترك لكي تجف ثم تفك بروز القطعة ولفائفها وتفصل القطع عن بعضها وتبعد الاحجار وقطع المواسير. ويبدو ان فن الطباعة على القماش حاليا مأخوذ من هذه الطرق القديمة ولكن بطريقة ماهرة مناسبة.. وتستخدم بعض الشعوب، مثل الطوارق، حتى الان ملابس مصبوغة باللون

الازرق الغـامق شـديد الزرقة ، وينقع القماش المنسوج يدويا لمدة يومين كاملين فيما يسـمى بابـار التلويـن وفيها يذاب لون النيلة ثم يخرج القماش ويضرب بلوح خشبى عـريض الـى ان يجف. والاماكن الهامة المشهورة بانتاج هذا القماش هى كانو وكورا Kano , Kora

وتنـتج المصانع الانجليزية أنواعا من الاقمشة تلقى رواجا لدى الطوارق لأنها تتضـمن المزايا المفضلة لديهم وهى اللمعان الجميل والتلوين القوى والاشكال المخططة الـتى تـتكون مـن حياكة الاطراف الضيقة مع بعضها. ويمكن نسخ شرائط ضيقة على أنوال الاهالى ثم تحاك هذه الشرائط معا وكخاصية رابعة نذكر رائحة النيلة النموذجية...

المراجع العربية :

١- زكريا إبراهيم : مشكلة الفن – مكتبة جامعة القاهرة ١٩٦٤ .

٢- سعاد شعبان : الفن في أفريقيا – دراسة فى الأنثربولوجيا الجمالية ، مجلة الدراسات الأفريقية ،العدد التاسع ١٩٨٠ .

٣- صـفوت كمال : مجلة الفنون الشعبية ، لعدد ٣٠-٣١ ، يناير – يونية – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ .

٤- عاطف محمود عمر : أضواء على الفنون الأفريقية ، الجمعية الجغرافية ، ١٩٨٧

٥- مرجريـت تـرويل : الفن الزخرفى فى أفريقيا ، أصول التصميم فى الفن الأفريقـى ، مجـدى فريد ، الطبعة الثالثة ، دار الكاتب المصرى للطباعة والنشر ١٩٨٢.

٦- معـرض الفـن الاسـلامى فى مصر : اعداد دنكان سميث ، مدير متحف الفنون الجميلة بوستون ، فندق سميراميس ١٩٦٩ .

المراجع الاجنبية :

1- Berto, Janet, C.I. and fee A. Wilson eds, Arts of African Oceania and the Americans Selected Readings, Englewood. Cliffs. N.J.: Prentice Hall 1993.
2- D. Asevedo, Warren f.: The Traditional Artist in African Societies, 2 nd. Bloomington Indiana university press 1992.
3- Eugen Th. Rimli und Karl Fischez .Ullstein Kunstgeschichte, Islamische Kunst, Gesamtregister Frankfurt/ M. Berlin 1964, Ullotein Bucher.
4- Herbert, M. cote: the Art of African Masquerade, Museun of cuttural history. Universty of california. los Angeles, 1985 .
5- Johannes Nicolaisen: Afrikanische Kunst, Berghous Verlag , 1972 .
6- Pendeleith H.J: The conservation of Antiquities and Works of art .
7- David Keith Jones : faces of Kenya, Hamish Hamilton , london , 1977 .
8- Denyer , s: African Traditional Architecture, Heinemann , fondon , 1978 .
9- Never mann H.: Eegologie. U .Technologie (f. Adam u.H. Trimborn. Hg: fehrb. D. vo "I Kerkunde) ,Stuttgart,[2] 1958, p.p. 239. 240 .
10- Notes and Queries on Anthropology: Acommittes of the Royal Anthropological Institute of great Britain and Irelaud. Foudon 1964.
11- Richards, J.M., sevageldin I.Rastorferd. Hassan fathy , A Mimar Book .cancept Media. Architectural press , lendon , 1985.
12- Tischuer H.:D.verbreitung . d. Hausfor in ozeanien, 1934 .
13- Leuzinger. E.: kunst der negervo"lker,In: kunst der welt. Baden Baden, 1959 .
14- Hirschberg W.: vo¨lkerkunde Afrikas, 1965

السيول

يهمنا ان نعرض فيما يلى ظاهرة طبيعية لنرى مدى تأثير بعض الظواهر الطبيعية على ثقافة الشعوب .

ونحن نرى ان معظم الدراسات الحديثة تهتم بتفاعل الجنس البشرى مع بيئته الطبيعية .

وللبيئة تاثير واضح ليس فقط على نمط الحياة والنمط السلالى للأفراد ولكن يمتد اثرها الى الطباع والسلوك والتكيف الاجتماعى والثقافى [1] .

وتؤكد هذه العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة ان الانسان ليس منفصلا عن الطبيعة ،فهو من الطبيعة ويعتمد عليها فى كل افعالة وسلوكه ، انه يعتمد فى غذائه علـى النبات والحيوان ،واعتمادا كليا او جزئيا فى كسائه ومسكنه على النبات والحيوان.

ولابد ان الانسان قد عرف الكثير عن البيئة التى يعيش فيها وهو يحاول دائما ان يتعرف علـى اسرار الكون ووسائل الراحة الكافية فى البيئة التى يعيش فيها والمجتمعات البشرية المختلفة بأمكانها ان تطور طرق الحياة المختلفة كلية بالتزامها بعلاقتها الشخصية الخاصة بالمحيط الطبيعى ،ومن الممكن ان تحطم بعض الظواهر الطبيعية المجتمع وتقضى على الكثير من الممتلكات ،ويعرف الانسان فى نفس الوقت كيف يقـى نفسه شر هذه الظواهر ولكنه لا يفعل شيئا ايجابيا فى مواجهتها مثل: ظاهرة السيول التى نود ان نعرضها.

والهدف من هذه الدراسة هو التعرف على البيئة الطبيعية للمجتمع وموارده الاقتصادية وبيان ثقافته وبنائه الاجتماعى والعلاقة والكيس : بالتعاون مع برنامج الامم المتحدة للشئون البيئية :البيئة والانسان ص ٢٩ .

---

[1]- والكيس : بالتعاون مع برنامج الامم المتحدة للشئون البيئية :البيئة والانسان ص ٢٩ .

بين هذه العناصر كلها والتأثر المتبادل بينها . ومعرفة كيفية تصرف اعضاء المجتمع ازاء مثل هذه الكوارث الطبيعية تبعا لثقافتهم السائدة .

1- walter Wolf : Die Welt der Agypter.J.G CottA'Sche Bochhandlung Nachfolger, stuttgart, 1962.P.I

بيـن هـذه العناصـر كلهـا والتأثير المتبادل بينها ، ومعرفة كيفية تصرف اعضاء المجتمع ازاء مثل هذه الكوارث الطبيعية تبعا لثقافتهم السائدة .

تقسيم العمل :

يتصـرف الـرجل وحـده فى الشئون المالية وتأخذ المرأة ما تحتاجه كما يقوم الـرجل بعملية الشراء، الا ان هناك بعض النساء المتخصصات فى بيع مستلزمات البيت وهـن يذهبـن بالبضـائع الى العائلات ويبعن الأقمشة والعطور وأدوات الزينة، وتجلب بعـض النسـاء وتحمله على رؤوسهن. وتربى المرأة الدجاج والحمام والبط واذا ورثت شيئا من أهلها فلابد ان تعطيه لزوجها فى الحال ،وهى تقوم بإعداد الطعام ويقسم العمل فـى المنزل بين الام وبناتها او زوجات أبنائها ويكون التقسيم على أيام الاسبوع لإتساع مجال البيت ويتم التعاون فى جميع الاعمال بين النساء الموجودات بالمنزل.

وهـناك بعـض الاعمـال الحقلية التى تتطلب اعدادا كبيرة ويقوم بها الاغراب والاقارب والمعارف على حد سواء .وهناك تبادل فى العمل بين الاهالى .

ولذلـك سـوف نحـاول القاء الضوء على الظاهرة موضوع الدراسة (السيول) والـتعرف علـى ابعادهـا المختلفة ومدى خطورتها على المجتمع وثقافته .هذا من ناحـية .ومن ناحية أخرى تستكمل المحاولة انظمة المجتمع وثقافته وكيفية تأثيرها وتعاملها مع هذه الظاهرة الخطيرة وبيان الترابط والتشابك بين هذه العوامل مكتملة.

مقدمة :

استرعى انتباهى ظاهرة السيول التى تحدث فى صعيد مصر بصفة دورية وتدمر الكثير من القرى والنجوع. ولا شك ان هذه الظاهرة تؤثر تأثيرا مباشرا على اقتصاد المنطقة بوجه عام وتكون مواجهتها انعكاسا للبعد الثقافى السائد فى المجتمع.

والسـيول ظاهـرة طبيعـية فى المنطقة موضوع الدراسة منذ القدم وهى تشق طـريقها كمـا يشـق نهر النيل طريقة منحدرا من جنوب الوادى الى شماله. وتقع مـنطقة الدراسة بمحافظة قنا مركزى الاقصر وقوص وخص البحث قرى: المدامود ،وخـزام، وحجـازة. وكلهـا تقع شرق النيل وتقع المدامود على بعد ١٢ كم شمال شرق الاقصر وهى تتبع مركز الاقصر اما خزام وحجازة فهما يتبعان مركز قوص . وتـبعد خزام عن الاقصر بحوالى ١٧ كم، اما حجازة فتبعد عنها بما يقرب من ٣٠ كم .

تقــع جمــيع هذه القرى شمال شرق مدينة الاقصر فى المنطقة المحصورة بين حافــة الهضبة الشرقية الممتدة بانحدار تدريجى من سلسلة جبال البحر الاحمر حتى تصل الى الشريط الضيق المحيط بنهر النيل.

ومــناخ هذه المنطقة مناخ الصحراء الشرقية بمصر، له مسحه من الاضطراب والتعقــيد، ففــى فصــلى الربيع والخريف تتدفق رياح من الشرق والشمال مسببة اضــطرابات محلية وعواصف رعدية شديدة تكون مصحوبة بالامطار السيلية، التى يمكــن ان تكــون غزيرة وسيولها جارفة وبهذا تتلقى جبال البحر الاحمر وسفوحها قــدرا لا بــأس بــه مــن المطــر الــذى تتنوع مصادره واصولة بين الاعصارى والتصــادمى. مــثلما تــتعدد فصوله ربما من الشتاء الى الصيف ومن الخريف الى الربيع وهى سيلية غير منتظمة.

والاوديــة الجافــة لا تكتسحها السيول الايوما او اياما فى موسم المطر مرة كل عــام او كل بضعة اعوام. والاخيرة الاغلب، وهذا الموسم هو عادة اواخر الخريف حــتى اوائل الربيع حين يسود شرق مصر بعامة الطقس المضطرب وعدم الاستقرار الجــوى، وتكــثر العواصــف الرعدية. ويزداد تدمير السيول كلما اقتربت من وادى النــيل لانه تكون قد جمعت المزيد من المياه والمزيد من السرعة والاندفاع. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان العمران والحياة تزداد عموما فى هذا الاتجاه. حتى اذا ما بلغت حد الوادى الزراعى نفسه. تكون قد بلغت الحد الاقصى من التدمير.

ورغــم ان الســيول قد تفعل افاعيلها فى عمق الصحراء الشرقية وتنشر الذعر والدمــار فــى اعــالى اوديتها. فلا نسمع او نحس بالكارثة الا حين تصل الى وادى النيل وتصيبه اصابتها الأخيرة والمباشرة.

لــذا فــان خطــر السيول يتركز اساسا ويبلغ حده الاقصى فى قرى ومدن حافة وادى النــيل الشــرقية المتاخمة للصحراء والجبال. خاصة منها تلك التى تقع على مصاب السيول نفسها وفى حضن الجبل.

ويقــول الدكتور جمال حمدان فى هذا : ان نجوع وقرى ومدن مصبات السيول تكــون الضــحايا التقليدية وهى عادة لاعلاج لها سوى اعادة التنظيم والانتقال الى مواضع محمية تلقائيا.

وخطــورة الســيول فــى الصعيد الاعلى اكثر منها فى الصعيد الاوسط والاسفل وتــتركز قمــة الخطــر عادة فى قطاعات اسوان وقنا وسوهاج ،وعادة تتناوب تلك المحافظات الثلاث فيما بينها حالة او نقطة الذروة .

والنــيل هــو المصــب الطبيعى لكل السيول ،وارض الوادى المزروع هى التى تــتلقى وتمتص الضربة الاولى للسيول الجارفة .هذا فضلا عن مباغتته لحد الوادى الشــرقى بحيــث لاتدع مجالا للمقاومة وتنصب السيول فى الوادى الزراعى اساسا علــى المحاصــيل القائمــة فى الحقول والغرس والدرس ،فضلا عن المدن والقرى والــنجوع وهــنا قد تصل الخسائر الى المساكن والمبانى ،بينما قد تتشرد عشرات الالوف من الاسر ويتحتم ايواءها واعاشتها فى معسكرات ومخيمات مؤقتة ثم اعادة بناء هذا كله فى النهاية .

ان طبــيعة منابع السيول فى هذه المنطقة عبارة عن صحراء حجرية يحيط بها اطار دقيق من الصحراء الرملية، فكأنها جزيرة ضخمة من الصخر تحيط بها الرمال مخــتلطة عادة بالحصى والزلط. والصحراء الشرقية هى صحراء الحجر والحصى، وهى محجر مصر التاريخى والتقليدى مثلما هى منجمها الاساسى.

يتضح مما سبق ان دور السيول فى اودية الصحراء الشرقية كدور الفيضان فى وادى النــيل نفسه، فمثلما يكتسح فيضان النيل الجامح المحاصيل والقرى او الحرث والنســل ويهــرب السكان الى عوالى الضفاف ،كذلك فان السيول الكاسحة قد تغرق الانسان والقطعان على طول امتداد الاودية من رؤوسها الى مصابها .

ومــنطقة الدراســة مــنطقة زراعية ،ولما كانت منطقة زراعية حياض من قبل انشــاء الســد العــالى ،ركز الاهالى على اقامة الجسور التى تحمى قراهم فاختاروا الاماكــن المــرتفعة مواقعــ للقرى فى حضن الهضبة الشرقية وذلك لاتقاء مخاطر الفيضان.

وبالنســبة للحقول فلقد اقام الانسان مصارف لصرف مياه الفيضان حتى يتغلب على ثاره. ولم تكن السيول بنفس درجة خطورة الفيضان ،لذلك لم يكن هناك اهتمام شــديد بها لان الاولوية كانت لمواجهة الفيضان ،فكانت فتحاته فى الجسور تصرف مــا يــتجمع مــن مــياه السيول التى تنزل متباعدة .وبعد انشاء السد العالى وفى الســتينات اصــبحت هذه المناطق لا تتعرض للفيضان ولذا اهملت تلك الفتحات التى فى الجسور وبنى فيها السكان منازلا ونسوا مدى الخطر الذى قد يتعرضون له من

جــراء السيول ،وهذا التصرف يعكس البعد الثقافي والاجتماعى لذوى النظرة المحدودة الضــيقة الــتى لا تربا بقيمة هذه الفتحات واهميتها وبعدها التاريخى ،والاهمال تصــرف مدمر لا يخدم الا مشكلة شخصية او فردية تأتى على منفعة عامة. وتضر بــالمجموع ،وفــى نفس الوقت يعطى صورة سلبية لمواجهة المجتمع لهذا الاعتداء الــذى يــنجم عنه احاقة الاضرار بهم وبمجتمعهم ،فلو ان الافراد انفسهم كان لديهم الوعى والرؤية الاجتماعية السليمة لما اقدموا على ذلك . ولو ان المجتمع كان لديه الادراك والتنظيم والرؤية الاجتماعية الصائبة لتصدى افرادة لهذه الاعتداءات وقاية لهم مما يحتمل ان يحل بهم

هــذا وتحمل السيول معها ما فى باطن الأرض من الحشرات الضارة والثعابين بجانب هلاك الحيوانات ،وتلف المحاصيل ،وتغطية الأرض بطبقة رملية تجرفها مياه الســيول من الجبل ،فتؤدى الى تلف المحاصيل ،وتجعل التربة غير صالحة للزراعة كما تجلب معها الحصى والحجارة من الجبل. وكذلك الرمال الناعمة التى تعمل على ســد مســام الــتربة، بحيث لا ينفذ اليها الاوكسجين وينبت فيها نوع من الحشائش الضارة التى لا تنفع بشئ.

واصــبح الناس يحسون بالخوف والفزع من السيول لدرجة أنهم يسرعون الى الجســر عندما تظهر الغيوم وذلك خوفا من الغرق وحفاظا على الانفس ،وهى تأتى مســرعة ثــم تفترش الارض ويتوقف خطرها على مدى قوة الجرف والكثافة وقوة الدفــع. هذا بجانب بعض الامراض التى تسببها السيول مثل الكوليرا والجرب ولقد حصر عدد مرات السيول التى حدثت فى المنطقة وعاصرها الاهالى بخمس مرات ، فالســيل الاول كان فى العشرينات ،والثانى فى الاربعينات ،اما فى النصف الثانى من القــرن العشرين فلقد ذكر جيل الاباء الحاليين أعواما محددة للسيول هى ١٩٥٤ ، ١٩٦٤ . وايضا فى عام ١٩٧٢

ولقــد ذكــر الاهالى ان سيل ١٩٥٤ كان مدمرا للغاية ،واكد ذلك ايضا الدكتور/ جمــال حمــدان حيــث يقــول" رغــم تواتر السيول وتعاظم خطرها كما وكيف فى الســبعينات المــتأخرة. فأنهــا لا تقاس بسيل قنا المخرب الشهير سنة ١٩٥٤ هذا وســيل ١٩٧٩ كــان اخطــرها والذى على أثره عملت هذه الدراسة الميدانية عام ١٩٨٠ ".

وفيما يلى نبذة عن القرى التى اصابها السيل فى اكتوبر ١٩٧٩ :

(١) المدامود :

احدى القرى التى تتبع مركز الاقصر بمحافظة قنا .ويرجع اصل تسمية القرية الى كلمة دامود الفرعونية .ويعتقد الاهالى ان اصلهم كان من الهة الفراعنة الذين عاشوا فى المدامود الغربى .ومع التوسع وزيادة النسل وصل انتشارهم الى المدامود الشرقى .

وقد ورد ذكرها فى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ فذكر المدامود هى من القرى القديمة .ذكرها جوتييه فى قاموسه فقال : ان اسمها القديم Madou والقبطى Madamout وهى المدامود الواقعة فى شمال الاقصر. ثم قال انها وردت فى كتاب وصف مصر .كوم مضو او ميت عامود .ولا يزال يوجد بها معبدها القديم" .والاله المقدس فيها منتو ، وهى تقع على مسافة قريبة شمال طيبة. وكانت المدامود من توابع ناحية الزينية .ثم فصلت عنها فى سنة ١٨٩٢ ، وفى فك زمام مديرية قنا سنة ١٩٠٤ .الغيت وحدتها المالية .واضيف زمامها الى ناحية الزينيات . فأصبحت تابعة لها من الوجهة المالية .مع بقائها منفصلة عنها من الوجه الادارية . وفى سنة ١٩٣٩ صدر قرار من وزارة المالية بفصلها بزمامها القديم، وبذلك اصبحت ناحية قائمة بذاتها من الوجهين الادارية والمالية ويعتقد الاهالى حاليا انهم اتو من الصعيد والكرنك واستقروا فى المدامود [1] .وهى قرية ممتدة حتى حدود قرية خزام التابعة لمركز قوص .

١- المدامود من القرى التى اصابها السيل عام ١٩٧٩ وكان ذلك يوم ١٩٧٩/١٠/٩ فى حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر فى بعض الأماكن .وفى الساعة الثامنة والنصف مساءا فى أماكن اخرى وبعد اصابت السيول المدامود شرق ولم تصب المدامود غرب لان الاولى منخفضه والاخرى بعيدا عن مجارى السيول وفى اليوم التالى كان كل شئ فى نجوع المدامود شرق عائما فى المياه .وتحطمت البيوت وعامت الماشية والطيور والاغنام فى المياه كذلك الاسرة والنخل والفرش وتحكى بعضهم فيقول كان يحمل بعضنا والدته فوق رأسه او أولاده لكى ينقذهم ويترك كل شئ ويقول آخرون عندما بدأ المطر .وكان عباره عن قطع ثلج .نزلت السيول مباشر ، وطبعا ترك الاهالى المكان وذهبوا الى الوحدة الصحية حيث أنها مبنية بالخرسانة المسلحة والطوب الاحمر وكل اثنين كانا يتخذان بلاطة فى الوحدة للوقوف عليها. واخذ التيار بعض الاطفال وأهلكت الطيور والحيوانات واتلفت المزروعات

وتستكون القــرية من أربعة عشر نجعا يسمى كل منها باسم اول واكبر شخص نــزل الــنجع . وبالقــرية وحده صحية ومدارس ابتدائية واعدادية ومركز للشباب ومكتب للبريد والهاتف .

(٢) قرية خزام[١]

تقع قرية خزام فى شمال شرق مدينة الاقصر فى المنطقة المحصورة بين حافة الهضبة الشرقية الممتدة بانحدار تدريجى من سلسلة جبال البحر الاحمر حتى تصل الى الشــريط الضــيق المحــيط بنهر النيل والذى لا يزيد عرضه عن ١٥ كم شرقا وغربا، وتــبعد عــن مدينة الاقصر بمسافة حوالى ١٧ كم وهى تتبع مركز قوص وتعتبر قرية خــزام بداية لاراضى مركز قوص من جهة الجنوب ويحدها جنوبا قرية المداموود وهى آخر حدود مركز الاقصر شمالا .

،وارتفعت المياه فى بعض المناطق الى ثلاثة امتار وفى مناطق أخرى الى أربعة أمتار ومن دلائــل هذا الارتفاع أنها وصلت الى شبابيك الأدوار السفلية من البيوت وبذلك اصبحت هذه الشــبابيك وسيلة لدخول المياه الى المنزل .ويقول البعض "أنه من رحمة ربنا علينا ان نزل السيل نهارا او فى بداية الليل وبذلك تمكن الانسان من الفرار ذعرا من هذا الطوفان المفاجئ ولولا رحمة الله على عباده لنزل عليهم السيل ليلا .

[١]- خزام : اصلها من توابع الاقصر ثم فصلت عنها فى ١٢٣١ هــ ، ١٨١٥ م

محمد رمزى : مرجع سابق ، ص ١٩١ .

وحــدث الســيل هــنا فى ٢ اكتوبر وكانت خزام منازلا وحقولا مغطاه فى أجزاء منها بما يزيد عن المترين من الماء .

وتمتد نجوع القرية امتدادا طوليا لمسافة ستة كيلومترات موازية للطريق الزراعى الرئيسى أسوان – القاهرة الذى تجاورد ترعة رئيسية تبدأ من قناطر اسنا وتسمى ترعة الكلابية وتغذى جميع الترع الفرعية الموازية لها على الجانب الشرقى للنيل . وهذا الامتداد المحدد على هذا النحو غربا يقابله حدود طبيعية وصحراوية شرقا وكانت هذه الحدود الجبلية على مر التاريخ هى مصدر السيول منذ عصر ما قبل التاريخ

ومن الملامح الاساسية للبيئة الطبيعية للقرية موضوع الدراسة انحدار سطحها انحدارا طفيفا فى محازاه مجرى النيل وانحدارا ملحوظا من الشرق الى الغرب من المناطق الجبلية والصحراوية الى الأراضى الزراعية ومواقع القرى . وتربة القرية الزراعية سوداء وكلما اقتربنا من حافتها الشرقية تصبح رملية أو صخرية أو جيرية وتنحصر مواردها المائية فى مياة النيل عن طريق الترع الرئيسية والفرعية بالاضافة الى الآبار الإرتوازية للجهات المرتفعة فى حضن الجبل والصالحة للزراعة .

وأهم موارد مياة الشرب حاليا بعد السيول هى الطلمبات الإرتوازية المنزلية بعد أن تعطلت شبكة المياة التى تستمد مياهها من عمليات المياه الرئيسية بالقرية بسبب السيول ونتيجة لتحطيم المواسير .

وبالنجع الغربى عملية مياة الشرب النقية وهى أرتوازية . وتتكون العملية من بئر ارتوازية أو أكثر يدار بالديزل أو الكهرباء ، وخزان للمياة يرتفع من ١٥ الى ٢٠ متر تقريبا . وسعته من ٤٠ الى ٦٠ متر مكعب .

وتغذى هذه العملية جميع النجوع بمواسير مياة صالحة للشرب . كما تشمل بعض النجوع الفرعية مثل نجع المشالية . نجع الهوادة . نجع العتامين . نجع الحمامصة ، نجع المعلق . نجع عبد الرحيم . نجع العنبات .

وقد خص البحث بهذه القرية نجعان هما : الغرقان والجمالية .

ويطلق على الغرقان هذا الأسم بسبب انخفاضة وتعرضة للفيضان . أما نجع الجمالية فيتميز بارتفاعة بعض الشيء عن باقى النجوع ، وتأخذ مساكن النجع الشكل الطولى ، وبها طرق ضيقة تفصل البيوت عن بعضها ، وسمى بهذا الأسم نسبة الى شخص يدعى الجميلى وهو الجد الأكبر لهذه العائلة .

أما المنشية الجديدة فنشير اليها لما لها من وضع متميز عن باقى نجوع القرية ، فاطلقت عليها هذه التسمية لنشأتها الحديثة . ويسكن بها الشباب المتزوج

حديثا الذى لايجد مكان فى بيت الأسرة (بيت والده) وكان من أسباب عدم وصول السيل بشدة الى نجع الجمالية وجود الجامع فى مقدمتها وهو بالطوب الاحمر ويعتبر حاجزا لحد ما . وللقرية وحدة محلية تتكون من عدة أقسام من بينها :

(١) وحدة أجتماعية تابعة للشئون الاجتماعية لبحث الحالات ولعمل الابحاث الاجتماعية.

(٢) وحدة صحية بهـا عيادة داخلية واقامة للاطباء والممرضات وتحتوى على طبيبين عامين بالاضافة الى عيادة أسنان .

(٣) ورشة نجارة يوجد بها مشروع للنجارة ويعمل به بعض الاثاث .

(٤) مدرسة فترة صباحية فقط .

الوحدة المحلية لقرية خزام وتشمل العديد من الاقسام المتفرعة للخدمات والمساعدات التى تقدم لاهالى القرية وبها مساكن لرؤساء الاقسام ورئيس القرية وكذا سكن للفتيات . وقسم داخلى للمرضى ومجلس قرية ومجموعة من المشروعات الانتاجية والخدمية للقرية والقرى التابعة ومكتب صحة ورعاية طفل وعيادة أسنان ومشروع للاسكان وعيادة للجفاف وتنظيم الأسرة وسيارة أسعاف ومدرسة ابتدائية ومكتب للتموين والتأمينات الاجتماعية . ويشرف مجلس القرية على كافة الخدمات الموجودة بهذه القرى وهذا من خلال الوحدة المجمعة التى بها هذه الخدمات ومجلس القرية .

(٣) حجازة :

تنقسم قرية حجازة الى قسمين : حجازة قبلى وحجازة بحرى ، وهى من أكثر القرى تضررا بالسيول . وتقع حجازة قبلى على بعد ٢٦ كم من مدينة الاقصر وحجازة بحرى على بعد ٣٠ كم منها والمسافة بين حجازة قبلى وحجازة بحرى تبلغ ٤ كم ويبلغ عدد سكان حجازة بحرى حوالى ١٠,٠٠٠ آلاف نسمة وحجازة قبلى ٣٠,٠٠٠ ثلاثين ألفا .

أصـــل أســـم حجازة [1] الاسم مشتق من الحجاز وذلك منذ ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة وحجازة بحرى وقبلى قرية واحدة حتى عام ١٩٤٩ ثم أنفصلت وقسمت منذ ذلك التاريخ الى بحرى

وقـــبلى . ولكن لم يؤثر هذا الانفصال على العلاقات القرابية والمصاهرة بينهما ، وأصل سكان المنطقة من الجزيرة العربية (الحجاز) – عائلتا حرب وجهينة .

وتقسم قرية حجازة بحرى الى سبع نجوع هى : نجع سلام ، نجع الزير ، نجع الساديس ، نجع السباعى ، نجع العجولة ، نجع الحجرات ونجع سند .

وتتميز حجازة بحرى بأن كل نجع يشمل عددا من العائلات وكل عائلة تعيش فى درب أى توجـد بـيوتهم فـى شارع ضيق مسدود ، ويقفل ببوابة كبيرة على مجموعة البـيوت الموجـودة بداخلة . ويسمى الدرب (درب ناس فلان) وتقع معظم القرى التى تعرضـت للسيول على حافة الهضبة الشرقية شرق النيل وتصطف فى طريق طولى من الجنوب إلى الشمال .

ونجـد أن الأرض فـى معظم هذه القرى منخفضة حوالى ثلاثة أرباع متر أو متر. ويتضح تعامل الإنسان مع البيئة فى إعادة بناء المنازل بالطوب الأحمر للاقلال من أضرار السيول فى المستقبل ولم يحاول أن يفعل شيئا أكثر من ذلك .

الاقتصاد القائم فى المنطقة :

الزراعة :

ترتـبط الزراعة فى مصر بالتقويم القبطى ، فالفلاح يعرف شهور السنة القبطية معرفة جيدة لارتباطها بالنيل والعوامل المناخية ، وتتحدد مواسم الزراعة بشهور معينة، ولـو تأخـرت بداية الزراعة أو تقدمت عن المواعيد ، فان القاعدة المتعارف عليها هى التى تحسم الموضوع وتجعل الفلاح يلتزم بالمواعيد المتوارثة مهما كلفة الالتزام بها من عناء وتكاليف ، لأن المحصلة تعود الية .

---

[1] حجـازة أصلها من توابع ناحية الحراجية . ثم فصلت عنها سنة ١٢٤٥هـ ١٨٢٩/م، وفى سـنة ١٢٩٠ هـ ، ١٨٧٣ م . قسمت حجازة إلى ناحيتين . وهما حجازة بحرى وحجازة قبلى ، وفـى سـنة ١٩٠٥ ضمتا إلى بعضهما وصارتا ناحية واحدة باسم حجازة حتى عام ١٩٤٩ ثم أنفصلت مرة أخرى الى بحرى وقبلى وما زالت لليوم

وفيما يلى بيان بالمحاصيل التى تزرع فى شهور معينة :

ففى بابة (أكتوبر) : يزرع البرسيم والحلبة والقصب الخريفى .

وفى هاتور (نوفمبر) : يزرع القمح والشعير ومن المحاصيل البقولية الفول والحمص والترمس . وفى برمودة (ابريل) : تزرع الذرة الشامية . وفى بشنس (مايو) يزرع السمسم .

وقد توارثت الأجيال هذه المواعيد وكذلك الخبرة .

القصب : يشكل القصب المحصول الزراعى الرئيسى .وتحدد وزارة الزراعة مناطق محددة تزرع بمحصول معين وتسمى تجميعات ولابد أن يلتزم المزارع بالدورة الزراعية المحددة ومن يخالفها يقع تحت طائلة القانون . وهذه الدورة الزراعية تقف عائقا أمام المزارع فى زراعة المحاصيل الاخرى حسبما يرى الفلاح نفسه . ولكن الدولة حريصة على زراعة هذا المحصول لامداد مصانع السكر به . وتقوم زراعة القصب فى هذه المناطق بصورة مستمرة حيث يمكن تشغيل مصانع السكر الموجودة بالمنطقة – ويستمر القصب فى الأرض من ثلاث الى خمس سنوات ثم يقلع من الأرض ويزرع غيره ويقوم مصنع السكر باستلام القصب من المزارع حسب التعاقد ويتم الحساب بمعرفة جهاز الكمبيوتر من واقع الوزن والحلاوة والشوائب طبقا لمعايير علمية واقتصادية مبرمجة .

ان زراعة القصب زراعة قديمة أدخلها العرب فى مصر ، وهو يعتبر محصول مصر الصناعى الاول منذ عصر اسماعيل وحتى مطالع القرن العشرين وقد تضاعفت مساحة القصب الى سبعة أمثال فى السبعين سنة الأخيرة . ١٩٠٨ وكان القصب خامة اساسية لصناعة أساسية ، ومحصول من الدرجة الثانية أو المتوسطة من حيث المساحة رغم أن المحصول لم يعد يكفى الصناعة المحلية ، والصناعة لاتكفى الاستهلاك المحلى، فمساحته لاتكاد تتوسع ان لم نتجه بعض الشيىء نحو التناقص أو التقلص لصعوبات اقتصادية وزراعية عديدة .

ويسمى القصب فى السنة الأولى " بكر وفى السنة الثانية " عقد ثان " وفى الثالثة يسمى " عقد ثالث " وبعد تقليع القصب تترك الأرض معرضة للشمس والهواء حوالى ثمانية شهور بدون زراعة . ثم يقطع القصب ويرمى فى الأرض ويفضل رمى العود بالكامل ولابد أن تكون المساحة كلها مزروعة ولا فواصل بينها ويشترط أن تكون التقاوى من القصب البكر الناتج من محصول أول سنه لان طرفه السفلى طويل وتترك

الجـــذور القديمـــة في الارض كسماد . ويتم حرق القش فى الارض وحول الجذور وهذا يعتبر بمثابة تسميد .

ويعتـــبر السمسم من المحاصيل الهامة أيضا وقد أدخل فى العصر الفارسى وهو من المحاصيل الزيتية . ولايقل النخيل عنه أهمية .

ويوجـــد بالمـــنطقة العديـــد مـــن الحرفييـــن الذين يعتمدون فى حياتهم على ما يتكسبونه من وراء هذه الحرف التى تكفيهم يوما بيوم ومعظمها حرف وراثية ، وتعيش هذه العائلات فيما يسمى العائلة المعقدة (العائلة المركبة والعائلة الممتدة). فبتهدم البيت من آثر السيول سوف تفقد العائلة كل مقوماتها .

ومن الحرف المنتشرة بالمنطقة :

(١) البـــياض مشـــترى البيض : وهو رجل متخصص فى شراء البيض من بيوت النجع كله ويقوم بتسليمه لتاجر الجملة وهذا يقوم بدورة بتوزيعه .

(٢) القـــياس أو الدلال : وهو الذى يقيس الأرض ويدق الفواصل أو الحدود بين كل مـــالك وآخـــر علـــى أساس الخرائط التى سجلتها المساحة العسكرية منذ عام ١٩٠٥

(٣) الكـــيال أو المقبســـاتى : وهـــو يتبع التاجر ويكيل له ما أشتراه من حبوب من الفلاحين نظير اجر من المشترى .

(٤) المقرقـــر : وهو الذى يقوم بجمع بقايا المحصول من الأجران ويغربله ويجمعه ويعطـــى له ربع الناتج أو نصفة ، وهذه البقايا تسمى قرقرة وهى لاتصلح الا أن تكون تقاوى تبذر فى الأرض أو طعاما للحيوانات والطيور

(٥) الفحار : يقوم بدفن الموتى وكذلك عسل حناء للعريس .

(٦) الحـــلاق (المزين) : ويقوم بعملية تجميل الاسرة كتسوية شعورهم أو حلاقة ذقونهم .

(٧) الـــنجار : يقـــوم بصناعة معدات السواقى وأصلاح الفأس والمحراث والنورج (آلات زراعية) وكذلك الأبواب والشبابيك .

(٨) القصاص : وهو الذى يقوم بقص شعر الحمير ووبر الجمال وصوف الأغنام .

(٩) المنادى : وهو الشخص الذى ينادى أو يعلن عن الأشياء المفقودة والحيوانات الضالة وعن أى شيء يراد إعلان الناس عنه فى القرية .

(١٠)الحداد : وهو ينبع جماعة وافدة للقرية وليس من أهلها ويقوم بتصنيع المنجل وسلاح المحراث والفأس والسلاسل الخاصة بربط الحيوانات وغيرها من الأدوات الحديدية المطلوبة للقرية .

(١١) الحواة : " جمع حاوى " وهم جماعة يستطيعون أن يخرجوا الثعابين من جحورها.

(١٢) المساليب [1]: وهم مهاجرون مثل العرب بعضهم يقول الشعر فى الموالد والبعض يضرب على الربابة ويبيع البعض الروائح وبعض السلع وخصوصا فى أيام الحصاد .

(١٣) السبال : وهو الشخص الذى يتولى ملء المياة فى الجامع وهى حرفة وراثية.

(١٤) الفقى : وهو المقرىء الذى يتلو كتاب الله فى المنازل والمآتم ويأخذ أجره كل أسبوع أو كل شهر وعقب كل محصول يأخذ الخونة [2]

(١٥) القابلة (الداية) كانت تدخل ضمن نظام الخونة وهى التى تقوم بعملية توليد سيدات القرية وكذا القيام بعمل الحناء للعرائس .

(١٦) الخفير : يدخل أيضا ضمن نظام الخونة لأنه يتستر على الفلاحين إذا طلبوا للشرطة، وهو يعمل الأن ضمن رجال الأمن وله راتب حكومى .

(١٧) البيطار : يمكن أن يكون أحد المساليب أو من البلد نفسها ووظيفته فى كل قرية تجبير وكى الحيوانات وتقليم أظافرها وتجميل قرونها ومعرفة الانواع الجيدة منها .

الشخص الذى يخرجها وكذلك حسب الجهد الذى يبذله صاحب الحرفة ، ويتميز الفحار بأنه يأخذ أكبر قدر منها يليه السبال أى الذى يملأ سبيل الجامع .

ويقال أن الفحار هو الشخص الوحيد الذى مازال يتقاضى الخونة ، أما أصحاب الحرف الأخرى فأصبحوا يتقاضون نقودا وذلك نظراً لارتفاع المستوى الاقتصادى بعد سفر العمالة للدول العربية .

---

[1]- المساليب جماعة من المغتربين عن البلاد واحترفوا مهنة الخدمة وبيع الخردوات والعطور ويقدمون النساء للرجال فى الحفل .

[2]- الخونة (العادة) وهو أجر يصرفه الفلاح عقب كل محصول ويكون من المحصول نفسه وذلك لمن يؤدى له خدمات . وجميع الحرف السابق ذكرها أعلاه تأخذ الخونة . ويطلق على مثل هذا الاجر العينى فى بعض قرى وجه بحرى المسانبه .

(١٨) الغــزل : الغزل اليدوى من الحرف التقليدية التى مازالت تمارس ، وقد شاهدنا أمــثلة لذلك فى منشأة العمارى وهى قرية تابعة لمركز الأقصر . والغزل حرفة يمارســها الرجال والنساء على السواء ، ويمكن أن تتوارث عن الأباء والاجداد ويتعلمها الابناء ويقلدونها .

وتــتم خطــوات الغزل اليدوى كما يلى : يستخدم صوف الاغنام وخاصة النعاج لهــذا الغــرض . ١- يقوم الجزاز[١] بقص الصوف بالمقص ٢- يوضع الصوف فى الشــمس لــيخرج منه العرق والرطوبة ثم ينفض بعد ذلك ٣- تقوم المرأة أو الرجل بالغــزل بواسطة مغزل [٢] يطلقون عليه " مغزيل " ٤- بعد أن يملاء المغزل بالصوف يحــل على المحنة [٣] حتى نملأ ويبل الصوف بالماء ثم ينشر فى الشمس ٥- يرسل بعد ذلك الى النوال لينسجه على النول ويصنع من هذا النسيج شيلان وبرده[٤] . ويأخذ النوال نظير نسجه للصوف أجرا بسيطا .

ممــا ســبق تتضــح أنمــاط النشاط الاقتصادى السائدة التى تتأثر تأثرا مباشرا ومدمــرا بــلا شــك بالسيول فتهلك المنتجات وأدوات ووسائل انتاجها وكذلك المواشى والمــزروعات والالات المســتخدمة فى الزراعة والمواد الغذائية والمدخرات والحلى والملابــس . وكما ذكر من قبل أنه عند حدوث السيل يلوذ الفرد بالفرار بمفرده وبمن يستطيع إنقاذه من أفراد أسرته تاركا خلفة بيته وما فيه ومن فيه .

وكمــا هــو واضــح مما سبق ذكره أن المواد الأولية فى صناعة الفخار تجلب أساســا مــن البيــئة المحلية ، فالهمر من الجبال بالمنطقة والطين من التربة وبحدوث الســيل يفقــد الأهالى مصدر هذه الخامات وكذلك الخامات المخزنة والمنتجات المصنعة والمخــزنة . ويشــكل الفخار الأدوات الأساسية فى الاستخدامات المنزلية والعامة من طهى وشرب وتخزين للمواد الغذائية وكذلك عمل قواديس السواقى وبناء المآذن بشكل خاص وعلى ذلك فهى تشكل جانبا هاما فى حياة الأفراد وتجارتهم واقتصادهم وأحوالهم

---

[1]- الجزاز : هو الشخص الذى يقوم بقص صوف الأغنام وبيعه فى السوق .

[2]- المغزل : آله مصنوعة من الخشب بشكل معين يغزل عليها الصوف .

[3]- المحلة : آلة مصنوعة من الخشب تستخدم فى حل الصوف من الغزل.

[4]- البردة : نوع من الغطاء يستخدم للوقاية من البرد .

المعيشية وتتأثر تأثرا مباشرا بالسيل ، وهكذا أيضا يسود الدمار باقى الحرف بنفس القدر كما يصل هذا الدمار ايضا الى السوق وغيره من الأماكن .

ثقافة المجتمع :

ان موضوع الثقافة من الموضوعات الحيوية الهامة فى الدراسات الانثروبولوجية وذلك لأنها عماد الحياة الانسانية ، وهى المحيط الذى يخلقه المجتمع ويعيش معه ومن خلاله يؤمن احتياجات الانسان المادية والمعنوية وقسم العلماء الثقافة الى مادية معنوية ، والمادية هى الوسائل التى يلجأ اليها الانسان لاشباع حاجاته وتقوم الحاجات الانسانية على حاجات ضرورية مثل الملبس والمسكن والمأكل والمشرب وخلافه . والبيئة تمد الانسان بالخامات ، ويستخدم هو هذه الخامات ويطورها حتى تتوافق معه .

أما المعنوية فتتمثل فى البناء الاجتماعى بما فيه نظمه العديدة (العائلة ، الادارة، التنشئة . والتعليم ، المعتقدات والعادات والتقاليد وغيرها).

وهذا الجزء من الدراسة سوف يهتم بالناحية المادية من الثقافة " المسكن والملبس والغذاء " وتهتم الاجزاء الباقية بالنواحى المعنوية الاخرى فى المجتمع

الثقافة المادية :

تكوين الأحياء السكنية : تتكون الاحياء فى هذه المناطق من أزقه ضيقة مسدودة ودروب . والدرب عبارة عن شارع ضيق يضم العائلة الكبيرة ويقفل ببوابة خشبية كبيرة، ويسكن الأب وأولاده الذكور وزوجاتهم وأولادهم داخل هذا الشارع ولكل منهم بيت بمفرده يقيم فيه ولكنه لايذهب اليه الا للنوم فقط . أما المعيشة كلها فتكون فى بيت الوالد . ويوجد بجانب هذا الخيام التى يقيم بها المنكوبون من السيول . وتتكون بعض البيوت من طابقين ، والبعض الأخر من طابق واحد ، والأخير هو الأغلب . وتأخذ البيوت شكلا مربعا أو مستطيلا ويعلق على الباب جلد حيوان الورل (وهو حيوان مائى يخرج من الترع المجاورة ويمكنه العيش خارج الماء والغرض منه منع الحسد) والخيام الموجودة قامت الحكومة بتقديمها لمن أضير من السيول للأقامة فيها حتى يتم بناء المساكن الخاصة بهم ومازالت بعض البيوت مبنية بالطوب اللبن ، ولكل عائلة مضيفة عبارة عن حجرة كبيرة أو أكثر مبنية من الطوب الأحمر وأمامها مكان متسع تقام فيه الافراح والمآتم والمقابلات وفض المنازعات بين العائلات واتمام المصالحات .

وللبيت عموماً باب خشبى يقفل بقطعة من الخشب تسمى ضبة وقطعة أخرى تسمى سقاطة . والأسقف من الجريد وقطع الخشب وجزوع النخيل المجهزة لهذا الغرض وفروع أشجار الاثل . ويتم تبليطها بطبقة طينية من الطين الأسود المخلوط بالتبن . ويوجد بالمنزل حوش واسع وحجرة أو عدد من الحجرات وكذلك مخزن وخلف الباب مباشرة ممر يوصل إلى باب المنزل بالداخل، وبالمنزل حمام . وتسمى الصالة (سقيفة). ويشتمل المنزل المكون من دورين على حجرتين بالطابق الأول غرفة للضيوف والاخرى مطبخ ويفصلهما عن بعض صالة صغيرة بأخرها مدخل يؤدى الى الحوش ، ويوجد فى بعض البيوت بجانب هذا غرفة النوم . ولكن فى هذه الحالة يكون المطبخ فى الحوش . ويوجد السلم المؤدى الى الطابق الثانى وسط الثقيفة وهو مبنى بالطوب . وبالطابق العلوى غرفة أو غرفتين وصالة ومطبخ والسطح غالبا غير مسقوف ويستعمل للنوم فى الصيف .

ويفرش البيت بفرش بسيط فيوجد بغرفة الضيوف كنب وبغرفة النوم سرير أو أثنان ودولاب وفى حالة عدم وجود دولاب يتم تعليق الملابس على الحوائط . ويوجد بكل بيت حجرة للفرن و مكان لتربية الطيور وحظيرة للمواشى. وتضاء جميع المنازل بالكهرباء التى أمدتها بها هيئة كهربة الريف . وبهذه القرى أيضا مياة نقية ببعض المنازل من عمليات مياة الشرب التى اقامتها الدولة . ولكن مازالت بعض البيوت تستخدم طلمبة لسحب الماء من باطن الأرض وهى أما أن تكون طلمبة (سد رد) وهى طلمبة ماصة كابسة أو طلمبة عادية للسحب فقط . وفى بعض البيوت يوجد خزان فوق السطح وتصل المياة للدور العلوى بمواسير . ويستخدم الأهالى هذه المياه لجميع الحالات من شرب وغسيل وغير ذلك . ويحصل بعض الأهالى على الماء من الترع والمصارف لا للشرب ولكن للغسيل والرش .

ونظرا لوجود الكهرباء بجميع البيوت فان الغالبية العظمى تقتنى الاجهزة الكهربائية من تلفزيونات ومراوح وثلاجات وغسالات وأدوات المطبخ الكهربائية والمكاوى وغير ذلك مما يدار بالكهرباء من الأدوات المنزلية [1] . والبعض يستخدم حاليا أدوات وأوانى من الألومنيوم ، وأطباق من الصاج بجانب الأكواب والملاعق والسكاكين ، ولكنهم مازالو يستخدمون الاوانى الفخارية التقليدية من طواجن لطهى

1- وجدت هذه الأدوات عند العائلات التى سافر أحد أفرادها للعمل بإحدى الدول العربية.

الطعام وقدور لعمل الفول والعدس وغيرها . ويوجد الزير في كل بيت وهو يوضع على قاعدة من الخشب أو حمالة من الحديد وغالبا ما يوضع كل شيء في غرفة النوم ولابد أن يوجد ضمن جهاز العروس الملكوف وهو داير السرير ذو الأعمدة من القماش الابيض ويحلى بالرسوم وكانت العروس لاتأخذ معها قديما غير الصندوق ومخدة ولحاف وأواني بسيطة .

أما اليوم فلابد من وجود السرير والدولاب والستائر والفرش وأدوات المطبخ ومن الأشياء الهامة جدا والتي لا يمكن الاستغناء عنها في المنزل " الفرن " وتقوم ببنائه أمرأة متخصصة في ذلك وهي تستخدم في بنائه تربة سوداء تخلطها بروث الحمير . ولا يبنى الفرن هنا مرة واحدة ولكن يستمر بناءة عدة أيام ، وكل يوم يبنى جزء من الجدار فيترك حتى يجف ، ويستعمل في بنائة الطوب الأحمر ، وأرضية الفرن التي يوضع عليها الخبز هي أيضا من نفس عجينة الفرن . ويستخدمون في الخبيز مطرحة خشبية ومجساس حديدى وما يسمى فوادة وهي قطعة جريد طويلة عليها قطعة قماش تبلل بالمياة لتنظيف أرضية الفرن التي يطلق عليها صينية .

ومن الأدوات التي تستعمل في المطبخ المفراك وهو أداة خشبية لهرس البامية وتتكون من عامود خشبي في نهايتة قطعة خشبية مربعة مثبت بها أربع سنون خشبية.

الملبس :

أ - ملابس المرأة :

تلبس المرأة خارج البيت جلبابا أسودا وفوقه عباءة أو بردة سوداء أو زرقاء وطرحة سوداء وفي الشتاء شال أسود تحتة منديل رأس مشغول بالخرز والترتر كما تلبس في قدميها شبشب أو حذاء . أما داخل البيت فتلبس فساتين منقوشة وهي تستعمل جميع أنواع الأقمشة .

ملابس وزينة العروس :

تلبس العروس روب وطرحة وتاج وكلها بيضاء وتتزين بالفضة وتعمل الحناء في يديها وأرجلها .

ب - ملابس الرجال :

يلبس الرجل جلبابا وسروالا وصديرى وعلى الرأس طاقية ملفوف حولها عمامة وكوفية تلف على الرقبة ويمسك في يدة عصا غليظة . ويلبس حذاء من الجلد أو

البلاستيك أو شبشب ، أما الذين يعملون فى الوظائف الحكومية فيرتدون القميص والبنطلون .

ج - ويلبس الوليد : سروالا وفانلة أو جلبابا قصيرا أو بنطلونا وقميصا ويترك شعره بدون عمامة .

د- وترتدى البنت : فستانا من القماش العادى سواء كان فى الشتاء أو الصيف وتلبس فوق رأسها شالا . ويسمح للمرأة والبنت بلبس أى نوع وأى لون من الملابس فى البيت ويلبس الأولاد والبنات فى المرحلة الابتدائية مرايل وتحتها بنطلون .

الزينـــــــة :

تتزين المرأة بالذهب والفضة مثل الخواتم والحلقان وسلاسل وأساور ذهبية وحلقة الانف وتسمى " الزمام " وتلبس الكردان وتضع الكحل فى العين كما تطرز ثيابها بالخرز والترتر وتمسك الحناء فى أرجلها ويديها ، ويلبس المولود ملابس جميلة وقمصانا بيضاء . وتقوم الأم بتجهيز ابنتها منذ الطفولة وتحتفظ لها بالاقمشة ، وبعد البلوغ تبدأ فى تطريز الطرح والمناديل وتطرز لها المعلمة أو الخياطة الشيلان والفساتين .

الغـــــــذاء :

يقسم الغذاء الى ثلاث وجبات : الفطور والغذاء والعشاء . وتعتمد وجبة الافطار على ما تبقى من طعام مساء اليوم السابق او على الجبن والبيض والشاى أما وجبة الغذاء فتتكون من جبن وبيض وعسل أسود وكل ما هو بسيط وموجود بالبيت وأما العشاء فلابد أن يتكون من الخضروات واللحم . وتشترى اللحوم مرة واحدة فى الأسبوع ويعتبر العشاء فى معظم القرى وجبة أساسية . وكذلك يمكن أن تشتمل على الطيور مثل البط والأوز والارانب والحمام والدجاج ، وعادة ما يكون العشاء الممتاز يوم الخميس من كل أسبوع وهو يوم السوق .

انواع الأطعمة :

كل أنواع الخضروات فى مواسمها بجانب الفطائر والمخروطة والكشك ويطلق عليه كباب لأنه يشبه الكباب من ناحية الشكل وهو عبارة عن عجينة قمح تغلى وتقطع قطع فى حجم وشكل البيضة وتوضع فى الشمس حتى تجف تماما . وتضاف اليها الصنصة عند الأستعمال . ولكن قبل استخدام قطع الكشك تنقع . واليخنى والويكة وكانت العصيدة تعمل قديما بكثرة .

وتشتهر هذه المناطق بالعيش الشمسى وهو يختلف عن الخبز العادى لانه يعجن بالعصيدة ويضاف اليها الخميرة وتترك العجينة بعد التقطيع فى الشمس حوالى ثلاث ساعات . ثم تخبز فى الفرن . ويوجد لديهم أيضا القايش وله مواصفات خاصة فيعمل من الحمص المغلى ويضاف اليه خميرة ودقيق ولبن وسمسم وكركم ومحلب وتقطع العجينة قطعا صغيرة فى شكل اصابع ، وتوضع فى صوانى مصنوعة خصيصا لهذا النوع من الكعك مدهونه بالسمن . ويعمل الجلاش أيضا فى البيت ، ويشتهرن أيضا كذلك بعمل المبسوس وهو مثل الكعك يعجن بالسمن المقدوح والدقيق والخميرة واللبن والروانة نوع من أنواع الكيك . ومن أصناف الحلو البالوظة والمهلبية .

ويقدم الطعام للعمال الذين يعملون بالاجر فى الحقل ، وهذا الطعام يسمى ملحق وهى وجبة بين الأفطار والغداء وتتكون من جبن وبيض وطماطم وخبز وبصل أو بعض الخضروات كالخس والفجل والجرجير وغيرها .

أما المشروبات : فهى مشروبات ساخنة ومشروبات باردة ، وهم يعملون السوبيا ويكون ذلك يوم الخبيز لانها تعمل من العجين وتترك يوم أو أثنين حتى تتخمر تماما ويصبح لهما نكهة معينة ثم تنقع وتصفى وتحلى بالسكر وتشرب مثلجة ومن المشروبات المرغوبة لديهم الحلبة والتمر هندى " عراديب " والكركادية " عناب " والشاى الأخضر والينسون والحرجل وحلف البر .

ويقدم للوالدة اكلات ومشروبات خاصة بعد الولادة مباشرة فيقدم لها سمن بلدى مع سكر وماء وتشربه ساخنا لكى تنظف مكان الولادة كما يعتقدون ويقدم للنفساء البلح "المغلى " الملزوز فى الملز فى الفرن ، هذا وتقدم لها المخروطة والأرز واللحوم والدجاج . ويقدم لها الجيران بعض الهدايا التى قد تكون مادية " نقود " أو عينية . وهم لا يأكلون الملوخية أو المش يوم الجمعة حيث يؤكل مع هذه الأصناف البصل وهو مكروه فى مثل هذا اليوم من أجل صلاة الجمعة .

طريقة حفظ الاطعمة : تحفظ الأطعمة فى " الشعاليق " مفردها " مشعليقة " وتصنع هذه الشعاليق من شنابر حديدية عند الحداد وتعلق فى مكان جيد التهوية وتحفظ فيها الأطعمة لمدة يومين أو ثلاثة دون أن تفسد ، كما أن الحشرات لم تصل اليها لانها معلقة بسقف البيت . ويحفظ اللبن فى نملية من الجريد لكى يروب ويتجمد وتوضع النملية أيضا فى الهواء . وتحفظ اللحوم بتجفيفها . فيوضع اللحم على لوح ويحمص فى الفرن ثم يعرض للهواء بعد "التحميص " للتهوية وتستعمل بعد ذلك فى أى وقت .

من كل ما تقدم يتضح أن الثقافة المادية هى عماد الحياة الانسانية عموما ونظام البيت كما لاحظنا مازال إلى حد ما فى هذه المنطقة هو نظام العائلة الكبيرة. ومعظم المنازل مازال مبنى بالطوب اللبن وأسقفها من الجريد وجذوع النخيل وقطع الخشب المتوفر فى المنطقة ، حتى الفرن الذى لا غنى عنه يصنع كذلك من الطين والطوب . ومعظم الأدوات المستخدمة فى الخبيز من الخشب والجريد . كما تقتنى الأسرة الادوات والالات الخاصة باعمال البيت والحقل والحرف التى تزاولها . وكذلك الملابس والحلى . وتحتفظ الام لابنتها منذ الطفولة بالاقمشة كما شاهدنا .

كل هذه الأنماط الحضارية تعتمد على البيئة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كما لايمكن الاستغناء عنها بأى حال من الأحوال ، فلابد أن يسكن الأنسان ويلبس ويتزين ويأكل وهو مستقر هادىء . ولكنه هنا دائما قلق من أن تداهمه السيول فى أى لحظة . ومن أين يجد الإنسان هذا الهدوء وهذا الأستقرار فى مثل هذه المناطق المعرضة للسيول التى تدمر البيت بما فيه من ملبس وأدوات زينة وغيرها وأطعمة مختزنة ومدخرات ومقتنيات . ومن أين له أن يعيد البناء ويشترى أو يكون كل هذه الاشياء من جديد كل عام أو كل بضعة أعوام .

من هنا نجد فعلا أنها مأساة ولابد من وجود حلول جذرية لرفع المعاناة والقلق والخوف عن هؤلاء الناس .

البناء الاجتماعى :

نود أن نلقى الضوء على البناء الاجتماعى لهذا المجتمع لكى نتعرف على عادات وتقاليد ومفاهيم الإنسان فى مثل هذه المنطقة وأنظمته الاجتماعية ونبدأ هذا الجزء بدورة حياة الفرد .

دورة الحياة :

الخطبة والزواج :

عندما يبلغ الولد سن البلوغ ويريد الزواج من فتاة معينة يخبر والدته بذلك فتذهب الى أم العروس التى تتشاور مع زوجها . ولا يؤخذ هنا رأى الفتاة . ويقابل والد العريس والدها ويفاتحة فى الموضوع ويحددان موعدا لقراءة الفاتحة

ولقد أعطى نمط الحياةالسائد فرصة للاختيار لانه لا توجد عزلة . وللابن حق الاختيار وعدم فرض عروس معينة عليه . كذلك عدم التقيد بالزواج من بنت العم، وقد تقصر فترة الخطوبة أو تطول حسب مقدرة الشخص ، وبعد قراءة الفاتحة يحدد ميعاد

الشبكة وتتكون من أساور من ذهب وكردان . وخلال فترة الخطوبة يأتى العريس ومعه الهدايا وخاصة فى المناسبات والأعياد . وإذا كان مقتدرا يكتب الكتاب بعد ثلاثة أيام من قــراءة الفاتحة . ويكون المهر حسب مقدرتة . فقد يصل إلى ٢٠٠٠ جنية ، ويمكن أن تــتزوج عندما تبلغ أثنتى أو خمس عشرة سنة ويتزوج الفتى فى سن العشرين ويكون الأستعداد للزواج بتجهيز البيت وشراء الملابس ، وتقوم الماشطة بتزيين العروس ولو فرض وحدثت حالة وفاة بجوار الفرح يرسل أهل المتوفى الى أهل الفرح للاستمرار فيه.

الحمل والولادة :

عندما تشعر العروس بالحمل فعلى أهل الزوج رعايتها وتلجأ لعمل أحجبة وذلك لحفظهــا هــى والجنين ، وهم يعتقدون أن عدم وجود الحجاب يتسبب فى موت الطفل ومن ثم لابد أن تلبسة الى أن تتم الولادة . وتذهب الحامل غالبا إلى طبيب الصحة وربما يطلب للبيت لتوليدها ، ولكن الغالب أن تقوم القابلة بعملية الولادة .

ولايعــترف بالمرأة ، زوجة ، إلا إذا وضعت مولودا وإذا لم تنجب فهناك الكثير من الوصفات البلدية ، وربما تذهب للطبيب للعلاج ، وتتناول الحامل جميع الأطعمة أثناء فترة الحمل وقد تمتنع عن بعضها فى الشهور الأولى . وعند الولادة تشرب حلبة مغلية محــلاة بالسكر أو العسل [١] . وعندما يولد الطفل يلف بقطعة قماش قديمة اعتقادا منهم أن هذا يطيل عمرة . كما يعمل له الحجاب ويعلق حول رقبتة .

وتــأتى الحامل غالبا إلى أمها قبل الولادة وتظل عندها إلى أن تلد حتى تستطيع خدمــة نفسها . وإذا كان المولود ذكرا تطلب الداية البشارة من الزوج ، فالمولود الذكر له مكانه خاصة فى المجتمع ، أما البنت فليس الحال بنفس الدرجة وعند تسمية المولود يخــتار الأب أسم الولد وتختار الأم أسم البنت ، وفى حالة غياب الأب يحل العم أو الجد محلــه فى أختيار الاسم . وهناك أسم للمولود يعرفة الوالدان فقط خوفا من الحسد وأسم الدلــع ، وأسم يطلق على الطفل عندما يبدأ الكلام . والأحتفال بالسبوع قد يكون سرا أو علانــية فــاذا كانت الأم ممن يموت أطفالها تعملة سرا خوفا من الحسد وإذا كانت ممن لايمــوت أولادهــا توزع الشربات والحلوى . ويرضع الطفل من ثدى أمه بعد ثلاثة أيام ويظــل يرضــع لمــدة عــام ثم يفطم ويتعود الطفل على الأكل قبل الفطام بفترة طويلة وبالتالى فمن السهل عليه نسيان صدر أمه بسرعة .

---

[١]- انهم يعتقدون أن هذا المشروب يساعد فى عملية الولادة .

التربية والتنشئة :

تعتبر الأم هى المسئولة عن العناية بالطفل وتنشئته اجتماعيا وتقدم له بعض النصائح لكى يتعاون مع أبناء الجيران وتضربه إذا خالف ذلك وتفضل بعض الأمهات عدم تدليل الطفل وتبدأ فى تعليمه آداب السلوك من سن الرابعة . وتميل الأم إلى حب الفتاة أكثر من الولد [1] وعندما تصل البنت الى الثانية عشرة من عمرها يحرم عليها بعض الأشياء كاللعب فى الشارع أو التحدث مع المتزوجات ويقع على عاتقها كل أعمال المنزل ، وتستحى أن تجلس فى وجه والدها . أما الفتى فارتباطه يكون أقوى بوالده ويفضل خلف الأولاد لأنهم يعتقدون أن الفتاة مسئوليه حتى بعد زواجها فهى مسئولة من والدها . وعندما يصل الولد الى سن الثانية عشرة يصبح رجلا وعليه مساعدة والده فى الزراعة طالما أنه غير مرتبط بالدراسة .

الختان :

تتم هذه العملية للبنات والأولاد فى سن مبكرة فيتم ختان الولد بعد الولادة مباشرة أو بعد سنة أو سنتين . ويقوم بها حلاق الصحة أو الطبيب وتقام الاحتفالات وتذبح الذبائح وتعمل الحناء للأطفال الصغار كما يقوم بعض الأهالى بعمل سرادق لاقامة الحفل من مغنى ورقص وأحيانا يتلى القرآن . أما ختان البنات فى سن الثانية وتستدعى القابلة أو الخياطة (معلمة الختان) ويقتصر الاحتفال على الأهل والأقارب فقط .

المراهقة والبلوغ :

تحجز البنت من المدرسة عندما تبلغ السابعة من عمرها . وتتعلم كيف تصبح ربة بيت وتقوم الأم بذلك . أما الولد فيظل فى المدرسة إذا كانت الأسرة مقتدرة ، وإذا كانت غير مقتدرة فيساعد والده فى الحقل وهذا حال معظم الأسر .

الوفاة :

فى حالة الوفاة يصرخ النساء ويدهن شعورهن بالطين وهذا دليل على الحزن كما يلبسن الملابس السوداء ولا يتزين بالحلى ، ويتولى أحد الأهالى أبلاغ أهل القرية ، ولا تذهب النساء للمدافن ، وتذبح ذبيحة فى اليوم الخامس وتوزع على الناس وتسمى

---

1 - لاعتقادها أن البنت مكسورة الجناح كما يقولون .

" الونــيس " وأخرى فى اليوم الخامس عشر ويعمل " المعمول " أى الكعك ويحمل إلى المدافــن ويــوزع على الحفار الذى يدفن الميت ويقرأ القرآن ويمكن للمرأة التى توفى زوجها أن تتزوج بعد السنوية فتستحم وتتزين .

التنظيم السياسى :

١- العمــدة هو صاحب السلطة وله حق أصدار القرارات وفض المنازعات ويختار العمدة بالانتخاب وتقدم طلبات الترشيح للمديرية ويحدد يوم للترشيح والاهالى هى التى تختار من بين المتقدمين ، ورغم ذلك فمن الممكن أن تكون العمودية بالوراثة .

٢- شيخ البلد ، يساعد العمدة فى عمله .

٣- الخفــراء : وعددهــم كبــير قــد يصل إلى خمسة عشر خفيرا من بينهم شيخ ووكيـــل أ – شيخ الخفراء : يوكل إليه الأشراف على الخفراء وقيامهم بمهام وظيفتهم .

ب- وكــيل شــيخ الخفــراء : يقــوم بمهام شيخ الخفراء فى حاله غيابه أو مرضـــه. الوظـــيفة الأساســية للخفير هى حراسة البيوت من السادسة مساءا حتى السادســة صباحا ومعرفة شخصيات المارة بعد الساعة ١٢ منتصف الليل وإذا كان الشخص غريبا يصحبه إلى ديوان العمدة للتأكد من شخصيته .

عامل التليفون :

يكلف العمدة أحد الخفراء بالالتزام بالتليفون بصفة مستمرة ويشترط اجادتة للقراءة والكتابة .

بعض المشاكل التى تواجهها القرى :

١ – قطع المياة عن الأراضى الزراعية حيث يترتب عليه تلف المحصول .

٢ – تقلــيع المــزروعات ولكنه فى حكم النادر ويحدث على فترات متباعدة جدا ، وكل خمسة عشرة سنة مثلا .

٣ – الاهانـــة : ويحكــم فــيها العمدة بالاعتذار (أى لابد أن يعتذر الشخص الذى أهان مواطنا من أهل القرية) .

٤ – الســرقة : وهــى فى العادة سرقة مواشى ، أما النقود فلم يسمع أحد بسرقتها لان الأهالى يدفنونها فى الأرض .

التربية والتعليم :

تستعلم البنات الى نهاية التعليم الاساسى ثم تبقى فى البيت تتعلم تدبير أمور المنزل. أما الأولاد فيواصلون تعليمهم .

ونسبة تعليم الفتيات قليلة ونسبة التسرب أكثر من البنين .

وهناك عجز شديد فى هيئة التدريس وذلك لصعوبة بقاء الغريب هناك من حيث عدم توافر المسكن الملائم سوء المواصلات ولوحظ أن الوسائل التعليمية غير متوفرة ولا يوجد مشرفون للمتابعة . وكان لسفر العمالة آثر سيء على الأولاد لتركهم بدون رقابة وأرتفاع مستوى المعيشة .

الطب الشعبى :

ان العلاج بالوسائل الشعبية مازال مسيطرا على المجتمع ، ففى أسوان يوجد شيخ يعالج الأمراض النفسية وذلك بعمل أحجبة ولبخ وموعده ليلة الخميس من كل أسبوع ينام فيها المريض عنده ، ولا يذهب الى الطبيب إلا إذا يئس من جميع الوسائل الأخرى .

ويقول أحد الأطباء أنه عندما يصاب الطفل بنزلة معوية تعترية يوما أو يومين يعمل له حجاب ولا يأتون به إلى الطبيب الا عندما تسوء حالته ولكن فى حالة لايجدى فيها العلاج ، ولا ينجوا من أمراض النزلات المعوية سوى ٥% فقط من الأطفال وهناك عدة طرق شعبية لعلاج بعض الأمراض :

بالنسبة لعلاج الحرارة يخلط الترمس بعد دقه مع الحناء ويوضع على الرأس .

الصداع : ليمونة + حناء + دقيق وتوضع على مكان الصداع .

الاسهال : يغلى ورق السنط مع الشبة ويشرب منها ثلاث مرات .

أمراض العيون : كان يستعمل قديما شبة ولبن وماء ولكن المريض يذهب حاليا الى الطبيب

لدغ الثعبان والعقرب [1]

تنتشر الثعابين والعقارب بكثرة فى هذه المناطق وهناك أشخاص متخصصون فى علاج هذه الحالات وهم أتباع الطريقة السعدية والطريقة البيومية وتتلخص طريقتهم فى قراءة الفاتحة ١٤مرة الى قوله ولا الضالين وهو يلاحظ تحرك السم فى كل مرة حتى يصل إلى المرة ١٤ عند ذلك يشرط بالموس ويوضع فوق الجرح سكر ملفوف

---

[1]- شيخ من الطريقة البيومية مشهور بعلاج لدغ العقرب والثعابين وغيرها.

فـــى قطعة من القماش وتتبع نفس الطريقة بالنسب للدغ العقرب ويختلف الحال إذا كان المصـــاب أمـــرأة فإذا كان اللدغ فى مكان يصعب لمسه توصل بقطعة من الخشب ويقرأ عليها .

وقد تعالج اللدغة بأن ينزل الشخص إلى النيل ويضع عينه فى الماء فيشفى كل شىء .

طريقة طرد الثعبان :

(١) رائحة الشيح على النار فبمجرد شمها يهرب الثعبان .

(٢) كلمـــات يقولهـــا الشـــيخ يهـــرب على آثرها الثعبان [١] وهناك نوع آخر من الـــزواحف وهـــو "التريشة طولها نصف متر وينحصر سمها فى المنطقة التى تلدغ فيها فقط ، عكس العقرب الذى ينتشر سمه فى جميع الجسم .

طريقة علاج عضة التريشة :

(١) يحضر كمية من الجنبان[٢] ويدق ويسخن ويوضع على الجرح .

(٢) يذهب الى المستشفى ويأخذ المصل والذى بدأ الكثير يتجه إليه .

ومن يقومون بعملية التعزيم يؤمنون بقدرة الله وكتابه الكريم " القرآن " فى الشفاء .

وبدخـــول الكهـــرباء يقـــول أحـــد الشيوخ " أصبح نادرا ما يصاب أحد بلدغة العقرب

ورغـــم كـــل ما قيل عن العلاج بالطرق الشعبية ففى كل قرية وحدة صحية بها طبيـــب وممرضـــة ، وداخل الوحدة صيدلية . وكذلك معمل للتحاليل ، والجدير بالذكر أن ثمـــن الـــتذكرة ، ثلاثة قروش ، ووظيفة الممرضة اعطاء المصل والرعاية بالحوامل . وهناك إقبال من السيدات على الوحدات الصحية وأخذ حبوب منع الحمل .

الطرق الصوفية :

مـــن الظواهـــر الواضـــحة انتشـــار الطرق الصوفية حيث تتنافس الطريقتان : البيومـــية والســـعدية ، وتحـــاول كل منها نشر أسسها ومبادئها . وتتكون الطريقة من

1- يقول الشيخ " أقسمت عليك بالله لا تحدثنى فيمشى ويقول أجزى عليك ما تكلمنى ".

2- الجنـــبان : نـــوع مـــن النبات يزرع بمعرفة الفلاحين وهو أصلا علف أخضر شتوى للماشـــية وتســـرنه تســـميه البازلاء وطعمها لذيذ ، لو أكلها الإنسان وتزرع فى محافظتى قنا وأسوان وهى تحمص وتطحن وتوضع على الجرح .

رئيس الطريقة وخليفة الخلفاء ونائب الخليفة والنقيب والمريدين وكل منهم له دور متعارف عليه .

موقف الطريقة من الظواهر الطبيعية : فى حالة خسوف الشمس لاتقام طقوس، أما فى حالة كسوف القمر فيخرج أعضاء الطريقة ويدقون على الدفوف ويدعون الله أن ينقذ القمر من بنات الحور .

ولم يحدث أن خرج أحد أثناء السيل للقيام بالطقوس وذلك خوفا من الغرق .

الأولياء :

وهم أشخاص لهم كرامات فى حياتهم ، وبعد الوفاة والدفن يأتى فى المنام لشخص معروف بالتقوى ويطلب منه أن يبنى له ضريحا فى مكان يحدده بنفسه ويذهب إليه الناس للتبرك به ، ومن بين هؤلاء فى المنطقة : الطيرى والصالح والسيد .

النذور :

وهى ما يتبرع به الشخص إذا قضى الله له أمرا كان يتمناه وقد تكون شايا أو حلوى أو نقود أو كل حسب مقدرته أو قد تكون ذبيحة .

الثأر :

مازال الأخذ بالثأر تقليدا منتشراً فى صعيد مصر حتى هذا الوقت وهناك قواعد للأخذ بالثأر فلا يقتل إلا القاتل نفسه ويعيش اخوته فى سلام . وهناك بعض العائلات تسرف فى الأخذ بالثأر ، ويعتقد البعض أن الأخذ بالثأر تبعا للشريعة الاسلامية .

ولا تقام جنازة للقتيل ولا يقبل فيه العزاء الا إذا أخذ بثأره .

أسباب الثأر :

(١) قتل غير مقصود كان يخرج أحد الاشخاص مسدسة فتخرج منه رصاصة ، وفى هذه الحالة يتراضى الطرفان حيث لاتوجد بينهما عداوة ، أو قد تكون مجرد تخويف فقط .
(٢) التلاعب فى القضايا .
(٣) اعتزاز أحد الأشخاص بنفسه وتفاخره بمركزه ومن ثم يغتصب حقوق الافراد فتثور ثائرتهم .
(٤) الاشاعات التى تثير الشخص ومن ثم يقتل شخصا بريئا .
(٥) نزاع على الأراضى بين المالك والمستأجر على نظام الولاية " زراعة الأراضى " وهنا يتدخل كبار القرية لحل النزاع

وهناك طريقة للصلح تسمى الجودة وهى أن يصحب القاتل شخصا من أهلة أو أهل بلده ويذهب إلى أهل القتيل حاملا كفنه على كتفه وحافى القدمين ويقول أنه شخص ضعيف ويريد الصلح ، ويمكن أن يقبل الجودة ويجلس الجميع فى رضا وتسامح .

ومن المحتمل أن تكون عادة الأخذ بالثأر قد انعدمت فى بعض القرى مثل قرية خزام ، ولكن البعض الأخر على أستعداد بصفة مستمرة للأخذ بالثأر وذلك بتجهيز الأسلحة .أما الشباب المثقف فلا يرغب فى الأخذ بالثأر ولكن قد يحفزه الناس على ذلك وتعمل الحكومة احتياطها عند حدوث حالة قتل ومع ذلك بعد مرور سنوات طويلة يؤخذ بالثأر من القاتل . والتعليم هو الوسيلة الوحيدة للتخلص من تلك العادة وكذلك سرعة الاجراءات القانونية .

هذا وينتشر فى المجتمع بعض المعتقدات مثل الأعتقاد فى أعمال السحر والشعوذة والذين يقومون بهذه الأعمال هم غالبا من أتباع الطرق الصوفية أو من محفظى القرآن وهناك سحر علوى أى (للخير) وآخر سفلى أى (للشر) وهم يستخدمون كتبا معينة . وتهدف أعمال السحر الى الوقاية من أى ضرر والحب والكراهية . وينتشر كذلك عمل الأحجبة ويقوم بهذه العملية " المحجب " أى ' يحجب ' كما يقال عنه . ويكتب الحجاب على جلد غزال وعليه ملح . وتعمل الأحجبة لجميع الأغراض : للطفل لكى يعيش ، للأنجاب ، الحماية من الحسد أو أرضاء الأزواج . ويمكن فك السحر عن طريق قراءة آية الكرسى والصمدية .

وهناك ما يعرف بسحر العرافة والمندل : (العرافة) يقوم بها شخص متخصص فى القرية لتحديد شخصية أو أوصاف مرتكب جريمة أما المندل فهو يعمل كذلك عن طريق العراف حيث يحضر فنجانا به زيت ويلتف حولة من لهم المصلحة فى عمل المندل ويأتى بطفل ويأمره بالنظر فى الفنجان ووصف الشخص الذى يراه أو أسمه أو يضع العراف مفتاحا فى المصحف بطريقة عشوائية ويفتح الصورة التى وضع عليها المفتاح ويقرؤها ثم ينام ويقول أنه يحلم بالشخص . وكثيرا ما يلجأ الأهالى الى هذه الطرق بجانب الشرطة لمعرفة اللصوص .

ويعتقد الناس فى وجود قرين للإنسان ولكنه من غير جنسه وقد يكون ضارا ببعضهم ومن ثم يلجأون لعمل الأحجبة ومن عاداتهم أن يلبس الطفل الحجل (الخلخال) حتى سن سنتين ، كما توضع له بعض الأحجبة لحمايته من السوء .

ولديهم معتقدات تتعلق ببناء البيت :-

فعـند وضـع أسـاس مسكن توضع بعض الحبوب مثل الكمون الاسود (حبة السـبركة) وكمية من الفول والحناء وتخلط هذه الأشياء مع أساس البيت وتوزع الحلوى علـى الأطفال الموجودين لمنع الشياطين من الاقتراب من المنزل . كما أنهم يتشاءمون مـن بعـض الأصوات مثل البومة والكلب وكذلك الخوف من الاحلام والاعتقاد فى الجان والعفاريـت أن هـذا البناء الاجتماعى الذى شرحنا تركيبة يظهر لنا شخصية وطبائع الانسـان الكائـن فيه فرغم كل ما قيل عن البيئة الطبيعية وآثارها وظواهرها التى يمكن أن تقضى على كل شىء ، وجدت لديه ملامح وعادات وتقاليد خاصة به يتميز بها فظهر الـتعاون والمشـاركة فـى المشاعر لدرجة أنه عندما تحدث حالة وفاة بجوار فرح قائم فعلا، يرسل أهل المتوفى إلى أهل الفرح للأستمرار فيه .

ومـن تنظـيمهم السياسى وجد أن العمدة ما زال هو صاحب السلطة ويساعده شـيخ البلد وشيخ الخفر والخفر فى أتمام مهامه . ومازال التعليم يقتصر على الولد فى هـذه القرى ، فالبنت لاتواصل تعليمها الى النهاية كما تريد . ووجد أن هناك عجز كبير فى هيئة التدريس والوسائل التعليمية والمشرفين وعدم توافر مسكن ملائم للغرباء .

خاتمـــــــة

أن هــذه الدراســـة الخاصـــة بموضوع السيول ذات أهمية كبيرة بالنسبة للدراسات التى تحـــاول أن تــستعرف على علاقة انعوامل البيئية الطبيعية بالانسان ومجتمعه وثقافته ، وهـــى تعـــتمد على الدراسة الميدانية وتهدف الى التعرف على البيئة الطبيعية للمجتمع وموارده الاقتصادية وثقافته وبنائه الاجتماعى ، والعلاقة بين هذه العناصر كلها والتأثير المتـــبادل بيـــنها . ومعرفة كيفية مواجهة أعضاء هذا المجتمع لمثل هذه الكوارث ، تبعا لثقافـــته السائدة. ولقد أظهرت الدراسات الحديثة أن التطور يحدث نتيجة لتفاعل الجنس البشـــرى مع البيئة الطبيعية ، وقدأدى هذا لتوجية الانثروبولوجيا وجهة جديدة . وكان لاتجـــاه جولـــيان ســـتيوارد الذى أطلق عليه " الايكولوجيا الثقافية " أثر أعظم وقد أكد ســـتيوارد أن توضيح الظواهر الثقافية بظواهر ثقافية أخرى يكون عديم الفائدة ، وأبان أن التكـــيفات الايكولوجـــية تنـــتج خواصـــ ثقافـــية من السهل التعرف عليها ، كما أن الـــنظريات التى تهتم بالبناء الاجتماعى وثقافة المجتمع فى الاطار الوظيفى لها أهميتها بالنســـبة لهذه الدراسة . فجميع عناصر المجتمع من بيئية وثقافية واجتماعية تؤثر فى بعضـــها . ومـــن الذيـــن آثرنا الأخذ بآرائهم بجانب ستيوارد ، مالنوفسكى وراد كليف براون ، عن النظرية الوظيفية والوظيفية البنائية .

وممـــا واضح أن الانسان جزء من الطبيعة وهو يعتمد عليها فى غذائه وكسائه ومســـكنه ، وقد يقف عاجزا أمام مفاجأة وقسوة وضراوة وتدمير الظواهر الطبيعية له ، مثل ظاهرة السيول التى حاولت الدراسة التعرف على أبعادها ومشاكلها فى المجتمع .

وقـــد أثبتت الدراسة التاريخية للمنطقة أن السيول تداهم المنطقة منذ القدم وأن لها مسارا محددا معروفا ومناطق ثابتة . ويحكى المسنون من السكان أن السيول تحدث كل عشر سنوات وأنها حدثت فى السنوات الأخيرة على فترات أقل من ذلك .

ومـــناخ المـــنطقة تعـــتريه ريـــاح مسببة اضطرابات وعواصف شديدة تكون مصـــحوبة بالامطـــار التى يمكن أن تكون غزيرة وسيولها جارفة . ويتركز خطرها فى أســـوان وقـــنا وســـوهاج . والقـــرى التى خصها البحث من بين العديد من القرى التى دمـــرتها الســـيول : المدامـــود وخـــزام وحجازة وكلها تقع شرق النيل على خط مواز للطريق الرئيسى . القاهرة – أسوان ، ويقابلها الحدود الجبلية التى هى مصدر السيول ، ومعظم هذه القرى يقع فى مستوى منخفض .

وتعتمد هذه المناطق أساسا فى معاشها علىالزراعة ، كما أن تربتها جيدة للغاية . ويعتبر القصب المحصول الرئيسى ويلية السمسم وبجانب الزراعة وجدت الحرف العديدة والتى تتوارث فى عائلات بعينها وتأخذ فى مقابل عملها أجرا عينيا (أى المحاصيل الزراعية) .

وأما الثقافة المادية فظهر أن معظم البيوت تتكون من طابق واحد وأنها مبنية بالطوب اللبن علاوة على وضع القرى المنخفض ، وتقسم النجوع الى عائلات بحيث تسكن العائلة الكبيرة ما يسمى بالدرب " الذى يقفل من الخارج ببوابة خشبية وفى داخل البيت تختزن الاسرة متطلباتها من حبوب ودقيق وملابس ونقود وذهب وماشية، وعندما نزلت السيول أغرقت نجوعا بأكملها ، أى أن السيول قد قضت على المحاصيل التى كانت مازالت فى الأرض والمحاصيل المخزونة فى البيت ، علاوة على تهدم البيوت نفسها وضياع كل شىء معها . وبذلك يضيع بيت العائلة بأكمله وشملت التلفيات التى حدثت . المدارس وعمليات مياه الشرب النقية (المشربية) وقد ضاع محصول السمسم الذى كان فىالمخازن وقت السيول وكذلك البلح . ولوحظ أن عدد الخيام التى صرفت للمنكوبين قليل جدا وبدراسة البناء الاجتماعى لشعب ما والتعرف على عاداته وتقاليدة يتضح لنا الكثير عن ملامح المجتمع من خلال الدراسة وجد أن هذا المجتمع مفتوح ، ولذلك يسهل الاختلاط بين الفتيان والفتيات فى سن مبكرة ، ولكن ليس للبنت رأى فى أختيار زوج المستقبل ، ومازالت تتزوج فى سن الطفولة ، كما أن المهور مرتفعة جدا . وتلجأ المرأة إلى المشايخ ولبس الأحجبة إذا ما تأخرت فى الحمل . لأنها لا تعتبر زوجة طالما لم تنجب بعد ، وفى حالة عدم الأنجاب ، يمكن أن يتزوج الزوج بأخرى . وهناك الكثير من الوصفات البلدية للإنجاب . وهم يخافون من الحسدلدرجة أن الطفل يسمى بعدة أسماء منها أسم لا يعرفه الا الوالدان . والأم هى المسئولة دائما عن الأطفال وخاصة البنات ويصبح الأطفال بالممارسة والمشاهدة والتجربة والتوجيه والمواجهة مهينين لمجابهة مثل هذه الظروف لمعايشتهم لها مسبقا .

وما زال نظام العمد والمشايخ والخفراء معمولا به ، وهذا النظام له فعاليته لان القائمين عليه من المنطقة وكلمتهم مسموعة ولهم نفوذ عند الأهالى أكثر من رجال الشرطة .

ونجد أن منازل العمد والمشايخ تكون أكبر وأوسع ومبنية بالطوب الأحمر غالبا فيمكن لهم أيواء أكبر عدد من الأفراد لديهم ، كما أنهم يملكون وسائل الاتصال

التى تمكنهم من نقل الصورة للمسئولين وطلب العون والدعم والمساعدة من المسئولين وغـيرهم مـن المـناطق الأخرى المجاورة التى لم تصبها السيول ، كما أن لهم دورا تنظيمـيا بمعاونـة الخفـراء فى توجيه الأهالى ومساعدتهم فى هذه الأوقات الحرجة . ويمـارس الثأر ولكن ليس بنفس الدرجة كما كان الحال قديما وبالنسبة للتعليم وجد أن البنـت لا تواصـل تعليمها ولكن تكتفى العائلة بتعليمها التعليم الأساسى فقط ثم تحجب فـى البيـت وبـالمدارس نقص شديد فى كل شىء ، هيئة التدريس والوسائل التعليمية والمواصـلات عـلاوة على عدم الرقابة على الأولاد (فى بعض العائلات) نتيجة لسفر أرباب العائلات خارج الوطن .

نجـدأن السيول تتلف المدارس من مبان ومن أدوات وما يتطلبه ذلك من إعادة ترميم أو بناء أو أعداد ، بخلاف الذعر الذى ينتاب الأولاد . ويمكن تصور مدى ما يمكن أن يحـدث لـتجمعات كبـيرة مـن الأفراد وفى أعمار متفاوته فى مثل هذه الحالات إذا تصـادف حدوث السيل أثناء وجود الطلبة بالمدرسة وما يمكن أن يصيبهم من أذى بعيدا عن ذويهم وأهلهم .

ولا يـزال العـلاج بالوسـائل البلدية "الطب الشعبى " يستعمل بكثرة فى جميع الأمراض . ومن أضرار السيول من الناحية الصحية أصابة عمليات المياة بالشلل فيؤدى هذا إلى أنتشار أو تفشى الأمراض بين الأهالى .

وللطـرق الصوفية فروع فى المنطقة وهم يمارسون أعمالا شتى ، كما ينتشر الأولياء أيضا وتقدم لهم النذور .

وأخـيرا هـناك بعض المعتقدات التى تنتشر على نطاق واسع مثل الأعتقاد فى السحر والدجل والعرافة والمندل والأحجبة والقرين .

من كل ما تقدم نجدأن الأقلية هنا قامت بإعادة بناء المساكن بالطوب الأحمر ولكن بنفس النظام القديم ، والحوش الواسع والغرف الكثيرة المحيطة به ، وهذا هو كل ما تم فعله لتلافى أضرار السيول فى المستقبل . وبداية بناء المنازل بالطوب الأحمر خطوة هامة لتفادى أضرار السيول ولكنها ليست كل شىء فهناك احتياطات كثيرة لابد أن تؤخذ فى الأعتبار منها إعادة التخطيط والبناء فى أماكن مرتفعة ولقد تركزت أقتراحات الأهالى فى إقامة حزام واقى لدرجة أن بعضهم يقترح عمل حزام من الطوب الأحمر ارتفاعه مترا ونصف حول كل بيت بالقرية ، كما يقترحون حفر ترع فى مصبات السيول ويقترح آخرون توسيع الشوارع وتغيير اتجاه البيوت وآماكن

بنائها فى مواقع مرتفعة عند إعادة تعمير القرية ، ولكن كل صاحب بيت يريد الأنتفاع الكامل من المساحة القديمة ولا يحاول التغيير . كما يقترحون فتح مصرف ولو مترين لتصريف مياه السيول بعيدا عن المنازل . وطالبوا بتوفير مواد البناء خاصة الأسمنت والحديد لبناء المساكن بجوار الجبل لتفادى السيول . وكانت شكوى السيدات هى عدم أعطائهن الحق فى الأدلاء بمعلومات عن الحصر وبذلك كانت معلومات لجان الحصر ناقصة ولم تستطع أن تضع التقديرات المناسبة وهن يقترحن أن تعمل الحكومة لجنة من السيدات تبحث فيها آرائهن ولجنة أخرى تقف مع الرجال . وعلى العموم لم يستطع الأهالى حصر الأشياء المفقودة وقت الحصر ، وكان مع اللجنة التى أتت من مديرية الشئون الاجتماعية قوائم بأثمان محددة للأشياء المفقودة . وكان الباحث الاجتماعى يذهب الى رب الأسرة ويأخذ منه البيانات الخاصة به وبعائلته ويسأل عن الأشياء المفقودة وعن المبنى نفسه سواء كان مكونا من دور أو دورين ولكنه لايسأل عما كان يوجد فى داخل البيت، فالباحث لم يكن يعرف كيف يعيش رجل الريف ، صحيح أن المنزل من الطوب النيء . ولكن داخل البيت الكثير من الغلال والنقود ، كما تحب المرأة ان تمتلك كمية كبيرة من الذهب غير الملابس وليس لدى الباحث فكرة عن هذه الاشياء. فأصبحت دراسة حالات المنكوبين لا تمثل الحقيقة الكاملة لانهم كانوا يجلسون بجوار امتعتهم . ومن هنا نجدهم قد ظلموا فى اخذ التعويضات .وكان الشخص لا يأخذ تعويضا عن المحاصيل ولكن يأخذ عن المواشى فمن الملاحظ ان التعويضات لا تقدر على اساس سليم فوضعت قائمة محددة للخسائر وبها فوارق كثيرة قدرتها لجان الحصر مع اشخاص لا يهمهم الذين اضيروا فعلا وكان المفروض ترشيح لجنة تضم عددا من الاهالى ممن يتصفون بالامانة والحكمة والموثوق فيهم لكى تكون التعويضات فى صالح الجميع .

ان السيول تسبب للاهالى الذعر ويحاول كل شخص ان يفر هاربا من الغرق ولا يفكر فى اخذ شئ معه سوى ان ينقذ نفسه وعائلته .ومع كل هذا فقد ظهرت اثار ايجابية لظاهرة السيول .فنتج عنها الكثير من المحبة وروح التعاون بين اهالى القرى وبعضها تتمثل فى امدادهم بالمساعدات والخدمات ،كما قوت مواجهة السيول التكافل والتكامل الاجتماعى وتماسك البناء الاجتماعى الذى تمثل فى تعاون وتضامن اجتماعى ظهر كرد فعل مباشر للكارثة .وقد قدمت فعلا كل القرى المجاورة المساعدات العينية من

غذاء وغلال وبطاطين وغيرها .وهذا يوضح مدى الترابط والتجاوب الانسانى من قبل القرى المجاورة .

وتقوم الحكومة حاليا بعمل خزان لهذه السيول للاستفادة بمياهها فى الزراعة واخذت على عاتقها عمل مسارات لهذه السيول لتفادى اضرارها مستقبلا ،كما قامت ايضا بتقديم المساعدات المختلفة لقيام الاهالى باعادة بناء مساكنهم التى تهدمت وساهمت بعض الشركات فى تقديم المساعدات وكانت اعانات وزارة الشئون الاجتماعية تأتى من القاهرة بالطائرة لان المنطقة ظلت معزولة ثلاثة ايام. وساعدت الحكومة فى ردم المستنقعات وكذلك الجيش والشركات التى تولت اصلاح الطرق التى اتلفتها السيول . ويرجع هذا الى جهود المحافظة فى هذا الشأن وتعدى الامر النطاق المحلى واسرعت الاجهزة الشعبية والتنفيذية بالمحافظة والقاهرة وباقى محافظات مصر للوقوف صفا واحدا تجاه هذه الكارثة المحلية فى قرى الصعيد التى اصابتها السيول ،وساهمت كافة الهيئات والمصالح فى اغاثة المنكوبين .

وبعد ان عرضنا ترتيب هذا المجتمع البنائى والثقافى وعرفنا انه مجتمع مهدد دائما بالانهيار سواء اكان هذا اقتصاديا خاصا بالمزروعات او المواشى ،او حرفيا او خاصا بالبيت نفسه ومحتوياته ، فان الانسان الكائن هنا سوف يكون كذلك قلقا مفتقدا عنصر الاستقرار والهدوء .

فالشباب الذى هو عماد المجتمع ومستقبله يشعر دائما ان كل شئ مهدد وان ما يعمله وما يدخره من الممكن ان يضيع فى لحظات حتى عائلته واطفاله . فكيف وسط هذه الملابسات ، يقوم بتجهيز بيت ويقيم مراسم ويشترى ذهبا وملابس وغيرها من احتياجاته العائلية ،وهو يعرف جيدا ان كل هذا يمكن ان يختفى فى لحظات فقد تداهمه السيول وهو يستعد للزفاف او تكون المرأة فى حالة وضع او مرض او يكون فى البيت حالة وفاه ،فما هو شعوره فى مثل هذه اللحظات وهو يرى السيول تجرف كل شئ امامه. وقد تؤدى السيول الى كوارث اجتماعية ونكبات فى الاسر ، وربما يتهدم المجتمع بأكمله او تموت اسر بأكملها او اطفالها او كبار السن فيها، وقد تؤدى الى تغيرات فى البناء الاجتماعى من اضطراب او تفكك .

ورغم كل ما يحيط بهذا المجتمع من ملابسات طبيعية فان له تقاليده ومفاهيمه التى تميزه عن غيره من المجتمعات ولم تغيرها هذه العوامل. ولو كانت اعمالهم فى السحر والاحجبة والعرافة والمندل تأتى بنتيجة حتمية، لكان بالاحرى عمل طقوس

لمعرفة ميعاد السيول ومنعها . ولكن هذا محال فلا يعرف الانسان . مهما أوتى من خبرة ودهاء .ما تخبئ له الايام . انه فى صراع دائم مع احتياجاته وانجازاته ومدخراته ومخاوفه من عوامل الايام انه فى صراع مع البيئة وقسوتها وضراوتها .

من كل ما تقدم يتضح تماما مدى العلاقة والتأثير المتبادل بين البيئة وبين الانسان الذى يعيش عليها وبين مفاهيمه وسلوكه فى حياته وعاداته وتقاليدد اى بنائه الاجتماعى وثقافته. فظهر ان للبيئة عوامل حتمية ليس للانسان يد فيها (كالسيول مثلا) .ولكنه يستطيع بتركيبه البنائى وانظمته المكونة للمجتمع وثقافته وتكنولوجيته وامكانياته المادية والمعنوية ان يتحايل ويتجنب مثل هذه الظواهر الطبيعية .فيغير تكوينه البنائى واسلوب حياته بما يتفق مع المصلحة العامة لكى يعيش فى النهاية مطمئنا امنا غير قلق يمارس أنشطته الحياتية بصورة هادئة طبيعية لا تشوبها ايه عوانق او موانع طبيعية ، ويتطلب هذا كله التعاون والتضافر والتفكير لكل الاجهزة والانظمة فى المجتمع .لهذا فان النظريات التى اعتمدت عليها الدراسة (نظرية ستيوارد. الايكولوجيا الثقافية اى التكيف البينى الثقافى – ونظريات مالينوفسكى وراد كليف راون. الوظيفية والوظيفية البنائية ، اى ان كل هذه العوامل تعمل على بقاء المجتمع واستمرارد بصورة طبيعية مرضية وان هناك تأثيرا وتفاعلا متبادلا بينها) صحيحة واثبتتها هذه الدراسة المتواضعة .

المراجع العربية

١ – جمال حمدان : شخصية مصر . دراسة فى عبقرية المكان ، عالم الكتب .الجزء الاول ١٩٨٠ ، الجزء الثانى ١٩٨٤ .

٢ – محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٤٥ ، دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٦٣ .

جماعات الصيد والقنص

سوف نبدأ بدراسة بعض الشعوب الأفريقية تبعا للتقسيم الاقتصادى وقبل ان نبدأ فى هذا الموضوع نود ان نلقى الضوء على أفريقيا ودراستها من الناحية الأنثروبولوجية .

تعد أنثروبولوجية افريقيا من اكثر الموضوعات تنوعا وذلك لتعدد الشعوب والسلالات واللهجات فلو صنفت شعوب أفريقيا حسب اللغات السائدة سنجد فى كل مجموعة من المجموعات اللغوية فى أفريقيا عددا كبيرا جدا من اللهجات مما يزيد من صعوبة تلك التصنيفات .

صحيح ان بعض علماء الانثروبولوجيا والجغرافيا البشرية حاولوا التمييز بين المجتمعات الأفريقية على اساس اختلاف السلالات البشرية ولكن هذه المحاولات وجدت ايضا كثيرا من الصعوبات نظرا لعدم وجود فوارق واضحة وقاطعة بين تلك السلالات المختلفة .

وفى دراسة ألانثروبولوجيا لتلك القارة لابد ان نحدد منذ البداية اى فرع من فروع الأنثروبولوجيا سوف يطبق فى دراستها وما هى المجتمعات او الثقافات التى سوف تتناولها بالدراسة وهذا التحديد يعتبر ضروريا منذ البداية نظرا لتشعب العلوم الأنثروبولوجية من ناحية واتساع القارة الأفريقية وتعدد الجماعات والثقافات من ناحية أخرى .

قبل ان ندرس انثروبولوجية أفريقيا لابد ان نلقى نظرة سريعة على القارة بصفة عامة .

فمساحة القارة تبلغ مثلا ٣٠ مليون كيلو متر مربع وهى بهذا تزيد على مساحة أوربا ثلاثة أضعاف . وجدير بالذكر ان ثلث أرض أفريقيا يغطى بالغابات والصحارى الى جانب بعض المناطق الزراعية ، فأفريقيا اذن متعددة الالوان من حيث سكانها وحيواناتها . اما من حيث الطقس فهو فى شمالها يشبه كثيرا جنوب أوربا صيف حار وشتاء ممطر تصحبه فى بعض الاحيان تيارات ثلجية ويظهر الاختلاف واضحا فى درجات الحرارة بالنسبة لليل والنهار كلما اقتربنا من الصحراء .اما مساحة الأراضى الصحراوية بالقارة فانها تبلغ ثمانية ملايين كيلو متر مربع ونجد ان الصحراء اضفت على سكانها لونا معينا من الشخصية والصفات وذلك نتيجة التغيرات الجوية والجفاف وفقر الارض والتغيير السريع لانواع الغذاء الى جانب قسوة الحياة نفسها وبصفة عامة

فهـنا نـرى ان رجـل الصحراء قد اصبح له شخصية مستقلة وهو يوصف بأنه جاف ومستوحش بعـض الشئ ويقال ان الصحراء كانت فى العصور القديمة احسن بكثير مما هـى علـيه اليوم والدليل على هذا تلك الرسوم والنقوش التى عثر عليها على الاحجار وفى الحفريات .

وفـى جـنوب الصحراء نجد مناطق جافة وهى تلك التى تشغل جزءا كبيرا من السودان وشرق وجنوب أفريقيا وهذا هو الجزء الاكبر الذى فيه استطاعت قوى التاريخ البنائية ان تتطور فى حرية دون عوائق وهناك الطرق الواسعة التى تساعد على التجول بحـثا عن الصيد وتربية الحيوانات .وفيها تأسست دول ودمرت دول أخرى عظيمة ولقد كان الزراع القدامى هنا من امهر الزراع .

وتلـى هـذه المناطق الحارة والجافة مناطق أخرى خصبة تحيط بالغابات يزرع فيها أنواع مختلفة من الحاصلات الزراعية مثل الشعير والذرة والفول السودانى والقطن وكذلك النباتات الدرنية ونخيل الزيت والكاوتشوك .

وتظهـر الحشـائش كلمـا ابتعدنا عن الغابات .وتنمو أشجار وشجيرات تحمل اوراقا صلبة تسقط وقت الجفاف .

امـا الغابـات فهـى عبارة عن مناطق طاردة لسكانها ومع ذلك يعيش بداخلها بعض القبائل التى تنتمى الى فصيلة الاقزام كما يعيش بالغابات عنصر سلالى خاص بها مع انها تشجع على العزلة .

ويوجـد بالقـارة الأفريقـية عديد من الانهار أهمها النيل والزمبيزى والفال والكـنغو والنـيجر والسنغال وغيرها كثيرا .ولهذه الانهار اثر فى تحرك الشعوب ولكن يعتـبر بعضها فى الوقت نفسه عائقا حضاريا للشعوب والبعض منها يساعد على تطور الجماعات البشرية.

ويعتبر التاريخ شاهدا عظيما على ان لعنصر الارض أثر كبير على الشعوب فى أفريقيا بل وفى العالم بأجمعه .

ولـم تكـن أفريقـيا ثابـتة الحال كما هى اليوم فهناك تغييرات فى منابع المياه وتغيـيرات فـى وجه الارض نتيجة البراكين الى جانب فترات الجفاف والامطار المتعاقـبة امـا فيما يختص بالمرتفعات بالقارة فأنها متوسطة حيث لا تزيد عن الالـف متر فـيما عدا بعض مرتفعات الساحل الشرقى المحازى للبحر الاحمر وفـيما يخص اللغات فان أفريقيا متعددة اللغات ففى منطقة الشمال لغات حامية

مرتـبطة بدخول الاسلام اما فى الوسط والجنوب فنجد لغات البانتو العديدة مع الاختلاف الوحيد فى لغة البشمن والهوتنتوت فى الجنوب الاقصى .

وفـى السـودان وغينـيا وشـرق أفريقيا وشمالها توجد لغات عديدة مـتداخلة بعضـها يقترب من الحامية والبعض الأخر يقترب من البانتو والثالث ليس له أيه صلة بهذه اللغات .

ويمكن تقسيم أفريقيا الى قسمين رئيسيين

١ - أفريقيا البيضاء وتشتمل على المنطقة من الشمال الى جنوب الصحراء .

٢ - أفريقيا السوداء وتشتمل على المنطقة جنوب الصحراء الى جنوب أفريقيا

من عرضنا السابق عرفنا ان الأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة ثقافة المجتمعات البدائية ، ونود ان نوضح كلمة بدائى من الناحية الأنثروبولوجية .

فهـذا الاصـلاح لا يعنى ابدا ان المجتمعات التى توصف بهذه الصفة اسبق فى الزمـن او فـى المنزلة من بقية المجتمعات الاخرى فمن المعروف ان لتلك المجتمعات تاريخـا طويـلا قد يماثل فى طونه تاريخ المجتمعات الاوربية ذاتها وانه اذا كانت هذه المجـتمعات لم تتطور فى بعض النواحى بنفس النسبة التى تطور بها المجتمع الاوربى فأنها تفوقه فى الواقع فى نواحى أخرى .

ويكفـى فـى هـذه المرحلة ان نقول ان الأنثروبولوجيين حين يستخدمون هذه الكلمـة فـأنهم يقصـدون بهـا الاشارة الى المجتمعات الصغيرة سواء من ناحية عدد السـكان او المسـاحة او تشعب العلاقات الاجتماعية والتى تمتاز ببساطة الفنون الالية والاقتصاد وقلة التخصص فى الوظيفة الاجتماعية اذا قورنت بالمجتمعات المتقدمة .

وهـناك سبب أخر من دراسة المجتمعات البدائية فى الوقت الحالى وهو ان هذه المجتمعات تتبدل وتتغير بسرعة تستوجب المبادرة الى دراستها قبل فوات الاوان .

ويفسـر بعـض العلمـاء مصطلح بدائى بأنه يشير الى الفجاجة وانعدام التطور والخشونة وتدنى النوعية وفى بعض السياقات يعنى المصطلح أيضا عدم كفاية الوسائل بالنسـبة للاهـداف ، ولهـذا علاقـة بالمجال التكنولوجى خاصة ولكن ايضا بالظروف الموجودة داخل مجتمع .وبالمفاضلة بين الثقافات ، فالعصا التى تستخدم للحفر ، مثلا ، بدائية ، بالمقارنه مع اله مثل التراكتور .

والمضـــخة الـــتى تشغل باليد "بدائية" بالمقارنة مع شبكة للمياد تستخدم الانابيب والحنفـــيات ،والخـــيمة او الكوخ "بدائيان" ،بالمقارنة مع البيت ،والنار العادية او الطباخ الـــذى يستخدم الخشب "بدائيان" بالنسبة لالات الطبخ الغازية او الكهربائية وهذه الاخيرة ربمـــا توصف بالبدائية يوما عندما تقارن بالات تستخدم الطاقة الشمسية او الذرية وهكذا والطـــرق البدائـــية للنقل متعبة وبطيئة بالمقارنة مع تلك التى تتصف بالسرعة وبتوفير اقصـــى درجـــات الراحة للمسافرين فهذد الشعوب التى يطلق عليها بدائية تعنى ان هذه الشعوب هى بالمقارنة مع ما نحن عليه غير متطورة وهذا من عدة وجوه ، صحيح فهو يصـــح مثلا فى حالة القراءة والكتابة . وفى حالة التقدم التكنولوجى ، ولربما صح أيضا بدرجـــات مـــتفاوته فى عدة ثقافات على بعض جوانب تطور الأخلاق والمؤسسات . لكن لابد من الإشارة إلى أن هذه الثقافات هى من بعض الوجوه أشد تطورا من أكثر الثقافات المـــتمدنه . وهى لهذا أفضل من الثقافات المتمدنة حسب المعايير التقويمية السائدة حول هذه الأمور فى المجتمعات المتمدنة .

مـــن الأفتراضـــات الشائعة الأخرى أن الشعوب " البدائية هىأقرب إلى الإنسان القديـــم وأكـــثر شبها به من تلك الشعوب التى يقال إنها " متقدمة " ولكن هذا الأفتراض موضـــع شـــك كبـــير . فالحقيقة هى أن للشعوب اللاكتابية تاريخا لايقل طولا عن تاريخ الشعوب المتمدنة .

مـــن هنا وجب علينا أن نقدم الملامح الثقافية لبعض الشعوب التى يطلق عليها بدائية.

وقـــبل أن نـــتكلم عـــن بعض المجتمعات التى تمارس الجمع والالتقاط والصيد والقنص نود أن نعطى فكرة عن هذه المصطلحات .

<u>جمع الطعام :</u>

مصـــطلح يعادل الجمع الذى يدل على أنشطة أو استراتيجيات البحث عن الطعام عند الإنسان وعند الحيوان أيضا .

<u>الجمع والالتقاط :</u>

يعـــيش الإنسان على الأرض منذ ملايين السنين . وما يقرب من (٩٩%) من غذائـــة كـــان عن طريق الجمع والالتقاط ، ولكن مع مرور الزمن بدأت هذه الحرفة تقل شيئا فشيئا . وحتى بداية القرن العشرين أكتشف الرواد الأنثروبولوجيين حوالى (١٦٣) مجتمعا يمارسون الجمع والالتقاط .

ومثل هذه المجتمعات تحظى باهتمام كبير من الأنثروبولوجيين لأنها تعطينا فهماً لكيفية تطور الثقافة البشرية . ولهذه الجماعات التى تعيش فى القرن العشرين مشكلات هذا القرن ولها علاقات متبادلة مع جيرانها ومع الحكومات التى تسيطر على المناطق التى يعيشون فيها . وهناك علاقات تبادل متفق عليها بينها وبين المزارعين والرعاة المجاورين، فهم يشترون منهم ويبيعون لهم .

وهذه الجماعات التى مازالت للآن تمارس الجمع والالتقاط ، تمارس هذه الحرفة ليس لأنها جماعات منسية أو غير محاطة بالاهتمام أو معزولة أو لانها نوع معين بين البشر ، ولكن لأنها تأقلمت مع بيئتها بطريقة معينة فى المعيشة فضلاً عن أنها لم تطرد أو تبعد من وطنها عن طريق الجيران .

إن هذه الجماعات تعتمد أولا وقبل كل شىء علىالنباتات والحيوانات البرية وهم يعيشون فى بيئات محلية متنوعة الموارد ، فنجد الخضروات وجوز الهند والفواكه ولديهم تنوع هائل من الغذاء حيث يخضع الغذاء للمواسم المختلفة ومن هنا لابد من الأعتماد على أكثر من نوع من النباتات .

وكانت البيئة قديما أوفر فى الموارد الغذائية عنها اليوم ولهذا فقد كانوا على مقدرة عالية فى الكتفاء الذاتى . وفى الواقع فإن ما يرغبون فيه يكون دائما فى المراعى التى يقطنون بها .

وهم يميلون إلى الترحال فى أوقات الجفاف إلى أماكن أخرى يكون فيها الغذاء أوفر .

وفيما هو ملاحظ اليوم أن معظم قبائل الجمع والالتقاط تميل إلى التبادل مع المجتمعات أو الجماعات الأخرى .

البناء الأجتماعى :

أن طبيعة البناء الأجتماعى فى هذه المجتمعات يعتمد على البيئة فعليهم أن يجدوا المكان الملائم للمعيشة ، وهى تعيش فى تجمعات صغيرة قريبة جدا من بعضها، وهم يتكونون من عائلات متماسكة . وحجم المجموعة محدد عن طريق الموارد المحلية المحيطة بهم على عكس الجماعات الزراعية .

فجماعات الجمع والالتقاط لا تستطيع تجديد وانتاج الغذاء بسهولة حتى تواكب الزيادة العددية ، وهم يفتقرون إلى تكنولوجيا التخزين وهذا يجعل الجماعات صغيرة ، وتنعكس المراتب الاجتماعية عندهم خلال الكمية المتاحة من الغذاء خلال المواسم

المعينـة، وتسمى هذه الجماعات الصغيرة رابطة أو قبيلة ويجتمع أفرادها فى المناسبات والطقـوس الدينـية ، وهذه الرابطة تكون مرنه من حيث تركيبها بحيث تتمدد وتتسع ، ومن الممكن أن تتقلص وذلك نتيجة تقلب الموارد من وقت لأخر .

وتلعـب العادات الاجتماعية أيضاً دوراً فى مرونة القبيلة أو الرابطة . حيث أن العـائلات تـتزاور مـع بعضـها وتتناول وتتقايض الموارد الغذائية ، فتدبير الغذاء من أختصاص الأسر .

ولديهم تقسيم للعمل حيث يقوم الرجال بالصيد وتقوم النساء بالجمع والالتقاط ، ولكن ما يجمع أو يصاد يكون ملكاً للقبيلة كلها ، ولذلك لايشعر أحد بالجوع لأنه لا ينفرد شـخص واحد أو جماعة بالطعام الكافى لها فقط . وحتى الأدوات والحلى وأشياء أخرى تنتقل من جماعة لأخرى بالتبادل عن طريق تقديم الهدايا وأخذ هدايا وهكذا .

ومـن الممكـن أن تكـون هناك قبيلة لها نفوذ أقوى من قبيلة أخرى ، كما أن الـرجال لهم نفوذ أكثر من النساء ومع ذلك فلا يوجد شخص واحد يؤسس لنفسه مركزا قويـا مؤثـرا على بقية الجماعة ، حيث أن أتخاذ القرار يكون بناءا على رغبة الجماعة ككل ، كما أن نظم التحكم الاجتماعى تميل أن تكون غير رسمية ، لأن الأوامر والقوانين تتغـير يومـيا ، فتقييم السلوك وفرض القوانين شيئان متكاملان داخل تقاليد الجماعة . كمـا أن كـلاً من الجريمة والعقاب الملائم لها تعكس لنا إجماع الجماعة دائما وفى أى وقـت على هذه القوانين . ولكن نادراً ما يحدث أن الشخص الذى يكرر انتهاك القوانين والقواعد التى اتفقت عليها الجماعة أن يكون منبوذاً من هذا المجتمع .

جمع الطعام أستراتيجية لمعاش الكفاف تقوم على جمع الموارد الغذائية البرية أى الـتى تنمو بفعل الطبيعة كالنبات ، والبيض ، والحيوانات الصغيرة . والمعروف أن المجـتمعات التى تعتمد على الصيد والجمع اعتمادا كاملا أصبحت نادرة نسبيا فى أيامنا هذه . وسبب ذلك أن أساليب الزراعة بأنواعها المختلفة أما أنها أنتشرت فى كل مكان ، أو فرضـت فرضـا فـى كثـير من مناطق العالم . ومع ذلك مازلنا نجد أن هناك بعض المـناطق ، مثل حوض نهر الأمازون ، مازال الصيد والجمع يمثلان لدى غالبية السكان الأصـليين عناصر مهمة للمعاش إلى جانب فلاحة البساتين . كما نجدأن هناك جماعات أكـثر أنعزالا مازالت تعيش إما على الصيد أو على الجمع وحده ، وقد ظهرت فى سياق المناقشـات حـول مجـتمعات الصيد والجمع بعض الآراء التى لفتت النظر إلى التأكيد المفـرط علـى الأهمية الاجتماعية والرمزية والغذائية للصيد ، الذى هو نشاط يقوم به

الذكــور أساسا. والاشارة الباهتة إلى نشاط جمع الطعام الذى يعد نشاطا تقوم به الإناث أساسا . ويوضح هؤلاء النقاد أنه فى مجتمعات الصيد تتولى أنشطه الجمع التى تضطلع بهـا النساء توفير نسبة كبيرة من الطعام المستهلك ، وإن كانت الهيبة التى يحظى بها هذا النشاط منخفضة بالقياس إلى الهيبة التى تحظى بها عمليات الصيد التى يضطلع بها الرجال ، وقد أوضح الكتاب الذين يؤكدون أهمية الموارد البروتينية فى مجتمعات الصيد والجمـع باعتـبارها هـى العوامل المسئولة عن توزيع السكان وكثافتهم . أوضحوا أن الهيـبة الرفـيعة التى تضفى على عملية الصيد تعكس الأهمية الأكبر للبروتين الحيوانى بالمقارنة إلى المواد الكاربوهيدراتية .

الصيد (القنص) Hunting

عملـية مطاردة واقتناص الحيوانات البرية ، بما فى ذلك حيوانات البر والطيور . والحـيوانات الـبحرية . قد أتسمت مجتمعات ما قبل الزراعة بأنها " مجتمعات قنص " وقـد لوحـظ أن هذا الوصف يعكس الأهمية والقيمة التى يعزوها الناس أنفسهم لعملية القنص ، أكثر من كونه يعكس تقييما موضوعيا لاقتصاد تلك المجتمعات ، التى تعتمد فى أغلـب الحـالات ، علـى أنشطة أخرى أكثر من القنص . لذلك يفضل الأنثروبولوجيون المحدثون مصطلح مجتمعات الصيد والجمع .

الصيد والجمع Hunting and Gathering

يمـيز نمـط الإعاشة الذى يعتمد على الصيد والجمع حوالى ٩٩% من التاريخ البشـرى ، كمـا أن أستئناس الحيوانات والنباتات يعد تطورا حديثا نسبيا ، لو أخذنافى الأعتـبار اجمـالى الزمـن الذى عاشه الانسان على الأرض . وقد أوضح " لى " Lee وديفـور Devore فـى العـرض الذى قدماه لهذا الموضوع (عام ١٩٦٨) . أن نمط الإعاشة المعتمد على الصيد والجمع يعد أكثر الأنماط تكيفا مع البيئة اكتشفته الانسانية حتى اليوم ، مع الأخذ فى الأعتبار المستقبل الغامض للمجتمعات الصناعية والزراعية ، والـتهديدات الـناجمة عن الكوارث الإيكولوجية أو الدمار الهائل الذى تخلفه الحروب ، لهـذا تولـى علمـاء الأنثروبولوجيا الذين أهتموا بدراسة نمط الحياة القائم على الصيد والجمع ، تولى مهمة أصلاح " الحيز للعصر الحجرى الحديث " من جانب الأنثروبولوجيا الحديـثة ، التى أهتمت اهتماما يكاد يكون وحيدا بدراسة الأشكال التنظيمية (كالقبيلة ، والكـيان الرئاسـى – الأكبر من القبيلة – والدولة) التى ظهرت خلال العصور الحديثة نسـبيا . ومن الخطأ بالطبع أن نفترض أن دراسة السكان الذين مازالوا يعيشون اعتمادا

علـــى الصيد والجمع ، خلال العصر الحديث يساوى دراسة جماعات الصيد والجمع التى كانت موجودة قبل العصر الحجرى الحديث . فلا يوجد مكان فى العالم يحتوى علىأناس يعـــتمدون على الصيد والجمع ، يعيشون فى عزلة تامة عن الشعوب الزراعية أو عن المجتمعات الاقليمية أو القومية التى تحتوى على أقلية تنتمى إلى مرحلة ما قبل الزراعة تحدد شروط وجودها وقد أدت الضغوط والتأثيرات التكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية والسياســية والثقافــية ، أدت إلى التغير الجذرى لشروط وجود السكان الذين يعتمدون علـــى الصـــيد والجمـــع . لـــذا يجب دائما أن تتم دراسة هؤلاء السكان داخل السياقات الاجتماعـــية الثقافية والتاريخية الأوسع للمجتمعات والدول التى تضمهم . ويتباين تأثير وتأثـــر جماعات الصيد والجمع بالسياق الأوسع ، بدءا من أمثلة واضحة لادخال الأدوات المعدنـــية الـــتى أحدثـــت ثورة فى أساليب الإنتاج أو الضغوط التى تعرضت لها الأرض والمـــوارد الأخرى والتى دفعت السكان الذين يعتمدون على الصيد والجمع إلى ممارسة أنمـــاط معيشتهم التقليدية ، داخل مساحات تتضاءل باستمرار . وتصل تلك المؤثرات إلى علاقات التبادل المعقدة والاعتماد المتبادل التى طورها بعض السكان الذين يعتمدون على الصيد والجمع مع الشعوب الزراعية (من هذا مثلا العلاقات بين البيجمان والبانتو التى وصـــفها (تـــير نـــبول Turnbull) كمـــا أن علاقات الأبادة العرقية لازالت تؤدى الى تقلـــيص عـــدد السكان الذين يعتمدون علىالصيد والجمع فى جميع أنحاء العالم ، وعلى الـــرغم من زيادة الوعى بأن السكان المعتمدين على الصيد والجمع يخضعون كغيرهم مـــن الأنمـــاط الاجتماعية الأخرى، لعمليات التطور التاريخى والتأثير العرقى المتبادل ، فـــثمة أهتمام مستمر بمقارنة مجتمعات الصيد والجمع المعاصرة بتلك المجتمعات التى كانت موجودة فى مرحلة ما قبل التاريخ ودراسة الشواهد الأركيولوجية على تطور نمط الحـــياة المعتمد علىالصيد والجمع ، ومع ذلك فإن الدراسات الحديثة تعى ضرورة الحذر عند أستخدام البيانات الأثنوجرافية بوصفهاشاهدا على ظروف ما قبل التاريخ .

وتـــتوزع المجـــتمعات الـــتى تجسد نمط الإعاشة المعتمد على الصيد والجمع، تـــتوزع داخـــل العالم الحديث بشكل واسع . هذا على الرغم من أنهم تناقصوا وأصبحوا يعيشون فى أماكن هامشية ويشكلون شريحة صغيرة من إجمالى سكان العالم .

ومجـــتمعات الصـــيد والجمع تتسم عموما بوجود جماعات محلية صغيرة تعيش علـــى الـــترحال ، ومجـــتمعات الصيد والجمع التى أستمرت إلى العصر الحالى يشكلون جماعـــات هامشـــية تعـــيش فى تلك المناطق القاسية . وهذه الجماعات ومنهم البشمن

مخصصون وقتا قصيرا نسبيا للانشطة الخاصة بالاعاشة وهو وقت متقطع تتخلله فترات كثيرة من الراحة

وشـــعوب الصـــيد والجمـــع يعيشون حياة الترحال والتنقل ، ولذلك ليس لديهم ســوى ممتلكات شخصية ضئيلة ، بل أنهم لا يهتمون كثيرا بحيازة الممتلكات ولا بفكرة الملكـية بشـــكل عام أضف إلى ذلك أن فكرة التراكم والتخزين فكرة غير موجودة ، ذلك لأن نمط حياتهم يقوم على الترحال ويعتمد على أنتهاز ما يتاح من فرص ، ويؤكد العديد من الباحثين الأثنوجرافيين أن معدل ساعات العمل لدى جماعات الصيد والجمع يتراوح من ساعتين إلى أربع ساعات عمل خلال اليوم وتستثمر موارد غذائية وفيرة . ومع ذلك يجب الا ننسى أن الكثير من هؤلاء السكان يعيشون فى ظل ظروف أزمات ضغوط بيئية صـــعبة . ترتـــبط فى أغلبها بالتعدى المستمر من جانب المزارعين والهيئات الحكومية على المناطق التى يقطنونها .

وعملـــية الصيد فى حد ذاتها تحاط بهيبة كبيرة وتحظى بأهمية سحرية خاصة ، أمـــا عملية الجمع التى تعد نشاطا إنثويا بالأساس ، فتستأثر بطقوس أقل ومكانة أدنى . ولـــذا ينظر بعض الباحثين إلى مثل هذه الهيبة والأهمية الطقوسية عندما ترتبط بعملية الصـــيد بوصـــفها جزءا من تقديس الهيمنة الذكورية ، بينما ينظر إليها باحثون آخرون بوصفها إنعكاسا للدور المهم الذى يلعبه البروتين فى غذاء هؤلاء السكان .

ويـــرى الذيـــن يركزون على أهمية البروتين ، ان اللحوم على الرغم من كونها تشكل نسبة صغيرة من إجمالى الغذاء ، لكنهاتمثل أهم مكون من مكوناته. كما أن ندرة مصادر البروتين وصعوبة الوصول إلى هذه المصادر وتوزيعها ، يعتبر عاملا مهما فى التنظيم الاجتماعى وفى التوزيع الديموجرافى والبناء الأساسى لجماعات الصيد والجمع

وتعـــد دراســـة الديموجرافـــيا والايكولوجـــيا السكانية من أهم مجالات البحث الأساســـية الأخـــرى لمجتمعات الصيد والجمع . وقد ركز بعض الباحثين أهتمامهم على دراســـة العملـــيات الـــتى تؤدى إلى أستمرار هؤلاء السكان فى حالة تكيف وتوازن مع بيائـــتهم بشـــكل عام وخاصة الحفاظ على الكثافات السكانية منخفضة كما أهتم باحثون أخرون بحساسية سكان الصيد والجمع للأمراض والآليات المستخدمة لضبط النسل .

عملية الصيد أو المطاردة النشيطة يمارسها فرد أو فردين :

وهـــذه العملية تتألف من – التتبع . المطاردة خلسة ، عمل كمين فى المياة أو البحـــيرات المالحة . الجرى ، التجهيز للهجوم سواء باستخدام طعم أو بدون ، مفاجأة الحـــيوان بالســـرعة الكبـــيرة والتحمل ويستخدمون أدوات وأسلحة تختلف من حيوان لآخر وكذلك الطيور ، كما أن لديهم طرق للتنكر أثناء عملية الصيد .

وفـــى بعـــض الأحيان يستخدم الحيوانات النشطة عن طريق تدريب الحيوانات مثل الكلب ، الصقر ، القرد .

عملية الصيد بواسطة مجموعة من الأفراد يعملون كفريق عمل واحد :

وفـــى هذه الحالة يكون الهدف هو القيام بعملية الصيد عن طريق إطلاق النار أو إثـــارة الفـــرائس من مكانها ، وغالبا يستخدم الكلاب لهذا الغرض ، بجانب الشباك ، الحفـــر ، الحـــبس ،عمـــل أكمنة ، وغالبا ما تبنى الأسوار مقدما لأجبار الحيوانات على أتخاذ خط معين لا تتخطاه .

وبالنسبة للأساليب المستخدمة نجد :

الفخوخ :

فخـــوخ يقـــوم بهـــا شـــخص مبتدىء ومنها فخوخ ليس بها طعم (كالاقفاص والشباك) وفخوخ يستخدم فيها طعم .

الطعم:

عملـــية الصيد بطعم يكون عمل ممتع . وتستخدم مع الفخوخ الأرضية بجميع أنواعهـــا وفـــى صـــيد السمك ومنها . الطعم الأصلى أو الممتاز . وهو يكون من طعام حقـــيقى للحيوانات أو الأسماك . وتكون أما طعم حى أو به روح ، وفى هذه الحالة لابد أن تكـــون المجموعـــة المســـتخدمة له ممتازة وذات مهارة ، وربما تكون من طعم فاقد للروح من حيوان أو نبات .

قـــد يكـــون الطعـــم من الحيوانات أو مايشابهها أو يحاكيها . وبمجرد ظهوره يجـــذب الحـــيوانات الأخرى أى من نفس النوع . وربما تنجذب الحيوانات أيضا إلى ما يشابه أو يقلد صوتها أو صياحها ويقلدونه بآله موسيقية أو غيرها .

طعـــم الريش : ويستخدم في بعض الأحيان لجذب الحيوانات البرية ، وعادة ما يستجيب لرائحته أو لونه أكثر من طعمه .

طعـــم الأنفجار : وهى غالبا تستخدم فوق سطح المياة لجذب الأسماك التى تصاد بالرماح أو الشباك ، ولكن أحيانا تستخدم لجذب الحيوانات الأرضية .

<u>مجتمعات الصيد والقنص الأفريقية</u>

وتعتبر هذه المقالة بداية لسلسلة دراسات عن شعوب أفريقيا تعتمد فى تقسيم شعوبها على النشاط الأقتصادى السائد فيها .

وتعرض هذه الدراسة :

١ – صيادو السافانا :

البشمن

٢ – صيادو الغابات الأصليون

(الأقزام) .

وســـيعقب ذلك سلسلة من الدراسات عن شعوب أفريقيا لما لها من أهمية كبيرة حيـــث أنـــه مـــازال هـــناك نقص كبير فى المراجع العربية بالنسبة للدراسات الافريقية وبصفة خاصة انثروبولوجية افريقيا .

وتواجـــه الباحـــث فى أنثروبولوجية افريقيا عدة مشكلات : أولها وأخطرها هى الـــندرة غـــيرالعادية فـــى المـــراجع . فعلى الرغم مما كتب عن كثير من شعوب القارة وبالـــرغم مـــن التخصـــص الدقـــيق لبعض الكتاب فى شتى فروع الحياة بالنسبة لهذه الشـــعوب . إلا أن الأمـــر يختلف فيما يتعلق بالبشمن والاقزام وبقايا الشعوب الاخرى ، فالمـــادة المـــتاحة حـــتى الان عـــنهم تعالج الموضوع بشكل عام وسريع ، كما أن ندرة المـــراجع لا تقتصـــر على الكتب العربية فقط ، بل تتعداها الى الكتب والمراجع الأجنبية ايضـــا . وثانـــيهما : هى قلة الدراسات الحديثة عن البشمن والاقزام . وحتى المراجع الموجودة – مع ندرتها – ترجع الى أواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، والـــتى يـــرجع الفضل فيها ليس الى المتخصصين من الانثرولوجيين وأنما إلى الرحالة والمبشرين وقد اخذ عنهم أغلب من كتبوا حديثا *

---

* - اتيحـــت لـــى الفرصـــة ان أطلـــع على هذه المرجع النادرة والمتوفرة فقط فى المعاهد المتخصصة أثناء دراستى فى لمانيا الغربية ومنها :

Schneider, W.: Die Religion der afrikanischen Naturvolker. (Westf.)
Schmidt, P.W.: Die Stellung der pygmaenvolker in der 1891.

١ – صيادو السافانا

تعتبر حضارة صيادى مناطق السافانا باوروبا وافريقيا أقدم حضارة يمكن ان يتحدث عنها علماء الانثروبولوجيا والاثنولوجيا وما قبل التاريخ ، وبالنسبة لافريقيا ينتشر صيادو السافانا فى الجزء الجنوبى الغربى من القارة فيما بين صحراء ناميبيا جنوب أورونج الى كونين وانجولا . وتقتصر هذه المناطق على البشمن وبعض الهوتنتوت كما تنتشر بقايا بعض شعوب الصيد أمثال (سنداوى وكنديجا ، وندورويو Sandawe, Kindigo, Ndorobo) فى شرق أفريقيا ، (واتا ، ودوم وبونى Wata, Dume, Boni) فى الشمال الشرقى ، وينضم لهذه المجموعة بعض جماعات الصيد ذوى اللون الفاتح مثل (مهالبى Mahalbi) بين النيجر وبحيرة تشاد) .

ويصف باومان حضارة هذه الشعوب العريقة فى القدم وبصفة خاصة طقوس الصيد وطرقه مثل : أقنعة الصيد ، وتسميم أماكن المياد ، وعصى الرمى، والخنادق ، وأخفاء السهام المسممة فى أعشاش النعام ، وجرح الحيوان ، ومطاردة القنيصة والصيد بالكلاب ، وأخيرا عصا الحفر مع الحجر الثقيل ، كما يصف ملابسهم بانها عبارة عن مآزر ، أو أحزمة من الجلد وأغطية تستر العورة وعلاوة على ذلك فهم يستخدمون ادوات زينة من بيض النعام أو القواقع ويحملون اقواسا وسكاكين ومقاليع ورماحا . والمسكن عبارة عن مصدات رياح وأكواخ دائرية بدائية من فروع وأوراق الاشجار والحشائش .

Entwicklungsgeschichtedes Menschen. Stuttgart, 1910.

Baumann, H.: Vaterrecht und Mutterrecht in Afrika In Zeitschrift Fur Ethnologie 1926.

Schapera. I.: The khoisan Peoples of South Africa. London 1930. p. 57-64

Schebesta. P.: Bambuti. Leipzik 1932.

Frobenius, L.: Kulturgeschichte Afrikas. Zurich 1933

Baumann. H. u. Thurnwald. R.u. Westermann, D. Volkerkunde Von Afrika. Essen 1940.

Bernatzik. H.A.: Africa, Handbuch der Angewandten Volkerunde. Hrsg. Von H.A.: Bernatzik Innsbruck. 1947

Seligman, C.G., Races of Africa. London 1957.

Murdock. G.P.: Africa, its people and their culture history. New York 1959.

وكان التنظيم الاجتماعى قديما يتكون من أعضاء جماعة الصيد يرأسهم أكبرهم سنا كقائد ، ولكن تلك الجماعة أصبحت تتبع مبدأ آخر هو مبدأ الأقوى جسمانيا . وترتبط حفلات التكريس التى يسمح من خلالها للفرد أن يندرج تحت جماعة الصيد بظهور الاشباح فى الأدغال حيث يلقن اسرار فن الصيد التى ترتبط بطقوس سحرية مختلفة ، يقودها أصغر رجل فى جماعة الصيد ، وتعتبر العصا السحرية من أدواتهم المختلفة التى تحمل معنى عقائديا ، ولا يعرف صيادو السافانا تقديس الاسلاف والأرواح فى معتقداتهم الدينية ويحل محلها فى المقدمة تصورات سحرية عن الميت الذى يتحول الى شبح ويبقى جثمانه – فى نظرهم – حيا ، ولديهم أيضا أساطير حيوانية متطورة تتكون من مجموعة من أشكال الحيوانات تتمثل فى الجان واشباح الأدغال ، ويعتقد أولئك الصيادون فى اله أعظم كما يقدسون القمر أيضا . وقد أدى هذا التقارب بين الإنسان والحيوان والحياة الجماعية المتجاورة والرابطة العميقة بينهما إلى تكوين أفكار توتمية [1] تؤكد الموقف الروحى لهؤلاء الصيادين فى العصر الحجرى .

1- التوتم لدى الشعوب البدائية حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية تعتبر رامزا لهم وتشعر الجماعة انها مرتبطة به . أنظر :

Der Kleine Brockhaus in zwei Bander, F.A. Brockhaus, Wiesbaden 1962 Zweiter Band L-Z. P.545

(*)هذا الأسم مشتق من الكلمتين الانجليزيتين Bush-Men ومعناها رجال الأدغال ، ويستعمل نفس الأصطلاح باللغة العربية لان الأسم الشائع الانجليزى الاصل قد أصبح علما . ويميل الكتاب الى اعتبار البشمن اقدم الاجناس فى القارة الافريقية . وليس له مثيل فى أية قارة أخرى . ولا شك أنه كان أوسع أنتشارا من الوطن المحدود الذى يعيش اليوم فى بيئة ليست أفضل البيئات لحياة الصيد ، والبقايا الأثرية تشير إلى أنهم جاءوا من الشمال حيث كانوا منتشرين فى مساحة كبيرة فى الأقاليم المدارية شمال وجنوب خط الأستواء

Seligman, G.G. : Races OF Africa, 1966, P11

سليجمان، س ، ج: السلالات البشرية فى أفريقيا ، ترجمة يوسف خليل ١٩٥٩ ص ٢١ .

د محمد عوض : الشعوب والسلالات الأفريقية ١٩٦٥

البشمـــــــــن *

لا يمكن أن نتوقع أن يقابلنا اليوم ممثلون لشعب من شعوب العصر الحجرى ينتمون الى سلالة نقية وغير مختلطة .

فعـنـدما حــل الهولنديون فى منتصف القرن التاسع عشر بالاقليم الذى توجد به الأن مديـنـة الكيـب ، كــان يسكن هذا الأقليم جنسان . أحدهما اطول قامة ويعيش على رعـى قطعـان الماشـية وهو ما يعرف الان اباسم الهوتنتوت أما الجنس الآخر فكــان يعيش على الصيد والجمع وقد أطلق علية الهولنديون اسم البشمن [١] . ويؤدى التشابة الكبـير بيـن البشمن والهوتنتوت الى جمعهما فى سلالة واحدة تسمى سلالة الخواسان Khoisan [٢] وهـى كلمة مشتقة من خوا kHOA وهو الأسم الذى يطلقه الهوتنتوت علـى أنفسهم وسان هو الأسم الذى يطلقونه على البشمن . ويشبه الهوتنتوت البشمن فى معظم صفاتهم الفيزيقية ولكن هناك فارقا رئيسيا بينهما وهو طول القامة ، والصفات الزنجـية أكثر ظهورا عندهم مما هى عند البشمن ، والرأس أكثر أستطالة ويظهر هناك اخـتلافا آخر فى حضارة الجماعتين . فالهوتنتوت رعاة يربون البقر والأغنام ويصنعون مـن الحديـد ادوات ورماحـا وسهاما ومن الخشب اوانى وصحونا وينسجون الحصير ويستعملون من الجلود قربا للماء وأوعية لحفظ اللبن . وأوضحت أبحاث اطوال الأجسام

1- أطلـق الهولـنديون علـى البشمن أسم Bosjesman وهو يعنى الذى يسكن خلف ال Bosjes أى الأكواخ المحدولة من الفروع :

Der Kleine Brockhaus, Erster Band 1961, p.632
Bernatzik. 1968, p 186-199
Hirschberg, W., 1965. p. 30. 33.

ويقدر عدد البشمن الى ١٩٦٥ بحوالى ١٠٠٠٠ نسمة .

2- Khoisan هـو الأسـم العلمـى العام للهوتنتوت والبشمن حيث يجمعهما وحدة لغوية وحضارية : Seligman 1960 . p. 16 محمد عوض ١٩٦٥ ص ٣٧ ، سليجمان ١٩٥٩ ، ترجمة يوسف خليل ص ٢٨ .

التى أجريت على البشمن ان متوسط طول القامة ١٤٤ سنتيمتر ، والبشمن الذين يسكنون الشمال اطول من الجماعات التى تعيش فى الجنوب . وعموما فان لون البشرة لديهم يميل إلى الأصفر الباهت أو البنى المشوب بالحمرة وكلها صفات تشير الى درجة من الاختلاط مع الزنوج المجاورين ذوى الألوان الداكنة . ومما يلفت النظر فى قسمات وجوههم التجاعيد الشديدة حتى لدى الأشخاص صغار السن ايضا والشعر طفيف ويغطى الرأس واليدين والقدمين شعر أسود قصير لولبى مجعد يبدو كما لو كان مزخرفا ويطلق عليه شعر " مفلفل " ويغلب على النساء دائما بدانة الارداف وكذلك غلظ الشفاه .

ويعتبر أصطلاح البشمن اسم جنس يضم عددا من جماعات العشائر المختلفة وتقسم تلك المجموعات الى شمالية ووسطى وجنوبية يعيشون فيها ، وحسب فصول السنة يكون معظم الطعام احيانا من الصيد واحيانا اخرى يكون أكثره نباتا وأشياء أخرى تجمع أو تلتقط ويصيد البشمن الوعول والغزال ، كما يمارسون الصيد بالمطاردة فيطاردون الفريسة ويتبعونها الى أن ترهق وتقع ثم يقتلونها . وهم يستخدمون غالبا أقنعةالصيد من جلد النعام وفرو الظباء ، ويقترب الشخص بهذا الملبس من الحيوان حتى يتم أصطياده ويحفرون الخنادق ويسممون السهام كما تدرب الكلاب أحيانا على الصيد واما صيد السمك فيلعب دورا ضئيلا جدا لدى البشمن . وبينمايذهب الرجل للصيد تجمع المرأة الجذور والدرنات والابصال الصالحة للاكل وهى تبحث عن الغذاء النباتى بالحفر بواسطة عصا الحفر وما تجمعه المرأة يكون غذاء حيويا بجانب غنائم الرجل التى هى دائما ضئيلة ، وهكذا يتعاون الجنسان للحصول على الغذاء . ولديهم وسيلة هامة للصيد عبارة عن عصا طويلة يثبت بطرفها ثقل من الحجر وبالطرف الأخر سنارة حيث تسحب بها الحيوانات من جحورها مثل النمل والقنفذ الكبير والارانب وكذلك بواسطة الدبوس، وأحيانا يحتفظ بالفرائس الصغيرة داخل الحفر ثم تستخرج بعد ذلك .

المسكن : عبارة عن مصدات ضد الرياح أو أكواخ شبة دائرية ، تقيمها النساء من الحشائش وفروع الشجر بالقرب من منبع الماء غالبا . وتختلف الأكواخ فى الحجم والشكل من عشيرة لأخرى وهى فى أبسط اشكالها عبارة عن مأوى ارتفاعة نحو متر ونصف المتر ، وتعيش العشيرة فى شبه معسكر كبير فى شكل دائرة كبيرة بحيث تكون أكواخ المتزوجين منفصلة بعضها عن بعض ويكون كوخ الزعيم عند بعض القبائل بعيدا عن الدائرة ، وفى وسط المعسكر توجد شجرة يجتمع عندها الرجال وتقام حولها

الحفلات . ويعيش الأولاد والبنات فى كوخ صغير بالقرب من كوخ الأبوين إلى أن يبلغوا سن الرابعة ثم يفصل الاولاد عن البنات فيما بعد.

الملبس : لايستعمل البشمن من الملابس الا القليل ويصنعونها من جلود الحيوانات فيلبس الرجل قطعة من الجلد مثلثة الشكل تشد وسطة وتستر عورته ، وترتدى المرأة ازارا صغيرا من الأمام وآخر أكبر منه من الخلف ، وتزيد المرأة المتقدمة في السن علاوة على ذلك منزرة اخرى تتدلى من الكتفين على الظهر وتسمى " كاروس Kaross " هى عبارة عن عباءة قصيرة من فراء من نوع من التياتل تحيكه وتزكرشه وتتخذ منه فى النوم غطاء ويلبسه كل من الجنسين وعباءة المرأة أكبر لأنها تربطها حول الوسط وتحمل فيها الأطفال والاشياء التى تجمعها من الأرض . وأخشاب الوقود واما الأطفال فيسيرون عراة عادة ، ويغرم البشمن بالتزين رغم الفقر الشديد ، وتعتبر السلاسل الطويلة المصنوعة من قشر بيض النعام سلعة تجارية قديمة ومازالت حتى اليوم . وعلاوة على ذلك يولع البشمن بحلقات اليد الرفيعة المصنوعة من الخشب وحلقات جلدية أخرى مصنوعة من شرائط من الجلد وغيرها كأدوات للزينة وتتزين بعض القبائل بمساحيق سوداء وحمراء توضع على الوجة بصفة خاصة . كما يستخدم الرماد لتضميد الجروح ، ويمارس أيضا الوشم كوسيلة للتزين ، وفى قبيلة نارون يقوم كبار القوم بوشم الصياد الناجح مقابل هدية يقدمها لهم مما أصطاده .

ومن أوانيهم وأدواتهم نجدهم يستخدمون اكياسا من الجلد لحفظ ما يجمعونة من الطعام ويوضع فيها أيضا أدوات اشعال النار[١] والحبال ، ويستعمل بيض النعام المزين برسومات زخرفية لحفظ الماء الذى يتم سحبه من باطن الارض بطريقة خاصة [٢] . وتسحق المرأة الفاكهة المجموعة فى هاون خشبى ، ويحفظ البشمن سهامهم المسممة بعناية فى كيس أو وعاء من الخشب أو الجلد. وهم يستخدمون اساسا أقواسا وسهاما كأسلحة ونادرا ما يستخدمون الهراوات كما يستخدمون الرماح المأخوذة عن

1- عصى خشبية خاصة لاشعال النار ، ويتم توليد النار بطريقة احتكاك هذه العصى وعندما يشعلونها تترك مشتعلة بصفة مستمرة.Seligman, 1968, p . 13

2- لقد جعلت الحاجة من البشمن مخترعين فهم يستخرجون الماء نقطة بنقطة من الرمال المبتلة بصعوبة بالغة بواسطة مواسير بطرفها مرشح من الحشيش .

جيرانهم . ولديهم ما يسمى بمسدس البشمن الذى لا يستخدم كسلاح ولكنه آداة سحرية يتكون من أقواس وسهام صغيرة مناسبة . أما سهام الصيد وأقواسة المسممة فلها طرف من الخشب أو العظم ونادرا ما تصنع من الحديد [1] . ونذكر بخصوص الالات الموسيقية قوس الموسيقى ومن الالات التى تستخدم فى طقوسهم السحرية العصا الالهية والعصا السحرية وهى تلعب دورا هاما كأداة طقسية فى المراسم الدينية .

وهم : عبارة عن الحيوانات الصغيرة التى تصطادها المرأة والخضر والفاكهة التى تجمعها ومما تجمعه النساء أيضا بيض النمل الأبيض أو أرز البشمن الذى يقلى على النار مع قليل من الدهن ، ويجمعن أيضا الديدان والحشرات والجراد والضفادع والسحالى والثعابين والسلاحف ، كما يجمعن جذور الأعشاب ويحتفظن بها لاستعمالها فى فصل الشتاء ، وتصنع المرأة ما يشبه الخبز من لباب نوع من الخيل أو من جذور نوع من النباتات .

ويقوم الرجال بجانب صيد الحيوانات بجمع العسل ويذهبون فى البحث عنه الى أى مكان غير مبالين بارتفاعه ، ويصنع البشمن من العسل البرى نوعا من أنواع الخمر تعلموه من الهوتنتوت .

وفيما يخص البناء الاجتماعى للبشمن فلا يوجد لديهم نظام عشائرى واسع ولايعرف احد ما إذا كان يوجد لديهم غير ذلك فى يوم ما كما لايوجد لديهم ايضا زعيم قبيلة متعلم ،وحتى لو وجد فانه يعتمد على قيادة أجنبية كما هو الحال عند الكونج والهايكوم Kung , Heikum . ويمتلك الأخيرون ايضا صفة مميزة وهى أرتباط زعيم القبيلة بالنار المقدسة التى لا يجب أن تطفأ أبدا . وتظهر جماعة الأسرة والجماعة المحلية عند البشمن كوحدة اجتماعية مهمة . ويكون قائد مثل هذه الجماعة هو غالبا اكبرهم سنا ومعرفة ودراية . وتمتلك كل جماعة من هذه الجماعات اقليما معينا للصيد والجمع والتى لايمكن تخطيها الا تحت ظروف معينة ومسبقة فقط ، وتستمد الاسرة سلطتها دائما فى الخط الأبوى .

---

[1]- اذا وجدت بعض السهام والاقواس ذات الأطراف الحديدية فتكون قد أخذت عن جيرانهم فالبشمن لا يصنعون الحديد . وربما يكون البشمن ايضا قد حاولوا فى بعض الأحيان صناعة الاوانى ولكنها محاولة يائسة .

ويعيش الرجل لدى البشمن غالبا مع زوجة واحدة Monogamy ولكن تعدد الزوجات عندهم Polygamy مسموح به . ولو ظهرت هناك بعض حالات النظام الأسومى فأنها ترجع إلى تأثير اجنبى . ووجودنظام الزواج الخارجى (الزواج من خارج الجماعة Exogamy يرغم الرجال على الزواج بزوجات من جماعة أخرى غير التى ينتمون اليها وليس لديهم حفلات معينة للزواج .

فإذا أراد احدهم الزواج اختار عروسة من الجماعات المجاورة وفى يوم الزواج يهديها ازارا من جلد الحيوان وفى بعض القبائل يصيد العريس قنيصة من بقر الوحش أو غزالا يقدمه لوالد العروس أو للعروس نفسها لاقامة وليمة العرس، وأثناء الاحتفال بالزواج يمسك العريس بعروسه فيهجم عليه ذووها شارعين أسلحتهم وعلى الزوج أن يثبت ويتلقى الضربات ويظل فى الوقت نفسه متشبثا بعروسه لا يتخلى عنها . وإذا أفلح فى ذلك أنصرفوا عنه وتم الزواج والا فعليه أن يجتاز التجربة نفسها مرة أخرى . وبعد الزواج يقيم العروسان بضعة أسابيع مع أهل العروس ثم ينتقلان معا إلى حيث يقيم أهل الزوج ، وينتسب الأولاد لأبيهم وتتزوج الارامل عادة مرة ثانية ويكون الزوج الثانى مسئولا عن أولادها . فإذا ظلت الأرملة بغير زواج فان من المنتظر أن يمد لها أخ الزوج المتوفى يد المساعدة .

وعندما يولد طفل جديد يحتفلون بمقدمه بالغناء والرقص وكذلك يفعلون فى يوم الاحتفال بتسمية المولود الجديد وتتم ولادة الطفل عموما فى الادغال ثم ترضع الأم طفلها حتى الثالثة أوالرابعة من عمرة فإذا حدث أن ولد طفل اخر قبل فطام الرضيع فإن مصير الوليد الجديد الوأد عادة ولا يعرف ببلوغ الاولاد مبلغ الرجال الا إذا اجتازوا فترة تمرين وتدريب خاص وفى هذه الفترة يتم تشليخ جبين الولد بعلامات خاصة بالاسرة . وتعمل بعض العشائر تكريسا خاصا بالاولاد (تكريس الشباب) وهى ترتبط غالبا بتجارب الشجاعة والقوة . ولقد عرفوا حفلات التكريس التى يتم فيها ختان الأولاد تحت تأثير اجنبى وتقام للبنات حفلة عائلية صغيرة عند وصولهن سن البلوغ .

وفى حالات الوفاة : تدفن جثة الميت قرب الكوخ فى وضع النائم وتوضع معه جميع ممتلكاته ثم نوضع الحجارة على القبر لتبعد عنه الحيوان . ويخاف الإنسان من الأموات والأشباح ويفر هربا من أماكن الاموات . وعادة ترك المكان ووضع الأحجار على القبور عادة قديمة ترجع الى عصور ما قبل التاريخ ، وتنتشر هذه الاحجار فى كل بلاد الكيب وكلهارى . (مقابر هايتس أيبيب Heitsi Eibib) ومازال البشمن

يحتفظون بهذه العادة حتى فى الاماكن الفقيرة بالاحجار. ويستمر الميت فى معتقداتهم كشبح أو كجثة حية . ولا يعرف البشمن تقديس السلف ، وهو يعامل موتاه بشكل مختلف تماما عما هو عند الزنوج ولا تعود الجماعة الى مثل هذه البقعة الا بعد عامين . وتمارس بعض العشائر نوعا من تحنيط الموتى وذلك بطلاء احمر وتبخر الجثة بعد ذلك وتدفن غالبا فى مكان منخفض .

المعتقدات : ان المعرفة بتفاصيل معتقدات البشمن الدينية ضئيلة جدا وتظهر تلك المعتقدات فى صورة معقدة جدا إذ تختلط تخيلات الاعتقاد فى قوى خفية والاعتقاد فى الارواح بالافكار السحرية ، ولكن قد نجد أحيانا اثارا لتقديس القمر وغيره من الأجرام السماوية وقد نسجوا حولها سلسلة من الأساطير والخرافات كما يعتقدون فى بعض الكائنات الخرافية التى تختلف مسمياتها بين عشيرة وأخرى مثل كانج وخو وتورا Kaang Khu, Tora وجوناب Gaunal وفى أعتقادهم أن هذه الكائنات تمثل قوى الطبيعة وهناك مجموعة اخرى من تلك الكائنات تمثل اشباح الغابة والصيد ، وجالب الصحة ، وآلهه الخلق، وهى تظهر غالبا فى صورة حيوان وتلعب دورا كبيرا فى جلب الارواح الشريرة والرعد والعاصفة والبرق وقتل الناس ، ومع ذلك فالسائد عندهم هو العقائد السحرية . والأمراض التى يسببها السحر الضار والارواح الشريرة تعالج بوسائل ومعاملات سحرية بصفة خاصة . ويوجد بينهم من الرجال والنساء من يدعى التطبيب عن طريق السحر . وللمطبب أو للساحر مركز مرموق وهو الذى يبادر بانزال المطر ويسحر الحيوانات وهو يمارس غالبا بقدرتة السحرية التى يمتلكها تأثيرات شريرة على الحيوانات وعلى البشر أيضاً .

يطرح ما يسمى بفن البشمن سؤالا خاصا : يتعلق بالاعداد الهائلة التى خلفها البشمن من الأحجار المنحوتة التى وجدت فى جنوب أفريقيا . فقد وجدت عليها رسوم لمناظر رائعة . وهى فى الغالب دراسات متعددة الالوان ذات قيمة فنية كبيرة ، ولقد كان الأختلاف فى الشكل والعمر مجالا لابحاث عديدة وحتى إذا لم يقبل احد ان ينسب جميع نقوش الاحجار ورسوم الكهوف فى جنوب أفريقيا إلى البشمن ، فانها ربما تكون واحده منها حتى وان كانت تمثل جزءا ضئيلا فيها، ومن هذه الناحية يمكن أن نتحدث عن فن البشمن ، لقد قدم فن البشمن فى أوج تطوره رسومات لحيوانات متوحشة واغارات على الماشية هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى ، قدم مناظر دينية سحرية وهى تمثل أدميين تنكروا فى شكل رؤوس حيوانات . وتمثل النقوش من ناحية ثالثة نباتات

واشكالا هندسية. وأفضل العروض هي التي تصور الطبيعة الكبيرة . وما تمثلة تلك الرسوم هو حياة الناس وكذلك الحيوانات التي كانوا يصيدونها ويتغذون على لحومها . وتختفي مثل هذه النقوش الحجرية في مدينة الكيب شمالا الي زمبيزى ومن الجبال المحيطة جنوب غرب أفريقيا الي الحدود الشرقية من جنوب روديسيا . ويذكر أوبرماير Obermaier وهو واحدمن أحسن العارفين بفن البشمن في منطقة نهر تنجانيقا ، أنه في الوقت الذى يتشابه فيه فن الصور الحجرية لافريقيا الصغرى في الجزائر مع فن البشمن من ناحية الشكل والمحتوى. نجد في وسط شمال أفريقيا تعبيرا فنيا شبيها بنمط البشمن . ولكن التوقيت الزمني ليس بسيطا، لقد وصل فن البشمن في جنوب أفريقيا الذروة فيما يسمى "عصر ولتون " ولقد سميت حضارة ولتون تبعا للمكان الهام الذى أكتشفة ولتون عند مدينة جراهام وكان حاملوا هذه الحضارة قريبي الشبه بالبشمن منهم جامعو طعام ، وصيادو أسماك وقناصون . وقد استعملوا ادوات حجرية وعظمية مثل ما كان يستخدم في العصر الحجرى القديم . وعندما أتي الأوروبيون الأوائل الي جنوب أفريقيا كان البشمن مازالو يعيشون في مرحلة ولتون هذه . وكان ذلك في القرن السادس عشر الميلادى وتدل جميع هذه المكتشفات دائما على وجود صلة قرابة بالبشمن ، ومن هنا نستطيع أن نبحث عن أسلاف البشمن الحاليين بين هذه الجماعات البشرية القديمة جدا . ويكاد لايبقى اليوم من الفن الزخرفي سوى تلك النقوش التي يزينون بها بيض النعام الذى يحفظون فيه الماء .

أن هذا الموضوع يتعلق بشعوب تحمل طابع القدم العريق والعظيم . فهم عبارة عن جماعات تمارس الصيد والقنص والجمع والالتقاط ولهم حضارة خاصة وتقاليد معينة أستطاع بعض العلماء أن يصفوها ويسجلوها مثل باومان هارتمان ووسترمان وشابيرا وسيلجمان Pauman H., Westermann, Schapera, Seligman ورغم البساطة والفاقة التي يعيشون فيها نجد لديهم طقوسا معينة يمارسونها وادوات وفنون في طرق الصيد ، وملبس يتفق وموارد ىبيئتهم الطبيعية ، ومهما كانت حياة الصيد مجهدة مضنية. وغير محمودة العاقبة دائما فإنها هي الحياة التي يمارسها البشمن ، ولا يخطر لهم ببال ابدا ان يلجئوا الي الزراعة أو الي تربية الماشية كوسيلة من وسائل المعيشة وقد أكتسبوا بتجاربهم مهارة في الصيد وفي معرفة طبائع الحيوانات وتتبع آثارها في الصيد ولهم قدرة على أحتمال الجهد والمشقة والجوع ، وأستخراج كل شيء " تشمل عليه البيئة

وهــم مـــازالو الى يومنا هذا على معتقداتهم الاصلية من عبادة القمر وتقديس بعض الموجودات الاخرى المرتبطة بحيوان معين أو نبات (توتم).

ورغــم الــتطور الســريع الحـــادث فى العالم اليوم والانتشار الثقافى بوسائله المخــتلفة نجــد أن هــذه الشعوب ما زالت تعيش فى عزلة تامة مما جعلها تبقى على القديــم وربمــا كانت البيئة الطبيعية بغاباتها وأنهارها هى التى حالت بينهم وبين العالم الخـــارجى . هــذه الجماعات تعتبر بقايا شعوب لأنها تمثل مرحلة اقتصادية وحضارية هامة بالنسبة لتطور حياة الإنسان وينبغى التعرف عليها انثروبولوجيا قبل أن تندثر .

والبشمن نموذج لهذه الشعوب ويدل أسمهم " رجال الأدغال " على بيئتهم. ومع ذلــك فقــد أشــتهروا بفــنهم الجمــيل وبصفة خاصة النقش على الصخر فى الكهوف والأركـــان، ومثل هذا الفن نابع من طبيعتهم . وهذه الموهبة الألهية تحتاج فى عصرنا الحاضر الى تعليم وتدريب خاصين ولها معاهد وكليات متخصصة كما أنها تستغرق زمنا طويلا حتى يتقنها الشخص ومع ذلك فقد تعلمها وعرفها رجل الادغال من تلقاء نفسه ، هذا الرجل الذى نطلق عليه الرجل البدائى البسيط ولقد هداهم تفكيرهم الى طرق متعددة للتغلــب علــى مصاعب الصيد وللايقاع بالفريسة فحينا يلبسون اقنعة عبارة عن جلد أو فرو الحيوان المراد صيده وتارة يطاردونه الى أن يتعب ويقع كما انهم يسممون السهام . ولديهــم أيضــا تقســيم واضح للعمل فبينما يقوم الرجل بصيد الحيوانات الكبيرة وهذا عمــل يحــتاج الــى خبرة ودراية وشجاعة لانه محفوف بالمخاطر تجمع المرأة الجذور والنــباتات فالرجل يبحث عن الغذاء الحيوانى . وتبحث المرأة عن الغذاء النباتى وهما عملان يكمل أحدهما الأخر ، فكلا الجنسين يتعاون للحصول على الطعام ، من هذا يتضح أن عــامل الغذاء هو العامل الأساسى فى حياتهم اليومية كما يظهر ايضا بوضوح مبدأ التعاون والتكافل .

ورغــم الفقــر الشديد الذى يعيشونه ورغم الحياة القاسية المحيطة بهم نجدهم ينتهزون الفرص للترويح عن أنفسهم حيث يتزينون بما يتوافر لديهم من مواد فيلبسون سلاسل وأساور من قشر بيض النعام ومن الخشب وشرائط من الجلد . ومما هو جدير بالذكــر ويــدل علــى أن (الحاجة أم الأختراع) طريقتهم فى الحصول على الماء من الــرمال المبتلة نقطة نقطة بواسطة مواسير مثبت بطرفها قليل من الحشائش لتنقية المـــاء، هــذا ويوجــد لديهم شخصية هامة وذات مركز مرموق هو المطبب أو الساحر

الـذى يؤثـر علـى الجماعـة بقدرته السحرية ، فهو الذى يبادر بانزال المطر وبسحر الحـيوانات وبقدرتـه أن يؤذى الحيوانات والبشر . من هذا يتضح أن له قوة وسلطانا تفوق قدرة وسلطان الزعيم أو رب الاسرة مما يجعل الجميع يحترمونة ويخشونة .

ورغم كل ما قيل عن ظروف حياة هذا الشعب وقسوتها ، فانه قانع فخور بها ولا نـتوقع مهمـا كـان مدى احتكاك البشمن بالوان الثقافات الاكثر تقدما أن يغير من طريقة حياته البدائية تلك أو ان يتمثل غيرها من الحضارة الاوروبية أو من الحضارات الأفريقية المجاورة أو أن تمارس نشاطا اقتصاديا آخر كالتجارة أو أستئناس الحيوان أو زراعـة الأرض . والظاهـر أنـه كجنس ليس فى مقدوره أن يكيف نفسه بحسب ما تقتضـية ظـروفه الجديـدة وهو لهذا شعب أخذ فى التناقص السريع ، وربما كان هذا التـناقص أيضا راجع إلى عاداتهم فى الولادة والرضاعة حيث ترضع الأم طفلها الى سن الثالـثة أو الرابعة وأن حدث أن ولد طفل آخر قبل فطام الرضيع فان مصيره الوأد ومن هـنا ندر وجود أسر كبيرة العدد أيضا . فمتوسط عدد أفراد الأسرة لدى البشمن ثلاثة أفراد تقريبا . ومما يخشى منه على حياتهم تلاشى قطعان الحيوان البرى التى هى قوام غذائهـم وصـدور قوانين صارمة تحرم صيد ما بقى منها من قبل حكومات الدول التى يعيشـون فى ظلها مما أضطر البقية الباقية منهم – وهم أصحاب البلاد الأصليين – الى الاقتصار على غذاء نباتى غير مضمون . ويعتبر هذا أيضا من العوامل المساعدة على سـرعة فـناءهم . ولكنى أرى مع ذلك أن مثل هذا الشعب الذى أستطاع أن يستمر فى الحياة بهذه الصورة له قوة ارادة وثبات على اسلوب حياة أجداده .

وفـيما يخص لغة البشمن فقد جعلها جرينبرج أسرة فريدة لأنها طقطقة لا نظير لهـا فـى لغـة أخرى . وقد سماها أسرة الطقطقات The Click Family . ويعرف البشمن سبعة أحرف ساكنة بها طقطقة .

<u>إقتصاد البشمن :</u>

يمارس البشمن الصيد والقنص والالتقاط وهم لا يزرعون ولا يربون ماشية بل يأخذون حاجتهم من الطبيعة رأسا . والعنصر الهام فى حياتهم هو البحث عن الطعام .

ولـه أيضـا قوانين صارمة لايحيد عنها وتظهر مثل هذه القوانين واضحة فى توزيـع الفريسـة حيث يتولى الزعيم توزيعها مع مراعاة نصيب الرجل الذى أصطادها وذلك طبقا لعرف محدد صارم وربما كان ذلك تحفيزا للرجال على الأستمرار فى الصيد. كمـا أن البشمن ينتفعون بكل جزء فى الفريسة . حتى العظام تحطم ويطهى ما بداخلها

مــع اللحــم ، ويســتعمل جلد الحيوان الحديث السن فى الملابس أو صنع حقائب لحمل الطعام ، والتبغ ، أما الجلود الكبيرة الحجم فتصنع منها الأغطية والنعال والسيور وأوتار القسى .

٢ – صيادو الغابات الأصليون

الأقزام[1]

لقد جذب الأقزام (البامبوتى – المفرد ممبوتى) الاهتمام الكبير اليهم دون جميع الصيادين الاصليين الذين يسكنون الغابات ، وهم أصغر سلالة فى العالم من ناحية حجمهم ، فأهم صفة إذن مميزة لسلالة الأقزام هى صغر حجم أجسامهم الملحوظ. وأطوالهم فى المتوسط بالنسبة للرجال ١٤٣ سم . وبالنسبة للنساء ١٣٦ سم .

١- يطلق على الأقزام باللغات الأوروبية اسم Pygmie بالانجليزية و Pygmaen بالألمانية وهذا الاصطلاح أصله يونانى ويعنى الأصبع .

Der Kleine Brockhous 1961 I .Z. P.257

القزمية هى : النقص الشديد فى طول القامة وغيرها من أبعاد الجسم الاخرى ويرجع عادة الى عوامل وراثية (جينات) ويوجد للقزمية شكلان رئيسيان :

الاول : يكون فيه النقص فى نمو غضاريف العظام ، وهذا النوع من الأقزام يكون متين البنيان Achondropiasic Form

الثانى : يكون فيه القزم غير مكتمل النمو ويطلق عليه اسم عقلة الاصبع Ateliotic Form وعلى الرغم من المراجع القائلة بوجود بعض الأدلة على نقص نمو الغضاريف فى أقزام الكنغو فان ذلك لم يثبت فى الواقع كما أنه لا تجر دراسات كافية عن القامة فى أى من جماعات الاقزام . ويفترض حاليا أن جينا أو جينات طافرة Mutant Gene or Genes حدثت فى كل من هذه الجماعات الصغيرة المنعزلة فزاد التكرار الجينى فيها Gene Freguency مما أدى إلى ظهور جماعة قصيرة ، الا أنه لم يتحدد بدقة الجوانب التى تأثرت فى هياكلهم العظمية *

* Ashly Montagu: Human Heredity, 1963 pp. 380-383
World Publishing Company, New York,

(ترجمة زكريا فهمى – مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة – نيويورك ١٩٧٠).

وينتشر الأقزام فى اسيا وأفريقيا ويفرق العلماء بين المجموعة الافريقيه والأسيوية بان يسموها فى أفريقيا نجرللو Negrillo مستخدمين صيغة التصغير باللغة الايطالية . وأما المجموعة الاسيوية فيدعونها نجرتو Negrito مستخدمين صيغة التصغير فى اللغة الأسبانية . وفى كلتا الحالتين تعنى العبارة الزنجى الصغير . الأقزام – إذا لم يختلط بهم دم غريب – قصار القامة جدا بحيث لاتتجاوز ارتفاع الواحد ١٣٥ سم ، والأذرع طويلة جدا بالنسبة للارجل . وقصر الارجل هو السبب الأكبر فى قصر القامة .

والصفة المميزة الهامة الثانية التى عن طريقها يختلف البامبوتيون عن الزنوج هى لونهم الفاتح . وتدل النماذج الداكنة غالبا على أختلاط الدم .

ويوجد أنقى مثل لهذه الشعوب اليوم فى منطقة الغابات الاصلية لإيتورى الأعلى وفروعه الجانبية ويعيش هناك أقزام الايتورى فى ثلاث مجموعات لغوية كبيرة : أكا فى الشمال ، باسو (مع الباكنجو) علىالساحل الشمالى للايتورى وايفا فى الشرق (وعدد كل أقزام الايتورى الذين يعرفون باسم بامبوتى كما يقدرهم باول شبستا Paul Schebesta بحوالى خمسة وثلاثين الفا من حوالى مائة الف قزم عموما فى وسط أفريقيا . ويحتفظ الاقزام فى الجابون وفى جنوب الكميرون بنقاوة أقل . وهناك أيضا عدد من الجماعات الصغيرة فى حوض الكنغوفى منطقة لوزامبو Lasambo ومنطقة تشوفا Tschofa . ويمكن القول بان هذه الجماعات تمت بصفة قرابة حقيقية لاقزام الايتورى ولكن نتيجة لاقتحام قبائل زنجية مختلفة الغابة الاصلية تزحزح هؤلاء الأقزام بعيدا عنهم ويوجد فيما عدا هؤلاء الاقزام مجموعة من الشعوب ، ليسوا أقزاما اصلا ولكنهم يشابهونهم كثيرا ويتبع هذه الجماعات المختلفة لاشكال الأقزام البابنجا على نهر سانجا والإبنجا واللباى فى جمهورية أفريقيا الوسطى . ويعيش الباكوى أو الباخوى فى جنوب البابنجا الذين يسكنون فى مناطق شمال انهار ليوبولد الثانى الى نهر اكلميا ، وهم يسمون أنفسهم بتوى . ويكون التوا (باتوا) مجموعات أخرى متفرعه من أشكال الأقزام . ويعيش التوا على منحدرات بركان كيفو فى رواندا واوروندى فى تنجانيقا غرب جبال السبرت وفى مستنقعات بانجولو . ومما يستحق الذكر أيضا أن نجد " مجموعة تونى " فى منطقة النيل الأعلى (بحر الغزال) وأخيرا ايضا ما يطلق عليهم " بونى القوقازيون " على الساحل جنوب صوماليا والدوم " دوى على نهر ستيفانى . وهناك اختلاف فى أصل الأقزام ولكن شبستا يتمسك بسلالة البامبوتى العريقة فى القدم – مثل دارت – الذى يقول أن هناك علاقة وراثية بين البامبوتيين والقوقازيين . ولقد كان الأقزام معروفين لدى الفراعنة إذ كان الفراعنة يرسلون بعثات الى الجنوب لتأتى بالسلع والزخائر الافريقية وكان أثمن شيء يؤتى به من الجنوب هو القزم ، وقد خلف المصريون القدماء فيما تركوه من نقوش وكتابات رسوما لغير واحد من هؤلاء الأقزام .

ويحدد كون Coon المكان الذى يعيش فيه الأقزام اليوم فيشير إلى وجودهم فى مناطق عديدة معزولة فى الغابات الاستوائية فى وسط أفريقيا ابتداء من الجابون

والكاميرون الى أوغندا ورواندا أورندى قريبا من شمال نهر الكونغو. وفى الغرب والوسط و الشمال الشرقى يعيش الأقزام فى الغابات المنخفضة وفى الجنوب الشرقى فى الغابات المرتفعة وفوق حافة جبل روبنزورى .

ويقول : " أن هناك حقيقة تاريخية بأن أقزام غرب أفريقيا كانوا يعيشون فى كل منطقة الساحل الغربى لأفريقيا حتى ليبيريا . وحتى وقت متأخر – إلى القرن السادس عشر – كان الأقزام أهم عنصر سكانى – أن لم يكونوا الوحيدين – فى الغابات الواقعة بين بحيرة البرت وبحيرة أدوارد .

حياتهم الاقتصادية :

أن مواكب الغنائم التى يعود بها الأقزام يوميا والمحملة بالغذاء النباتى والحيوانى تميزهم كصيادين يقتنصون الفرائس ، ولا يمارسون الزراعة ولاتربية الحيوانات . ويعرف الكلب فقط منذ القدم كرفيق للصيد لديهم . ويقتنى الأقزام احيانا الدجاج ولكنهم أخذوه عن "أسيادهم " من الزنوج حيث يعيش الاقزام مع هؤلاء فى حياة مشتركة وهم يعطون الزنوج الحيوانات ومنتجات الغابة المختلفة ويأخذون مقابل ذلك الموز وفاكهة الحقل الاخرى كما أنهم يأخذون منهم أيضا أطراف السهام والرماح التى لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة لهم . ولقد أدى بهم اقتصادهم الى الاعتماد على الزنوج دائما .

وهناك تقسيم للعمل بحسب الجنس إذ تهتم النساء – ومعهن أطفالهن الصغار – بجمع الدرنات التى تنمو من تلقاء نفسها والأوراق و الفاكهة التى تؤكل والقواقع والضفادع والثعابين نفسها وديدان الارض وخلافها من الحيوانات الصغيرة أما الرجال والأولاد فيمارسون الصيد ويطلق عليهم جماعة الصيد (جماعة محلية) ، وهم يقومون بمساعدة كلاب الصيد – بمطاردة الحيوان الصغير.

أما عن صيد الأفيال بالرماح فقد أخذوه عن الزنوج ، وكذلك السهام ذات الطرف الحديدى المدبب ، ومع أن الأقزام يعرفون طرقا عديدة للايقاع بالحيوانات فانهم لايستخدمونها . وهم يستخدمون القوس والسهم فى صيدهم ، ويتكون السهم الذى طوله حوالى متر ونصف من عصا دائرية حمراء اللون . وتدهن السهام الخشبية الرفيعة جدا بالسم بعد أن توضع فى النار لتكتسب صلابة كما يحملون معهم لوحا من الخشب للهروب

المسكن :

يــتكون مســكن الأقزام من أكواخ مصنوعة من أغصان مجدولة وسقفها على شــكل قــبو مغطــى بأوراق الشجر ولها فتحة صغيرة تؤدى إلى الداخل . وتبعا لحياة التجوال فان أثاث البيت فقير . فالفراش يتكون عادة من ثلاثة ألونح من الخشب واحيانا مــن لوحيــن فقط يوضعان على الأرض جنبا الى جنب وقد يرفع أحد طرفيها إلى أعلى قليلا بوضع كتلة من الخشب تحته .

ويقــع على عاتق النساء عبء أقامة الأكواخ وجمع ما يلزم لذلك من أغصان الأشجار والأوراق العريضة الكبيرة الشبيهة بأوراق الموز ، وطريقة أقامتها تتلخص فى أن يؤتى بعدد من الأغصان اللينة فيثبت الطرف الأغلظ من فرع منها فى الأرض ويثبت فرع آخر مثله فى مكان مقابل له ، ثم يقابل بين الطرفين الرفيعين ويربط أحدهما بالاخر حــتى يــتكون منهما قوس . وعلى بعد بوصات قليلة منها يثبت بنفس الطريقة فرعان آخــران أطول قليلا من الأولين وبهذا تتم اقامة مدخل الكوخ ثم يؤتى بفرع آخر أطول قليلا من الفروع السابقة ويغرس فى الأرض على بعد قليل من الخلف منها ويثبت طرفه الأعلــى فى وسط القوس الذى يكون مدخل الكوخ فيصبح هو العمود الفقرى الذى يرتكز علــيه سقف الكوخ . ويؤتى بعد ذلك بعدد من الفروع تغرس فى الأرض بحيث يكون كل اثنيــن متقابليــن متســاويين وبحيث يقل طول كل أثنين منهما كلما ابتعدنا عن المدخل وتغــرس أطرافها الغليظة فى الأرض بحيث يتكون من مجموعها شكل دائرى تقريبا أما الأطــراف العلــيا فتربط فى العمود الفقرى وفى بعض الاحيان تضاف فروع اخرى افقية للبناء بقصد تقويته . وبعد ذلك تبدأ عملية التسقيف فتوضع الأوراق واحدة فوق أخرى بحيــث يكــون الطــرف العلــوى لكل ورقة تحت طرف التى قبلها وطرفها السفلى فوق الطرف الذى بعدها وتثبت الأوراق جميعها الى هيكل البناء بطريقة فنية ماهرة .

ويوجد فى الكوخ من الأوانى والادوات قدر أو قدران وسلة وفى بعض الأحيان هــاون خشــبى بســيط الصنع وقد يكون هناك سكين ترشق فى سقف الكوخ الى جانب أقــواس وســهام ، وإذا كان الكوخ لأعزب فان محتوياته لا تزيد عن الألواح والقوس والســهام . وأماعــن أدوات الطــبخ الفخارية والأدوات الحديدية وكذلك بعض الأدوات الموســيقية مــثل الطــبلة والالــه الموسيقية الوترية وكذلك تزين الجسد فكلها انماط حضارية اخذها الأقزام عن الزنوج . اما الاتهم الموسيقية الاصلية فهى قوس الموسيقى وخشبة الطبل " والشخاليل " .

الملبس :

كــان الأقــزام يجوبــون أنحــاء الغابة عرايا ، أما الأن فأنهم يأتزرون بمآزر مصــنوعة من لحاء الشجر المدبوغ تعلق على خصورهم بحزام مصنوع من جلد حيوان مــن فصيلة الزراف وتزين النساء مآزرهن ببقع وخطوط حمراء وسوداء ويلبس الرجل احــيانا غطاء للرأس من الجلد أو من سيقان العشب المجدول فلبس الرجال بصفة عامة مآزر من جلد البقر ، والنساء احزمة من أوراق الشجر ، ويسير الأطفال عرايا . ويحمل كــل قــزم تقريــبا حقيــبة من الجلد يحملها فوق كتفه اينما سار ليحفظ فيها ممتلكاته الشخصــية. كمــا تصفف النساء شعورهن تصفيفا فريدا ويزين انفسهن بمسوق أسود يســتعملن فى وضعه عصا صغيرة ، فإذا ارادت احداهن أن تزيد من جاذبيتها استعملت مــع هــذا المســحوق مواد أخرى حمراء وأحيانا بيضاء . وليس التزين مقصورا على النســاء بــل قــد يلجأ اليه أيضا الاولاد والشبان ويندر ان تزين امرأة شعرها بالزهور ولكنهــن يستعملن جدائل من أوراق الشجر فى تزيين أجسامهن ، وهن فى الواقع كثيرا ما يغطين أجسادهن بالخضرة فى عودتهن الى الأكواخ من رحلاتهن فى الغابة .

الطعام :

يرتــبط طعام الأقزام الى حد كبير بالبيئة وبطريقة الحياة التى يحيونها فقد كان طعــامهم فــيما مضــى يتكون من اللحوم والعسل والجذور والاوراق والفول السودانى والفواكــه ولذلك كان عليهم ان يلاحظوا جيداعادات الحيوان وأن يعرفوا الصالح للطعام مــن بيــن أنــواع الثمار والأوراق والجذور وما إلى ذلك . وبمعنى آخر كان عليهم أن يكونــوا ملميــن المامــا عمليا بدراسة الطبيعة التى حولهم . وكان غذاؤهم ضئيلا حتى ليصــعب أن نفهــم كــيف أستطاعوا فى سالف الأيام ان يعيشوا على مثل ذلك القدر من الغذاء فلم يكن لديهم البان ولا أى نوع من أنواع الأطعمة الخفيفة الصالحة لتغذية صغار الاطفال .

أمــا فــى الوقــت الحاضــر فان الأقزام يجدون حاجاتهم من الطعام ذى القيمة الغذائــية فى الموز ونخيل الزيت وقصب السكر والمانيوق وغيرها مما يحصلون عليه مــن الــزنوج. ويغرم الأقزام بالموز الى حد أنهم قد يبيعون حريتهم فى سبيل الحصول علــيه وفــى بعض الأحيان يأخذون ما يشاؤون من موز الزنوج ويتركون بدلا منه قدرا كافــيا مــن اللحــوم ، وهــذا النوع من المقايضة الذى لاتستعمل فيه الكلمات تسمى " المتاجرة الصامتة " وطرق إعداد طعام الاقزام هى التسوية بالبخار أو بالتدخين والشوى

او التحمـــير قـــرب الـــنار أو فى التراب الساخن أو على الفحم الخشبى المتوهج فيلف الســـوس وصغار الجعران والصراصير والديدان والنمل والسمك الصغير وكذلك القواقع الصـــغيرة فـــى أثنين أو ثلاثة من أوراق نباتات معينة وتربط ثم توضع الحزمة كلها فى الـــتراب الســـاخن . ويضـــاف إلى ذلك أيضا الفطر " عيش الغراب " والعسل والتوت . وتكـــون أنـــواع الخضر المختلفة ما يقرب من ثلثى طعام الأقزام الكلى . ويتكون الثلث الآخـــر بجانـــب الحـــيوانات الصغيرة (مثل الظباء والقردة الصغيرة وفئران الأشجار) أساسا من السوس والضفادع وأخيرا سوس الأرض السمين .

البناء الأجتماعى :

تـــتكون الجماعة المحلية فى العادة من ثلاثة الى ستة أكواخ ، ويمكن أن يزداد عددهـــا . ويســـكن فى مثل هذا التجمع غالبا عشيرة واحدة (تجمع عشائرى مفرد) . وتســـكن الأســـرة الفردية الأكواخ بصفة خاصة . ويوجد أيضا تجمعات تسكنها عشائر عديـــدة ولكـــنها تمـــت لبعضـــها بصلة قرابة . ويلاحظ من هذا التنظيم ان شكل الحياة الاقتصـــادية والـــتى رسمتة البيئة والظروف الطبيعية التى يعيش فيها الاقزام قد فرض تنظـــيما اجتماعـــيا مـــتلائما مـــع هـــذه الحياة بأعتبار أن الجانب الاجتماعى والتنظيم الاقتصادى هما وجهان لعملة واحدة وأن كلا منهما لابد وأنه يؤدى لخدمة الأخر .

ولـــذا فإننا نجد الأقزام يعيشون فى جماعات صغيرة متباعدة ، وهذا ما تفرضة حـــرفة الصـــيد والجمـــع ، وتقيم كل جماعة فى أكواخها الصغيرة فى مكان منعزل من الغابـــة. ومـــثل هذه الجماعات المحلية يتكون لها مجلس ادارة من أقدم مجموعة سكنت المكان . ويتبع العشيرة كجماعة اقتصادية الاقرباء الذكور دمويا مع زوجاتهم واطفالهم، وهـــم يكونـــون ما يسمى بالاسرة الكبيرة . وتعتبر النساء بعكس ذلك دائما غرباء عن العشيرة لانهن ينحدرن من عشيرة أخرى .

وما يصيده الرجال يعتبر ملكا عاما للعشيرة كلها ، كما تعود اهتمامات العشيرة على الأسرة أيضا ، وذلك لأن العشيرة وحدها هى التى تتكفل بحماية الجماعة واعانتها. ويهـــتم الأقزام بالزعامة فى القبيلة نتيجة لمعايشتهم المشتركة مع الزنوج ويظهر هذا بوضـــوح فـــى مفهوم العشيرة وأيضا فيما يسمى الزواج التبادلى فاذا اراد الشاب أن يختار فتاة من مجموعة أخرى – حيث يسيطر الزواج الخارجى – ففى هذه الحالة لابد أن تقـــدم جماعتة فتاة كبديل الى الأخرين ، إذا ان فقدان أى عضو فى القبيلة يترك اثرا عميقا وينتشر فى العادة الزواج الاحادى Monogamy وتقام حفلات التكريس للصيد

سرا للشباب من دون النساء حيث يكتسب فيها الشباب قوى سحرية معينة تساعدهم فى الصيد .

وهـناك حفلات الختان التى بعدها ينتقل الأولاد من مرحلة الصبا والطفولة الى مـرحلة الشباب . وتتم هذه العملية وفق طقوس معينة يشترك فيها الأقزام مع جيرانهم من البانتو . فعندما يحين الوقت المحدد لاجراء هذه العملية فى جهة من الجهات يشترك الابناء من الأقزام وجيرانهم ويمارسون الطقوس اللازمة لهذه المرحلة الخطيرة فى حياة الغلمان والتى بعدها يصبحون أعضاء فى المجتمع .

معتقداتهم :

تنتشـر التوتمية لدى الأقزام فلكل " فخذ " توتمة وهذا التوتم يكون غالبا حيوانا تشـعر العشيرة أنها مرتبطة به ويقدسة الانسان فيحرم عليه قتله واكله كما يتحاشاه . ويقوم كل أعضاء العشيرة . باظهار احترامهم العميق للتوتم ، وبصفة عامة ينبغى عدم جرح هذا التوتم أو قتلة بأى شكل من الأشكال . وبالطبع فلا يجب اكله ولا يجرؤ القزم أن يأكل أو يشرب من أى أناء تم لمسه بواسطة التوتم الخاص به .

ونـادرا مـا يقـدس الأقـزام الارواح والموتى . ويتخيل القزم الروح كمخلوق صغير ضعيف لدرجة انها من الممكن أن تحملها ذبابة ، كما يعتقد القزم أيضا فى الحياة بعد الموت بالقرب من الاله الاعظم ، ولكن كل هذه المعتقدات لاتلعب دورا رئيسيا . وهم لايعـرفون نظـام تقديم الاضحية وكذلك نظام قرابين الموتى والاحتفال بها . وأهم شىء فـى معـتقداتهم تمجـيدقوة ينسبونها الى السماء وبعضهم يراها متصلة بخلق الكون . وترتـبط الـتمائم وطقـوس الصيد السحرية والمطببون وكذلك الاعتقاد فى القوى التى يطلـق علـيها مجبى Megbe بمفهوم الاله الأعظم الذى يطلب فى مناسبات معينة كما تقدم له بعض القرابين مثل جزء من قلب الفريسة عندما تذبح أو كمية من العسل . إلى جانب هذا يتمتع المطر الذى يظهر كحية عظيمة فى السماءبمعنى كبير فى الحياة الدينية عـندهم مـثل الاله الأعظم . وأحيانا يسمون هذا الكائن السماوى الاعلى رب العواصف والبرق والرعد والمطر . ان الافكار الخيالية للبشمن والتى أشار اليها قديما باومان H. Baumann والـتى تتشـابه مـع عقائد الاقزام (هيكل شبح جالب الحظ فى الصيد ، الـرابطة بيـن الألـه والبشر ، الطقوس السحرية بالادوات السحرية ، أعمال الاله عن طـريق وسـطاء تشابه اسم تور (اله الأدغال) مع تورا وغير ذلك نادى بها حديثا شبسـتا . ويذكر شبستا البامبوتى فى المقام الاول كحاملى حضارة صيد السافانا الاورو

– أفريقــية على أى حال كصيادين مرتبطين بالغابات الاصلية . ولقد أحتفظ الاعتقاد فى التوتمــية واله الأدغال " تور " بنقاوة أكثر عند الأقزام عنه عند البشمن . ولكن بصرف الــنظر عن التفكير الحيوى الذى يقر أن البشمن والاقزام أقرباء . لم يستطع الباحثون الى الأن أن يصلوا فى مجال التخصص الاثنولوجى الى أتفاق حول هذا الموضوع .

ان شكل الحياة الاقتصادية للأقزام بسيط للغاية ويتمثل ذلك فى كل أنماط حياتهم اليومــية حيــث لايوجد أستثمار لاى وسيلة انتاجية دائمة ومستمرة للأرض عن طريق الــزراعة أو رعــى الماشية فالاقزام صيادون يقتنصون الفرائس وحياتهم تشبه الى حد كبــير حــياة ذلــك الإنسان الاول الذى ظهر على وجه الأرض ساعيا وراء قوت يومه بالصــيد أو الجمع أو الالتقاط للثمار البرية الصالحة من بين ثمار أشجار الغابة . وفيما عــدا ذلــك لايوجــد أى شكل من الأشكال الاقتصادية المعروفة والشىء الغريب أن هذا الضــرب من الحياة البسيطة ما زال يعيش حتى اليوم متجاورا مع أقصى درجات التقدم الاقتصادى والعلمى والفنى التى وصل اليها الانسان فى عالم اليوم .

ولما كان من الصعب على الفرد فى ظل هذه الحياة البدائية والقاسية أن يحصل علــى كــل حاجاتــه دون أن يساعده غيره فان الأساس الذى تقوم عليه حياته البدائية اجتماعــيا واقتصــاديا يتألف من الجماعات ولأكبر الأفراد سنا سلطة على من دونه من الأفــراد ولــيس للأســرة زعيم واحد متعرف به ويقوم أكبر الافراد سنا بتقسيم الصيد حسب أصول وقواعد معقدة فيتم أعطاء القلب والكبد للرجل الذى أصاب الحيوان بعد ان يقذفوا للغابة بقطعة صغيرة من القلب على سبيل أرضاء الالهة .

ولديهــم مجموعة من العادات التى تميزهم عن غيرهم فيما يتعلق بعملية الصيد والقــنص فلديهم معرفة كافية بصفات الحيوانات التى يصيدونها وعاداتها وكذلك قدرتهم علــى اقتفاء اثارها ، كما يتميز الأقزام بالقدرة على السير فى الغابة دون أحداث أدنى صــوت ويتخاطــبون بالاشارة ويسيرون منتبهين صامتين متحفزين لاى حركة . ومن عــاداتهم كذلك إذا حالفهم الحظ فى الصيد عادوا إلى منازلهم فرحين مهللين ، أما إذا لم يكــن الحــظ حليفهم فانهم يتسللون ساكتين واجمين . وملكية ما تم صيده يعتبر ملكا للأسرة كلها حيث يتم تقسيمه حسب قواعد وأصول معترف بها كما سبق أن أشرنا .

فقلة عدد الأقزام اينما وجدوا ترجع إلى اشتغالهم بالصيد والجمع والتقاط الغذاء مــع العجــز عــن العمل المنتج ولهذا يحتاجون الى وطن واسع حتى يجدوا فيه الغذاء

الكـافى لهم ولقد كانت هذه الحالة ممكنة فى العهود الانسانية القديمة . ولكن بعد تزاحم السكان ، وأحتلال الأقطار والاشتغال بالرعى وبالزراعة لم يكن هناك بد من أن يختفى الأقـزام فـى أجزاء محدودة من أوطانهم وان يزاحمهم فيها أيضا اناس اقتصادهم اكثر تعقـيدا وأكثر انتاجا ولهذا لانجد الأقزام يعيشون وحدهم فى أقليم واحد . فهم يجاورون الـزنوج ومن ثم يظهر عليهم التأثير الزنجى فى حالات كثيرة . ورغم العلاقات الوثيقة بيـن الاثنيـن لم يتأثر الأقزام بحضارة الزنوج الزراعية وربما يعمل الأقزام لدى الزنوج ويعيشون معهم فى حياة مشتركة ولكن يمارس كل منهما حرفته الأصلية كما يمارسون نظـام التـبادل فيما بينهما حيث يمدون الزنوج بالغذاء الحيوانى ويمدهم الزنوج بالغذاء النباتى . ولكنهم اخذوا عن الزنوج اشياء أخرى سبقت الإشارة إليها .

ومما يسـترعى الأنتـباه وجود مجلس لديهم له شروط معينة وهذا يدل على التنظـيم الإدارى المتطور كما يلاحظ أيضا أن الاقتصاد هو الذى ينظم الجماعة . ويسود الـنظام الابـوى حيث يتكون ما يسمى بالاسرة الكبيرة التى تضم الأقرباء الذكور دمويا وتكون العشيرة مسئولة عن أحوال الاسرة اقتصاديا وسياسيا .

مما تقـدم يتضـح التشـابه القوى بين جميع الشعوب التى تمارس الصيد والقـنص والجمع والالتقاط رغم التباعد والعزلة . فهناك تشابه كبير فى فن الصيد وفى تقسيم العمل وفى شكل الملبس والمسكن ، كذلك الزواج الأغترابى Exogamy أى من خـارج العشيرة والزواج الأحادى Monogamy الذى يلتزم الشخص به التزاما شديدا وأيضـا بسـاطة الأدوات المسـتخدمة فى الصيد وفى الأكل والمعتقدات وسيادة العقيدة التوتمية وعبادة القمر أو الشمس وتقديس السلف أو الخوف منه . ورغم أنه لدى جميع هـذه الشـعوب يوجد الزواج الخارجى أى من خارج الجماعة التى ينتمى إليها الشخص فانـه مع ذلك يختلف فى شكله وطريقته فعند الأقزام بصفة خاصة لابد من أن يقدم أهل الشـاب عروسـا لـرجل من رجال الجماعة الأخرى ويسمى هذا النظام " زواج الرأس بارأس " .

تلـك هـى بعض السلالات القليلة العدد التى تمثل على قلة عدد افرادها ظاهرة خطيرة فى القارة الافريقية وهى ظاهرة الأنقراض لبعض السلالات الاصلية فى أفريقيا . ونشـهد بقدم هذه السلالات واصالتها أوطانها المنعزلة التى أضطرت أن تلجأ اليها حين بـدأت موجـات المغيريـن والمهاجريـن تزحف من الشمال والشرق فأعتصم البشمن وأقرباؤهم بالطرف النهائى للقارة وأعتصم الاقزام بالغابات الشديدة الكثافة وكلها مناطق

لاتغرى المغيرين على الأقامة فيها . ولقد زاحم الأوروبيون البشمن أيضا سبل العيش في وجودهم فلم يبق منهم الاعدد يسير . أما الأقزام فكانوا أوفر حظا إذ نزلوا جهات أكثر أتساعا واوفر صيدا ولا بجاورهم البيض بل الزنوج وأكثرهم من البانتو . وكذلك لابد أن يكون عيشهم أرغد وعددهم أكبر . هذه السلالات على كل حال عددها ضئيل إذا ماقورن بسكان القارة الذين يقرب عددهم الان من ثلاثمائة مليون نسمة .

مما تقدم تتضح المعرفة القليلة لهذه الشعوب التى تمثل المراحل الأولى لحياة الانسان على وجه الأرض . فهم يشكلون حلقة غريبة فى عالم تطور الإنسان ، ومازالت أسباب ظهورهم مجهولة حتى الأن ، حيث أنه غير معروف على وجه الدقة متى وكيف ظهر النوع القزمى من الانسان ثم أنهم من أكثر الشعوب اتجاها إلى الأنقراض فى عالم اليوم كما أن الدراسات الأنثروبولوجية لم تكشف بشكل مفصل حتى الآن عن طبيعة التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية بين الأقزام ليس فقط على مر تاريخهم الماضى وأنما بالنسبة للتطورات التى لحقتهم فى عالم اليوم وخاصة عندما تغيرت الظروف البيئية والاجتماعية التى يعيشون فيها من حيث اختلاطهم بغيرهم من الشعوب والآثار التى ترتبت على ذلك من الناحية البيولوجية والاجتماعية والحضارية .

ومن ثم فإن الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة بكل فروعها مطالبة بالكشف عن كل النقاط السابقة بحيث تضع أجابات محددة لكل هذه الأسئلة . لماذا كان الأقزام قصارا دون غيرهم ؟ وما هى الأسباب التى أدت إلى ذلك ، ولماذا ظل الأقزام يعيشون حتى اليوم فى اطار نمط حضارى متخلف يرجع زمنه إلى عصر ظهور الإنسان الأول ؟ وهل كانت العزلة التى يعيشونها هى السبب فى ذلك أم أن هناك أسبابا أخرى لذلك ثم ماهى التطورات التى طرأت على حياتهم نتيجة اختلاطهم بغيرهم من الشعوب التى تجاورهم . ثم فى النهاية ما هو مستقبل الأقزام كجنس متميز له سمات محددة تختلف بشكل واضح عن غيرهم من الأجناس ... وما هو مستقبلهم بيولوجيا واجتماعيا وحضاريا؟

تلك أسئلة مازالت مطروحة للبحث العلمى والانثروبولجى وهى مازالت تشكل تحديا امام الباحثين فى كل هذه المجالات لاستخدام احدث الأساليب والمناهج العلمية الميدانية لكشف ذلك الغموض الذى يكتنف معرفتنا عن ذلك العالم الغريب، عالم الأقزام .

المراجع العربية

(١) آشلى منتاجيو : الوراثة البشرية ، ترجمة زكريا فهمى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . ١٩٧٠ .

(٢) آشلى منتاجيو : البدائية ، ترجمة محمد عصفور ، عالم المعرفة ، ١٩٨٢

(٣) كـون كارلتون : السلالات البشرية الحالية ، ترجمة د. محمد السيد غلاب ، مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٥

(٤) محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة . ١٩٧٤

(٥) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٥.

المراجع الأجنبية :

1- Bauman, H. und Thurnwald, R., und Westermann D. Volkerkunde von Afrika, Essen 1940

2- Coon, CS.: Origin of Races, London, 1963.

3- Greenberg, Joseph, H.: Studies in African Linguistic Classification, South Western Journal of Anthropology. V, 79-100. In Buchform: New Haven, 1955

4- Greenberg, Joseph, H., The Languages of Africa. Part 11. International Journal of American Linguistics. Vol xxix. Nr. I. January 1963 . Bloomington.

5- Obermaier, Kuln: Buschmann Kunst. Berlin 1930 .

6- Schapera, I.: The Khoisan People of South Africa. London 1930.

7- Schebesta, R.: Bambuti. Leipzig 1932.

8- Schebesta. P.: Die Bambuti. Pygmaen von Ituri, 3 vols. Brussels 1938-50.

9- Schebesta, P.: Revisiting my Pygmaen Hosts 1939.

10- Schmidt, P.W.: Die Stellung der Pygmaen Volker in der Entwicklungs- geschichte des Menschen, Stuttgart 1910.

11- Schneider, W.: Die Religion der afrikanische Naturvolker, Munster, (Westfallen) , 1891.

12- Seligman, C.G.: Races of Africa, London, Forth Ed. 1978.

يلـــي مرحلة الصيد والقنص والجمع والالتقاط مرحلة الرعى وأستئناس الحيوان . ويمثل الـــبدو الـــرعاة نمطا أجتماعيا يتصف بسمتين متلازمتين هما الأعتماد على رعى قطعان الماشـــية والتـــنقل عبر مساحات واسعة . وينتشر هذا النمط من المجتمعات البدوية منذ أمـــد بعيد وما زال فى مناطق عديدة من العالم فى أفريقيا وآسيا وجنوب أوروبا وأمريكا الشمالية حتى صار موضوعا للدراسة الأنثروبولوجية .

والواقـــع أن الـــرعاة الرحل " الخلص " الذين يعتمدون أعتمادا كليا على قطعان ماشـــيتهم بدون ممارسة أى نشاط زراعى أصبحوا أمرا نادرا نسبيا فى الوقت الحاضر ، بينما نجد أن الرعاة الذين يجمعون بين الرعى والأنشطة الزراعية هم الأكثر شيوعا .

ومصـــطلح بدو مشتق من الكلمة الأغريقية "Nemo " أى يرعى ويستخدم فى الأنثروبولوجـــيا للإشـــارة إلى أسلوب الحياة الذى لايقتصر فقط على البدو الرعاة ولكنه يـــدل أيضـــا على بعض الأنماط الاجتماعية الأخرى التى يغلب عليها الأفتقار إلى الإقامة الدائمـــة أو التوطن والأستقرار وكذلك يمكن الإشارة إلى الصيادين وجامعى الطعام على أنهـــم بدو. أما الجماعات التى تتناوب فترات فيها فترات البداوة والتخلخل السكانى ، مع فـــترات التركز السكانى والإقامة الأكثر أستمرارا فى منطقة واحدة ، فتسمى بالجماعات شبة البدوية .

ويطلـــق على هذه الجاعات البدوية أو شبة البدوية قبيلة أو بدنة أو عشيرة أو بطن.

<u>فالقبـــيلة :</u> مصـــطلح يستخدم فى الأنثروبولوجيا على نطاق واسع ، ومع ذلك لا يوجد إتفـــاق عـــام علـــى معـــناه الدقـــيق أو على الأستخدام الصحيح له ، فالكلمة الرومانية Tribua كانـــت تعـــنى وحدة سياسية ، وكانت تستخدم للإشارة إلى جماعات إجتماعية تـــتحدد تـــبعا للمـــنطقة الـــتى تقيم فيها . وعرفها (مورجان) بأنها جماعة لديها نظم إجتماعـــية ولكن ليس لديها نظم سياسية ، ووصفها مين (١٨٦١) بأنها جماعة تقوم فيها العلاقات القانونية على المكانة وليس على التعاقد .

<u>والـــبدنة :</u> هى جماعة إنحدار قرابى يعرف عموما بأنها مجموعة من الأشخاص يرجع أنتســـابها إلى جد مشترك معروف ، وتكون البدنة أبوية إذا كان الأنتساب إلى الجد فى خط الذكور فقط . وتكون البدنة أمومية إذا كان الانتساب فى خط الإناث فقط .

<u>العشـــيرة :</u> يســـتخدم هذا المصطلح بمعان مختلفة فى كل من الأنثروبولوجيا البريطانية والأنثروبولوجـــيا الأمريكية . فالأنثروبولوجيون الأمريكيون من أتباع مورجان يطلقون

هـذا المصطلح على الجماعة التى تقوم على أساس الإنحدار من خط انتساب واحد يمتد عبر الإناث . بينما أطلقوا مصطلح العشيرة الأبوية على الجماعة التى تقوم على أساس الإنحدار من خط إنتساب واحد يمتد عبر الذكور .

أمـــا فـــى الأنثروبولوجيا الإجتماعية البريطانية فقد أستقر تعريف العشيرة على أنها الجماعة التى تقوم على أساس روابط الإنتساب التى ترجع إلى سلف مشترك بعيد، لكنها لا تعرف على وجه الدقه درجة علاقتها بهذا السلف أو هؤلاء الأسلاف .

البطـــن : أســـتخدم ميردوك هذا المصطلح مفضلا أياه علىمصطلح عشيرة ، وذلك لكى يصـــف الجماعة القرابية ذات النسب الأحادى الخالص ، أى الجماعة التى تؤمن بوجود سلف مشترك ولكنها لم تعد تتذكر الصلات الدقيقة بهذا السلف .

الشعوب التى تمارس الرعى

١ - البجا

ونـأخذ كـنموذج للرعاة جماعة البجا* ، البجا عبارة عن عدة قبائل تعيش فى المـنطقة التى تقع بين النيل والبحر الأحمر بالسودان ويحد المنطقة من الشرق سلسلة جبال البحر الأحمر وبالمنطقة بعض المرتفعات مثل جبل اركويت وسنكات وتهاميم .

(أ) والبجا ينقسمون إلى خمس قبائل :

(١) البشاريون (٢) الامرار

(٣) الهدندوة (٤) البنى عامر

(٥) الحلنقا

ويلاحـظ أن معظـم ارض البجا عبارة عن جبال ورمال وغير صالحة للزراعة وطقسها جاف جدا وربما تسقط بعض الأمطار الخفيفة شتاء فى المناطق الشمالية .

ويحصل الناس على الماء سواء فى الشمال أو الجنوب من الأبار وقد مر البجا بمراحل تاريخية عديدة منها مرحلة الصيد الى الرعى ولكنهم ظلوا فى المرحلة الأخيرة " مـرحلة الرعى " زمن طويل رغم جوارهم لمناطق وشعوب مستقرة وتمارس الزراعة ورغـم أن البجا يحتاجون لزراعة هذه الشعوب من القمح ومع ذلك لم يتعلموا الزراعة الا فـى عهـد قريـب جدا ورغم ممارستهم أخيرا للزراعة وتعلمهم لها فقد ظلت حياة البداوة والرعى هى نمط الحياة السائد عندهم

وهـم يـتجولون فى مجموعات صغيرة مع ماشيتهم واحيانا يستمر هذا التجول طوال العام وفى مكان المراعى ينصبون خيامهم المصنوعة من الحصير بحيث يسكن كل عائلة خيمة وتبحث كل أسرة عن مكان معين ومحدد لرعى أغنامها وماشيتها .

ويلاحظ أن طبيعة الارض التى تعيش فيها هذه المجموعة هى السبب فى تقسيم وعـزلة هـذا الشـعب ففـى هذا المكان البعيد الجاف يجد الإنسان مراعى ضئيلة جدا والنـباتات نـادرة وتوجد فقط بجوار الأخوار والزراعة البسيطة الموجودة لديهم تتوقف على الأمطار

---

*- سعاد على حسن شعبان رسالة دكتوراه بون بألمانيا ١٩٧١

ومن منابع المياة نجد لديهم :

١- آبار سطحية وهذه توجد فى المناطق الرملية الطينية وتكثر فى جنوب المنطقة وتمـلأ وقـت الأمطـار وتسقط هذه الأمطار فى فصل الخريف من يوليو الى أكتوبر فى الجنوب .

٢- آبار جوفية وتوجد فى الشمال .

٣- الحفائر وتكثر فى جنوب منطقة البجا وهى عبارة عن أحواض كبيرة تملأ وقت المطر وهى تحفر دائما بجوار القنوات الفرعية لخور الجاش والحفائر لاتجف أبدا

٤- خـور الجاش : وهو أكبر وأشهر نهر فى الجزء الجنوبى من أرض البجا وهو يمتلىء بالمياه أيضا فى الخريف وتأتى المياه محملة بالطمى ونظراً لوجود هذا الـنهر فـى جنوب المنطقة وكثرة الأمطار فى الخريف نجد أن الأرض فى هذا الجـزء خصـبة جدا وصالحة للزراعة وفى شمال أرض البجا نجد أن الأرض صـحراوية وتصلح فقط لرعى الجمال والماعز أما فى الجنوب نجد إلى جانب الجمال والاغنام أيضا الأبقار التى تكون ثروة عظيمة للبجا .

تربية الحيوان :

نجدأن اقتصاد البجا قائم على الحيوان ومن الحيوانات التى تعتمد عليها ثرواتهم الاقتصـادية الضـآن والماعـز آما الجمال فتستخدم اساسا للركوب كوسيلة من وسائل المواصـلات وللـنقل ونجـد أن الشمال تتوفر فيه الجمال والماعز باعداد كبيرة امافى الجـنوب فـنجد الابقار والضآن ومع ذلك فان الماعز والضآن هما أهم الحيوانات لدى جميع قبائل البجا سواء منهم البدو الرحل أو أنصاف البدو أو الذين يمارسون الزراعة وهى تكون الغذاء الرئيسى لديهم .

مما تقدم يلاحظ أن لهذه الحيوانات الصغيرة أهمية كبيرة فى التجارة فالى جانب اللحوم يستفيد البجاوى من أصوافها وجلودها علاوة على اللبن والدهن والعناية بالاغنام من أختصاص الرجل فهو الذى يذهب بها للرعى والى الآبار ى وهو الذى يقوم بذبحها وبـيعها ولكـن الماعـز تقـوم بالعـناية بها وتربيتها المرأة وهى ملكها الخاص لانها تشـتريها بمـا تدخرة من نقود ولذلك فان الماعز تظل دائما بجوار المسكن ويذهب بها الأولاد الـى الأبـار من وقت لآخر ومن صوف الماعز تنسج السيدات نوع من الغطاء

وهـــى عـــبارة عـــن غطاء صوف يشبه البطانية ويطلقون عليها أسم (الشملا) ومن صـــوف الماعـــز أيضـــا تصنع النساء علاقات لحفظ الأوانى الفخارية والصحون وأحيانا لتزييـــن الخيمة كما تستخدم الحبال المصنوعة من صوف الماعز لاغراض كثيرة أما لبن الماعـــز فيستخدم أساسا غذاء للاطفال فقط ولايباع وتقوم النساء ايضا بتربية الدواجن للبيع لان البجا لا يأكلون لحم الطيور ولا البيض .

ومـــن الحـــيوانات الـــتى لايمكن الأستغناء عنها لديهم الكلب فهو يحرس البيت والحـــى والأغنام ولا يستطيع أى أنسان غريب دخول الأحياء السكنية بدون معاونة أهل الحـــى أنفسهم خوفا من الكلاب أما الجمل فإنه يلعب دورا كبيرا جدا فى النقل وذلك لأن الـــبجاوى عـــندما يتجول باحثا عن المرعى يحمل معه جميع ما يملك خيمته التى يطلق علـــيها " بيـــت البرش " والجمل هو الحيوان الوحيد الذى يستطيع حمل هذه الأشياء الى جانب تحمله العطش لفترات طويلة قد تمتد لعدة أسابيع وهو يستطيع السير فى الأماكن الوعرة والبعيدة والتى لا يمكن لاى حيوان آخر أن يصل إليها .

ويعتـــبر الجمـــل لـــدى انصاف البدو والمستقرين سلعة تجارية فليس له نفس الأهمية الكبيرة فى النقل وخاصة ان المراعى والحقول لاتبعد كثيرا عن الأحياء السكنية هـــذا ويحلـــب البجاوى لبن الناقة ولكنه لايباع وتذبح الجمال ايضا ولكن فى مناسبات خاصـــة مـــثل الزواج أو الوفاة أو إذا لم يكن هناك شىء يحل محلها ويستفيد الهدندوى أيضا من شعر الجمال .

أمـــا الأبقـــار : فتوجد بكثرة فى جنوب المنطقة كما ذكرنا قبل ذلك وفى الشمال على قمم الجبال وهى المورد الوحيد للبن واللحم فى الجنوب ولا تذبح الأبقار للاستخدام الشخصى الا فى الأعياد والاحتفالات الكبيرة وبيع لبن البقر من عمل الرجال فهو يوزعه يوميا وبانتظام على أهالى القرى والمدن وتقوم النساء باعداد الزبد وبيعه .

ممـــا تقدم يلاحظ أن البجا يعتمدون أعتمادا كليا فى حياتهم على الحيوانات وقبل كـــل شـــىء فى مواد التغذية وخاصة اللبن والزبدة فاللبن يكون المادة الاساسية للغذاء وهم يحلبون جميع الحيوانات ولحرصهم على هذه المواد والاستفادة منها فترات زمنية طويلـــة فـــان مـــن النادر أن تذبح الحيوانات ولذلك فإن تذوق اللحم يقتصر على الأعياد والاحتفالات الخاصة وأهم المنتجات الحيوانـــية بعـــد اللبن هى الصوف والجلود ولذلـــك يلاحـــظ ان البدوى يحرص على أمتلاك الحيوانات والى جانب الفوائد الاقتصادية

للحيوان نجد له قيمة معنوية بالنسبة للثروة والجاه والمكانة الاجتماعية فملكية عدد كبير من الحيوانات هو الهدف الاساسى عندهم .

التجول الموسمى للبدو وأنصاف البدو :

فى شمال المنطقة نجد ان المراعى متوفرة فى الصيف فوق الجبال وفى الشتاء ينزلون الى السهول وكل أسرة ترعى ماشيتها منفصلة عن الأخرى دون أن يكون لهم حدود أو حتى أسم الملكية على الأرض وكذلك الابار فهى ملك للجميع .

أما فى الجنوب حيث توجد أماكن الرعى بجوار القرى والمدن فأن مثل هذه الجماعات الرعوية تبحث دائما وطول العام عن الغذاء لحيواناتها وترحل بأستمرار الى الأماكن المختلفة وتتوقف الفترة التى يقضيها الشخص فى المراعى على وفرة الماء والعشب وهم لايخرجون عن حدود منطقتهم والتى يسمح فقط للاسر التابعة لكل قبيلة أن ترحل اليها بمتاعها وهؤلاء جميعا لايملكون بيوت ثابتة دائمة ولكنهم يحملون بيت السبرش الذى يقوم بصنعه واقامته السيدات والبدو لا يزاولون مهنة الزراعة ، هذا وقد تحول كثير من الهدندوة الى أنصاف رعاة وخاصة فى جنوب المنطقة وهذا الشكل الأقتصادى يقع بين حياة البدو وحياة الأستقرار ويلاحظ أن كلا النمطين " نمط الحياة الرعوية وأنصاف الرعاة " يجمعهما تيارات واحدة فمثلا تلعب الحيوانات دورا كبيرا جدا لديهما وخاصة الحيوانات الصغيرة وكلاهما يبحث عن السراعى فى مواسم معينة وعلى مسافات بعيدة . ولكن هناك أختلاف واضح بينهما وهو أن تربية الحيوان لدى أنصاف الرعاة مرتبطة بالزراعة كما يختلف الرعاة أيضا فى مساكنهم فهم لايسكنون بيوت ثابتة دائمة بالمرة أما أنصاف الرعاة فعلى العكس لهم بيوت ثابتة ودائمة لا تبعد كثيرا عن أماكن الرعى ولهم أيضا أماكن معروفة للرعى والتى يبحث عنها الرجال أما النساء والاطفال فيظلون فى المسكن وغالبا ما يعود الرجال فى المساء مع ماشيتهم وإذا كانت أماكن الرعى بعيدة كثيرا يظل الرجال هناك فترات تمتد أحيانا الى ثلاثة أشهر بينما الجزء الأخر من الأسرة – أعنى النساء والأطفال يظل فى البيت .

فى شمال منطقة الهدندوة يعيش أنصاف البدو والبدو الرحل فى أطراف المدن وعلى الجبال أما فى الجنوب فتوجد مساكنهم فى أطراف القرى فقط . هذا ويلاحظ أن الرعى يسبب مشاكل كبيرة فى الوقت الحاضر لدى جميع الدول الافريقية ولذلك فان المناقشات تدور حول هذه المشكلة باستمرار وتحاول الدول أن تجد لها حلا مناسبا فمثلا فى السودان فى عام ١٩٦٢ دارت مناقشات عديدة فى الاجتماعات العلمية الدورية التى

تعملهـا الحكومـة بانـتظام فى السودان وهذه الاجتماعات تضم المواطنين والمتعلمين والمندوبيـن مـن الـوزارات المختلفة التى يهمها الامر (وفى هذا العام كان موضوع المناقشـة يـدور حول اثر البدو على التطور الاقتصادى والاجتماعى لسكان السودان وكان من ضمن ما قاله بعضهم مثلا فى أثناء المناقشة نحن نوافق جميعا على أن البدو لابد أن يغيروا حياتهم ولكن المشكلة ما هو الشكل المناسب لذلك .....؟

ويقـول آخـرون " الحل الوحيد للمشكلة هو تعليم البدوى كيف يقتنع أن حياة الترحال ما هى الا طريقة ثانوية للحياة " .

وفعـلا لاحظـنا فى الأعوام الاخيرة وتحت ضغط التغيير السريع الذى طرأ علـى المـنطقة أن بعضـهم قـد غير فعلا من طريقة حياته والتجول الدائم للبحث عن المـراعى .أو تخلـى عنها كليةوقد أستقر عدد كبير منهم تماما من تلقاء نفسه ومنهم الهدندوة . ولكن مازالت هناك للآن بعض الجماعات التى يمكن أن يطلق عليها بدو رحل

وهـذا ويفسر بعض العلماء (كلمة رعى) بانها مرتبطة بالبحث عن المرعى وأن الـرعاة دائما يكونون عبر الطريق للاستفادة من التغييرات الموسمية طوال السنة لماشـيتهم ونجـد أن كـل العلماء متفقون على أن الرعاة يضطرون للرحيل باستمرار بقصـد البحـث عن مراعى جديدة للحيوان وفى ذلك يكتب أحدالعلماء أن الحصول على المرعى هو أهم ما يشغل البدوى فالرعى والتجول هما حياته فحياة الرعى تعنى التجول الدائم الموسمى لجميع القبائل التى تملك حيوانات بقصد الحصول على مرعى للقطعان.
(رسالة دكتوراة للدكتورة سعاد شعبان ١٩٧٠) .

<u>بعض أنماط الحضارة المادية لدى الهدندوة (بجا) :</u>

١ – اشـكال الـتجمعات نجدأن تجمعات هذه القبيلة تختلف فى شمال المنطقة عنها فى جنوبها ففى شمالها يعيش الهدندوة منعزلين فى أطراف المدن وذلك لانهم لايميلون الى الاخـتلاط بالغـرباء وبعضهم يعيش على الجبال وفى الشمال لانجد لهم تجمعات حول القـرى وأمـا المـدن الـتى يعيش فى أطرافها الهدندوة هى بور سودان سنكات جبيت اركويت وسواكن .

أما بور سودان فيسكن بجوارها مجموعات لجميع قبائل البجا لانها تعتبرنقطة تلاقى لجميع القبائل وخاصة بعد أن أصبحت بور سودان ميناء بدلا من سواكن لوحظ ان معظم القبائل رحلت إلى بور سودان بحثا عن العمل فى الميناء .

وفيها يلاحظ فى أقدم حى للبجا بجوار بورسودان ان المساكن والطرقات منظمة ومنسقة بجيث يسكن الاقارب بجوار بعضهم ويفصل كل مجموعة من المساكن المتصلة ببعضـها شـارع صغير ومن المنشأت الاجتماعية مدارس ابتدائية للبنين والبنات بيت للضـيافة مـنزل للاجـتماعات التى يعملها الرجال بانتظام ومبنى للاتحاد النسائى حيث تـتعلم فـيه السـيدات والبـنات - اللاتى لم تتح لهن فرص التعليم المدرسى - القراءة والكتابة وأيضا الخياطة .

بعـض الاحياء الأخرى نزح اليها أهلها بعد عام ١٩٠٥ ويلاحظ أن معظم هذه الأحياء صغير وغير منظم والمنازل متفرقة ولكن الأقارب يقيمون سور من الخشب حول مـنازلهم الـتى لاتزيد على خمسة بحيث تسكن كل أسرة منزل خاص بها فى داخل هذا السور

وتنتشر خيام الهدندوة والبدو فى أطراف جميع هذه الاحياء ومما يلاحظ فى هذه الأحياء الصغيرة أيضا أن النساء بصفة خاصة لا يتكلمن اللغة العربية بالرغم من أنهن قـد تركن أماكن السكن المنعزلة منذ زمن بعيد أما الرجال والاطفال فهم الذين يتكلمون اللغـة العربـية والسـبب فى ذلك هو ان النساء بعكس الرجال ليس لهن ايه علاقة أو ارتـباط بالعـالم الخارجى أما أنصاف الرعاة فيعيشون فى أطراف المدن ويربون بعض الحـيوانات ويمدون البلاد المجاورة لهم بالالبان واللحوم ويذهب الرجال للرعى فترات مـن الزمـن تاركيـن النساء والاطفال وفوق الجبال وفى السهول نجد تجمعات الرعاة بخيامهم التى لاتزيد عن عشرة خيام من الحصير .

أمـا فـى الجنوب : فنجد القرى كثيرة بعكس الشمال ويجرى نهر يطلق علية " خـور الجـاش " ونجدأن سكان هذه القرى قد أستقروا وسكنوا بيوت ثابتة والسبب فى ذلك أنتشار الزراعة فى هذه المنطقة وجميع القرى فى الجنوب متشابهه فى الشكل العام والـنظام لكن الاختلاف يلاحظ فقط فى مساكن الرعاة الذين يعيشون خارج هذه الاحياء السـكنية فـنجدأن كـل قرية مقسمة داخلها الى احياء سكنية حيث يسكن كل حى عائلة كبـيرة وبحيـث تحاط مجموعة من المنازل بسور من الطوب النىء ويقفل السور بباب خشبى .

أما فى داخل السور فنجد أن لكل أسرة صغيرة منزل خاص بها وجميع المبانى فـى داخـل القرى من نوع (القطية) وبداخل السور مكان مغطى بالقش للحيوانات . ويلاحظ أن الحقول والمراعى والابار ليست بعيدة كثيرا عن القرى .

٢ – اشكال البيوت :

مما سبق يتضح لنا أن هناك أنواع كثيرة من المساكن وحصل هذا التنوع نتيجة لنمط الحياة التى تعيشها الجماعة فهناك :

أ – مساكن مؤقتة : نجد أن نمط الحياة التى يعيشها الرعاة تتطلب أن تكون المادة التى تصنع منها مساكنهم خفيفة الحمل ولذلك فان خيامهم تصنع من الحصير الذى ينسج من خوص النخيل وتقوم النساء بعمل الخيام . وتغطى الخيمة بطبقتين من الحصير طبقة داخلية رقيقة وأخرى خارجية سميكة وتترك فتحة الباب على أحد الجوانب ولكنها لاتقفل ليلا أو نهارا ومثبت فى السقف من الداخل الغطاء الصوف الذى يطلق عليه (شملا) وذلك لتغطية السقف وحائط الخيمة وتعمل حفرة أمام كل خيمة كموقد حيث توضع على جانبى الحفرة قطعتين من الحجر ويوضع القدر فوقهما مباشرة ، يوجد هذا النموذج من المساكن المصنوع من الحصير والمسمى (بيت البرش) فى الشمال فى أطراف المدن وعلىالجبال أيضا وفى الجنوب حول القرى .

ب – مساكن دائمة : توجدأشكال كثيرة لهذا النوع من المساكن الدائمة الثابتة بيوت بنيت بالواح خشبية وأخرى من أفرع الشجر والقش والحصير وكلاهما مستطيل الشكل ويقوم ببنائة الرجال بجانب هذا النوع من السكن يوجد غالبا مكان يغطى بالقش تجلس فيه النساء كما يعتبر مكان للتسلية ولعمل الاشغال اليدوية ومكان للطبخ .

٣– الشكل الثانى للبيوت الثابتة الدائمة هى المخروطى الشكل والمسمى (قطية وتتكون جوانبة من الطوب النىء وسقفه من القش ولكنه ليس نمط بجاوى فقدأخذه البجا من سكان غرب أفريقيا المقيمين معهم منذ زمن بعيد هذا البيت مبنى على شكل دائرة وله باب صغير جدا من الخشب أو الصفيح وليس له الا نافذة صغيرة تظل مفتوحة ليلا ونهارا . والسقف يتكون من طبقة داخلية من الأفرع وأخرى خارجية من القش هذا البيت يقوم ببنائة ايضا الرجال وبجواره ايضا يوجد مكان مغطى بالقش للطبخ ولقضاء وقت الفراغ وايضا للحيوانات ويوجد هذا النوع من البيوت فى جميع قرى المنطقة الجنوبية .

الأثاث والأدوات المنزلية :

تـــتكون معظـــم المساكن الثابتة غالبا من غرفة واحدة ولها فناء يحيط بالمبنى وفـــى ركـــن من أركان هذا الفناء يوجد الزير أو القربة التى يحفظ فيها الماء وأستعمال القـــربة يكـــثر فـــوق الجـــبال فى الشمال وفى القرى فى الجنوب وهى من جلد الماعز المدبوغ .

(والزيـــر والقربة) يحفظان الماء باردا حتى فى أوقات الحر الشديد ولكل منهما قاعدة خشبية يوضع فوقها .

وفـــى ركـــن أخر من الفناء يوجد الموقد ولديهم أنواع عديدة من المواقد التى تستخدم للطبخ أو للخبيز فاما أن تكون حفرة يوضع فيها

الوقـــود وفوقهـــا قطعتين من الحجر يوضع الاناء فوقهما مباشرة ويوضع فوق الحفـــرة قطعـــة من الحديد مربعة الشكل ولكن هذه تستخدم فقط فى عمل الكسرة (الخبز الســـودانى) الـــذى اخـــذه البجا عنهم ويستخدم ايضا للخبز صفيحة موضوعة فى حفرة بحيـــث تكـــون الفتحة الى اعلى وفى الصفيحة من الداخل يشعل الخشب والقش الى ان تصـــير الجوانب ساخنة ثم يلصق العجين على الجوانب الداخلية فى شكل ارغفة ويغطى مـــثل هـــذا الفرن بالحصير والتراب وللطبخ يستخدم أيضا صفيحة ولكنها لا توضع فى حفـــرة وانمـــا توضع بوجهتها المقفولة الى اعلى ويضع فوقها مباشرة الفحم والخشب الذى يستخدم فى الوقود كما يوضع اناء الطبخ فوق الوقود مباشرة .

وبالفـــنــاء مكان للماعز والطيور وغالبا ما يوجد عدة سراير صغيرة (عنجريب) وحصـــير للجلـــوس الغرفة اىداخلية للبيت تتشابه فى تأثيثها وزخرفتها فى جميع أنواع المـــبانى المخـــتلفة وهى تقسم عادة بواسطة ستار كما تزين الحوائط بقطع من القماش الاحمر والمشغول بالخرز والودع ومبطنة بالحصير .

امـــا الاثـــاث فهو بسيط جدا ويتكون من سرير كبير يسمى انباجى ويبلغ طوله حوالى ٥ امتار وعرضه متران وارتفاعه متر وهذا السرير يستخدم للجلوس والنوم كما يســـتخدم ايضـــا لحفظ الادوات المنزلية وتنام المرأة عادة هى وأولاها فوق هذا السرير والوســـادة مصـــنوعة من الجلد وتملأ ببذور الريحان الذى يوجد بكثرة فوق الجبال اما السرير الصغير "العنجريب" فنجده فى جميع انواع المساكن ماعدا "بيت البرش" ويسميه الهدندوة انال (Onal) وينام عليه الرجل .

ولديهـــم ايضا كراسى صغيرة ومصنوعة من الحبال تماما مثل العنجريب ولكن تفـــتقدها ايضـــا الخـــيمة- ويلاحـــظ فى الذين يجاورون المدن انهم غيروا من أدواتهم المنزلية وبدأوا يستخدمون الاوانى والادوات التى يستخدمها سكان المدينة مثل دواليب- ارفف للاطباق والاوانى وصحون من الالومنيوم والنحاس والصاج .

امـــا الذين مازالوا يعشون فوق الجبال فيستخدمون نفس أدوات المطبخ القديمة وهـــى عـــبارة عـــن أوانى فخارية وصحون خشبية وهم يطبخون فى قدور فخارية الى جانب هذا توجد ايضا ادوات عمل القهوة وتتضمن :

(أ) طبق مسطح من الخشب له مقبضان ويستخدم لتحميص البن ولكن الغالب حاليا ان يحمص البن فوق قطعة من الصفيح على الموقد .

(ب) هـــاون مـــن الخشب ويد لطحن البن فى الهاون اما من الحديد او الخشب .

(ج) الجبنة وهى عبارة عن ابريق صغير من الفخار لصب القهوة وهم يطلقـــون علـــى القهوة ايضا اسم الجبنة وتوضع الجبنة (الابريق الفخار) فـــوق قاعدة عبارة عن حلقة مجدولة من القش ومغطاه بالقماش الاحمر المزخرف بخيوط من الخرز المختلف الالوان يطلق عليها (الوجاية) .

(د) فناجين القهوة صينى صغيرة .

ولحفظ ونقل كل من الابريق الفخار وفناجين القهوة يستخدم وعاء من خـوص النخـيل او علبة مصنوعة من الخشب ويستخدم الهدندوة قشر القرع العسلى الجاف والمفرغ لحفظ السمن كما تستخدم القشرة الصغيرة لشرب اللبن ولحلـب اللبـن يستخدم الهدندوة وعاء مجدول من خوص النخيل وهذا الوعاء يدهـن مـن الداخل بعجينة قبل الاستعمال لاول مرة لكى لا يتسرب منه السائل وتسمى "العمرة" .

الملابس والمجوهرات والعناية بالجسم :

يلـبس الرجال ثوبا مصنوع من القطن ويبلغ طوله حوالى ٩ أمتار ويلف حول الجسـم مـن اسـفل الى اعلى ويلبس تحته سروال طويل ابيض اما الاغنياء فيلبسون عـلاوة علـى هذا قميص طويل .والشعر لا يغسل ابدا وانما يدهن بالدهن ويقص مرة واحـدة كـل سنتين ويستخدمون مشط من الخشب يشبه الشوكة ولكن ذو ثلاثة اسنان طويلة او سن واحد فقط.

هـذا بالنسـبة لغالبية الهدندوة اما بالنسبة للذين يتبعون زعيم دينى او ينتمون لرئيس قبيلة فانهم يقصون شعرهم ويلبسون العمامة هذا ويحمل الرجل معه دائما ثلاثة اشـياء سيف يستعمله للدفاع عن نفسه ،خنجر يحمله فى حزام من الجلد ويستخدمه فى الاعمال اليومية المختلفة وعصا يبعد بها الثعابين ويطرد بها الكلاب كما يحمل معه دائما الحجـاب وهـو يوضـع فـى علـبة صغيرة ويربط دائما على الذراع الايمن ولا يسير الهدندوى حافى القدمين ولكن يلبس دائما صندل من الكاوتشوك القديم .

اما الاولاد فيلبسون قميصا وسروالا طويلا الى ان يبلغوا سن الرابعة عشرة ثم يلبسـون لـبس الـرجال والبنات الصغيرات يلبسن ملابس اوربية بالاضافة الى غطاء الـرأس وعـندما يبلغـن سن العاشرة يبداون فى لبس زى النساء الكامل ويترك الاولاد والبنات شعرهم ينمو الى سن التاسعة ثم يقص وتترك فقط خصلة امامية ويسير الاولاد والبنات عادة حفاه الاقدام .

ولـبس المرأة عندهم عبارة عن قطعة كبيرة من القماش القطن او الحرير يبلغ طولهـا ١٢ متر وتأتى اليهم هذه الاقمشة المتعددة الالوان من الهند وتلبس المرأة تحت هـذا الزى ما يشبه الجونلة والصديرى اما الشعر بالنسبة للنساء فأنه يجدل فى ضفائر صـغيرة جـدا ولا يقص الشعر ابدا ويمشط مرة واحدة كل شهر ويدهن ايضا بالدهن او الزيـت كمـا تضع فى اطراف الضفائر خليط من مسحوق الاوانى الفخارية القديمة مع

انــواع مختلفة من العطور والبخور والزيوت وهن يتعاون فى عملية التمشيط وتستعمل المرأة من أدوات الزينة الكحل والحنة كما تعمل ايضا الدلكة وهى عبارة عن عجينة من دقـيق الدخـن طبخـت مع البخور والروائح وخشب الصندل وتدلك بها المرأة جسمها صـباحا ومسـاءا ويقال ان الدلكة مفيدة صحيا للجسم فهى تجعل الجلد ناعم كما ترطب الجسـم .هذا وتزين المرأة بعقود كثيرة من الذهب وتضع المرأة المتزوجة حلقة ذهبية صـغيرة فى شعرها من الامام بمثابة دبلة الخطوبة وتزين الرأس ايضا بالذهب والخرز والـودع وتلبس فى الاذن حلقات كبيرة من الذهب وايضا فى الانف اما الاساور فهى من الفضـة وكذلك الخلخال هذا الى جانب العديد من الاساور والعقود المصنوعة من الخرز والودع .

الغـــذاء

اهـم المـواد الغذائية لديهم هى لحم الضان ومنتجات الالبان والعصيدة والخبز المصـنوع من حبوب الدخن وهم يأكلون فى الصباح (البليلة) واما الاكلة الرئيسية فهى دائمـا بعـد الظهـر وهـى العصيدة . والعصيدة تخلط باللبن والسمن والسكر وباللحم المسـلوق ولديهم اكلة مشهورة يطلق عليها اسم (السلات) وهى عبارة عن لحم مشوى على الحجر والجماعات التى تسكن بجوار المدن يأكلون حاليا الخبز السودانى المعروف بالكسرة الى جانب العديد من انواع الخضر .

والقهوة هى المشروب الاساسى لديهم وتشرب فى جميع اوقات النهار .

الرعى واثاره على تقدم البلاد (*)

٢ - الصومال

(مثال من الصومال) دراسة أنثروبولوجية :

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على الملامح الاساسية لشعب الصومال الرعوى وعما اذا كان لحرفة الرعى اثار اقتصادية وحضارية على البلاد ام لا ومدى تأثير البيئة الطبيعية والاجتماعية على سلوك هذه الفئة من الشعب .

ومما هو جدير بالذكر ان البيئة الطبيعية للصومال تختلف من مكان لاخر فى التضاريس والمناخ والموارد الطبيعية من ماء ومرعى وغيرها. فالموارد المائية الضرورية للانسان والحيوان والنبات نجدها متعددة ولكنها قليلة وبعضها نادر فى بعض الاماكن . ونتيجة لهذه العوامل يتشكل اقتصاد السكان فنجد ان غالبية السكان من مربى الماشية والرحل وتمارس.نسبة ضئيلة منهم الزراعة اذا ما توفرت لها التربة الخصبة والماء .

ومن الملاحظ ان للبيئة الطبيعية اثر كبير على طبائع الناس ، فساكن الصحراء يتصف بالخشونة والحيطة والحذر تجاه العوامل البيئية القاسية ، كما يظهر اثر البيئة كذلك على بعض انماط الحضارة المادية مثل المسكن والملبس والغذاء وللبيئة الاجتماعية ايضا تأثيرها فالاستعمار مثلا بالنسبة للصومال قد انشأ تنوعا سلاليا وتاريخيا ، وبسبب تعدد الجنسيات ظهر فى الصومال العديد من العملات ،ومن تأثير البيئة الاجتماعية ايضا عدم تحجب المرأة امام الرجال وربما يكون هذا راجعا الى التأثير الاوروبى .

ولقد وضعت الحكومة المشروعات والقوانين التى تسهم فى توفير المياه والمحاصيل الزراعية والاعلاف للمواشى وغيرها لكى يتحقق الهدف الاكبر وهو استقرار البدو والعناية بتربية الماشية على احسن واحدث الطرز. وكذلك الزراعة بالطرق والادوات الحديثة ،وأنشأت لذلك الوزارات والمصالح المتخصصة كما أنشأت بجانب هذا المدارس والمستشفيات لكى تنهض بالعنصر البشرى المنفذ لهذه

---

*- دراسة أنثروبولوجية للدكتورة سعاد شعبان ، منشور بمجلد مؤتمر القرن الأفريقي ،معهد الدراسات الأفريقية ، يناير ١٩٨٥ .

المشـــروعات واهتمـــت بصـــفة خاصــــة بالمرأة وتعلمها وسنت القوانين التى تكفل لها اســـتقرارها واســـتقرار الاسرة معها ، ضمن هذه القوانين ما يكفل المساواه بين الرجل والمرأة ، وقوانين تمنع الزواج باكثر من زوجه .

ويحـــرص القـــانون كذلـــك على عدم حدوث الطلاق الا بسبب مقنع، ولقد سنت الحكومـــة قانونـــا يـــنص علـــى الغاء القبلية وتوفير الحماية الاجتماعية والغاء جميع الامتيازات الاجتماعية كالأوصاف والالقاب ، وحدد عقابا صارما للاخلال بهذا النظام .

هـــذا وللدين تأثير عظيم وواضح فى الاسرة ، فلا يمكن تسمية المولود الا بعد استشارة رجل الدين حيث يقوم ببعض الطقوس والممارسات لاختيار اسم المولود ، كما تأثرت العادات والتقاليد فى الصومال بالاسلام وبحياة البداوة ، فتخرج القبائل فى مختلف المناسبات فى صفوف منتظمة مع زعيمها وترقص رقصات وطنية .

وممـــا هـــو جديـــر بالذكر ان الحرف اليدوية والصناعات الصغيرة تحتاج الى تحســـين مســـتواها مع التركيز على انتاج السلع التى تسد حاجة السوق المحلية وتثبيت دعـــائم الصـــناعة المحلـــية والاهـــتمام بالصـــناعات التى تتوافر موادها الاولية بالبلاد والاهتمام بالقوة البشرية وذلك عن طريق الاهتمام بالتعليم والصحة وتأكيد وتوطيد دور المرأة فى التنمية مقـــدمـــــــة :

تمـــر معظـــم شـــعوب العـــالم اليوم بحالة من التغير والتبدل السريع فى البناء الاجـــتماعى والحضارى ولكن ليس بالضرورة ان يتوافق كل أفراد الشعب بنفس الدرجة والسرعة مع هذه المتغيرات ، ومن هنا ينشأ الصراع بين الحكومات التى تحاول جاهدة ان تســـاير الـــتطور بيـــن بعـــض فئات من الشعب ، يصعب عليها مسايرة هذا التطور ،وخاصـــة بالنسبة لشعوب أفريقيا التى يمارس معظم افرادها مهنة الرعى ، هذه الحرفة الـــتى تجعل اصحابها فى حالة تجول دائم منشغلين بالبحث عن المرعى والماء للماشية كمـــا تجعلهم منعزلين عن العالم المحيط بهم فهم بهذا يسببون عبئا ثقيلا بالنسبة للتغير والـــتطور الحضارى والاجتماعى والاقتصادى فى البلاد ، حيث أنه من الصعوبة جمعهم فـــى مكـــان معين وعمل المشروعات اللازمة التى تتفق مع ثقافتهم من اجل استقرارهم واستقرار البلاد معهم .

مـــن هـــنا برزت اهمية هذه الدراسة التى تتركز عن شعب الصومال ذو التاريخ الطويل الفريد فى نوعه والذى يمارس معظم سكانه مهنة الرعى .

وتعتمد الدراسة على المراجع العربية منها والا جنبية ،الى جانب دراسة ميدانية استطلاعية فى الصومال [1] .

وستحاول هذه الدراسة التعرف على الانماط الاقتصادية والاجتماعية والحضارية واسباب اختلافها ، ان وجدت ، هل هى البيئة وحدها ؟ ام العناصر المتداخلة من تجارة واستعمار بالاضافة الى البيئة ؟ وهل هناك عوامل اخرى سببت ذلك وما مدى تجاوب وتأثر الشعب بكل هذه العناصر وهل اثر الشعب فى احداها وما هى مظاهر هذا التأثير ؟ ثم اخيرا اثار حرفة الرعى على البلاد ؟ كل هذه اسئلة تحاول الدراسة البحث عن اجابة عليها .

لمحة عن الصومال

توجد الصومال فى مناطق الصحراء وغابات القرن الشرقى ومرتفعات الصومال – جالا ،وهى تعتبر ثانى مجموعة قبلية هامة للقرن الشرقى الافريقى ، ويسميها الجغرافيون العرب بربرة .

وجميع سكان هذه المنطقة حاميون ، او على الاقل لهم اصل حامى . ويتكون هذا القطر من أربع وحدات سياسية من الشمال الى الجنوب (أثيوبيا – الصومال الفرنسى – الصومال الإنجليزى – الصومال الايطالى) ولذلك فوصف شعب هذا القطر منفردا من الصعوبة بمكان نتيجة لهذا الخليط السلالى العظيم ولكن جميع الكتابات تؤكد أنهم حاميين ومع ذلك فتاريخهم المبكر مظلم .

ويشتق اسم الصومال من اسم سكان البلاد الاصليين ،فهم يرجعونه الى اسم اسلافهم ، وهم من سلالة تاجر غنى يدعى "ذومال" وهى فى اللغة العربية بمعنى الثرى او الغنى ، ولم يتفق بعد على الاصل اللغوى لكلمة صومال ، فبعض التفسيرات ترجعها الى كلمة مكونة من مقطعين "صو" بمعنى يذهب او اذهب و "مال" بمعنى اللبن وحينما يحل ضيفا على العشيرة الصومالية يأمر المضيف الولد او البنت باحضار اللبن للضيف ويكون معناها صومال (اذهب لاحضار اللبن) ومن التفسيرات ما يذهب الى انها مشتقة من "سوماح" وهى كلمة اثيوبية بمعنى غير متحضر ولكن تسمية الصومال تسمية حديثة نسبيا ويصفهم سيلجمان بانهم معتدلون فى حياتهم كما هو معروف بين بدو الصحراء

1- الرحلة العلمية التى قام بها بعض أعضاء هيئة التدريس بالمعهد عام ١٩٨٠ .

وان لديهم قوة احتمال كبيرة نظرا لخشونة الحياة كما انهم يستطيعون ان يعيشوا فترات طويلة على كمية قليلة جدا من الطعام والماء ويوصفون ايضا بأنهم مرحون ذو شخصية خفيفة ولكنهم متميزون بالغرور الزائد والبخل والجشع

ونتيجة لهذه القدرات فلديهم ثقة شديدة بالنفس ، وهم عموما، متعصبون للدين بصورة مدهشة لا بعد الحدود .

ويصف بنزن حياتهم الاقتصادية وبعض التقاليد فيقول ان نصفهم تقريبا رعاه والباقى انصاف رعاه وتعنى الحيوانات لدى البدو الثروة. وهم يربون الابقار ذات الاسنام وفى بعض الاحيان ايضا الابقار ذات القرون الطويلة وتذبح الحيوانات فقط فى المناسبات وفى الاضاحى مما يعطيهم الفرصة لتذوق اللحم ، وهم يقطعون اللحم فى شرائح ثم يجفف ويحفظ .

بجانب هذا التنوع السلالى والتاريخى هناك ايضا التنوع الكبير فى البيئة الطبيعية فللبلاد ساحل بحر يبلغ طوله ٣,٢٠٠ كيلو متر وفى الجزء الجنوبى من البلاد يجرى نهرا جوبا وشبيلى ومياههما لا تنقطع طوال العام وهما يستمد انها من الجبال الواقعة الى الجنوب من هرر وهناك سلسلة جبلية تعرف بمنطقة "أوجو" باللغة الصومالية اى الاراضى المرتفعة ويبلغ ارتفاعها نحو ١٥٠٠ متر ويجد ايضا منطقة سافانا عديمة الموارد المائية ولكنها خصبة جدا .

من هنا نجد ان البلاد تتكون غالبا من السافانا والانهار فى المرتفعات حيث تنبع من الحبشة وتكون اثناء الحر غالبا عبارة عن وديان جافة فقط مثل نهر شبيلى واكثر الاقاليم خصوبة هى الاجزاء الجنوبية التى يخترقها نهرا شبيلى وجوبا فيما عدا ذلك فالإقليم غير صالحة للزراعة ولا يناسب استقرار السكان .

يتضح مما سبق اهمية الموقع الجغرافى اما اسم الصومال ورد بشأنه (صو ، مال) بمعنى اذهب لاحضار اللبن هذا الاسم يرتبط بعملية احضار اللبن للضيف وهى عادة كل الشعوب الرعوية حينما يحل الضيف لابد ان يشرب أولا اللبن أو الماء ونظرا لندرة الماء فى كثير من المناطق الرعوية يقدم اللبن بدلا منه لانه متوفر وفعلا يكون الانسان فى حاجة الى ان يروى ظمأه بعد المشقة ...

ونظرا لحياة الصحراء الخشنة فقد تأثر هذا الشعب بها لانها حياة تطبع صاحبها بطـابع خـاص فهى مليئة بالمخاطر والمجاعات والقحط ولابد ان يضع الانسان كل هذه الظواهر الطبيعية فى اعتباره وهى ظواهر لا يستطيع التحكم فيها

وقـد وصـفهم العلماء بالمرح والشخصية الخفيفة الروح ، وهذا نتيجة للحياة الـبدوية حيث انهم يقضون نهارهم كله فى الفضاء وليس لديهم ما يشغلهم طالما وجدوا المـاء والـرعى الا ان يتسامروا ويتحاكو ، ولكنهم وصفوا كذلك بالغرور الزائد والبخل والجشـع فالغـرور يـأتى نتيجة اعتقادهم ان حياة الرعى ارقى فى نظرهم من الزراعة والصـناعة ،او اى مهنة أخرى ولذلك نجد من تقاليدهم عدم تزويج بناتهم لابناء الريف وامـا الـبخل والجشع فهما لا شك فيه انهما حيطة وحذر تجاه العوامل البيئية القاسية كما ان العقائد الدينية لديهم ايضا نتيجة التعامل مع البيئة العظيمة والتأمل لما فى الكون من ظواهر تجعلهم اكثر تعلقا بالاله ومخلوقاته .

ومـن عاداتهم التى وصفها العلماء ماكتبه ينزن وباومان ،ان تذوق اللحم نادر جـدا رغـم انهم رعاه ،وهذا التذوق يكون فقط فى المناسبات وهذه عادة منتشرة لدى جمـيع الشعوب الرعوية فالماشية لديهم رغم كثرتها لا تقتنى فقط للاقتصاد ولكنها تعنى الكثـير من الناحية الاجتماعية ولها معان عميقة فى نفوسهم ولذلك يعز عليهم ذبحها الا للضـرورة كعـرس او وفاة او ضيف عزيز ولذلك فقد تفننوا فى حفظ اللحم لاطول فترة ممكنة فهم يقطعونه شرائح رقيقة ثم يتركونه يجف فى الشمس ويطحن بعد ذلك ويخزن فى اوانى خاصة .

لكـن هـذه الصـفات تنطبق فقط على سكان الجبال والصحارى ولذلك نجد ان سكان السواحل يختلفون فى طبائعهم وعاداتهم عن هؤلاء فهم يعيشون فى بيئة مختلفة حيـث يـتوفر المـاء المحروم منه سكان الصحراء ويتناولون اطعمة اخرى تجود بها الطبـيعة (الاسـماك) ويستعملون ادوات اخرى وهؤلاء يختلفون كذلك عن البعض الذى يعـيش بيـن نهـرى شبيلى وجوبا وممارسة مهنة ثالثة ومخالفة تماما لما سبق وهى الـزراعة بمـا فـيها من استقرار وتربية الحيوان للاقتصاد والغذاء مع استخدام ادوات مختلفة بالطبع .

يظهر من كل ما تقدم تأثير البيئة الطبيعية على طبائع الناس وغذائهم وادواتهم بجانـب كل هذه العوامل هناك عامل اخر غاية فى الاهمية الا وهو الطرق والمواصلات

وتعتبر الطرق والمواصلات شريان الحياة بالنسبة لاى بلد بصفة عامة والصومال خاصة نتيجة لهذا الموقع العظيم .

ففيما يخص الطرق يوجد بالصومال عموما حوالى ١٤٣٠ كم طرق منها ٦٠٢ كـم طرق مرصوفة ولا يمكن السير فى الطرق فى شمال الصومال الا وقت الجفاف فقط ومعظم الطرق المؤدية الى المدن والقرى مرصوف ونجد فى الجنوب المزارع والمراعى على جانبى الطرق .

ويوجـد من وسائل المواصلات السيارات التى يركبها الرجال والنساء من مقر اقامـتهم الـى مكـان العمـل وهناك فى الجنوب خط حديدى يمتد من مقديشيو الى فيلا ايـروزوى وكان الغرض الرئيسى من انشائه خدمة الاغراض العسكرية اما المواصلات المائـية فأهمها نهر جوبا الذى يصب فى المحيط الهندى ويعتبر احد الشرايين الرئيسية فى البلاد ويفتقر الاقليم الشمال الى المواصلات المائية والحديدية .

الموانى :

بربـرة زيلـع فـى الشمال .. قسمايو الميناء الرئيسى فى الجنوب ميركا ميناء تجـارى وتعتـبر مقديشيو النقطة الرئيسية لتجارة الاقليم الخارجية وفيما يختص السفر الجوى تعتبر مقديشيو ميناءا جويا عالميا .

ان الطـرق هـى ايضـا مـن صنع الطبيعة ولكن للانسان القدرة على تغييرها لمصـلحته ومـنها الطـرق التى تربط الجمهورية نفسها بجيرانها ، وهذا له اثره على حركة الانسان من والى البلاد حيث يسهل الاتصال بين الشعوب وبعضها سواء كان هذا الاتصال تبادل تجارى او ثقافى او اجتماعى ومنها الطرق التى تربط البلاد ببعضها داخل القطـر وهـى لا تقل اهمية عن سابقتها اذ انها تساعد على اندماج الشعب بجميع فئاته وهـناك الطـرق الـتى بداخـل كل مدينة وقرية وكذلك الملاحة النهرية وهى ذات طابع مخـالف وتتطلـب من الذين يتعاملون معها ان يتقنوا صناعة السفن وحرفة التجول فى البحار .

موارد المياه :

ان الامطـــار قليلة فى الصومال [1] وبجانب هذا المورد الطبيعى توجد الانـهار ، جوبا وشبيلى ولنهر جوبا ثلاثة فروع تصب مياهها فيه وهى "داوا جنانى مانا" وتلتقى الفروع الثلاثة بالقرب من مدينة دولو ليكونوا نـهر وبى جنابى " او جوبا اما نـهر شبيلى فلـــه فـــرعان صغيران يصبان مياههما فيه فى مكان يقع على بعد حوالى مائة وعشرة كـــيلو مـــترات شمالى قرية "ايمى" ويتلاشى نهر شبيلى فى المستنقعات والكثبان الرملية القريبة من قرية "افى" وفى السنوات التى تكثر فيها الامطار يصب نـهر شبيلى مياهه فى نـهر جوبا .

وفيما عدا ذلك هناك وديان تشق طريقها خلال الامطار الموسمية وتعرف محليا (بـــتوج) او "دوحـــو" وهى تجف معظم شهور السنة. ويوجد ايضا المجارى التى تمدها الينابيع بالمياه والمجارى.

الرئيســـية هى "دارود" ، "توجال" ، مجادا " ، عوج " ، دير" وبيلبى " وتذهب اغلب المياه الـــتى تمـــر بهـــذه المجارى عبثا دون ان يستفاد منها فى الرى الصناعى مثلا غير ان الوديـــان الـــتى تمـــر فـــيها توفـــر للمواشى مراعى خصبة وخاصة بعد سقوط الامطار وتتسرب مياه بعض المجارى فى التربة ولا تصب فى البحر .

---

[1]- وصوماليا اليوم حقائق ومعلومات عامة – ١٩٧٥ ، ص ١٠١ من الطريف أن هناك كثـــير مـــن الشعوب التى يظهر بينها شخص يزعم انه جالب المطر او صانع المطر وقد وصـــف ســـيلجمان هـــذه الشخصية بعد ان رآها واجرى عليها دراسة ميدانية لدى النوير وغيرها من الشعوب فيقول بان هذا الشخص ذكى جدا وخبير بأحوال الجو وفى استطاعته ان يؤجـــل حفل اسقاط المطر مرات ومرات الى ان تحين الفرصة فى الجو لذلك فللمطر علامـــات يعرفها جيدا وعند ملاحظته لها يدعو الشعب لاقامة الشعائر حيث ان الوقت قد حان لذلك وبعد ان ينتهى منها يسقط المطر فعلا ، كما يقول سيلجمان هذا بالنسبة للشعوب التى لديها معتقدات خاصة اما هذه الشعوب البدوية التى تدين بالاسلام وتعرف حقا ان الله هـــو القادر على انزال المطر فتقوم فقط باقامة الصلوات والدعوات ويؤمهم شيخ القبيلة او رجل الدين الموثوق فيه لديهم يدعو الله ان يفك هذه الازمات .

ويتميز الجزء الاكبر من البلاد بالصرف الداخلى للمياه وببقايا الرواسب الناتجة مــن عملــية تــبخر الماء وتؤدى هذه الحالة الى تزايد نسبة الاملاح فى كل من المياه الجوفية والسطحية .

والينابــيع الرئيســية الدائمــة فى البلاد هى "ايشابيدوه ، جيل ودل مادو " فى اسكوشــوبن ، "كــرن بوصاصــو" ، "جلجولو" ، بيكولولى ، اوفين" ، ايل" ، جاروى " ، جاحــا" ، "قــندلا" ســين" علــولا ، داموج" فى بورمة وغيرهم وهناك ايضا ابار كثيرة يســتعملها مربو الماشية لسقى مواشيهم فى طول البلاد وعرضها ويوجد كذلك تجويفات طبيعــية تعرف محليا بأسماء متعددة مثل (ور) ،(هر) "ديشن" بللى" اوبيلك" وتحتفظ هذه التجويفات بمياه لبعض الوقت، بعد انتهاء سقوط الامطار .كما ان هناك البرك وهى تعتبر اماكن لتخزين المياه وهى محفورة فى الارض ومبنية بالاسمنت ويمتلك كل منها شخص واحــد ، ولقــد اصبحت الان محبوبة فى جميع انحاء البلاد وخاصة فى منطقتى "هاود" "توجال" . فيما يخص الموارد المائية نجد منها ما هو طبيعى ولا يمكن التحكم فيه وهى الامطار التى تخضع للعوامل الطبيعية البحتة .

ولقــد شاهدت اهمية المطر فى كثير من الاماكن بالصومال حتى انه عندما سقط المطــر اثــناء تجوالــنا وتجمع ماؤه فى بعض الحفر رأينا النساء تجمع هذه المياه من الحفــر لتخزينها واستخدامها فى اوقات الجفاف فى اعمال المنزل . وهناك كذلك الانهار الــتى تــتكون نتيجة لسقوط الامطار وفيما عدا ذلك توجد الينابيع الطبيعية والابار التى يقوم بحفرها الانسان لاستكمال هذا العامل الحيوى والذى لا يمكن الاستغناء عنه .

اقتصاد البلاد :

يشــتغل معظــم الصوماليين بالرعى فى مناطق الاستبس وهناك يقومون برعى الماشــية او الاغنام والماعز ويمارس فريق منهم الزراعة على طول الانهار والمجارى المائــية وعــند البحــيرات العذبة او الينابيع والابار فمعظم الشعب الصومالى من مربى الماشية الرحل ونسبة

ضئيلة منهم اما مزارعين مستقرين او صيادى سمك او يعيشون فى المراكز الحضرية . ومــربى الماشــية قوم من الرحل الذين يعتمدون اعتمادا كليا على مواشيهم ولهذا فهم مشغولون دائما فى تنقلاتهم الموسمية بحثا عن الماء والمرعى لها .

وحينما نتحدث عن المراعى لابد ان نذكر الغابات ،فلا يمكن الفصل بين الغابات والحيوانات المتوحشة والمراعى لان الغابات تأوى هذه الحيوانات وتوفر المراعى الغنية لبعضها للمواشى التى يربيها الرعاه الصوماليون كما ان المراعى توفر الغذاء للحيوانات الاكلـــة للأعشـــاب ســـواء كانت اليفة او متوحشة وفى نفس الوقت فان اشجارها تحمل الـــثمار ولا توفـــر للمواشى والحيوانات الاخرى المأوى والغذاء وحدهما وحسب وانما توفر للشعب ايضا نباتات كثيرة .

وتـــرتفع نســـبة الـــرعاة فى شمال الصومال نظرا لشدة الجفاف ولعدم امكانية الزراعة وتتحول البداوة والرحلة الطويلة الى نوع من الهجرة الفصلية ثم الزراعة كلما اتجهـــنا جـــنوبا ويمارس معظم السكان الزراعة وتربية الماشية معا وهذا بفضل زيادة المطـــر فـــى جنوب الصومال من ناحية وبفضل نهرى شبيلى وجوبا من ناحية أخرى ، ويتبع الرعاة فى حركتهم دورة فصلية معروفة تتفاوت مساحتها استجابة لظروف المطر وليســـت هـــناك ملكـــية للعشيرة فى ارض معينة ،تعتبرها مراعيها ولكن حيازة الارض تتوقف على استغلالها واحتلالها لها فقط .

الحيوانات :

يـــربى الرعاة الذين يمثلون ٧٤% من السكان الابل بصفة خاصة ، فكلما بعدنا عـــن مقديشـــيو العاصـــمة واتجهنا نحو الجنوب تزيد الثروة الحيوانية وخاصة الجمال والابقـــار واما الماعز والاغنام فتكثر فى الشمال . وينتقل الرعاة من الساحل حيث تكثر الابـــار وخاصة فى الجنوب الى الداخل ولكنهم يتأثرون الى حد كبير بتوزيع مواقع الكلأ ومواطـــن الملـــح الـــتى تلعقها الحيوانات وتوزيع المراعى القبلية ويقود صاحب القطيع قطيعة الى منبع الماء صباحا ويلاحظ على طول الطريق من مقديشيو الى الجنوب تجمع الناس بحيواناتهم حول منابع المياه .

المنبع المائى :

عـــبارة عـــن حفـــرة تملأ وقت المطر ويسمى تجمع الناس حولها (توك) باللغة الصومالية وهى تقابل الفولة والحفير فى السودان والاختلاف بين الفولة والحفير هو ان الاولى طبيعية والثانية صناعية .

وقـــد لاحظـــنا ان الماعز هنا من نوع متميز فنجد ان حجمه كبير ويشبه الغزال فى جلده الناعم والوانه جميلة وهم يصدرون جلده للخارج ويذبح الماعز بواسطة مصنع مخصـــص لذلـــك ويـــأخذ المصنع الجلود بطريقته الخاصة ، وللابل قيمتها الخاصة فى

البوادى ولاصحابها ايضا شهرة عظيمة وتسمى الابل بالصومالية "جيل" ولتلك الكلمة رنين عظيم . ويقوم برعى الابل الشباب من الذكور الاقوياء يتأفف رعاه الابل من شرب حليب الضان والماعز ويكتفون بشرب حليب النوق كلما دعت الحاجة الى ذلك والملاحظ انهم يشعرون بنوع الكبرياء والترفع عن رعاد الضان والماعز . وعندما تصاب الابل باى مكروه فان الرعاه يصابون بالذهول ويفقدون صوابهم. ويتراوح نصيب الاسر بين ١٠ –١٠٠ رأس من الماشية ، وان كان يصل الى ١٠٠٠ رأس حيانا .

والتنقلات الموسمية لدى الرعاة الرحل مرتبطة ارتباطا وثيقا بتوافر الماء فى مراعى "تجد هاود" الشاسعة وانعدامه فى خلال الشهور الجافة التى لا تسقط فيها امطار يرحل الرعاة بقطعان ماشيتهم ويتجمعون فى المناطق التى يتوفر فيها الماء اما من الابار او من البرك ،وعندما تبتدئ امطار فصل الربيع والصيف فان المراعى كلها تنفجر حيوية واخضرار من جديد فى ظرف ايام معدودات غير ان الرعاة لا يستقرون فى مكان واحد بل يستمرون فى حلهم وترحالهم فى سعى جاد ودائم لمناطق رعوية افضل . يوجد فى البلاد ٨ ملايين هكتار من الاراضى الرعوية التى تربى فيها الحيوانات .

المحاصيل الزراعية :

نظرا للاختلاف الواضح فى الطقس والتضاريس نجد ان النباتات تختلف كذلك من منطقة لاخرى. ففى 'الاجزاء الجنوبية من البلاد تكثر الشجيرات والاعشاب ،وذلك بسبب الامطار الوفيرة التى لا تكاد تنقطع لحوالى سبعة اشهر فى العام تقريبا ولكن كلما اتجهنا نحو الشمال كلما اصبح الطقس اكثر جفافا . وتختفى النباتات الخشبية فى البلاد فى سرعة مذهلة والسبب فى ذلك هو الرعى الزائد عن الحد وتكاثر المواشى وحرق النباتات لانتاج الفحم النباتى .

اما الغابات فأنها توفر للشعب ايضا اللبان والمر اللذين اشتهرت بهما الصومال منذ قديم الزمان بالاضافة الى الصمغ العربى والعسل والاخشاب . ومواد التسقيف واللحاء والفحم النباتى وغير ذلك مما لا يمكن الاستغناء عنه وهناك ايضا التبغ والموالح والسمسم واللوز وانواع كثيرة من الخضروات وقد ادخلت بعض انواع من الاعشاب حديثا فى الصومال وهى اعشاب (البرسيم الحجازى) والبرسيم والعشب السودانى لانتاج علف الماشية.

وتقوم الزراعة على الرى وبخاصة فى الجنوب فى وادى شبيلى وجوبا حيث يزرع الذرة والذرة الرفيعة والموز وقصب السكر والارز والقطن . ويزرع فى الجنوب

ايضـا شـجر البـاباظ وجوز الهند وتكثر المراعى والشجيرات القصيرة المتناثرة ذات الاشـواك كما تنمو ايضا اشجار الصنوبر واهم المحاصيل الغذائية البلح والبذور الزيتية والسكر والارز ، اما المحاصيل التجارية فاهمها القطن والموز .

انتاج الموز :

يعتـبر الموز من اهم الغلات الزراعية فى الصومال ويزرع فى سهل جوبا كما يـزرع ايضـا قصب السكر فى الاجزاء الوسطى من وادى نهر شبيلى، ويحتل محصول المـوز المرتـبة الثانية بعد المنتجات الحيوانية بالنسبة لمواد التصدير وهو مصدر مهم للحصـول علـى العملـة الصعبة ، ولقد بلغت المساحات المزروعة موزا ٥٢٠٠ هكتار وارتفـع الرقم الى ٧٠٠٠ هكتار عام ١٩٧٤ ثم بلغ ٩٨٠٠ هكتار سنة ١٩٧٥ ويصدر القسـم الاكـبر مـن محصـول الموز الى الاسواق الخارجية ولا يخص منه للاستهلاك الداخلى سوى ٢٥ – ٣٥% من النوعية الرديئة .

مجلس الموز الوطنى :

مسئول عـن تصـدير محصول الموز الى الاسواق الخارجية ، فيشترى الموز ويـنقله الـى ميـناء قسمايو ومركا القريبين من المزارع فى الجنوب فى مناطق نهرى شـبيلى وجوبا ، وهناك يزرع ايضا الليمون او الجريب فروت والذرة الشامية والطماطم وغيرها

القطن :

يـزرع القطن بالصومال فى المنطقة الواقعة مابين النهرين وكانت الصومال من الـبلاد المصـدرة للقطـن فى الماضى ولكن زراعته بدأت تتدهور اخيرا، وهناك مناطق الـزراعة المطـرية ومـناطق الـرى الطبـيعى عن طريق فيض الانهار ومناطق الرى الصـناعى فـى الـبلاد محصورة فى المناطق الواقعة على ضفاف نهرى جوبا وشبيلى وخاصة الاول .

ومـن اجـل مـنع الكـوارث التى تسببها الفيضانات للاراضى الزراعية بدأت الحكومـة مشـروعات تهـدف الى بناء حواجز منيعة للفيضانات على ضفاف النهرين والاسـاليب الزراعـية المستعملة حاليا قديمة ومتخلفة وخاصة بالنسبة لفلاحة الارض واعدادها وتمهيدها لبذر البذور واستعمال الاسمدة والتحكم فى امراض النباتات والافات الزراعية وتسبب هذه الاساليب العتيقة خسائر كثيرة فى المحصولات الزراعية .

صيد السمك :

يمــارس اهالى الجهات الساحلية مهنة صيد السمك وذلك على الساحل الشمالى للاســتهلاك المحلــى والتصدير الى عدن ، وهناك فرص كثيرة لصيد السمك فى كل من جوبــا وشــبيلى ويشتغل بعض الاهالى بصيد الاسود والنمور والغزلان والطيور الجميلة من الغابات.

المعادن :

تعتــبر الصومال غنية بالمعادن ، فهناك انواع من الثروات المعدنية مثل الملح والجبس والكبريت والبترول والفحم .

التصنيع :

يخــدم التصنيع العديد من القطاعات الاخرى كالزراعة وتربية الحيوانات وصيد الاسماك . وتتركز الصناعة فى صناعة السكر وعصر الزيوت من السمسم وبذرة القطن وصــناعة الصــابون وحلــج القطن ودبغ الجلود وصناعة منتجات الالبان وحفظ اللحوم واستخراج الملح وتجفيف السمك وحفظه وعمل الثلج وصناعة الاثاث وتصنيع صناديق الموز .

التجارة :

تكــثر تجارة الابل فى الشمال عن الجنوب وتكثر تجارة الابقار فى الجنوب عن الشــمال ، اما الضان والماعز فهما فى الشمال والجنوب ومن بين المنتجات التصديرية ذات الاولوية الغالية : الملح ، وللآسماك والاغذية السمكية الاخرى ايضا طلب شديد فى الاســواق الاجنبية. وتشكل الجلود والفرو صادرات تقليدية للصومال ، كما يصدر الموز والقطــن والفحــم .ويستورد البن ، الشاى ، الكاكاو ، الدقيق ، الفواكه ، الخضراوات ، الارز ، الســكر والحلــوى وايضــا المشــروبات الروحية والصابون والورق والاقمشة وخــيوط الغزل والسيارات ، والالات الزراعية والات المصانع والادوات المعدنية والمواد الكيماوية ومواد البناء وزيت التدفئة وكل انواع البضائع الجاهزة .

ومن اصناف الفاكهة التى توجد فى الاسواق بكثرة : الباباظ ، الموز ، المانجو، القشطة ، وجوز الهند .

العملة :

فى الصومال عدد من العملات المختلفة التى ادخلت فى البلاد فى اوقات مختلفة وكانــت الاســباب الرئيسية لمثل هذه المتغيرات نابعة من تغير الاحوال فى وقت الحرب

وتعدد الحكومات الاستعمارية المختلفة التى تقاسمت الصومال فيما بينها . وكانت الليرة الايطالية والروبية الهندية وشلن شرقى أفريقيا من بين العملات الرئيسية . ثم انشأ القانون المالى المؤرخ فى ٦ مايو ١٩٦١ عملة واحدة للبلاد باسم "الشلن الصومالى" وتختصر الى (ش ص) وفى نفس الوقت سمح القانون اصدار عملة ورقية "بنكنوت ومعدنية" قطع النقد" بالشلنات الصومالية .

تقسيم العمل :

فى الحياة البدوية نجد النساء اكثر مهارة ودقة من الرجال ومتحملين العبء الاكبر ، ويتوقف عصب الحياة فى البوادى على المرأة فتبدأ يومها بحلب الماشية واعداد الطعام والاعتناء بالاطفال ورعى الضأن والماعز وتنظيف حظائر الحيوانات من الروث ، وفى المساء ايضا حلب الماشية واعداد طعام العشاء وتوفير الراحة لزوجها والعناية بالمرضى ودبغ الجلود وتجفيفها وحياكة الثياب وعمل المنتجات اليدوية الخاصة بالنساء ونقل الاكواخ على ظهور الجمال عند الرحيل واعادة بنائها كما تقوم بصناعة جميع مستلزمات الاكواخ من اعمدة واسقف من النباتات وجذوع الاشجار بالاضافة الى صنع القفف والحصير من السعف . وكذلك القدور من الفخار والطبول من الجلود ، والزخرفة بالخرز والاهتمام بالملبس . وتقوم المرأة ببناء معظم بيوت البادية كما ان رعى البقر مشترك بين الرجل والمرأة وتهتم المرأة بتصنيع منتجات الالبان وبصفة خاصة الزبد الذى يسمونه "برعد" والسمن "عدعد" .وهى تمارس حرفا كثيرة تبعا للمواد المتوفرة فى المنطقة مثل : تصنيع لحاء الشجر الى اشياء كثيرة منها بعض الاوانى وانواع الحصير ،وحتى بعض الملابس فهى تصنعها ايضا من لحاء الشجر.

وقبل ان تنتقل الاسرة من مقرها القديم الى مقرها الجديد لطلب الكلأ ، يقوم الرجال بالرحلات الاستطلاعية وقيادة موكب الاسرة عند الانتقال وتحصين المساكن بالاشجار الشوكية ورعى الابل والاهتمام بها والدفاع عن العشيرة اذا قضت الضرورة كما يقومون بصناعة المواد الجلدية كالاحذية والاحزمة ومن المواد الخشبية جميع انواع العصى والامشاط والملاعق .

مما سبق يتضح ان اقتصاد البلاد يعتمد على الرعى ويخضع الاقتصاد للتطور والتغير مثل احوال المجتمع كله ،ولكن لابد لهذا التغير من عوامل تساعد على ذلك منها التربة والموارد المائية والانتشار الثقافى الذى يعتبر عاملا مساعدا على تغيير الانسان

لسلوكه وتلى مرحلة الرعى فى تطور المجتمعات الزراعية البدائية ، وطالما لم تتوفر العوامل البيئية المساعدة لممارسة هذا النمط الحضارى "الزراعة" فسيظل الانسان يمارس حرفته الاولى "الرعى" وهذا ما قد حدث بالنسبة لفئات الشعب الصومالى التى مازالت تمارس الرعى .

وتتوقف نوعية الحيوانات على البيئة كذلك فى البيئة التى توجد [1] بها الانهار تكثر الابقار كما هو فى الجنوب ، وفى الشمال حيث الجبال والجفاف تكثر الابل. ومما يضعف الارض ويمنع انتشار المراعى ويساعد على ضعف الحيوانات كذلك كثرة الاملاح فى كثير من الاراضى حيث تلعق الحيوانات هذه الاملاح. ورغم فقر البلاد فقد لاحظنا ان الماعز من نوع جيد جدا ليس له مثيل من ناحية الوانه واحجامه حيث يستغل جلده فى التصدير ويعود على البلاد كذلك بالنفع .وللابل لديهم معنى اجتماعى خاص فملاكها لهم منزلة خاصة وهى كذلك تدفع مهورا فتعتبر ثروة لان عن طريقها يتم الزواج وتتكون الاسر وتنجب الاولاد والبنات فالاولاد ، يقومون بتربيتها ورعيها وعن طريق زواج البنات تأتى الابل الى الاسرة .

وما ينطبق على الثروة الحيوانية ينطبق كذلك على المحاصيل الزراعية من ناحية ارتباطها بالبيئة الطبيعية .

ويتحكم فى النباتات كذلك عوامل كثيرة منها الامطار والجفاف والرعى الدائم واستخدام الاشجار لانتاج الفحم النباتى .

وتشتهر الصومال منذ القدم بزراعة بض النباتات التى تنفرد بها وقد اشتهرت بتجارة منتجات هذه المحاصيل ومازالت لليوم ومنها اللبان والصمغ والمر ، وقد بدأت البلاد حديثا فى ادخال اعشاب ونباتات جديدة لم تكن موجودة من قبل وذلك لتوفير العلف للمواشى .ومن هنا يظهر التفكير الجدى والعملى لاستقرار البدو .ورغم ان الزراعة هى الشريان الثانى بعد الرعى فى الصومال نجد ان طرقها وادواتها عتيقة . وقد لوحظ كذلك اثر المرأة فى الحياة الاقتصادية بالنسبة للبدو بصفة خاصة حيث انها تقوم بمعظم الاعمال ولا تهمل فى شئ ولا تكل فقد شاهدناها فى المرعى وهى تحلب

---

[1]- احمد صوار : الصومال الكبير ص ١٥ – ١٦ ، عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ص ٥٦

الماشـية وتجمع الالبان فى اوانيها الخاصة ، وتجلب الماء حتى من الحفر التى امتلأت بـه بعـد سقوط الامطار وتبنى الكوخ وتفككه الى جانب العديد من الحرف التقليدية التى تمارسـها بمهارة وبالمواد المتوفرة فى المنطقة ، هذا الى جانب تربيتها لاطفالها الذين هم رجال المستقبل .

ويقوم الرجال باعمال مكملة لتلك التى تقوم بها المرأة فنجد ان رعى الابل يقوم بـه الـرجال وخاصـة الشـباب الاقوياء وذلك لما لها من مكانة اجتماعية عالية لديهم ويقومـون ايضا باستكشاف الاماكن الصالحة للرعى وبدونها تكون هناك رعى ،والدفاع عـن العشـيرة مهمـة الرجال وهذا يتطلب الشجاعة والمخاطرة والخبرة الطويلة بفن الحـروب . ويقـوم الـرجال بصنع اشياء قد لا تستطيع النساء القيام بها وهى تصنيع الخشب والجلود ولديهم مهارة وفن فى هذا النوع من الحرف .

ومـن الناحـية التاريخـية نجـد ان الشعب الصومالى يعتبر الشعب الوحيد فى أفريقـيا الـذى تعرض لاستعمار اربع دول مختلفة وقسمها الى خمسة اجزاء ، فى حين انـه كـان موحـدا فـى كل شئ قبل تواجد تلك الدول . وقد استقلت الصومال فى عام ١٩٦٠ وتم الاستقلال ونهاية الاستعمار فى ١٩٦١/٧/١ .

لو تأملنا تاريخ الصومال لوجدنا ان المستعمر قد حاول دائما تمزيق وحدة البلاد وللشـعب حقوق فى المنطقة لابد ان تراعى فهناك ما يسمى بحقوق الافراد والتى نصت عليها جميع الدساتير وفيه يحافظ على حقوق الفرد مثل حماية ممتلكاته وحياته وحقوق العبادة وحقوق ابداء الرأى وغيرها .

ان التنظيم الادارى المنصوص عليه قانونا يحاول القضاء على القبيلة والالقاب ولكن هذا الاسلوب لا يتناسب مع مثل هذه الجماعات الشديدة التعصب لقبيلتها ولعاداتها وتقالـيدها الـتى توارثتها منذ الاف السنين ولا يمكن لاى قانون ان يمحوها لانها ترتبط بأسـماء اسلافهم وربما كان هذا اجراء اساسيا يمس الالقاب والقبائل كتنسيق سياسى ، ولكن العشيرة كنظام قرابى وعائلى لا يمكن ان تمحى وخاصة وانها ترتبط بعقائد الافراد

ان القوانين يمكن ان تتبدل بين يوم وليلة وكذلك الاشياء المادية . ولكن طبائع الـناس وعقـائدهم وعاداتهم وتقاليدهم وأسلوبهم فى الحياة يحتاج لطرق واساليب غير القوانين وهذه تتطلب دراسات كافية للوصول الى اعمال ومفاهيم الشعوب .وحينما نصل الـى هـذه الـنقطة نـبدأ فى وضع القوانين وتنفيذ المشروعات وسنحصل على النتائج المرجوة فى الوقت المطلوب بدون عوائق او صعوبات .

الحضارة المادية :

المساكن :

كما تختلف النباتات والحيوانات باختلاف البيئة تختلف ايضا المساكن ، ففى الشمال توجد ثلاثة أنواع رئيسية من المساكن هى : كوخ الرعاة المتنقل (اغل او خيمة) والكوخ الثابت (عريش) ثم المنازل الحجرية، وفى الجنوب يزيد على هذه الأنواع الثلاثة (كوخ الزراع) مندل .

أولا : كوخ الرعاة المتنقل (اغل او خيمة):

يمتاز هذا الكوخ بسهولة حلة وتركيبة ،ويضع الراعى اجزاء ذلك الكوخ فوق ظهر بعيره عند انتقاله من مكان لاخر ،وهو يشبه فى شكله خلية النحل ويتركب من جزئين رئيسيين هما : الهيكل من اغصان الاشجار المربوطة بعضها الى بعض فى شكل نصف كروى (لجة) والاغطية من الحصير المسمى (داد) وهو نوع من الحصير ضيق المسام لحماية الكوخ من حرارة الشمس وماء المطر . ويربط هذا الحصير فوق الهيكل بحبال سميكة تستخدم ايضا فى ربط اجزاء الكوخ فوق ظهور الابل عند الارتحال. وتلف دعامات الهيكل بأشرطة من جلد الماعز وفى موسم المطر الغزير يضع الرعاة اغطية من الجلد بين الحصير وبين الهيكل لمنع تسرب ماء المطر وعلى باب الكوخ تتدلى ستارة مصنوعة من الحبال الغليظة او من أشرطة الجلد او من الحصير واحيانا يمد الحصير على اعلى الباب لعمل مظلة صغيرة ويتراوح ارتفاع الكوخ فى الداخل ما بين ١,٥ ، ٢,٥ متر ، وقد يوجد بالداخل حاجز رأسى من الحصير لتقسيم الكوخ الى قسمين .

ولكل من الرجل والمرأة فراش من حصير ،وغالبا ما يكون فراش المرأة فى الناحية اليمنى وفراش الرجل فى الجهة اليسرى. وتوضع على الاراضى اوانى اللبن والماء والزبد ويتدلى من دعامات الهيكل الاوعية الصغيرة مثل اوانى القهوة والشاى ويوجد الموقد امام الباب ويسمى (جمرة) اذا كان مصنوعا من الفخار او (برتشك) اذا كان من الحجر المنحوت. وله قاعدة ويشبه مدافئ الفحم فى مصر .

وتتجمع اكواخ الاسرة الواحدة داخل سور من الاغصان الشوكية (اردای) وتكون أكواخ المنطقة كلها نصف دائرة فى وسط فناء به حظيرة حيوانات ويحيط بهذا كله سور. وليس هناك عدد معين او حجم محدد للاكواخ داخل السور ، وقد تكون اسرة واحدة كبيرة او عددا من الاسرة ترتبط بالنسب المشترك وتتجمع مع بعضها البعض

ابـتغاء الحماية. وتتولى النساء اقامة هذه الأكواخ وحلها بينما يقوم الرجل بعمل السور واقامـــة حظائـــر الحيوان. والاصل فى استخدام هذه الاكواخ ان تكون مساكن للرعاة فى اثـــناء ارتحالهم كما سبق ان ذكرنا ولكن فى أطراف المدن والمراكز يتخذ الفقراء منها مساكن ثابتة [1].

ثانيا : الكوخ الثابت (عريش) :

يكـــثر هـــذا النوع من المساكن فى المناطق الشمالية ويوجد فى الجنوب ايضا وخاصـــة فى المراكز التجارية مثل بلدة لوخ ، كما يسكنه الوطنيون فى المدن الساحلية مـــثل مقديشـــيو . وهو مستطيل الشكل ويقام اما من افرع الشجر او من الطوب اللبن ، ولــه ســـقف جمالونى الشكل يتراوح ارتفاعه بين ٣-٤ أمتار ولا يوجد العريش الا فى المـــدن والقرى الثابتة ، وتثبت اغصان الاشجار رأسيا فى الأرض – اذا كان من الافرع يكسى بخليط من الجير والرمل فى المناطق الشمالية او بالطين وروث البقر فى المناطق الجنوبية وفى المدن الساحلية وخاصة مقديشيو يغطى العريش احيانا بالواح من الخشب والصـــفيح ويســـمى فى هذه الحالة (براك) ويستخدم الجير والرمل وروث البقر فى سد ثقوبـــة .ويغطى سقف العريش بالقش وسعف النخيل .وللعريش باب او بابان ولكن ليس لـــه نوافـــذ الا فـــى حالات نادرة واحيانا يوجد امام المدخل فناء صغير محاط بسور من الاغصـــان الشـــوكية .ويسمى العريش باللغة الصومالية (اقل) ويقام فى مكان يتوفر فيه المـــاء والمـــرعى ،وينقســـم العريش من الداخل الى عدة حجرات بواسطة حواجز من اغصـــان الشـــجر او الحصـــير وفى المناطق الجنوبية تخصص للنساء غرفة واحدة فى مؤخـــرة العـــريش بينما تخصص الغرف الاخرى لرب الاسرة وللمطبخ وتخزين الطعام ،واحيانا تخصص غرفة لصناعة الحصير .اما فى الشمال فلا يزيد عدد حجرات العريش عادة على حجرتين .

ثالثا : المنازل الحجرية الوطنية :

وهـــذه لا تخـــتلف فـــى تصـــميمها العام بين الشمال والجنوب (فيما عدا المدن الكبـــيرة فـــى ساحل بنادر) فهى مربعة او مستطيلة الشكل ،وتتكون من طابق واحد فى الغالـــب ويحيط بالمنزل سور من الحجر به باب يؤدى الى فناء تطل عليه الغرف ودورة

المـــياه والمطبخ .ولا يزيد عدد الغرف عادة على اثنين او ثلاث ، ونوافذ المنازل صغيرة وضيقة رابعا : كوخ الزراع فى الجنوب (مندل)[1] :

هــذه المســاكن بســيطة وهى فى الريف عبارة عن أكواخ دائرية قليلة المنافذ وتبــنى من فروع بعض الاشجار والواح من الصاج او هى عبارة عن أكواخ من اعمدة واقــواس خشــبية تغطى بحصير من الاعشاب والحبال الرفيعة المصنوعة من لحاء الشــجر. وهذا المسكن شائع عند الزراع الذين يسكنون على ضفاف الانهار كما يسكنه الــرعاة الذيــن يــتخذون الــزراعة حــرفة أساسية وتسكنه ايضا الجماعات الصوفية المســتوطنة علــى ضــفاف الانهــار .ويــتكون الكوخ من جزئين رئيسيين هما الجدار والســقف، وتتخلص طريقة بناء الكوخ فى حفر خندق دائرى تثبت فيه عصى مستقيمة من أغصان الاشجار فى وضع رأسى لتكون جدار الكوخ ،ويراعى ترك فراغ للمدخل فى هذا الجدار ويدك التراب والحجارة حول هذه العصى لتثبيتها جيدا. وبعد ذلك تقام العصى علــى ارتفــاع متر تقريبا وتشد الى بعضها بعضا بحبال تمتد حول محيط الجدار ثم يدق عــامود كبير فى الأرض فى مركز الكوخ ويتراوح ارتفاعه بين ٢,٥ – ٣ أمتار ويجدل ســقف الكــوخ علــى حدة من الاغصان ايضا ثم يوضع قرص خشبى فى الوسط وتربط الاغصان حوله فيصبح شبيها بالمظلة [1].

وبعد اتمام السقف يركب فوق الجدار ويشد اليه بالحبال ولتقوية السقف وتثبيته تستخدم الحبال فى ربط اطرافه فى العمود المركزى ، وبعد ذلك يغطى السقف بالاعشاب ويدهن سطحه العلوى بالطين والرمل لمنع تسرب ماء المطر. وتسد الثغرات فى الجدار بمخلوط الطين والرماد وروث البقر. واخيرا يثبت الباب الذى يصنع من الخشب .

ويــبلغ ارتفاعــه حوالــى المتر. ويتراوح الارتفاع الكلى للكوخ بين ٢,٥ – ٣ أمــتار، ويــبلغ نصــف قطرة ما بين ٣–٥ أمتار وينام الرجل فى الجانب المواجه للباب تاركا الغرفة الداخلية لزوجاته. وتتجمع أكواخ الاسرة الواحدة ويحيط بها سورا واحيانا توجد بينهما أكواخ صغيرة للمتزوجين من الابناء والاقارب ثم أكواخ المخازن والمطابخ.

1- ملاحظات ومقابلات شخصية .

ويتم توزيع التجمع الاسرى على النحو التالى :

١- يخصص لكل زوجين كوخ مستقل خاص بهما لا يشاركهما فى النوم فيه احد

٢- يخصص للبنات والنساء كوخ خاص بهن للنوم ولا يسمح للرجال باستعماله

٣- تخصص عادة للأولاد والشبان غير المتزوجين مكانا يفرش بالأعشاب وجلود الابل والبقر .

وهناك اشكال عديدة للبيت الريفى بالنسبة للزراع والبيت البدوى (جورى) بالنسبة للرعاة والجورى عبارة عن سكن على شكل قبو ومجدول بالقش .ويرجع اصل اكواخ الزراع الى أكواخ زنوج البانتو سكان الصومال الاوائل وقد نقله الصوماليون عنهم. اما اكواخ الرعاة (اغل) فهو من اصل حامى (كوشى) ويتكون الحى السكنى من مجموعة من البيوت محاطة بسور ومكان للمرحاض وهو عبارة عن حفرة تغطى بالتراب ومغطى بالقش وهذه المجموعة تمثل عائلة كبيرة ولكل عائلة صغيرة مسكن منفرد ان سكان الاعرشة فى المدن والمراكز ايسر حالا من سكان الاكواخ (اغل) فبدلا من فراش الحصير الذى ينام عليه سكان الأكواخ ينام سكان الاعرشة على أسرة من الخشب او الحديد وفى بعض الاعرشة توجد المقاعد والمناضد .

والمنازل الحجرية فى المدن الكبيرة الواقعة على ساحل بنادر وبخاصة مقديشيو ومركة لا يقل عدد الطوابق بها عن اثنين وكثيرا ما تكون ثلاثة ، وهذه المنازل متلاصقة وغير صحية وتفصل بين واجهاتها ازقة ضيقة تتراكم فيها القاذورات وتتصاعد الروائح الكريهة فتسبب فساد الهواء وفى هذه المدن ايضا توجد المنازل الحديثة واغلبها من طابق واحد ، ولكن يتكون بعض هذه المنازل وخاصة فى مقديشيو من طابقين اما التى تحتوى على اكثر من طابقين فنادرة. ونادرا ما يمتلك موظف الحكومة بيتا فى المدينة فلكل موظف حكومى بدل سكن ولكنه لا يتعاطاه بل يأخذ بدلا منه من قبل الحكومة مادام موظفا بها ويكون عدد الغرف حسب عدد افراد الاسرة ويغلب على المنازل فى المدينة بصفة عامة الطابع العربى والفناء الواسع المحاط بالغرف [1].

---

[1]- مدينة مقديشيو – ملاحظة شخصية .

ونجد في داخل البيت انواعا عديدة من الفرش منها :-

١- حصير مصنوع من نوع خاص من الحشيش يسمى (حرر) وتصنعه النساء.

٢- (هوهب) نوع من الحصير يصنع من الحبال .

٣- (كبد) حصير مصنع من لحاء الشجر المجدول .

٤- (سان) فرش مصنوع من جلد البقر او الابل ، غالبا البقر.

هذا الاخير يفرش على الارض بعد ان يوضع فوقها الحشيش على ارتفاع نصف متر تقريبا وفى بعض الاحيان يرفع قدر السرير .ويوجد فيما عدا ذلك سرير خشبى يشبه الكنبة ولكنه نادر والغالب هو الحصير وحفرة الوقود داخل البيت.

ولقد شاهدنا كذلك اكواخ صغيرة تكفى لاسرة صغيرة وبداخل الكوخ سرير بسيط وكرسى خشبى وفى معظم الاكواخ كراسى مربعة صغيرة من الخشب وجلد البقر (١).

الاوانى :

اوانى الطبخ : القصعة:

اناء كبير من الخشب للاكل ، يوضع به الارز او الذرة بآله تسمى موى ، ويصفى من القشر بمصفاة تسمى مسف ثم يوضع بالشمس وبعدها يطحن بالحجر الذى يسمى (طبخ ردق) ثم يصفى مرة أخرى ويطبخ فى قدر من الفخار يسمى (طرى) يوضع على ثلاثة احجار بينهما النار .

وهناك وعاء لشرب الماء يسمى (لحلح) واخر لشرب اللبن يشبه الكوب ويسمى (طسيل) ويصنع من لحاء الشجر واوعية المياه عبارة عن اوعية كبيرة من الخشب تملأ بالماء من الدلو الاصلى الجلدى لسقى الغنم .

وعاء اللبن :

عبارة عن قدر كبير مصنوع من لحاء الشجر وتقابلنا الملاعق الخشبية بكثرة لشرب الماء وكذلك الشوك والامشاط الخشبية وفيما يخص اوعية الماء المصنوعة من لحاء الشجر توضع قبل الاستعمال فوق النار وعاء الطبخ يصنع من الفخار والصحون من الخشب .وتسمى حير "ابحط" عبارة عن حقيبة كبيرة تضع فيها المرأة ادواتها الخاصة .

مما تقدم يتضح ان أدواتهم عبارة عن أوعية من الخشب والفخار والقرع العسلى واوعية مجدولة من لجاء الشجر .الفرش الذى يطلق عليه كبد هو نوع من

الفــراش مـــن لحاء الشجر وتصنعه المرأة وهى تتفنن فى صنعه بالوان خاصة وتنسيق خاص من الخوص الناعم من اعلى ،والجانب السفلى ملون وهو يستخدم عند نقل المتاع فوق الجمل ويوضع هذا الكبد فوق الجمل بناحيته الناعمة ثم فوقه باقى الاشياء .

<u>الملبس :</u>

يمــتاز الــرداء الصومالى ببساطته وهو خفيف عادة ليتناسب مع جو الصومال الحــار ويصــنع محليا من خيوط القطن – ويسمى النسيج "فوطة بنادر" او يستورد من الخــارج .والــزى الوطــنى عبارة عن قطعة قماش واحد تشبه السارى وتسمى جرباه بطريقة معينة بحيث يترك الكتف الايسر عارى .

والــزى التقلــيدى للسكان الرحل بسيط اذ ان زى الرجل يتكون من قطعتين من القمــاش الابــيض طــول كل منها خمس ياردات فيغطى باحداهما جسده من الوسط الى اســفل (تحت الركبة) ويرمى الاخر حول الكتفين فيغطيهما بصفة تقليدية لان القميص لم يكــن معروفا لديهم فى الماضى . ويعرف كل من هذين الثوبين ب "جو" وهذا هو الزى الديــنى يلبسه المسلمون لاداء فريضة الحج الى يومنا هذا. ويلبس الرجل الصومالى فى البادية ايضا حذاء محلى الصنع ولا يلبس شئ على رأسه غالبا . وفى الماضى كان زى الــرجل الــبدوى يــتكون من ثوب واحد من القماش قد يصل طوله عشر ياردات تقريبا ويســمى "مــرو" معناها ثوب وتحلى اطرافه اهداب متدلية ويلفه الرجل حول جسمه كله مــع تــرك احد الكتفين عاريا . ومازال هذا الرداء سائدا فى بعض الجهات وخاصة فى الجنوب [1].

ولقــد اصبح "المرو" منذ عدة سنوات يتكون من جزئين الاسفل منها عبارة عن مــئزر طوــله خمس ياردات تقريبا ويسمى "شنلى هوس" ،والاعلى طوله خمس ياردات ويعــرف باســم "شــنلى كرى" ويلف هذان الجزءان حول الجسد .والزى الرجالى حاليا عبارة عن قطعة قماش – غالبا صناعة صومالية – تلف حول الجزء الاسفل من الجسم ويلــبس معها قميص. ويسمى هذا الزى معوز (هوز جندى) هوز بمعنى سفلى وجندى تعــنى ربــاط (الرباط السفلى) ،والعلوى اسمه (جرب سار) جرب تعنى كتف وسار تعنى غطــاء (غطــاء الكتف) .غير ان الرداء الاكثر شيوعا فى الصومال وخاصة فى المراكز

1- مقابلات شخصية

والمدن الساحلية يتكون من قطعتين ايضا جزء سفلى يصل الى ما تحت الركبتين وقميص عادى يسمى "شاتى" ويغطى الجزء الاعلى من الجسم. ويلبس الشيوخ وبعض الرجال بالاضافة الى هاتين القطعتين قطعة من القماش الفاتح اللون يلفونها حول رقابهم او يعلقونها على اكتافهم ويسمونها "عمامة" ،كما يلبسون فوق رؤسهم طاقية من النسيج المطرز وقد يلفون رؤوسهم بقطعة من القماش ويطلق الصوماليون على اردية الرأس هذه كوفية "كوفيد" .

ثانيا : رداء المرأة :

ينحصر رداء النساء فى طرازين أساسيين هما "جنتينو" ويشبه "المرو" عند الرجال. ويتكون من قطعة واحدة من القماش الابيض عادة الذى يبلغ طولها عشر ياردات فترتبط احدى طرفى هذا القماش المعروف باسم "مرو" فوق كتفها الايمن وتلف باقى القطعة حول جسدها فى لفات تراكمية ليخفى لها شكل بدنها من الخصر الى الكعبين وعليه فان الجزء الاكبر من القماش يكون ملفوفا حول الجزء الاسفل وتستعمل المرأة جزءا من هذا القماش الملفوف حول اردافها كحقيبة تضع فيها الحبال الرفيعة التى تصنعها من لحاء الشجر والذى تصنع منه فيما بعد كثيرا من الاشياء الرئيسية التى يتكون منها الكوخ الصومالى المتنقل السهل البناء والفك ليتناسب مع متطلبات حياتهم الدائمة التنقل وغير ذلك من الادوات المنزلية. ويكثر هذا الرداء فى الجنوب وينتشر بين نساء العامة فى المدن الساحلية الجنوبية وبعض النساء فى الجنوب وخاصة المسنات وكذلك سكان الشمال وتلبس ساكنات المدن فوق الجنتينو "طرحة" "جربسار" يضعنها على رؤسهن واكتافهن. وتلبس نساء الطبقات المتوسطة والغنية الجنتينو داخل المنازل

وفى المساء عندما يتغير الطقس ،تستعمل المرأة هذا الملفوف من ثوبها فى تغطية راسها والنصف الاعلى من جسدها اتقاءا للبرد او المطر، وتلبس المرأة مع هذا الثوب قطعة من القماش الحريرى المتعدد الالوان حول خصرها ليحفظ لفات ثوبها المتراكم حول اردافها فى مكانه ويطلق عليه اسم (يقر) اى الملك وتغطى المرأة الصومالية المتزوجة رأسها عادة بمنديل من القماش الاسود او المتعدد الالوان وذلك لكونها مسلمة شافعية .

الطراز الثانـــى :

يـــتكون من فستان طويل يسمى "عبود" او "كردد" ويصنع من القماش الخفيف واحيانا يكون شفافا من "النايلون" ونصفه العلوى ضيق يلتصق بجسدها ونصفه السفلى واسع جدا ويصل الى القدمين وتلبس تحته رداء يشبه "الجيبون" يسمى "جرجر" ويصنع من القماش السميك وقد يتصل به من اسفل شريط عريض

وينتشـــر هذا الرداء فى المراكز والمدن الكبيرة وتلبسه نساء الطبقة المتوسطة وترتدى نساء الاغنياء انواعا فاخرة منه .

والمـــرأة التى تلبس هذا الرداء تضع على رأسها واكتافها وشاحا "جربسار" من القمـــاش الشـــفاف يـــبلغ طوـــله مترا ونصف متر تقريبا وتعصب رأسها بمنديل يسمى (مصـــر) [1] ولا تلـــبس المرأة الصومالية جوارب فيما عدا زوجات رجال الدين ومشايخ الطـــرق الصـــوفية فى الجنوب فهن يرتدين جاكتات وجوارب ملونة .وفى الجنوب تلبس النساء الحوامل احيانا ملابس حمراء والاحذية الصومالية بسيطة فى مجموعها واكثرها شـــيوعا هى النعال والصنادل .ويثبت فى النعل شريط من الجلد ليمسك به بين الاصبعين الكبيريـــن، وكثـــيرا مـــا يحلـــى النعل شريط عريض [2] ويلبس النعال والصنادل كل من الـــرجال والنســـاء علـــى السواء .ولا تختلف ملابس الاطفال عن الكبار الا فى البوادى والـــريف فيســـير الاطفال عراه حتى سن الخامسة او السادسة ، ثم يلبسون مأزر حول الوسط ليغطى الجزء الاسفل فقط وعندما يصل الطفل الى سن التاسعة او العاشرة يلبس رداء مثل رداء الرجل .

التزين :

لا تهـــتم المـــرأة الصومالية بلبس الذهب ،فالذهب ليس له قيمة عندها، ولكنها تحـــب عـــادة التزين فى المناسبات التى تتطلب ذلك فتلبس الاقراط او العقود المشغولة بالخـــرز الملون ويعرف العقد الخرز "بالعناب" كما تلبس عقودا مصنوعة من الاحجار او

---

[1]- تشـــير هذه الكلمة الى علاقة تجارية قديمة مع مصر وقد اشار امين بطوطة الى هذه الـــتجارة وهناك رأى اخر يقول انها كلمة عربية الاصل من "المصر" بمعنى الرباط وانه مأخوذة من اليمن حيث لازالت نساء اليمن يطلقونها على المنديل .

[2]- يشبه هذا النعل الى حد كبير النعال التى كانت المصريون القدماء يلبسونها.

مـــن المعـــادن تســـمى "قراطـــيس" مفرد "قرطاس" وفى ساعديها اساور معدنية تسمى "دجاجـــة" وخواتـــم تســـمى (فـــراطى) ولا تعرف المرأة فى البادية الحجاب ولا البراقع المعروفة فى بعض المدن . وتتنوع أدوات الزينة عند النساء وفى مقدمتها الحلى ،فمنها الاقـــراط "منجد" والقلائد المصنوعة من الذهب "مريد" او من الخرز "كول" وهذه الاخيرة هـــى الاكـــثر شـــيوعا وخاصة فى الجنوب. وتمتاز حبات الخرز بكبر حجمها وبألوانها الزاهـــية ، وهـــناك الاساور المصنوعة من العاج والخيرزان او الخرز "جنجمو" وكذلك الخلاخـــل "دجـــاجد" وتثقب نساء الجنوب انوفهن لوضع حلقات من المعدن وهذه العادة نـــادرة بيـــن نســـاء الشمال وتختلف طريقة تصفيف شعر المرأة بأختلاف سنها وحالتها الاجتماعـــية ،فالفـــتاه التى لم تصل بعد الى سن الزواج يحلق معظم شعرها الا من اطار حـــول رأسها وعندما تبلغ سن الزواج يترك ليطول ثم يجدل فى ضفائر رفيعة متدلية ، وبعد الزواج تقسم شعرها الى ضفيرتين كبيرتين تثبتهم فى مؤخر رأسها. اما الرعاة فى الشـــمال وســـكان المدن من الرجال فلا يطيلون شعرهم بل يقصونه. ويسير كثير منهم مكشـــوفى الـــرأس ،ولكن يهتم رجال الجنوب بشعرهم اهتماما كبيرا ، ويتركونه يطول حتى يأخذ شكل نصف دائرة ويثبتون فيه بعض الاشواك الطويلة. وتتخلص طريقة اطالة الشـــعر وتمشـــيطه عندهم فى حلاقة الرأس تماما ثم دهنها وترك الشعر ينمو الى درجة معينة وعندئذ يمشط يوميا لكى يسير مستقيما. وعندما يصل الشعر الى الشكل المطلوب (علـــى هيـــئة نصـــف دائرة) يدهن بالطين لمدة يوم كامل ، وتتكرر هذه العملية مرة كل اســـبوع ،وبعـــد ازالة الطين من الشعر يصير لامعا. ويختال الرجل بشعره ويحافظ على شـــكله ولذلك يستخدم الوسادة الخشبية (بارشى) فى أثناء النوم ،ويحملها معه معلقة فى يده اينما ارتحل ، كما يواصل على دهان شعره بالزبد .ويستخدم الصوماليون فى تمشيط شعورهم امشاطا خشبية طويلة بعضها محلى برسوم محفورة ،وقد يثبتون هذه الامشاط فى رؤوسهم للزينة .

الاسلحة :

يســـتخدم الرجال الأسلحة احيانا كادوات للزينة وخاصة فى الاحتفالات واشهر هـــذه الأســـلحة هـــى الخنجر الطويل " ترى " أو " بلوى " وله نصل ذو حدين . ويصنع مقبضـــة من العاج أو الخشب أو قرن الحيوان وللخنجر غمد من الجلد يثبتة الرجل فى وســـطة علـــى جانبة الأيمن . ويعلق الرجل التمائم " حرص " أو " قرطاس " فى عقود يلبسونها حول رقباتهم أو يربطونها حول أذرعهم وتصنع هذه العقود من اللؤلؤ واللبان

" ميدى " والجلد وحبات العنبر والأصداف ويعلق كثير من الرجال فى أعناقهم محافظ من الجلـــد أو الصدف بها مصاحف صغيرة وقد يربطونها حول الرسغ " ويضع رجال الدين والاتقـــياء " مســبحة " " تســبة " طويلة حول العنق ، وتصنع حبات هذه المسابح من الخشب أواللبان " الميدى "

الغـــــــــذاء :

يـــتكون الغـــذاء المألوف فى البوادى من القمح والذرة والارز والتمور والحليب والـــزبد والملاحـــظ أن الفواكة والخضر ليست من الأطعمة المألوفة ويستعاض عنها بالحليـــب الطـــازج وشـــربه بكثرة . وتعتنى النساء عناية فائقة بطريقة تحضير واعداد الطعـــام عـــندما يراد تقديمة للرجال عموما والغرباء خاصة ، ومن أداب الطعام ان يأكل الابـــناء مـــع الرجال بينما البنات مع النساء ، ولا يجوز للرجال رد أوانى الطعام وهى فارغة تماما فلابد وأن يبقوا فيها شيئا من الطعام .

وتخصص الرؤوس والرقاب والأكرع والقلوب والظهور والكبد والكلاوى للنساء وكذلـــك الأرجـــل والضـــلوع وذلـــك مـــن لحوم الابل وهى الأكلة المفضلة لدى الشعب الصومالى .

وجبة الفطور : تتكون عادة من خبز وشاى وزيت ولبن .

وجبة الغداء : تتكون من الأرز أو المكرونة مع اللحم والباباظ والموز .

وجبة العشاء : تتكون من الآرز أو المكرونة أو الخبز مع اللحم واللبن الحليب .

لقد لاحظت من الدراسة ان تغيير الاشياء المادية ايضا صعب مثل طبائع الناس، ولقد سبق ان ذكرت ان تغيير الأشياء المادية يمكن ان يتغير بين يوم وليلة بان نشترى غـــيرها ونـــرمى العتـــيق ولكـــنه وجد أن المهم ليس هو تبديلها ولكن التعود والاقتناع باســـتعمالها الى جانب انها مرتبطة بعادات وتقاليد معينة يصعب تغييرها . فقد ظهر من الدراســـة أن المســـكن فـــى الـــبوادى كما هو لم يتغير من الاف السنين وكذلك البيت والادوات والاوانى التى تستخدم والملبس وادوات الزينة والأسلحة .

الأســـــــــرة :

الـــــــزواج:

نتـــيجة لقســـوة الحياة فى البادية يستعد ابناؤها لذلك ببناء قوام الاسرة ويقوم بتنظـــيم عملـــية البناء هذه كل من عشيرتى الفتى والفتاة . ويخضع الزواج فى البوادى

لعـدة عـادات وتقالـيد منها ان الابن الأصغر لايصح أن يسبق أخاه الأكبر فى الزواج وكذلك البنت واختيار الفتاة المناسبة عن ثلا ث طرق :

١ – أن تختار أم العريس خطيبة أبنها .

٢ – ان يخـتار الشـاب بنفسه من يريدها زوجه له ، ولكن يجب ان توافق الأسرة على ذلك

٣ – هروب الشاب والفتاة بعد حب بينهما فيذهب بها الى أسرته ويتزوجها .

وغالـبا ما يرضى شباب البادية بترك أمر الزواج كلية لأولياء أمورهم ويوضع فى الأعتبار مصلحة العشيرة اولا ثم مصلحة الفرد ثانيا . وهكذا تسلم الفتاة غالبا بأمر زواجها لوالديها أو من هم فى منزلتهم بعد وفاتهما ولكن نظراً لما يتمتعون به من كرم وحسـن الضـيافة ينتقل الشباب من بيت الى آخر بسهولة ، ويلتقون ببنات الاسر دون تحفـظ شـديد فـيحدث تعارف والشباب فى سن الزواج ومن طرق هذا التعارف حلقات الـرقص الـتى يلقى فيها الشعر أو تدور بينهم الأحاديث ومن خلال هذا التعارف السليم يتقدم الشاب لأهل الفتاة فتقبله بفرح أو ترفضه موضحة اسباب رفضها ، أما إذا أختلف رأى الفـتاة مـع رأى والديهـا فانهـا غالـبا مـا تتنازل عن رأيها فتقبل الزواج على مسئوليتهم .

<u>المهـــــر :</u>

يـتم الأتفـاق علـى عدد معين من الأبل والماشية يعطى لاسرة الفتاة بالنسبة للاختـيار الأول والـثانى ، ويـتم تحديد موعد الفرح وتقام الاحتفالات لمدة أسبوع وكل النفقات على العريس وأسرته وفى الليلة الأخيرة من هذا الأسبوع يسهر العروسان مع المحتفليـن حـتى مطلع الفجر . ويكون الزواج من نفس العائلة الكبيرة ولكن من خارج الأسرة منعا للمشاكل ، ويتراوح سن الزواج ما بين ١٥–٢٣ سنة وللمهر شكلان ، فى الـبادية يدفـع أبل وماشية وفى المدينة نقدا . وكان المهر يقدر قديما بحوالى مائة من الأبـل مـع أعطاء والد العروس بندقية وحصانا ويقدم العريس لعروسة قبل الزواج منه وغالـبا مـا يتفق العروسان على الزواج أولا ثم يتعرف العريس على الأهل بعد ذلك . ويـتم الزفاف فى محل سكن أهل العروس فتبقى مع أهلها الى أن يبنى لها بيت خاص . وفـى خـلال هـذه الفـترة ترشدها أمها بعض الأرشادات وتسدى عليها بنصائحها ولا يستغرق بقاؤها مع امها عاما كاملا .

ويلاحظ أن هناك حرية فى الحركة بالنسبة للبنت والمرأة الصومالية ، ومن هنا تنشأ علاقات حب وأستلطاف بين الولد والبنت فى مرحلة مبكرة فى المدينة وفى البادية. أما المدينة فيدفع المهر نقدا بحوالى ١٠٠٠ شلن صومالى(١) ، ويتفق على المهر مقدما وهناك مؤخر صداق .(٢)

وتستعمل المرأة الحناء وهى تتفنن فى زخرفتها كما تستعمل زيوت مستخرجة من النباتات لدهن الجسم. والاسرة الصومالية صغيرة نظرا لان أغلبهم يعمل بالرعى منذ زمن بعيد .

الـــولادة :

يعتبر المولود حدثا عائليا سعيدا فى حياة الأسرة خاصة لو كان ذكرا وقبل الأحتفال بالمولود الجديد يستدعى أحد علماء الدين لاختيار الاسم ويقرأ هو صفحات أحدى الكتب فى حوزتة بعد أن يعرف اليوم الذى ولد فيه الطفل ثم يختار بعض الأسماء من هذا الكتاب ويعرضها على الأسرة لتختار واحدا منها للمولود . وتحتل أسماء الانبياء المكانة الاولى وتذبح ذبيحة يأكل منها الأقارب والمدعويين. وفى يوم الأربعين تضع الأم سكين عادية تحت وسادة الطفل ، وتربط فى يده اليمنى قطعة من القماش بداخلها بعض النباتات الطبية .

وينتشر عندهم ختان البنات وهو ختان فرعونى ، ولكنه بدأ يقل وحل محله ختان السنة ، تقوم بهذه العملية متخصصات لذلك ويتم الختان عادة فى سن متأخرة ولكن قبل سن البلوغ . وتحافظ البنت عموما على نفسها الى أن تتزوج وقد جرت العادة ان لا تقام احتفالات خاصة بمارسيم الختان بالنسبة للاولاد وتترك هذه العملية لاى شخص تتوفر فيه الخبرة والممارسة . ويفرط الصوماليون فى الزواج والطلاق مما يؤدى إلى تشرد عدد كبير من النساء والأطفال .

الـــطلاق :

نسبة الطلاق مرتفعة وتعدد الزوجات منتشر ويندر أن يقتصر الرجل على زوجة واحدة .

1- الشلن = ١٢ قرش مصرى

2- مقابلات شخصية

الوفـــــاة :

يستقبل نبأ وفاة الشخص بوجوم بالغ مؤثر من قبل النساء والرجال وبعد الدفن تذبح فورا ذبيحة وفى اليوم الثالث كذلك . وبالنسبة للزوج الذى توفيت زوجتة لايحق له الزواج مرة ثانية الا بعد أبلاغ اهل زوجتة المتوفاة بذلك ويتوقع منهم ما يلى :

تقديــم إحــدى شــقيقات الــزوجة المتوفاة أو أقرب بنت لها فى نطاق الاسرة ليــتزوجها. وإذا لم يوجد فى الأسرة من تصلح للزواج فله حرية الاختيار من أى أسرة أخــرى . أما إذا توفى الزوج فتربط زوجتة قطعة من القماش الأبيض على رأسها كرمز للحزن بعد ذلك يحق لها الزواج من أهل زوجها المتوفى إذا كانت محبوبة منهم ، أما إذا كانت مشاكسة وعنيدة فيترك لها حرية الزواج من الخارج.[1]

المـــــرأة :

ان للمرأة الصومالية دور عظيم فى حياة الشعب الصومالى ، ولو أستعدنا تاريخ المــرأة وحياتها فى البادية سنعرف ما فى اعماقها من حب للحرية والاستقلال وميل الى مشــاركة الرجل فى تدبير الامور والقيام بجميع الأعمال الممكنة ، وهى شريك حقيقى وكفــؤ للرجل وخاصة فى المجتمع الرعوى ، ونظراً لقسوة الحياة هناك فان الفرد ينشأ قويــا معــتمدا علــى نفســه ومتعاونا مع اقرانه . هذا وتتمتع المرأة الصومالية بمركز ومكانــة محترمة فى جميع المناطق (فى المدينة وفى البادية) [2] ، فهى تحتل المكانة الأولى ، وهى تلعب دورا كبيرا جدا فى المجتمع وعندما نريد التحدث عنها نبدأ بالاسرة ، فهــى فــى أسرتها تقوم بكل الأعمال المنزلية والتربية والتنشئة الاجتماعية الى جانب عملها خارج المنزل ، هذا ونجدها فى المدينة تتولى وظائف كبيرة فى المجتمع [3]

1- مقابلات شخصية

2- فــى المدينة كما شاهدناها فى مقديشيو العاصمة وفى البادية كما لاحظناها فى الأماكن التى زرناها جنوب مقديشيو .

3- فقــد قابلنا فى مقديشيو وكيلة وزارة الثقافة والتعليم العالى السيدة / فاطمة احمد سالم ، ورئيسة اكاديمية البحث العلمى السيدة / ديقاء جامع ابراهيم .

ومن احتكاكنا بكثير من السيدات ، اما عن طريق المقابلات الرسمية أو بطريق غير رسمى ، لمست فيها الجرأة والشجاعة والانطلاق فهى تقرر مصيرها بمفردها لقضاء حاجاتها الأسرة . وهى تشترك فى جميع الاعمال حتى فى الحرب ويقال ان هناك أمرأة تعمل قائد طائرة واخرى تعمل قاضى.[1]

وليس هناك حواجز بينها وبين الرجل فالتعليم مختلط فى جميع المراحل من الابتدائى الى الجامعة ، ولا يوجد هناك مدارس خاصة بالبنات فقط . وتعلم الأم أبنتها جميع أعمال البيت ، وعندما تتقن البنت هذه الأعمال (بناء البيت ، رعاية الحيوان ، أعمال الخياطة ، عمل شنط لحفظ ادوات البيت) تكون مطلوبة للزواج [2]

وتعتمد طبيعة حياتهم على التجوال فتتكون الاسرة فى الغالب من الرجل وزوجته واولادة وشخص أو أثنين من كبار السن فى الأسرة ، ويتولى رب الأسرة الصغيرة أمرها. وشيخ الأسرة هو أكبرها سنا وهو أعلى سلطة فيها وذلك لكبر سنه ورجاحة عقلة وتجاربة الطويلة فى الحياة ومن اختصاصة فض المنازعات الداخلية بين افراد الأسرة واسداء النصح والتوجية وعلى أفراد الأسرة طاعته والانصياع لاوامره . يتضح من النظام الأسرى فى معظم المجتمعات البدوية ان البنت تحجز وتتحجب من سن العاشرة وتبدأ فى ممارسة اعمالها المنزلية تحت أشراف ورعاية أمها ولا تظهر بعد هذه السن فى مكان به رجال . اما فى الصومال فالأمر غير ذلك حيث أن الأسرة مفتوحة ولا تحجب المرأة عن الرجال ، فنجد أن فرص التعارف بين الشباب كبيرة

1- مقابلات شخصية

وعبد المنعم عبد الحليم · صوماليا ، ص ٢٥ .

2- لقد نظمت لنا وكيلة وزارة الثقافة زيارة خاصة فى منزلها وكان عندها ثلاث سيدات صوماليات واحدة تعمل فى التجارة الخارجية (آمنه) والثانية تعمل رئيسة قسم اللغات العربية بكلية التربية (دهب) والثالثة رئيسة اتحاد العمال (آمنه) . وتطرق الحديث الى موضوعات شتى . ومما لفت نظرى الذوق المتناسق فى الملبس وخفه الروح والمسئولية الكاملة فى البيت . وعن تعدد الزوجات وجد ان هناك تعدد زوجات ، ولكن لكل واحدة منزل بمفردها والطلاق ايضا موجود

ويسهل الاختيار ولكن لابد من موافقة أسرة الفتى والفتاة على هذا الاختيار الا فى حالات نادرة كما هو الحال فى معظم المجتمعات حيث تشز بعض الحالات عن هذه القواعد التى يقرها المجتمع واحتمال تفتح الاسرة وعدم تحجب المرأة امام الرجال ربما يكون راجعا الى التأثير الأوروبى بين هذا الشعب مع المحافظة على عاداتهم فى المهر حيث أنه كان مازال من الماشية وخاصة الأبل ، ومن هنا كان للأبل مكانة خاصة لديهم لأنها تدفع مهورا . فتكوين الأسرة يعتمد كثيرا على وجودها حتى أن صاحبها يشعر أنه أعلى مرتبة عن الأخرين . هذا ووجود البنت بين أهلها بعد الزفاف لفترة تقترب من العام يؤكد أن نظامهم لعهد قريب كان نظاما أمويا Materiarchal-System ، أى النظام الذى كانت السلطه فيه فى يد الام ، ومما يؤكد ذلك ما للمرأة الصومالية مكانه فى المجتمع ، وكذلك دورها بالنسبة للتربية والتنشئة الاجتماعية ، فكانت هى التى تقوم بالعبء الاكبر فى هذا المجال قبل انشاء المدارس ومازالت .

وعندما اتيحت الفرصة لتعليمها واصلت هذا الكفاح وتفوقت ووصلت الى أعلى المراكز فى بلدها بجدارة ولكن دخول الاسلام اثر من ناحية سيطرة الاب حيث أصبحت السلطة فى يده والنظام أبويا Patriarchal-System وبقيت رواسب القانون الاول فى هذه الصورة التى وجدناها .

ونجد تأثير الدين فى الأسرة كبير لدرجة أنه لا يمكن تسمية المولود الا بعد استشارة رجل الدين حيث يقوم ببعض الطقوس والممارسات لاختيار الاسم . وهناك التزامات أسرية فى حالات الوفاة ، فعلى الأسرة التى توفيت ابنتها المتزوجة ان تبحث عن أخرى للزوج ، وهو يلتزم بذلك ولا يقبل الزواج من الخارج الا بعد استشارة أهل الزوجة المتوفاة وعدم وجود من تصلح للزواج .

وكذلك بالنسبة للزوج المتوفى فانه يحق لزوجته الزواج من بين أهلة إذا كانت مرغوبة لديهم .

التعليـــــيم :

الأسرة والتربية العلمية والنظرية :

لاتوجد فى البوادى إلى وقت قريب مراكز للتعليم ، ويقوم كل من الأب والأم بدور هذه المراكز وتكتفى الام بتدريب النشىء وعن طريقها يعرف الطفل القبيلة والعشيرة التى ينتمى اليها .

ويـــتعلم الأولاد فـــنون القتال والقنص والأعمال اليدوية الخاصة بالرجال وطرق معالجـــة المواشى والابل وكيفية بناء الحظائر والمساكن ، وتتعلم البنات الاعمال اليدوية الخاصـــة بالنساء وأساليب الطبخ والغسل والحياكة والتطريز . ولقد كان التعليم عموما فى الكتاب حيث يتعلم الأولاد والبنات القرآن ومازال لليوم فى المناطق النائية عن المدن وفـــى مـــناطق اللاجئيـــن حيث يدرس الاولاد والبنات معا القرآن الى أن يبلغوا الثانية عشرة ، بعدها يفصل الأولاد عن البنات وتبقى البنت فى البيت لتتعلم اعمال المنزل[1] . وكـــان التعلـــيم مازال دينيا ، حيث يلعب المسجد دور كبير كما كان الازهر وكذلك علوم اللغة العربية .

ولقد تطور التعليم حاليا الى أن أنشئت الجامعة الوطنية بمقديشيو عام ١٩٥٥م كمدرسة عليا بعد الثانوية وفى عام ١٩٦٣ – ١٩٦٤ تحولت المدرسة الى معهد علمى جـــامعى ، وفـــى أواخر عام ١٩٧٠ تحول المعهد الجامعى الى الجامعة الوطنية وتولى إنشاء الكليات المختلفة بالجامعة .

الصـــــحة :

الصحة العامة والعناية الطبية :

لقـــد تم وضع السياسة الصحية للصومال طبقا للمعايير الاساسية التى رسمتها مـــنظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة . هناك مستشفيات حديثة متعددة الأنواع فـــى مراكـــز الـــنواحى والأقاليم . ومن الخطوات الأولى التى أتخذتها الحكومة فى هذا المجـــال الغاء الرسوم عن التشخيص الطبى وغيره من الفحوص الطبية . وكذلك الغيت الرســـوم عـــن التحاليل المختبرية والاشعات والأستشفاء . هذا النظام يضمن الرعاية الطبية للجميع سواء كانوا أو لم يكونوا قادرين على دفع ثمنها .

الفنـــــون الشعبيـــــة :

الرقص والاغانى :

الرقص الشعبى :

---

[1]- مقابلات شخصية

عبارة عن حركات منظمة بسيطة ولا يستخدم فيه أى اله موسيقية عدا التصفيق الجماعى المنظم المصحوب بالاغانى الجماعية ، ويلعب الرجال والنساء معا هذا الرقص بعد أن ينظموا انفسهم على شكل دائرة كبيرة .

الطبل :

والطبل الأفريقي هو الالة الموسيقية الوحيدة المعروفة بالبوادى وتستعمل فى نطاق ضيق ،ويستخدم الطبل فئة معينة من الناس بعد استدعائهم فى مناسبات الزواج والافراح ،اما البوق ويصنع من الخشب فيستخدمه الجميع غالبا لاغراض النداء، والرقص الشعبى يعبر عن الفرح والترفيه ولا يمارس لآغراض الطقوس الدينية او الشفاء من الأمراض او ما شبه ذلك.

الشعر :

تحتل الفنون الشعبية مكانة بارزة فى المجتمع القبلى الصومالى ،وهو شعر وجدانى وأن كان لا يخلو من شعر الحكمة وينظم حسب قواعد خاصة وللشاعر تقدير خاص فى المجتمع الصومالى ولا يمل البدو من سماع الشعر. ويمتاز الشعر النسائى بالعذوبة والرقة والتعبير الانسانى الصادق الا انه ينحصر فى الرثاء والشكوى من الزمن ولكنة يفوق الشعر الرجالى من ناحية صدقه فى العاطفة لان الرجال يفضلون شعر الواقع والحرب والحكم .ومشكلة الشعر أنه غير مكتوب ،فاللغة الصومالية لا تكتب وبناء على ذلك فان كثير من التراث القديم يتوارىمع موت حاملية الا ان البوادى غنية بالشعر والشعراء .

النحت :

تشتهر البوادى بالنحت على الخشب ويقوم به الرجال ويصنعون تماثيل للحيوانات وتزين الملاعق والامشاط ومقابض السكاكين بخطوط هندسية متناسقة

هذا ويمكن ان تعتبر الصومال احد الشعوب الأفريقية التى تمكنت رغم كل ضروب التأثيرات الاجنبية ان تحافظ على نقاء ثقافتها القومية .فمازالت لغتهم وادابهم ورقصاتهم الشعبية وما اليها نقيةالطابع الافريقى الى اليوم كما كان العهد بها دائما على مر الاجيال وربما كانت الرقصات الشعبية الصومالية بالاضافة الى ما يرتبط بها من فنون الغناء والموسيقى هى المجال الذى حوفظ فيه على نقاء الثقافة القومية القديمة محافظة كاملة .ولا يوجد الا القليل النادر من الالات الموسيقية بين الجماعات الصومالية الرحل ،فيبدو ان التصفيق بالايدى، والدق بالاقدام قد حلا تماما محل وظائف الالات

الموسـيقية فـي اداء الرقصـات الشـعبية. هذا ويوجد فى الصومال ثروة عظيمة من الفلكلـور والتقاليد الثقافية القديمة على شكل ادب محلى واغنيات واشعار وحكايات وفن وفكـر وامـثال وحـرف يدويـة واثار موروثة من جيل الى جيل. ومن اعمالهم الفنية المشهورة .

الفخـــار :

يشـتهر الصـومال فـى أفريقـيا بجمـال فخارة وكذلك اعمال الخشب والعاج فالحرفيون الصوماليون مهرة فى صنع نقوش فى الخشب والعاج. وايضا حياكة النسيج: تـؤدى حياكة النسيج باليد الى تصاميم فريدة وجميلة وتحترم النساء لمهارتهن العريقة فـى تصميم السلال وصنعها. ويزدهر الفن المسرحى والرقص فى المسرح الوطنى الذى له فروع فى مقديشيو وهرجيسة .

ان الشـعوب الـتى تعـيش فى تأمل دائم للطبيعة تشتهر بفنها التلقائى البديع فالطبـيعة هـى الوعـاء الـذى يـنهل منه الفنان افكاره ومهاراته، وقد لمسنا هذا فى مجـتمعات الصيد والقنص الافريقية فلقد وجد لدى البشمن فن النحت الجميل وقد اوحت الطبيعة بهذا الفن نظرا لانهم يعيشون فى كهوف .

امـا فـى الـبوادى فيعيش الانسان فى الخلاء وبالمواد المتوفرة لديه فاشتهر بالنحـت علـى الخشـب وكذلك تصنيع الجلود .ولم يستطع المستعمر ان يؤثر على هذا الـنمط من السلوك الفنى لانه نابع من الطبيعة ومرتبط بها وهى جزء لا يتجزأ من حياة الشـعوب ولا يستخدم الصوماليون فى رقصاتهم الات موسيقية سوى الطبل . وبدلا من الالات فـانهم يسـتعينون بالتصفيق بالايدى والدق بالاقدام .ويمثل الفن المسرحى ،كما شـاهدناه فـى مقديشـيو ،الحياة الطبيعية للبدو حيث انهم يمثلون حياة الاسرة بكاملها ووظائفها الاوانى التى تستخدم من فخار وخشب ولحاء الاشجار .

الديـــن :

يعتـنق معظـم السـكان الدين الاسلامى وهو سنيون .وتوجد نسبة ضئيلة من المسـيحية تـتألف هـذه النسـبة من اليتامى الذين نشأوا فى الكنائس منذ الصغر ومن اللقطـاء ممـن جاءوا من علاقات غير شرعية بين الايطاليين والصوماليات .ولقد دخل الديـن الاسلامى الصومال منذ القرن الاول الهجرى فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦) .

وتنتشـــر لديهم طريقتان : القادرية نسبة الى الشيخ عبد القادر الجيلانى (يوجد قـــبرة فـــى بغداد بالعراق) والادريسية المعروفة فى الصومال الاحمدية نسبة الى السيد احمد بن ادريس المدفون فى اليمن .وتنعكس تعاليم الاسلام على كل المظاهر والسلوك ، فنجدهم فى

الـسبوادى يحـــتفلون بالاعـــياد الدينية واحتفالا كبيرا وخاصة بعيد الاضحى .عيد الفطر، المولـــد النـــبوى ،رأس السنة الهجرية وتذبح الذبائح بلا حساب ،ويلبس الناس اغلى ما عـــندهم مـــن الثـــياب ،وتزيـــن الأكواخ بالأغصان الخضراء وتعتبر الأعياد الدينية على اختلافها من اسعد الايام بالبوادى .

زيارة الاولياء :

اعـــتاد اهل البوادى وكذلك اهل المدن على زيارة الاولياء والمواظبة على اقامة الاحتفالات التى تليق بهم. وتنقسم الزيارات الى المجموعات التالية :

١- المجموعة الأولى :

تعمـــل هذه الزيارات للعلماء العرب الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية الى الصـــومال ودفـــنو بهـــا وكذلـــك لغير المدفونين بها مثل الشيخ " عبد القادر الجيلانى " المدفون ببغداد .

٢- المجموعة الثانية

تقام لبعض اجداد القبائل الصومالية .

٣- المجموعة الثالثة :

عبارة عن زيارات لبعض اجداد من مجموعات العشائر التى تجمعها بطن واحدة وبعض اجداد البطون المنبثقة من تلك العشائر .

مظاهر الاحتفال :

فى اليوم المخصص للزيارة يذبح القائمون بالاحتفال على مقربة من مرقد الولى ذبيحة ويغطى قبرة بكسوة جديدة من الحرير الملون والمنقوش عليه ايات قرآنية كريمة واسماء الله الحسنى واسم الرسول صلى الله وعليه وسلم . وترفع الاعلام الملونة فوق المقام وعلى الاشجار القريبة وتتصاعد روائح البخور والعطور فى كل مكان .

وبعـــد ان يطـــوف الشـــخص حول قبر الولى وقراءة الفاتحة يخرج وينضم الى احدى حلقات الذكر المنتشرة تحت ظلال الاشجار. واذا حان وقت الصلاة قام الجميع بما

فـيهم النســاء لأداء الصــلاه . ويبدأ الاستعداد للانسحاب فى المساء بعد ان تكون هذه الــزيارة قد تركت فى نفوسهم الكثير من الانفعالات الدينية العميقة . يتضح مما تقدم ان الغالبــية العظمــى تدين بالاسلام الا اقلية قليلة لها ظروف خاصة تحت تأثير الاستعمار ورواســبه مــن علاقــات غير شرعية. ومن مظاهر الاسلام المساجد الواسعة الانتشار ودورهــا الفعــال فــى التربــية الدينية وفى تحفيظ القرآن فى اعماق البوادى وغيرها وانتشار الطرق والمذاهب الاسلامية وزيارة الاولياء وغيرها من المعتقدات.

التنمية والنهوض بالبلاد لمسايرة التطور العصرى :

يــتركز سكان الصومال فى الاراضى الريفية حيث يعتمد بناؤها الاقتصادى غالبا علــى الماشــية والزراعة وهناك اعداد كبيرة من الشعب لم تمارس الحرف التكنولوجية الاخــرى ومــا يهمنا فى التنمية هو ماذا فعلت الحكومة لقطاع الماشية والزراعة ؟ لقد وضــعت الحكومــة الخطــط الطويلة الاجل والقصيرة لتحسين السلالات والحصول على نوعــيات اجــود مــن الماشية ، فهناك التجارب التى تقوم بتربية(الاباعد **Breeding Gross**) مــن الماشــية لتحســين امكانيات اللحم واللبن، ومن ضمن هذه الخطة امداد الرعاه بنتائج هذه التجارب مع استمرار البرنامج المكثف للانتاج الحيوانى وتحقيق نظام التسويق واستكشاف طرق ووسائل لتصدير المواشى ومنتجاتها. وللقضاء على أمراض الحــيوانات أنشئت وزارة الثروة الحيوانية والاحراج والمراعى وادركت هذه ادراكا تاما ان الــثروة الحيوانــية هى الشريان فى حياة البلاد الاقتصادية فهى تسعى الى المحافظة علــى اعلــى المســتويات الصحية بالتخطيط الواعى. وهذه الوزارة هى المسئولة عن استيراد العقاقير البيطرية اللازمة وتوزيعها ، كما أنشأت الحكومة كليات بيطرية لتخريج الاطباء البيطرين ذوى الكفاءة العالية .

هــذا وتعطــى الادويــة والعقاقير بصورة دائمة لاصحاب المواشى مجانا. ولقد ســاهمت كــل هــذه الاجراءات فى تحسين الصحة الحيوانية وفى القضاء على طاعون الماشــية الذى كان يسبب هلاك المواشى بنسبة عالية فى الماضى وقد حافظت الوزارة ايضــا علــى مســتوى عــال من الوقاية من أمراض الحيوانات وعلى الاخص بالتلقيح الاجــبارى. وتتضــمن هذة الخطة تجهيز فرق متنقلة فى المناطق الخالية من الامراض لاجــراء الفحوص على نوعية الحيوانات .وهناك حملات لمكافحة طاعون البقر ومراكز لمعالجة الطفيليات. وقد انشئت مزارع عديدة لتربية المواشى .

هــذا ويرتكــز الامــل الاكبر فى تقدم الصومال اقتصاديا على التنمية الزراعية ولذلــك فان القطاع الزراعى نال النصيب الاكبر فى تقدم الصومال اقتصاديا على التنمية الزراعــية لذلــك فــان القطاع الزراعى نال النصيب الاكبر من مجموع اعتمادات خطة التنمــية. وممــا يســترعى الانتباه فى البلاد ٠٨,١٥٠٠٠ هكتار من الاراضى الصالحة للزراعة بالرى وبمياه الامطار ، فى حين ان الصومال يستورد المواد الغذائية التى يمكن انــتاجها محليا وينفق فى شراء هذه المواد الغذائية مبالغ كبيرة من النقد الاجنبى الذى يحصــل علــيه من قطاع الثروة الحيوانية وإذا اعطيت الزراعة الاهمية التى تستحقها فمــن المؤكــد ان يتوصل الصومال الى الاكتفاء الذاتى فى حقل المواد الغذائية. وتهدف سياســة الحكومــة كذلك فى هذا الشأن الى ايجاد اساليب حديثة يمكن بها زيادة الانتاج الزراعى وتدريب المزارعين على الاساليب العلمية الحديثة فى الزراعة كما تهدف ايضا الــى اســتبدال "البامبو" والفأس التقليدية المستعملة فى فلاحة الارض فى جنوبى البلاد بالمحاريــث التى تجرها الحيوانات وبالمحاريث الالية. ولحماية المحاصيل الزراعية من الحشرات انشئت مصلحة النباتات ومكافحة الافات الزراعية وهى المسئولة عن حمايتها مــن الامراض والطيور وخاصة الامراض المعدية التى يحتمل جلبها من البلدان الاخرى عــن طريق النباتات الناقلة لعدوى تلك الامراض. اما موارد المياه فان الحكومة قد بدأت فــى تنمية الموارد المائية ومدها لكل من المراكز الحضرية والمناطق الريفية فى البلاد بعــد ان أنشــأت وكالة المياه الوطنية، وعلى هذا لا يحق لاى شخص كان ان يحفر بئرا عمــيقا فى اى مكان فى البلاد دون ان تكون فى حوزته رخصة من الوكالة (وكالة تنمية مصــادر المــياه) غــير ان هذا لا يحظر حفر ابار ضحلة فى بادية البلاد بقصد استعمال مائهــا للاغــراض المنزلية او الرعوية كما يريدون .والهدف من وراء ذلك هو تنظيم احتــياجات الســكان الرحل من الماء مع احتياجاتهم للمراعى الصالحة فى نفس الوقت، وذلــك تفاديا للاوضاع الخطيرة التى نجمت فى الماضى عن بناء البرك فى اماكن معينة مــن مــنطقة (هــاود) مثلا والتى ادت الى تجمع المواشى فى بعض الاماكن اثناء فصل الجفــاف – الشــتاء – وبالــتالى تدهور المراعى او تلاشيها تماما مما ادى بدوره إلى تعــرض مــناطق رعويــة شاسعة لعوامل انجراف التربة او التعرية. وقد كان ذلك احد الاســباب الرئيسية التى جعلت فترة الجفاف الطويلة فى عام ١٩٧٤ – ١٩٧٥ والتى لا تــزال الــبلاد تعانى من آثارها السيئة حتى الان اكثر خطورة ووقعا على السكان الرحل ،مربو الماشية والذين يعتمد على وجودهم اقتصاد البلاد اعتمادا يكاد يكون كليا وخاصة

فى الحصول على النقد الاجنبى اللازم لتنميتها وتطورها. ومن الجوانب الهامة ايضا فى التنمــية تحســين مستوى الحرف اليدوية والصناعات الصغيرة وانتاج السلع التى تسد حاجــة السوق المحلية لتثبيت دعائم الصناعة المحلية، والاهتمام بالصناعة التى تجد فى داخــل البلاد ذاتها معظم المواد الاولية اللازمة لها والتى يمكن ان تباع باسعار مناسبة لمستوى الداخل .

ومن الصناعات التى تتوفر فيها هذه المواصفات :

١- غزل ونسج القطن ، وصناعة النسيج على الانوال اليدوية .

٢- غزل ونسج الصوف .

٣- دبغ الجلـــود .

٤- صنع الاحذيــة .

ويدخل فى ذلك حفظ الفاكهة وتعبئتها واللحوم المحفوظة وبخاصة بعد العناية بتربية الانواع المحسنة من الماشية والاغنام التى تمتاز بكثرة اللحم وعمل منتجات الالبان .

دور المرأة فى تنمية الاقتصاد :

انها تشترك حاليا فى جميع المجالات والاعمال وهى تتسم بالمسئولية فهى جادة ومــنظمة بشــكل يسمح لها بأداء واجباتها فى البيت والعمل، وهى اليوم مفتاح النشاط الاجــتماعى فــى الحــى حيث عرف عنها دقة التنظيم والجرأة فى تنفيذ البرامج .وليس هــناك عائق ما يقف امام المرأة فى المشاركة فى مختلف نشاطات الحى الذى تسكن فيه وتشمل هذه النشاطات مجالات التعليم والعمل والصحة والرياضة والفنون..... الخ .

ومــن اعمالهــا فــى داخــل الحى بناء المستوصفات وروضات الاطفال وتشيد المــدارس والطــرق والاشــراف علــى جمــع التبرعات كما تتناوب حراسة الامن ليلا بالمشاركة مع زميلها الرجل .

ولقــد بذلــت الحكومــة جهــدا كبيرا لاعطاء النساء حقهن فى التعليم والتحرر الاجــتماعى ، ولــم تلبــث المــرأة بعد استعادة هذا الحق ، ان اظهرت قدرتها وكفائتها وضــرورة وجودها فى الحياة الوطنية. وقد ساهمت المرأة الصومالية مساهمة فعالة فى مخــتلف الحمــلات التى اطلقتها حكومة الثورة فى البلاد فاثبتت انها قوة منظمة واعية تدرك تطلعاتها الوطنية فى هذه المرحلة الانتقالية .

واثبتــت حكومــة الــثورة ان المرأة تقف على قدم المساواة مع سائر اعضاء المجــتمع فــى مهمة تعمير البلاد لانها هى الام والبانية والطليعة فى العائلة التى ينبثق

منها المجتمع كلة .ومنذ قيام الثورة اتيح للمرأة الصومالية ان تثبت انها تستطيع المساهمة كالرجل فى النشاطات العديدة التى يتطلبها تعمير البلاد . ولقد لعبت المرأة دورا مهما فى كفاح الاستقلال الوطنى .

وتتمتع المرأة الصومالية باحترام ادبى كبير فى المجتمع. وكان من نتائج نضالها واشتراكها بفاعلية فى بناء صرح المجتمع الجديد :

(أ) اعلان مجلس الثورة والسكرتيرين عن مساواة المرأة بالرجل .

(ب) صدور اول قانون للاحوال الشخصية محققا لقرار المساواة .

عام ١٩٧٥ الذى ينص على مساواة المرأة والرجل الكاملة فى الحقوق والواجبات وذلك تحقيقا لما جاء فى ميثاق الثورة .وفى منع تعدد الزوجات تقول المادة الثانية عشر "لا يجوز الزواج بأمرأة ثانية دون تصريح كتابى بذلك من محكمة الناحية المختصة ،ولا تصدر المحكمة مثل هذا التصريح مالم تتحقق من توفر احد الشروط التالية :

١- ثبوت عقم الزوجة باقرار لجنة الاطباء المتخصصين بشرط عدم علم الزوج بهذا العقم قبل الزواج .

٢- وجود شهادة طبية بان الزوجة مريضة بمرض مزمن او معد لا يمكن البرء منه

٣- صدور الحكم بالسجن على الزوجة لمدة تزيد على سنتين .

٤- تغيب الزوجة بلا سبب معقول عن بيت الزوجية لمدة تزيد على سنة .

٥- ما تمليه الظروف .

اما المادة الثامنة والعشرين فتتحدث عن نفقات الزواج اذ تقول :

يساهم كل من الزوج والزوجة فى نفقات ومتطلبات الزوجية حسب الامكانيات المالية لكل منهما. كما تعزز المادة التاسعة والعشرين ذلك بالنص (١- اثاث المنزل ملك مشترك للزوج والزوجة ، ٢- وفى حالة ابطال العقد تقسم هذه الملكية بالتساوى بين الزوجين) وجاء موضوع الطلاق فى عدة مواد ابتداء من المادة(٣٨) وبالرغم من وضع قدرة الطلاق فى يد الزوج الا ان القانون يحرص على عدم حدوث الطلاق الا بسبب مقنع . اوجب على الزوج استصدار امر الطلاق من المحكمة والتى بالتالى تعتمد على محضر تكتبه لجنة مصالحة بعد ان تكون قد

فشــلت فى اقناع الزوجين ببقاء صرح الاسرة الذى تحرص الثورة على ابقاءه قويا ســليما. وفى مجال التعليم نجد انه قد حدث تغيير جذرى سواء من حيث توسيعه او تحديــث مــناهجه على خطط العصر الجديد ، وتنهج البلاد طريق التقدم الاقتصادى الحقــيقى .ممـــا تقدم يتضح ان الحكومة قد اولت قطاع الثروة الحيوانية والزراعة اهــتماما كبــيرا وذلــك بنشر الوعى باساليب تربية الانواع المحسنة من الحيوانات وكذلــك الــزراعة الحديــثة ومقاومـــة الامراض والافات وتحصين الحيوانات ضد الامراض الوبائية مجانا وقد وضعت الدولة كذلك ضمن خطتها تنمية الموارد المائية ومدهـــا لكل من المناطق الحضرية والريفية فى البلاد لتوفير المياه الصالحة للشرب للمواطنين .

خاتمـــــــة :

ان طبــيعة الارض وكمــية الامطار الساقطة عليها بالاضافة الى توزيعها زمانا ومكانـــا تحدد الطرق والاساليب التى يستطيع بها المرء الاستفادة من بيئته وثرواته الحيوانــية والزراعــية. وتشكل المواشى اكثر الموارد الطبيعية اهمية للصومال فى الوقــت الحاضر ، ويشتهر الصوماليون الرحل فى أفريقيا باسرها بخبرتهم العظيمة فــى تربــية المواشـــى. وكان للرخاء والقحط تأثير كبير على حياة المجتمع القبلى الصومالى، فى ايام الرخاء تقل الرحلات الاستطلاعية ويعم الاستقرار وكتعبير بقدوم الــرخاء تعــم الفرحة بين الجميع وترقص الرقصات الشعبية فى كل مكان الى وقت متأخر من الليل وتكثر زيارات المجاملة بين الاهل والاقارب كما تزداد نسبة الزواج والافــراح. ويقــل اســتعمال المواد النشوية مثل الارز والذرة والقمح بسبب وفرة الحليــب، ويطــوف علمـــاء الديــن المتجولين وتلاميذهم فى ارجاء البوادى للوعظ والنصح واقامة الحفلات التقليدية هــذه الصــورة المشــرقة تختفى بزوال ايام الــنهار السعيدة وبالتدريج تبلغ مأساة ابناء البوادى ذروتها فى ايام الجفاف والقحط فــى بعــض المناطق المتفرقة حيث ينتقلون من مكان لاخر ويرفعون ايديهم للسماء ويصـــلون صلاة الاستسقاء وكلما تأخر هطول الامطار ازداد خوفهم لان الكثير من ماشــيتهم وحــيواناتهم تموت، وبعد هطول اول قطرة من المطر على الارض تدب الفــرحة فـــى قلوبهـــم . وحـــياة البداوة عموما تشكل عقبة فى سبيل زيادة الثروة

الحيوانــية الــتى تعانى كثيرا من القحط وشح المياه وقلة المراعى واساليب التربية العلمية والتصدير الواسع النطاق الى الاسواق الخارجية .

وقــد كــان مــن الصعب وضع هذه الناحية فى اطار علمى لان معظم القائمين بتربــية الماشية هم من البدو الرحل المتنقلين من مكان لاخر ،الا ان هذا لا يعنى ان موضوع تربية المواشى قد اهمل .

امــا مســاهمة الدولــة فى هذا القطاع فقد كانت متدرجة بالقليل من التغيرات الاساســية والنتــيجة ان نمــو هذا القطاع وبروزة لا يزالان فى ايدى البدو الرحل. وغــنى عــن البيان ان التنمية اللازمة لقطاع الثروة الحيوانية تقتضى توطين البدو فالــبداوة والتخطــيط العلمى لا يمكن ان يجتمعان ومن الواضح علاوة على ذلك ان لحياة البداوة مساوئ خطيرة يجب القضاء عليها .

تحسين المراعى :

مــن بيــن الاســباب الكثيرة التى ادت الى تدهور المراعى فى الصومال الرعى المتواصــل المكــثف والزيادة الكبيرة فى اعداد المواشى بالاضافة الى التدمير الذى يقــوم بــه الــرعاه للمــراعى دون اعطــاء فرصــة كافية او راحة لنمو الاعشاب والشــجيرات حــتى تســتطيع النــباتات القاء بذورها على الارض او من استرداد حيويتها بعد الرعى المتواصل.

ومــن اجل تغذية القطعان فهناك الاراضى التى لها الاولوية فى المستقبل والتى تحتاج الى استخدام العلم والتكنولوجيا .

أولا : لابــد مــن تكوين وتدعيم التعاونيات الرعوية وخلق مراعى احتياطية لتأمين عدم حدوث المجاعات .

ثانيا : الاهــتمام المســتمر بالاســاليب الوقائية والعلاجية للامراض الشائعة كالافات والامراض الطفيلية .

ثالثا : الاهتمام بمشاريع الانتاج الحيوانى مثل انتاج اللبن وانتاج اللحم وتنمية الــثروة الداجــنة. ولابــد ان تعطى لهذه المشروعات الثقل الاكبر فى الاعتمادات المالية والقوى البشرية .

رابعا : تطوير كل من التسهيلات التسويقية (المحلية والخارجية) فهى تستحق الانتباه الدائم .

وطالمـــا امكن التحكم فى الامراض تتحسن المراعى وتتحسن انتاجية السلالات عاليةانتاج اللبن واللحم ،لابد ان يقابل هذه الزيادة توسعا فى التسهيلات التسويقية. ويجـــب ان نعلم ان قطاع الثروة الحيوانية هو اهم نشاط اقتصادى فى البلاد ، فهو مصدر العيش لنحو ٧٠% من السكان. هذا القطاع ينتج ٧٠% من العملات الاجنبية ويقـــع كلية تحت أدارة الصوماليين واشرافهم. ويعتبر الان ان ٥٥% من الاراضى صالحة للرعى، غير فترات الجفاف المتكررة التى ترغم البدو الى التنقل الدائم بحثا عن الماء والمراعى.

وقـــد ادركت حكومة الثورة ادراكا تاما المقام الهام الذى تحتله الثروة الحيوانية فـــى حياة البلاد الاقتصادية فاولتها الافضلية الاولى فى جميع برامج التنمية ، وهذا يتطلـــب رفع مستوى حرفة الرعى بتوفير العلف على مدار السنة ، وادخال سلالات جديدة .

ويرتكـــز الامل الاكبر فى تقدم الصومال اقتصاديا على التنمية الزراعية ،ولذلك فان القطاع الزراعى قد نال النصيب الاوفر من مجموع اعتمادات خطة التنمية .

والاســـاليب الزراعـــية المستعملة حاليا قديمة ومتخلفة وخاصة بالنسبة لفلاحة الارض وتجهـــيزها لزراعة التقاوى واستعمال الاسمدة والتحكم فى أمراض النباتات والافـــات الزراعـــية، وتســـبب هذه الاساليب العتيقة خسائر كبيرة فى المحصولات الزراعية .

ومشـــروعات التنمـــية الزراعية تتطلب "توسيع الرقعة الزراعية ،استخدام الات حديثة ، زراعة المحاصيل النقدية للتصدير" .

وايضـــا القـــيام بالدراســـات اللازمة للكشف عن الثروة المعدنية والتنقيب عن البترول.

المراجع العربية :

١- الثقافة الشعبية فى الصومال ، مقديشيو ١٩٧٤ طبع فى انجلترا .

٢- احمد صوار : الصومال الكبير.

٣- الصـــومال الجمـــيلة : نشـــر لحســـاب وزارة الاعلام والارشاد القومى ، مقديشـــيو، الصـــومال ١٩٧٨ ، مـــن تصميم ديزاين فوربرنت ليمتد انتاج ديفد جامسون اند اسوشيتس ليمتد سافرون والدن ، اسيكتس ، انجلترا .

٤- العـــالم العـــربى : الـــناس ، وزارة الاعـــلام والارشاد القومى لجمهورية الصومال الديمقراطية ، اكتوبر ١٩٧٥ .

٥- صـــوماليا : حقـــائق ومعلومـــات نشرة وزارة الاعلام والارشاد القومى ، جمهورية الصومال الديمقراطية ، مقديشيو ١٩٧٥ .

٦- عـــبد المـــنعم عبد الحكيم : صوماليا ، دراسة لبيئتها الطبيعية وامكانياتها الاقتصـــادية ونظـــم الصوماليين الاجتماعية وعاداتهم وعلاقتهم بأقليم مصر فى مختلف العصور .

المراجع الاجنبية :

1- Cameron, Donald A: on The Tribes of The Eastern sudan. In: Journal of The Royal Anthro. Inst, Bd. 16. London. 1887.
2- Clark w.T.: Customs and Beliefs of The northern Beja. In Sudan Notes and Records Bd 21. Khartum 1938.
3- Crowfard, Osbert G.S.: the Ashraf of the Sudan tn :sudan Notes and Records. Bd. 3536. khartum 1955.
4- Drysdale John Gardon Stewart :the Somali dispute 1964 .
5- lewis I.M.: A pastoral democracy, a study of pastoralism and politics among the northern Somali of the Horn of Africa. Oxford university press 1960.
6- Owen T.R.H.: The Hadandoa, In: Sudan Notes and Records, Bd. 20. khartum, 1937.
7- UNCTD national Bapber: Somalia 1979.

ثقافة الدينكا (النيليون)

* يشـــغل النيليون منطقة أعالى النيل ، المنطقة الممتدة إلى الجنوب من الخرطوم حول النـــيل الأبـــيض ، وفى مديرية بحر الغزال والمديرية الأستوائية حتى بحيرة كيوجا ، بل وعلى السواحل الشرقية لبحيرة فكتوريا حيث يقطن هناك فرع من قبيلة اللو .

يمكن تقسيم الجماعات النيلية إلى ثلاثة أقسام تبعاً لتوزيعهم الجغرافى فتضم المجموعة الأولـــى وهى الشمالية : الشيلك والدنكا والنوير ، بينما الثانية أو الوسطى والتى ينتشر أفـــرادها فـــى شـــمال أوغندا وتشمل قبائل : الأشولى واللانجووالألوار ، أما المجموعة الثالثة فيمثلها : جماعات اللو الذين يعيشون فى شرق أوغندا وغرب كينيا .

ويعـــيش الدنكـــا فـــى مديـــرية بحر الغزال وهم أعضاء لهم وزنهم فى حكومة الســـودان، ويشكلون (١٠%) من مجموع السكان ، ويمتد وطنهم من بحر الغزال مارا بـــبحر العرب كردفان وإلى جنوب النيل الأبيض إلى حوالىخط العرض (٦ْ) ، وتمتد حدودهـــم (١٩٠ ك . م) من أوغندا وينقسم الدنكا إلى عدد كبير من قبائل غير مرتبطة ببعضـــها ، ويعتبر الدنكا أكثر عدداً وأوسع أنتشاراً من أيه مجموعة أخرى من الشعوب النيلـــية ، وتمـــثل أوطانهم موقعا وسطاً يمتد من السوباط الأدنى الى بحر الجبل ثم إلى بحر الغزال .

ولقد جرت العادة إلى تقسيم الدنكا إلى ثلاث شعب :

(شعبة النيل الأبيض وشعبة بحر الجبل وشعبة بحر الغزال) ويعتبر الحديث عن ثقافات الدنكـــا وتـــراثهم حديـــثاً عن الهوية التاريخية لهذه المجموعة . وأهمية ذلك تعود إلى سببين:-

الأول : أن الدنكـــا من أكبر المجموعات العرقية فى السودان على الأطلاق ولم يعـــرف حـــتى الأن أن لهـــا جـــذور فـــى الدول المجاورة للسودان مثل سائر القوميات السودانية الأخرى

الـــثانى: لقـــد دلت كافة الأبحاث والدراسات العرقية والجيوفيزيائية التى قام بها العلمـــاء المتخصصـــون فـــى هذا المجال أن الحضارات التى قامت فى أفريقيا منذ آلاف السنين كانت من صنع الأفارقة السود.

ويشـــكل الدنكـــا عنصـــراً مهاجـــراً أو وافداً إلى السودان من منطقة البحيرات العظمى فى أواسط أفريقيا .

وتنقسم قبيلة الدنكا إلى عدد من البطون الكبيرة ، ولكل قبيلة أسمها الخاص ، فقبيلة يور تحف بها المستنقعات ويبدو أن كلمة بور معناها المغمور بالمياه ، وقبيلة علياب يقال أنها تسمى باسم جعران من الجعارين ، وقبيلة السيك، مسماة بأسم الرمح المقدس وتقدسة القبيلة بالذات وسميت آجار بهذا الأسم الذى يعنى الثور ، وأما قبيلة تورى فمعناها الرعد العاصف .

وأوطان الدنكا عبارة عن أراضى سهلة خالية من أى آثر للجبال أو الكثبان ، ولذلك كان تصريف المياة فيها متعذراً ، وكان سبباً لأنتشار المستنقعات فى فصل المطر ، وتزداد المستنقعات ازديادا هائلا فى الحوض الأدنى من بحر الجبل وحوض بحر الزراف ، ويعقب موسم الأمطار موسم الجفاف الذى تجف فيه الأرض وتتشقق ، ويهرب الدنكاويون من الجفاف المنتشر بموطنهم من شواطىء الأنهار أو المنخفضات التى يبقى بها الماء . وفى السهل الشرقى من بحر الجبل يوجد شريط مرتفع عن مستوى السهول ، ويسمون كل جزء مرتفع عن الأرض بأسم (دولة) وعلى هذه المرتفعات تكثر الأشجار وتتكدس المساكن ، وفى الجزء الجنوبى من موطن الدنكا تنتشر الغابات وبالتالى الحيوانات المختلفة كالأفيال والزراف . وتعيش كل قبيلة فى رقعة من الأرض منفصلة عن العشيرة المجاورة ، والمناخ حار نسبيا رغم سقوط الأمطار التى تبدأ فى بداية شهر ابريل . ولم يشهد التاريخ مملكة لقبيلة الدنكا ، لكل عشيرة عدد من الزعماء . ولقد وصفهم الرحالة (جون باتريل) أن الدنكا قبيلة زنجية كبيرة تقطن شرق النيل الأبيض ، وأقليمهم ليس متصلا حيث يعيش بينهم قبيلة النوير .

والدنكا شعب جذاب ، فلهم جمال معنوى ملحوظ ، اكتشفه الإنسان فى الصور القديمة والتماثيل الأثرية . وتتلخص خصائصهم فى أنهم أهل شجاعة وفروسية ، وأجسامهم غاية فى المرونة ويظهر هذا فى رقصهم ، وتساعدهم سيقانهم الطويلة وخصورهم النحيلة على التفوق فيه .

من هم الدنكا :

* يقال إن الاسم الذى يحمله الدنكا غير حقيقى فقد أطلق عليهم بواسطة؟ الأجانب. فكلمة Dinka فى حقيقة الأمرهى جملة ومعناها يقول ((Deng KA أى (هو، ذا دينق) شيخ المجموعة ، كإجابة عن سؤال محذوف تقديره : أين دينق ؟ شيخ المجموعة ، وأحيانا يقال أنه (دينق كاك -DENG KAK)، (وكاك) هو اسم شيخ

المجوعـة الـتى وجـدت فـى شندى الحالية فى الشمال إذ أن الدينكا هم أول من سكن مناطق مدينة شندى قبل أن تتحول إلى مركز للنخاسة فيما بعد .

والاسـم الذى تطلقه هذه الجماعات على نفسها هو جنج مفردها جانج ، حرفها جيرانهم من العرب إلى دنكا ، والمفرد دنكاوى .

ويقـوم الإنـتاج التقليدى عندهم على اقتصاد مختلط يتكون من الزراعة وتربية الأبقار بالإضافة إلى الصيد .

وهـذه الازدواجـية الاقتصـادية لها ما يبررها فى إطار الظروف والخصائص البيئـية ، ويأتى على رأس هذه العوامل الأمطار التى تعتبر عنصراً بيئيًا أساسيًا ، ولذلك تقسـم السنة وفقا للأمطارإلى موسمين رئيسيين هما موسم المطر وموسم الجفاف . فى فصـل الجفـاف ، أكتوبر حتى مايو ، يقسم الدنكا فى قرى صغيرة قرب النيل ، أما فى فصـل الأمطـار يتجهون نحو القرى المقامة فى المناطق المرتفعة فيلتفون حولها طيلة موسم الأمطار ، وبنهاية موسم الأمطار يعودون إلى مناطق الإقامة النيلية مرة أخرى .

وبالـرغم مـن هذه الازدواجية فإن قوام اقتصاد معظم قبائل الدنكا هو بلا شك اقتناء الماشية وبوجه خاص اقتناء البقر ، فالحرفة الأساسية لديهم الرعى ، وهذا النوع مـن الرعى شبه مستقر ، فهم يرعون فى المناطق الممطرة وإذا جاء الجفاف انتقلوا إ لـى مـناطق أخـرى تكـثر بهـا الأعشاب وللأبقار مكانة كبيرة فى حياتهم الاجتماعية والاقتصـادية. فـبها يقدر الثراء والمكانة الاجتماعية وبها تدفع المهور والدية وبالتالى فهى لها أهمية روحية ، وهذا يجعلهم يتقاتلون من أجل الحصول على الأبقار وكثيراً ما نشـبت الحروب بين فروع قبيلة الدنكا بسببها ، ويعيش الدنكا من أجل الأبقار والثيران يرعونها ويحمونها من شر الأعداء ومن شر البعوض وذباب (تسى تسى) ، وتدور كل أفكـارهم حولها ، وهى تهمهم أكثر من النقود والذهب ، حيث يمكن للإنسان بالحيوانات أن يدفـع كـل شـىء فى الحياة مثل الاحترام ، المرأة ، الآثام ، القتل ، تقوم الحروب والـنزاعات القبلية أساسا بسبب قطعان الجيران ، وهى تجعل الناس يغزون من أجل أن يصـبحوا أغنـياء وسـعداء ومستقلين : ولكنها ليست فقط الأسباب المادية التى تحرك الدنكـا علـى أن يمتلكوا حيوانات كثيرة بقدر الإمكان ، ولكن أيضاً المعتقدات التى تعتبر قـوى غـير واضـحة تتبعـثر بين الأرجل الأربع . وليس نادراً أن تذهب الرابطة بين الحيوان والإنسان أبعد من ذلك ، حيث أن المحارب الصغير يتحد تمامًا مع ثوره المحبب ولـم يجـد الإنسـان أبداً أن هناك أناس يشبهون الدنكاوى الذى يحرس ويعتنى بقطيعه

ويتكلم مع الحيوانات ويحكى لها النكت كما لو كانت أخوته . ومن الممكن أنه حتى ، وهو بعيد عن القطيع أن يفكر فجأة فيها ويضحك كانه يحلم ، ويغنى بشوق ويحيا ذاكرا لها حيث يقول فيها الشعر وبها تحلو حفلات السمر ، وتعتبر الأبقار الشيء الوحيد الذى يحسد عليه المرء ، ولا بد للدنكاوى من الحصول عليها باى طريقة من الطرق وفى الماضى كانت الإغارة والسلب، والنهب هى طرق الحصول عليها.

ولكنهم بدأوا الآن يعملون فى الحكومة أو وظائف أخرى ليتسنى لهم جمع المال ليشتروا به الأبقار من قبيلة البقارة بشمال السودان . ويشعلون النار ليلاً لحرق روث الماشية بهدف طرد البعوض لكى لا يؤذى الماشية . وتربط الحيوانات فى أوتاد من الخشب لتامينها من السرقة ، ولتظل قريبة من موقد النار. ويهتم الدنكا الشماليون بالزراعة فيزرعون البقول بانواعها والذرة الشامية والفول السودانى والسمسم والتبغ ويصدرون الفائض عنهم إلى قبائل الجنوب .

وتعمل قبيلة " السيك وهى فرع من فروع الدنكا باستخراج الحديد من باطن الأرض وصهره وصناعة الرماح والحراب . ، ويصيد الدنكا الأسماك كما يعتبر شعب الدنكا من الصيادين المهرة ولديهم أساليبهم وحيلهم فى صيد الحيوانات البرية مثل الغزلان والوعول . ويصطادون الوعول الكبيرة بكلاب كبيرة مدربة على الصيد ، ولأن الوعول يصعب عليها الجرى فى الأراضى المبتلة ، فإنهم ينتهزون فرصة سقوط الأمطار ويصيدونها ، ويصطادون الفيلة بإلقاء رماح مدببة فى نهايتها أثقال كبيرة ، ويقتسمون سن الفيل بينهم حيث يستغلونه فى عمل حلقات عريضة يلبسونها فى الأذرع

ويقيمون مساكنهم وسط المراعى والمزارع ، والمساكن من الخشب بسقف مسطح وفى المناطق التى تكثر فيها الأمطار ترفع المساكن فوق أعمدة من الخشب ويخصص للنوم وآخر للمعيشة والطعام ، وتكون الأكواخ متباعدة عن بعضها ولكن تتلاصق فى موسم الجفاف حينما يهرعون إلى شواطئ الأنهار . وهم يبنون للماشية أكواخًا أضخم وأعظم مما يبنونه لأنفسهم ويسمونها لواك وجمعها لويك ، ومكانها وسط المزارع فى الوقت الذى تتوافر فيه الحشائش ، أما موسم الجفاف فتنتقل العشيرة إلى جوار الأخوار أو الجداول والأنهار ، وهنا يصنعون لأنفسهم اكواخاً مؤقتة أوينامون فى العراء .

الملابس عندهم ليس لها وظيفة ومن يرتديها يريد أن يخفى عيبًا فى جسمه ، ولذلك ينتشربينهم العرى ، فنجد الدنكاوى عارى من كل شيء إلا من حبات الخرز وقطع

الحديد وسن الفيل المحيط بوسطه وعنقه وذراعيه وساقيه ، وكذلك الفتاة قبل الزواج ، ولكــن بعد زواجها تضع لها أمها قراء (منزرأ) يطرز أطرافه بالودع والخرز وهو يغطى مــا بيــن الوسط والركبة ، عريض من الأمام ويتضاءل عرضه إلى أن ينتهى بما يشبه الذيــل عــند الركبة ويثبت هذا المئزر بسير من الجلد على الوسط . ومن أدوات الزينة ذات المغــزى الرمــزى لدى الدنكاوى ، العقود المصنوعة من الخرز حول الرأس والتى تدل على عدد الأبقار التى يملكها ، فكلما زاد عدد الأبقار زاد عدد العقود التى يلفها حول رأســه ، فــإذا مــا بلغــت عــدداً معيــنا وضع ريشة فوق رأسه ، وهذا معناه أنه من كبار الأغنياء

وبكــل فخــر يلبســون عقودهم العريضة المصنوعة من سن الفيل أو الفضة ، وحلقــات القــدم الرنانة والسلاسل الكثيرة حول المعصم وعلى الذراع وهذه الأشياء هى الوحــيدة الــتى تغطى أجسامهم . وهم يلوحون برماحهم فى أياديهم السوداء بكل خفة ورشــاقة ، وذلك عندما يظهرون مساءاً فى سوق واو من أجل الاجتماعات أو الرقص . ويلــبس الرئــيس فى الاحتفالات أزياء جميلة متعددة الألوان باوشحة عريضة ، ويلبس بعضــهم فــرو الــنمر القصير حول الوسط كاحزمة بجانب شرائط الخرز ومن الملامح الجمالــية لديهم أن يكون جسم الفتاة والفتى ممشوقًا وغير مترهل . ومن الملامح غير الجمالــيهْ ، والمشــيرة للاشمئزاز أن يكون للدنكاوى بطن مترهل . ويقاس جمال الفتاة والفــتى بما يملكان من الحلى والخرز والذى يظهر فى ليلة " النقارة " وهى ليلة راقصة تجتمع فيها العشيرة فى ضوء القمروفيها يرقص الشباب .

ولقد انتشرت الملابس لديهم حاليًا ، ولكن لا يلتزمون بها إلا عند خروجهم من موطنهم ونزولهم إلى المدن .

والتشــليخ أو الوشــم عبارة عن صفين أو ثلاثة من الندوب ، أى فى شكل نقط وهــذه هــى العملــية الأساســية للتكريس عند الدنكا ، ويصحب هذه العملية أن ترسل مجموعــة مــن الصــبية تتراوح أعمارهم بين خمسة عشرة إلى ستة عشرة سنة إلى مــنطقة المستنقعات ليعيشوا هناك نحو شهرفى العراء أو فى حفريحفرونها ، ويحصلون علــى قوتهــم بانفسهم ويتكبدون المشقات ، وعند انتهاء هذه المدة يعودون إلى القرية فــتحلق رؤوسهم ، ويتبرع والد كل فتى بما تجود به نفسه لأبنه ويعطى الأكثرية منهم للابــن ثــوراً .وزورقًــا ورمحًا وحربة للصيد وأخرى لصيد فرس النهر ، وشباكًا لصيد الســمك وحلية يلبسونها على الذراع ، من أسلاك نحاسية أو أسوره مستطيلة . ويتبرع

الأغنـــياء مـــنهم بـــبقرة أو بقرتيـــن ومـــنذ هذه اللحظة يسمح لهم التحدث إلى الفتيات والاشتراك بالتدريج فى بعض المعارك التى تحدث .

وهـــم يكلـــون لحم الأفيال ويعتبرون لحم التمساح وثعبان الأصلة كلحم الأسماك وأيضـــا فـــرس البحر . ويمكن القول أن الدنكا يعتمدون على لحوم تلك الحيوانات كغذاء أساسى لهم بجانب دقيق الذرة الذى يصنعون منه أنواعا كثيرة من الأكلات .

والزواج عندهم اغترابى خارجى وهو عنصر هام جدا ونمط الأسرة هو الأسرة الممـــتدة والمـــرأة المـــتزوجة هى مجموعة حقوق شخصية وحقوق شيئية والذى يجب توضـــيحه أن الـــزواج عـــند الدنكا يستمد أهميته القصوى من كون أن الحقوق الشيئية والشخصـــية المرتبطة به لا يتبادلها الأفراد بقدر ما تتبادلها المجموعات القرابية الختلفة وتبقى الزوجة عادة فى بيت والدها ، حيث تسكن مع عريسها كوخا أعد لهما إلى أن تلد طفـــلاً أو طفليـــن وبعدهـــا تستطيع أن تنتقل إلى عشيرة الزوج وتتخذ لها مسكناً فيه ، وبمجـــرد أن يـــتزوج الشاب يهديه والده قطيعا خاصا به ، ويتخذ العريس اسما لنفسه وهـــو اســـم أشـــهر ثـــيرانه ، وتهدى الأم ابنتها قدرين ومحركين للحساء ، وعدد من الملاعق .

وتخـــتلف قيمة المهرمن قبيلة لأخرى ، فالقبيلة الغنية بماشيتها ، قد يصل فيها المهر إلى خمسين رأس من الماشية أكثرها أبقار ، ومعها أغنام وماعز ، أما عند سكان المســـتنقعات ، حيث المراعى محدودة ، قد لا يزيد على خمسة رؤوس بعضها من البقر والـــبعض ثـــيران ومعها بعض من الماشية الصغيرة ، ماعز وأغنام . كما يقدم العريس زوجـــا مـــن الأســـنة الـــتى تستخدم فى صيد فرس النهر ، ومقداراً كبيراً من السمك ، وقدرين أو ثلاثة من دهن فرس البحر .

أما عند جماعة الحدادين ، فإن المهر يدفع معظمه من أقراص الحديد ، وعنصر الماشـــية مـــنه قلـــيل جـــدا ، وفى الغالب لن يكون فيه بقر ، بل بعض الثيران والماعز والأغنام. وليس من الضرورى أن يدفع المهركله مرة واحدة .

وتعـــدد الزوجات ليس ممنوعًا ولكنه نادر ، والطلاق جائز عندهم ، وسببه فى العـــادة العقم ، ومن أسباب الطلاق أيضًا سوء المعاملة وهروب الزوجة إلى رجل آخر ، ولكـــن لا يعتـــبر الـــزنا جريمة تعاقب عليه الزوجة وعلى الزانى أن يدفع للزوج غرامة تـــتراوح ما بين خمسة أوثمانية رؤوس من الماشية . ورد المهر عند الطلاق يعد أمرا

صـــعبًا ، لأنـه يقسم بين أهل العروس ، وعلى والدها أن يجمعه ثانية من أقاربه ، ولذلك نجد أيضاً أن حالات الطلاق بينهم نادرة .

وفى. حالة الوفاة فإن طريقة دفن الموتى تختلف من عشيرة لأخرى ، وعادة ما يدفـــن الـــرجل خـــارج الكوخ ، ويقوم أخوة المتوفى بحفر القبر على يمين باب الكوخ ويوضـــع الجـــثمان علـــى الجانب الأيمن بحيث تكون اليد اليمنى للمتوفى تحت رأسه . ويبطن القبر بجلود الحيوانات ، كما يغطى الجثمان بالجلد ويوضع فى أذن المتوفى قطعة من جلد الغنم لكيلا يدخل التراب لأذنه ، وتذبح بقرة كقربان للأرواح ، وإذا كان المتوفى امـــرأة فإنهـــا تدفـــن فـــى حفـــرة داخـــل الكوخ بينما يدفن رئيس الماشية فى حظيرة الأبقاروينثرعلى قبره روث المواشى واللبن .

ومن مظاهر الحداد لديهم أنهم يضعون التراب على رؤوسهم ويرفعون أصواتهم بـــالعويل ويظل والد المتوفى وأخواته حول القبرأربعة أيام وإذا كان المتوفى شيخًا تمتد المـــدة إلى ثمانية أيام يمتنعون خلالها عن شرب اللبن والاقتراب من الأبقار وبعد انتهاء فترة الحداد يقومون بالاستحمام وشرب اللبن .

والشـــاب الذى تدركه الوفاة دون أن يتزوج لابد لأخيه أن يتزوج بالنيابة عنه ، قـــبل أن يـــتخذ زوجة لنفسه ، لأن الزواج أمرلا يجوزأن يحرم منه المرء حيًا أو ميتًا ، وتعتبر هذه الزوجة فى عرف المجتمع زوجة الأخ المتوفى ، وينسب الأولاد له . وأيضًا الزوجة التى توفى زرجها تختار بديلاً له من بين أخوته أوأبناء عمومته ، وفى حالة أن تكـــون المـــرأة صغيرة فى السن وللرجل المتوفى أبناء من غيرها يسمح لها بان تختار الولـــد الأكبر لزوجها المتوفى ليقوم بمعاشرتها نيابة عن أبيه وزواج الأرملة لأحد أخوة زوجهـــا أو أبـــناء عمومـــته يعرف بالزواج الليفراتى . أما زواج المرأة من ابن زوجها المـــتوفى والذى هو من غيرها قد عرفه العرب قبل الإسلام . وفى الزواج الليفراتى يتم زواج المـــرأة بعد انقضاء فترة حداد لمدة أربعين يومًا ، وذبح عجل قرباناً وترحمًا على روح الفقـــيد، والإنجـــاب بهـــذه الطر يقة يعتبر للأخ المتوفى تكريماً له حتى بعد وفاته وتخليداً وتأكيداً لاستمرار نسله .

وامـــراض الدنكـــا ليست كثيرة وأكثرها انتشار هو مرض الملاريا ، ونظراً لأن الأهـــالى يعتقدون أن الأرواح هى التى تسبب الأمراض فالوسيلة الوحيدة للعلاج عندهم

هـــى تقديـــم القرابين لروح " دنج ديت) وأرواح أسلافهم طلباً للشفاء ، ومنهم من له قدرة على شفاء المرض بمساعدة أرواح الأسلاف .

وهـــم يحمـــون أنفسهم وأبقارهم من الناموس بدهن أجسامهم بالتراب المخلوط ببول البقر فيضع طبقة عازلة تمنع اقتراب الناموس منهم ومن أبقارهم .

مـــن عـــادات الدنكـــا إعطـــاء المولود الجديد سمن البقر فى أول يوم لولادته ويـــبررون ذلـــك بانـــه تطهير للطفل من دم المخاض ، ومن العادات التى تمارس أيضًا عملـــية خلـــع القواطع السفلية التى تتم عادة لمجموعة من الأولاد فى سن متقاربة فى (العاشـــرة) بحيث يشكلون فئة عمرية ، وهناك عملية فصد العلامات القبلية على جبهة الأولاد ، وعـــادة تـــتم فى سن (الثانية عشرة) ويعد نظام طبقات العمر عند الدنكا نظام سياسى وعسكرى فى المقام الأول .

ولا يدل خلع القواطع عندهم على بلوغ الصبى مرحلة خاصة من العمر ، وذلك بخـــلاف الوشـــم الذى يعمل فى الجبهة ويكون فى سن المراهقة ويدل على بدء مراحل الفتوة والدخول فى أول طبقات العمر .

ومـــن معـــتقداتهم نجدهم يعتقدون فى إله أعظم يملك الكون وينظمه ، ويسمى (تهالـــيك) كما يعتقدون فى إله آخر خاص بالروح ويسمى ا دنجيت) بالإضافة إلى أنهم يقدسون أرواح أسلافهم . ويعتقدون فى الحسد والعين الشريرة.

ومما هو جدير بالذكر الآن أن الدين الإسلامى والمسيحى قد انتشرا بين شعب الدنكا وخاصة بعد اتصال شمال السودان بجنوبه وتيسير المواصلات كما تنتشر الكنائس بمواطـــنهم ولديهم مايسمى (صانع المطر) ، ولعملية إنزال المطر يقوم بإحضار ثور أو بقـــرة ، وبدقـــات الطـــبول القوية ورقص الأولاد والبنات تجرح البقرة أو الثور بالرمح المقـــدس ويســـيل الدم فى إناء يسخن بعد ذلك على النار ، ولابد أن يشرب منه الرجال الكـــبار ذوى المكانـــة فى العشيرة وينادون جدهم الأكبر ويطلبوا منه إنزال المطر . ولا يســـمح لصانع المطر لديهم أن يضعف أو يمرض ، وإنه إذا مرض ، أو ضعف فإن هذا ســـوف يجلـــب مرضاً لا شفاء منه للشعب كله . وعندما يموت صانع المطر يحفرأطفاله القـــبر ويضـــعوه فـــيه ويلـــف الجثمان فى جلد بقرة ويدفن ، على أن لا يلمس الجسد الأرض.

ماذا يحمل المستقبل لقبائل الدنكا : -

لقـد سببت الحرب تمزقا واضحا فى الخدمات الاجتماعية مثل التعليم ، الصحة، أماكن السوق وكل الأنشطة التى تَمت بصلة لاستمرار المرأة .

لقد كان لتطورات مشكلة الشمال / الجنوب دوركبير فى توسيع وتعميق تدهور علاقـات القبائل مع بعضها البعض : ففى عام ١٩٥٥ ظهر أول تعبير عن دخول العنف المسـلح فى السياسة السودانية ، وأصبح الشباب الجنوبى المتعلم ، بشكل خاص ، قوة سياسـية نشطة لها وزنها وتأثيرها ، وفى هذا الإطارتكونت جمعية شباب الدنكا فى كل أنحـاء السودان ، وكان من بين أهدافها توعية جماهير الدنكا بمشاكل السودان الحديث التى تواجههم ، رغم أن السياسة لم تكن مجال اهتمامها الوحيد ، لكنها ظلت تحتل جزءاً هامًـا مـن الـبرنامج الـثقافى الذى وضعته الجمعية لنفسها . وتركز الاهتمام المباشر لأعضائها على تقرير مصير المنطقة .

وهـم يتـنازعون بطريقتين : إما بالعصى أو بالرماح التى هى علامة الرجولة والحرية.

القـتل الذى يعتبر نتيجة إثارة انفعالات يعتبر ضربة موت . وهذا بخلاف الشائع عـن الـثأر ، ولهـذا يجب أن تعاقب مستقبلا بالموت . وبالنسبة لضربة الموت ترسل محكمة الدولة(*) ، الدنكا إلى سجن واو ، كما هو الحال فى كل محافظات الجنوب ، لكى يتعلم حرفة نافعة . أما محكمة العشيرة فإنها تحكم على ضربة الموت بدفع أبقار وثيران للقبيلة المقصودة .

وبخصـوص عـالم السحر فإنهم يتصورون أن القضاء على عالم السحر سوف يحدث توترات وسوف يقود إلى نزاعات كبيرة داخل العشائر وخارجها .

إن الحرب الأهلية الطويلة المرعبة فى السودان تجعل المستقبل بالنسبة لشعوب الدنكا ولكل شخص فى الجنوب غيرمؤكد .

إن طريقـتهم التقلـيدية فـى الحياة تغيرت تمامًا سويت بعض القرى بالأرض واجـبرت المـدارس علـى إغـلاق أبوابها وتوقفت كل أشكال التجارة ثم قتل الآلاف ، والآخرون اضطروا إلى اللجوء إلى مناطق عديدة جنوب السودان .

---

*- هناك محكمة الدولة ومحكمة العشيرة

وأخـذ أطفـال الدنكـا ليصبحوا كعبيد ولم يصبح بمقدور الدنكا دخول كثير من مـناطق الـرعى التقليدية الخاصة بهم . وأصبحت أراضى الجنوب التى هى فى الأصل خصبة ومنتجة أصبحت بالكاد تطعم شعوبها .

وأصـبح هـناك حاجـة عاجلـة لمساعدتهم من المجتمع الدولى لإنهاء الحرب وليسمح للناس فى استمرارهم فى حياتهم التقليدية [١] .

الحرب والجوع يهددان ثقافة الدنكا فى جنوب السودان .

إن الماشية تموت بسبب الجفاف بعد أن دمرت مناطق الرعى وأصبحت الماشية ذات القرون الطويلة والتى هى رمز للثروة والرياسة طبقا للتقاليد الثقافية للدنكا أصبحت تباع من أجل النقود وتذبح من أجل الطعام وتسرق فى عمليات السطو . وكل ذلك بسبب الحـرب الأهلـية المسـتمرة منذ عقود عديدة بين الحكومة فى الشمال والمتمردين فى جـنوب السودان والتى تجعل شعوب الدنكا غير قادرين على العناية بحيواناتهم المحبوبة وتعرض تقاليدهم العريقة للخطر .

ويقولـون أن هذه الحرب نهاية لطريقة الدنكا فى الحياة . ولقد تغيرت الأشياء فـى عشـرات السنين من الحرب بالإضافة إلى سنوات عديدة من الجفاف وما حدث فى خلالهمـا مـن عمليات الإغارة والتفجير ، والذى نراه الآن نتيجة لكل ما حدث فيما عدا (إحـدى عشـر عاما) من الهدوء النسبى بعد اتفاقية السلام المؤقتة عام ١٩٧٢ ، فقد تحطمـت السودان أكبر البلاد الأفريقية جغرافيًا . فمنذ أن استقلت السودان عن أنجلترا وانتهاء الحكم المصرى عام ١٩٥٦ فإن المتمردين الجنوبيين يطالبون بالحكم الذاتى فى الجنوب وعدم تطبيق الشريعة الإسلامية ونصيب من الأموال لأجل التنمية .

والـذى يقلـق الدنكا الآن بالرغم من ذلك أنهم قد لا يستطيعون العودة إلى ما كانوا عليه وإصلاح الإنكسارات الشديدة فى بنائهم الاجتماعى .

وقـد قـاد الجوع بعض أفراد الدنكا إلى ارتكاب جرائم لم تكن موجودة من قبل مثل قتل الماشية لرجل آخرللحصول على الطعام .

---

[1]- معظـم هذه المعلومات أعدت عن طريق منظمة CAFOD عن طريق إيمليا إيفانز Imelia Evans وهى سيدة سودانية تعيش فى بريطانيا ، ١٩٩٨ م.

وكذلــك يفضــل كثــير مــن الآباء أن تبقى بناتهم بلا زواج بسبب أن الأزواج القادريــن علــى دفــع المهـر قليلون للغاية بالرغم من أن المهر التقليدى قد نزل من (١٠٠ رأس) من الماشية إلى حوالى (٣٠ أو ٥٠راس) حتى أن قرار الزواج أصبح ماساة .

ويقــول أحــد القادة للدنكا " فى هذه الأيام عليك أن تختار ما بين أن يكون لك زوجة وليس لك طعام أويكون لك طعام وليس لك زرجة) .

وغالــبًا مــا يحــدث أن يرســل رجــال الدنكا كبار السن ، نساءهم الصغيرات الجميلات إلى سجن الرجال ، حيث أنهم منبع مورد جميل للرجال الكبار.

المراجع العربية

١ - بــول فــاك : نظــرية تاريخــية لثقافات الدنكا (مونجانور) وتراثهم ، فى ثقافات ســودانية ، أغســطس ١٩٥٥ ، المركز السودانى للثقافة والإعلام . مهرجان الثقافات السودانية الأول ٥-١٠ أغسطس ١٩٥٥ م.

٢- توفــيق الحســينى عــبده : الحياة الأجتماعية لقبيلة الدنكا : دراسة أنثروبولوجية إجتماعية ، رسالة مقدمة للدبلوم . جامعة القاهرة . كلية الآداب يناير ١٩٦٥ .

٣- عــباس أحمد : دنكا أعالى النيل . النظم الأجتماعية والتغيرات المرافقة للمد العربى ، دبى ١٩٨٦.

٤- فرنسيس دينق : مشكلة الهوية فى السودان ، أسس التقابل القومى ، ترجمة محمد على جاد من مركز الدراسات السودانية ١٩٧٣ .

المراجع الأجنبية :

1- Jok, Madut Jok: Women Sexuality and Social Behavior in Western Denka, University of Colifarnia , Los Anglos 1996.

2- Seligmann C.G.: Races of Africa, Fourth Edit. Oxford 1966.

الكبابيش

تقع دار الكبابيش فى الجزء الشمالى والشمال الغربى لإقليم كردفان ، فهى تقع ضمن الأقليم الصحراوى أو شبه الصحراوى والذى تنعكس آثاره على السكان وتفرض عليهم كل معانى الحياة القاسية .

ويسود المنطقة أيضا مناخ قاس للغاية ، ويمكن أن يصنف ضمن الأقليم الصحراوى أو شبه الصحراوى مع صيف ممطر وشتاء بارد وتتأثر درجة الحرارة بالجفاف وشبه الجفاف والأمطار هى المؤثر الأول على حياة القبيلة ، فعليها ينبت الزرع وتأكل الأبل وباقى الحيوانات ، لذا ففى السنوات التى تشح فيها الأمطار ويعتمد الكبابيش على المياة الجوفية من خلال عدد من الوديان الموجودة فى الجزء الجنوبى والذى يغمر بالمياة أثناء فصل المطر .

وتنتشر التربة الصحراوية وشبه الصحراوية فى الجزء الشمالى الجاف وتقع القبيلة داخل هذا الجزء ، والتربة الصحراوية تربة رملية أمطارها قليلة ، كذلك تقل فيها المواد العضوية ، وبالتالى تندر الحياة النباتية وهذا ما دفع الكبابيش الى التخلى عن حرفة الزراعة نظرا لتعذر الظروف المناسبة لها واللجوء الى حرفة الرعى بدلا منها رغم أن طبيعة هذه التربة لاتوفر حتى الحشائش التى يمكن للحيوانات العيش عليها .

ويشكل الغطاء النباتى فى منطقة الكبابيش تبعا لمعدل سقوط الأمطار ، ويكاد يتحقق فى هذا النطاق من الأرض شبه الصحراوية النمو العشبى القصير والذى يغطى سطح الأرض فى مجموعات من الصور النباتية الطبيعية المتنوعة فحياة رعاة الأبل من الكبابيش قاسية وتعطى هذه الحياة القاسية الكبابيش كل مظهر من مظاهر التخلف الاقتصادى والاجتماعى .

وتبدو قسوة هذه الظروف فى أوضح صورها فى فصل الجفاف الطويل الذى يتراوح ما بين تسعة أشهر كاملة من أكتوبر حتى يونيو ولقد تجمعت لدى الرعاة من الكبابيش كل الخبرات التى تمخضت عن المعرفة بمواقع العشب ، وتخضع رحلاتهم لنظام دقيق وتعبر عن خطط عملهم لمجابهة قسوة الحياة وتعتبر ضربا من ضروب الأنتقال الفصلى ، ويمثل الأنتقال الفصلى لدى الرعاة وأصحاب القطعان وسيلة مثلى فى مجال الحياة والتغلب على صعوبات طبيعية تهدد كيان الإنسان بقدر ما تهدد حياة القطعان .

ومع هذه الظروف القاسية نجد أن الوحدة القرابية تبدو فى أوضح صورها ولا سيما أن داخل أرض الكبابيش نفسها نجد معظم السكان يمتلكون أماكن للمياة .

والموارد المائية ليست من حق فرد واحد أو أشخاص بعينهم . لكن لكل بيت (ويقصـد بالبيت الجماعة القرابية التى تعيش فى نفس المكان وللبيت شيخ يتخذ زعيما لـه). ولكـل بيت آبارة الخاصة به وهنا يبدو دور الوحدة القرابية الصغرى " البدنة " خاصـة فى أمتلاك تلك الوحدة لموارد مياة خاصة بها مقابل وحدات قرابية أخرى داخل الوحدة القرابية الكبرى " القبيلة " .

وهـذا يعـنى أن أعدادا كبيرة من الكبابيش تتغلب على الظروف البيئية القاسية من خلال تنظيم التنقلات ، ولكل الكبابيش الحق فى الأقتراب من المرعى وأماكن المياة داخـل حـدود وحدتـه القرابية الصغرى فالأرض ملك للحكومة وللرعاة حرية التجوال والانتقال مع الحذر فى الا تتلف حيواناتهم الزراعة الموجودة .

ويعـيش رعاة الأبل فى جمهورية السودان فى أوطان تتجه شرق وغرب النيل وتمـتد هذه الأوطان على محور عام من الشرق إلى الغرب ، وتتمثل فى رعاة الإبل فى غـرب السودان حياة البداوة فى أعمق صورها ، وهم ينتقلون أو يتتبعون هجرة فصلية فى حدود الأوطان الفسيحة فى أثناء فصل أو موسم معين .

ويسكن الأجزاء الشمالية من أقليم كردفان رعاة الثروةالحيوانية (الأبالة) الذين يقومـون بزراعة بعض المحاصيل المطرية لسد حاجاتهم المعيشية إلى جانب الرعى ، بيـنما يسـكن فى الوسط الأجزاء الجنوبية زراع مستقرون ، ولهذا فالنمط الاقتصادى السائد فى هذه المنطقة هو مزارع جافة مع درجات متفاوتة من تربية الحيوانات أكثرها شـيوعا تربـية الأبل نظرا لتذبذب كمية المطر من سنة لأخرى والأبل هى النوع الوحيد الذى يستطيع تحمل الجفاف وقلة المطر والتجوال عبر الصحراء .

ويعـيش فـى دار الكبابـيش ثلاثـة قبائل بدوية رئيسية مع بعض الجماعات الصـغيرة المسـتقرة والقـبائل البدوية تتمثل فى الكبابيش ويمثلون ٥٠% من السكان وتشغل الجزء الشمالى الشرقى من الدار ، أما قبيلة الكواهلة فتشمل حوالى ١٠ % من السكان وتشغل الجزء الجنوبى الشرقى من الدار .

وعلـى المسـتوى الأجـتماعى فالـبدو يمثلون جيوبا متخلفة يمكن أن تعرقل المشـروعات التـنموية وأى فرصـة للأستقرار وقد شكلت الهجرات من دار الكبابيش ولاسـيما فـى السـنوات الأخـيرة أعلـى المعدلات حيث نجد أن أكثر من ٧٠% من

المهاجرين من دار الكبابيش وهى من أكثر المناطق فى نطاق شبه الصحراء التى تأثرت بالظـروف البيئية وزحف الصحراء إلى الداخل ، وأتجهت الهجرات إلى غرب أم درمان وكذلك إلى جنوب كردفان .

القبائل المجاورة لدار الكبابيش :

يجاور دار الكبابيش عدد من القبائل الرعوية ، لكل جماعة منها ذاتيتها الخاصة والـتى تبدو واضحة فى حالات عداوة الدم والمواقف الدفاعية بصفة عامة ، حيث تتحد كل ذاتية عرقية فى مواجهة جماعة أخرى ، لاتنتمى إلى نفس الذاتية العرقية وأن كانت تجاورها فى مكان السكن أى تشغل نفس الحيز الجغرافى.

٣- مظاهر تكيف الكبابيش مع البيئة :

البداوة حرفة لايختارها الانسان بإرادته ، فهى نمط حياة صحب الانسان طويلا، والـتقاء الإنسـان والحـيوان فـى بيئة قاسية فرض عليهما التجوال ، وذلك أن حياة الـتجوال والحـركة هـى الـتى تخلق وتنظم كل التصورات الاجتماعية وتحكم العلاقات الاجتماعية ، وتعطيها قسمة مميزة بين النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

بـيد أن قسـوة الظروف الطبيعية ، وتعارضها بعضها مع بعض كثيرا ما تخفى وراءهـا نوعـا مـن الـتكامل الذى قد يصل فى آخر الأمر الى تحقيق درجة عالية من الـتوازن الايكولوجى تكفى لقيام مجتمع متكامل متماسك الى حد كبير والى أشباع معظم حاجـات أعضـاء المجـتمع بشكل لم يكن ليتيسر لو لم يتوفر ذلك التوازن الأيكولوجى بصـفة واضـحة عـند الكبابـيش الرعاة ، فنجد أن معظم الظروف الطبيعية والعوامل الجغرافية القاسية يمكن أن تقضى على كل فرص لقيام حياة اجتماعية منظمة .

ولقـد أسـتطاع الكبابيش التغلب على صعوبات البيئة وممارسة أنشطة جديدة لاحداث نوع من التوازن والدينامية لم يكن ليتيسر لولا أرادة الكبابيش وحركتهم الدائمة وحسن تخطيطهم للتكيف والتفاعل مع الظروف البيئية القاسية .

ويتكيف الإنسان مع البيئة التى يعيش فيها بطرق كثيرة ، ويوضح التاريخ كيف أن الجماعـات الانسـانية اسـتطاعت أن توجـد مؤسسـات جديدة وتكنولوجيا جديدة وتنظيمات اجتماعية معقدة ، ولقد صاحب التقدم التكنولوجى سيطرة الجماعات الانسانية علـى بيئاتهم وتغييرها فى الغالب وفق رغباتهم . إلا أن هذه القبائل الرعوية تدخل معا فى علاقات قوية تتمثل فى مواسم الرعى وأثناء الترحال .

وتصنف هذه القبائل تبعا لنمط الحياة إلى بداوة كاملة متمثلة فى الكبابيش والهواوير ، أما الكواهلة وبنى جرار والبديرية فهم أنصاف بدو والزغاوة والكاجا والكاتويل والحواقعة قبائل مستقرة نسبيا .

وتشكل قبيلة الكبابيش فى ثلاثة مجالس ريفية هى : ريف سودرى وحجرة الشيخ وحجرة الوز والبعض منهم فى أم بادربالإضافة إلى أعداد كبيرة من قبيلة الكواهلة الذين يتجمعون فى ريف أم بادر .

ويعد تحرك الرعاة نوعا من التكيف للظروف التى تواجههم ، وتصبح الحياة أكثر صعوبة إذا كان الأعتماد الأساسى فيها على الأمطار وكميتها المتساقطة .

ولقد أستطاع الكبابيش التحرك بمهارة لسنوات عديدة مع حيواناتهم عبر آلاف الأميال فى شبه الصحراء وذلك للتغلب على البيئة القاسية وعلى المخاطر التى يتعرضون لها نتيجة التذبذب فى كمية الأمطار .

فالكبابيش كما هو واضح من القبائل الرعوية التى ترجع سبب تحولها إلى نقص وتذبذب كميات المياة من سنة لأخرى ، وهذا التحول والانتقال كأنه أستجابة للظروف البيئية ، ويعد هذا إحدى وظائف النسق الأيكولوجى حفاظا على البناء الأجتماعى ونظرا لظروف البيئة القاسية التى تتعرض لها الكبابيش ، فلقد فرضت تلك الظروف على البدوى سرعة الحركة وعدم الأستسلام ، كما أنعكست الظروف البيئية على شخصية البدوى حيث وجد أن المروءة والشهامة والكرم من أهم السمات التى تميز البدوى .

وتعتبر الأبل عند الكبابيش رمزا للقوة والغنى والتفاخر ووسيلة لأظهار الكرم ، وأرتباط الكبابيش بالابل والقطعان الأخرى من الأغنام والماعز ليس نقديسا لها مثل قبائل الدنكا ، فحياة الكبابيش بالابل وللإبل ، كما أن مركزهم الأجتماعى مستمد من حسن رعاية الأبل والتى تعتبر ثروة تقتنى وكرصيد للأنفاق ، ويعتز الكبابيش بالابل لا للتفاخر بل كوسيلة لسعة العيش ترفع مركز صاحبها لدافع الضرائب تتمتع بنفوذ سياسى. ويذهب فى رحلة الشتاء الشاقة الشباب والرجال وبعض النساء ويتركون كبار السن والأطفال والنساء الحوامل فى بيوتهم الثابتة حول الآبار .

وتكشف حياة المخيمات المتنقلة عن درجة من التعاون لاتتوفر لهم فى الموطن الأصلى على الرغم من التجانس القوى الموجود بين سكان الكبابيش فى بيوتهم الدائمة حول الآبار .

وتعتبر الرحلة التى يقوم بها الكبابيش أطول من أى رحلة أخرى تقوم بها جماعة من رعاة الآبل فى غرب السودان وفى أثناء أستعداد الرجال والشباب لرحلة الشتاء ، تعد النساء لهم الدقيق والبصل والحلبة والكمون والثوم ، وهذه الحاجيات من مستلزمات حياتهم ، فدقيق الذرة يستعمل لعمل العصيدة ، أما الحلبة والكمون والثوم تضاف إلى لبن الأبل ليكون شرابا سائغا يسمى باللبن القاس .

وأثناء الرحلة يخرج الكبابيش ببنادقهم للصيد بحثا عن بقر الوحش وهو صيد ضخم فى حجم البقرة ، فإذا تمكنوا من الصيد قطعوا لحمة شرائح دقيقة وأضافوا إليه الملح وعرضوه للشمس ليجف ، وعند عودتهم إلى ديارهم كان هذا اللحم الجاف أفضل ما يهدى ويأكل الكبابيش هذا اللحم بدون طهى . ونجد أن الكبابيش لا يحتقرون الزراعة أو المهن الأخرى كما هو معروف عن عادات البدو عامة ، فإنهم مع أحترافهم الرعى يقومون بالزراعة لكن فى حدود الظروف البيئية التى فرضت عليهم ، فهم يزرعون فى فصل الخريف (فصل المطر) طالما أن الأمطار متوفرة وغزيرة تسمح لهم بذلك . فليس منهم من لايمارس الزراعة طالما مكنت له الظروف تفاديا لشراء العيش " الذرة " الغذاء الرئيسى فى فصل الصيف نظرا لقلة الألبان .

سبق أن ذكرنا أن الكبابيش يمارسون الصيد ، وهم يعتمدون فى رحلاتهم للصيد على الخيل والكلاب ، وأفضل أوقات الصيد عندهم الأوقات التى ينزلون فيها مكانا جديدا، إذ يكون فيه بكل أنواعه مستقرا هادئا قبل أن تدهمة العائلات بنزولها .

وهم يصيدون بجانب بقر الوحش ، الغزال ، ويبرز دور الكلاب فى عملية الصيد وذلك لأنها تجرى بسرعة وراء الأرانب وهى لاتقتل الفريسة وأنما تكتفى بحجزها حتى يلحق بها البدوى فتتركه له .

ولصيد الغزال وسيلة يجيدها البدو ، فهم يصيدونها بشرك بسيط يصنعونة من القش وسير من الجلد وعود غليظ من الشجر .

وتستخدم البندقية فى صيد الحيوانات المفترسة كالذئاب والضباع فيملأ الصائد بندقيتة بالرصاص ويضعها بين فرعى شجرة ويثبتها جيدا ويجعل لها ساترا من الأغصان ويربط طرفى البندقية بخيط ، والطرف الأخر فى فرع الشجرة خلف البندقية ، وتوضع فى فوهة البندقية قطعة لها رائحة نفاذة تجذب الحيوان إليها من على مسافات

بعـــيدة وحيـــن تحـــاول الفريسة اجتذاب قطعة اللحم تكون قد شدت الخيط وهنا يصيب الحيوان نفسه .

والـــبدو مولعـــون ولعا شديدا بكل الوان الصيد التى يجيدونها وليس مبعث هذا حـــبهم لأكـــل مـــا يصيدونة ، بل لأن الصيد يعتبر متعة فائقة لهم سواء ذهبوا اليه على ظهـــور الخيل فيبدوا وكأنه رياضة ، أم ذهبوا اليه سيرا على الأقدام تتبعهم الكلاب التى مرنت على هذا اللون من الحياة أو حتى على ظهور الجمال .

وللصـــيد تقالـــيد يعرفها كل بدوى وهى واجهه الرعاية ، وأهم هذه التقاليد أن مـــن يصيد صيدا وبالقرب منه أمرأة أو فتاة ، فما يجب أن يذهب به ، بل عليه أن يقدم ما صادة توا الى المرأة أو الفتاة ، وحتى لوجاء عائدا من صيد بعيد على فرس أو جمل يحمـــل عليه ما صادة وقابل فى الطريق أمراة أو فتاة وجب عليه أن ينزل عن جانب من صـــيدة الـــيها أو اليهـــن لو كن جماعة من النساء ، ولا يستطيع أى بدوى مهما كانت حاجـــتة لمـــا صادة أن يتخلى عن هذا التقليد ، ويكون البدوى حسن الحظ إذا كان صيدا وفـــيرا ، إذا أن التقليد لايقتضى منه أن يتخلى عن كل صيدة ، أما إذا صاد حيوانا واحدا فقـــبل أن يصـــل به داره الا إذا كان حسن الحظ ولم تلقة أمرأة أو فتاة فى الطريق الذى سار منه .

ويوضـــح لـــنا هذا التقليد مدى ما يتمتع به البدوى من كرم ومروؤة تميزة عن غـــيره، كذلـــك يعكـــس لنا مدى المشاركة بين هؤلاء البدو فمن يصيد فليس له بمفرده يـــوزع علـــى العائلات الأخرى ، وأيضا أحترام البدوى للمرأة على أعتبار أن لها حقوق عليه ذلك لأنه يقوم بعملية الصيد دونها .

وهـــناك مـــثل شائع يتردد فى البادية يؤكد التقليد الشائع فى الصيد وهو " صيد حضـــرته أمـــرأة " يعـــنى أن كل من لايعنى البت فيه الا بشىء واحد كهذا الصيد الذى تحضـــرة أمرأة إذ لاسبيل الى أنتفاع الصائد به ، وليس له غير تصرف واحد أن تحمله المرأة التى حضرته فهو من نصيبها لا من نصيب الصائد .

ولايعـــود الصيد كنشاط اقتصادى على الكبابيش بعائد مادى ، ولكن الصيد متعة يحبها الكبابيش تعتبر للأكتفاء الذاتى أى ما يصطادونه يؤكل ويوزع كهدايا ولا يباع منه شيئا .

ويصـــيد الكبابــيش كـــل الحـــيوانات التى توفرها لهم البيئة التى يعيشون فيها وجميعها حيوانات برية .

<u>الـــــــرعى :</u>

يعتـــبر الـــرعى الحرفة الرئيسية عند قبيلة الكبابيش بصفة عامة . ورعى الأبل بصـــفة خاصة والكبابيش أكبر رعاة الأبل فى السودان إلى جانب رعى الأغنام والماعز وهذا ما فرضتة البيئة الطبيعية ، وما أتاحتة للمجتمع لكى يتواءم مع ظروفه القاسية .

ويتميز الرعى عند الكبابيش بأنه فى وحدة واحدة ، أى أن كل الجماعة القرابية ترعى معا فى نفس المكان ، وتمتلك مصادر للمياة خاصة بها .

وتتصـــف الأبـــل الـــتى يمتلكونها بأنها من النوع الصغير الحجم ذات الرؤوس الكبيرة ، وخف القدم صغير قد تساعدها هذه الصفات على قطع المسافات الشاسعة عبر الصـــحراء حـــتى حـــدود تشاد فى فصل الشتاء . وتتميز أبل الكبابيش كذلك بأن خفها ملســـاء وتســـمى الأسيل وتلك الصفة تساعدها على المشى فى الرمال فى النطاق شبه الصحراوى.

<u>الـــزراعة :</u>

تـــأتى الزراعة فى المركز الثانى بين الحرف التى يمارسها الكبابيش ، إذ يحتل الـــرعى المركز الأول . ومن خصائص الزراعة فى دار الكبابيش أنها من نوع الزراعة المطـــرية نظرا لعدم توفر موارد مائية سطحية ، وتتميز الزراعة المطرية بعدم إمكانية التحكم فيها .

وقد فرض هذا النوع من الزراعة أنواعا معينة من المحاصيل يتم زراعتها مثل الدخـــن والذرة الرفيعة والبطيخ والسمسم والبامية ويلاحظ أنها محاصيل غذائية الهدف الأساسى منها سد بعض الأحتياجات المحلية ، إذ تعتبر الذرة الغذاء الرئيسى للسكان فى المنطقة ، كما تستخدم عيدان الدخن علفا للحيوانات وبناء الأكواخ .

وتمـــتلك كـــل عائلـــة فـــى دار الكبابيش قطعة أرض خاصة بها ، وذلك لتوفير حاجاتهم المعيشة ، فالأراضى واسعة ، وللعائلات الحق فى أمتلاك ما تشاء من الأرض، بتصـــريح من شيخ البدنة ، ومع ذلك فإن مساحة الأرض لا تمثل فى حد ذاتها أى قيمة طالمـــا أن الأمطـــار لا تتســـاقط ، أى ان الارض ى تعطى عائدا الا اذا توافرت المياه اللازمة للزراعة ولا يستطيع أفراد العائلة الا زراعة الارض التى تم تخصيصها لعائلاتهم

وتعتمد الزراعة فى دار الكبابيش على قدرة الإنسان ، فالكبابيش تقوم بسحب المياة من الآبار التى تكونت بفعل مياة الأمطار ، كذلك من الخزانات السطحية التى أقامتها الحكومة لتخزين أكبر قدر من المياة التى يستطيع بها البدوى الحفاظ على قطعة الأرض التى أستصلحها ، ويقوم البدوى بنزع الحشائش الموجودة فيها وبزراعة الذرة ، ولا يبذل البدوى جهدا فى أستصلاح قطعة كبيرة من الأرض لأنه يعلم تماما بأن ذلك قد لايجدى لأن أحتمال الفشل فى الزراعة قائم وذلك لتذبذب كميات من المطر من سنة لأخرى وعليه أستصلاح قطعة صغيرة من الأرض تكفى لسد احتياجاته المعيشية .

ويستخدم البدوى أدواتا بسيطة فى الزراعة مثل الساقية والشادوف وهى كل ما تتيحه له البيئة البدوية ، فالساقية تتناسب مع وجود الحيوانات ، والشادوف يسحب به الماء من الآبار .

ورغم أن الرعى يعطى مكانة اجتماعية كبيرة لأصحاب القطعان ، ويمكن أرجاع ذلك الى طبيعة المجتمع البدوى ، إلا أن حكومة السودان تسعى إلى التوسع فى مساحة الأراضى الزراعية ، وذلك للعمل على توطين البدو الرحل فى منطقة الكبابيش ، ومع ذلك فإن المستغل من الأراضى فى الزراعة لازال يشكل مساحة ضئيلة جدا من مساحة المنطقة .

<u>الملكية عند الكبابيش :</u>

تشمل الملكية فى مجتمع الكبابيش ملكية المراعى ، وملكية الآبار ، أما الأراضى الزراعية فهى شاسعة وكثيرة وتتحكم فيها كمية الأمطار .

ملكية المراعى وهى ملكية خاصة ، فكل بدنة لها المراعى الخاصة بالعائلات المكونة لها ، والتى تأكل منها كل حيواناتها ، وهذه المراعى تنزلها العائلات بحيواناتهم حسب فصول السنة ، وتشكل لجنة مختارة من القبيلة لتنظيم شئون المرعى وتحديد ملكية الآبار .

<u>ملكية الآبار :</u>

نجد أن هناك آبار خاصة بالقبيلة كلها أقامتها الحكومة فى دار الكبابيش وللجميع الحق فى أستخدامها . آما الأبار التى تخص العائلات فلا يمكن أن تستغل إلا من قبل أعضائها .

وتنتقل الملكية إما بالميراث أو بالهبات .

<u>تقسيم العمل :</u>

يقـوم تقسيم العمل فى دار الكبابيش على أساس تعاون أفراد الأسرة فى الحياة المعيشية وفى مواجهه الظروف البيئية القاسية التى يتعرضون لها بأستمرار .

ويشير تقسيم العمل على الجنس والسن إلى نقطتين هامتين :

١ - إرتباط كل من الرجل والمرأة بالظروف الطبيعية السائدة لديهم .

٢ - تخصـص كـلا الجنسـين فى مجالات معينة من النشاط الاقتصادى من خلال تنسـيق واضـح يتفق مع طبيعة كل منهما فتقوم المرأة بغزل ونسج الصوف لعمل أسقف وجوانب الخيام ، وزخرفة وتجميل الخيمة .

كما تقوم بعمل الزبد وعمل السمن وبيعه وتقوم بإعداد الطعام وعمل الشاى ، وجلب المـياه اللازمة للأستهلاك المنزلى ، وأغصان الأشجار لأشعال النار . ويساعدها فى ذلك كـل أبنائها الإناث والذكور ومهمة الرجل الأساسية هى العناية الفائقة بالحيوانات ، وهو الـذى يقـوم بحفـر الآبار لكى تشرب الحيوانات والعائلة كذلك رعى القطعان من الأبل والأغـنام والماعز والبحث عن الأعشاب الخضراء والحيوانات المفقودة . ومن مسئولية الرجل أيضا مبيت الحيوانات كل مساء ، بالاضافة إلى الأعمال البسيطة مثل عمل الحبال وقرب المياه وقيود الأبل وسروج الحيوانات .

ويتحدث الكبابيش بافتخار عن نسائهم وقوة أحتمالهم للأعمال الشاقة .

التبـــــادل :

يقوم التبادل فى دار الكبابيش بوظيفتين أحداهما إقتصادية والأخرى أجتماعية .

ويظهـر التـبادل بمعناه الأقتصادى من خلال التبادل التجارى وهو تبادل سلعة بأخـرى ، والسوق هو مكان هذا النوع من التبادل بجانب بيع وشراء السلع الضرورية للحـياة المعيشية ولقد نشطت التجارة فى دار الكبابيش ، وأصبح من السهل على التجار الإنتشار نتيجة التوسع فى وسائل النقل وانتشار السكك الحديدية .

والـنقود عـند الكبابيش ليست لها قيمة فى حد ذاتها ، ولا أهمية لها كثروة أو رأس مال أو حتى أستثمار ، فهى فقط وسيط فى عملية التبادل .

وتتمـثل الوظيفة الاجتماعية للتبادل فى دار الكبابيش فى المهر ، فعند الزواج ، يعلـن عـنه فـى الأسواق وهنا تسارع كل العائلات بمساعدة العريس فى دفع المهر ، ويعلـن فى الحقل مقدار ما دفع من نقود أو حيوانات وعلى المهدى إليه رد هذه الهدايا ويعتبر ذلك التزاما إجتماعيا . والتبادل يحقق هنا وظيفة اجتماعية ويلعب دورا كبيرا فى تقوية الروابط بين أطرافة .

ويسير التبادل عند قبيلة الكبابيش طبقا للروابط والعلاقات القوية بين أطراف التبادل.

العائلة :

نجد أن الأسرة النواة هى النمط السائد عند الكبابيش ، حيث يقيم الأب ، والأم والأبناء غير المتزوجين معا فى خيمة واحدة ويتكون مجتمع الكبابيش من ستة عشر بدنة تتكون كل منها من عدد من العائلات تنتسب إلى نفس البدنة ، فهم جميعا ينحدرون من جد واحد .

والشكل الشائع عند القبيلة هو الأنتساب فى خط واحد هو خط الأب ، ويعتبر زواج الأقارب فى خط الأب وبين أبناء العمومة هو السمة الشائعة لدى الكبابيش .

ومازالو يفضلون زواج الأقارب وخاصة أبناء العمومة . ولا يعرف الكبابيش نظام الخطبه ، ويقومون بعقد القران مباشرة وإذا تعذر الارتباط بابناء العمومة ، فيمكن الزواج من بدنة أخرى من نفس القبيلة ، وذلك للمحافظة على الرابطة القبلية . ويتم الأتفاق لاتمام الزواج عن طريق الآباء أو الأعمام ، وليس للنساء أى دور فى عملية الأتفاق المبدئى للزواج وتتحدد قيمة المهر تبعا للمكانة الاجتماعية التى يتمتع بها كل من طرفى الزواج وفى هذه الحالة يطلب عدد كبير من الأبل . وعند الفقراء يطلب مقدار من النقود أو ما يعادله من الأغنام أو الأبل.

وعقد القران عند الكبابيش هو الشكل الشرعى الوحيد والرئيسى للتعبير عن أن الزواج قد تم بالفعل ، وبعد عقد القران تذبح الذبائح .

ويبدأ تجهيز بيت الزوجية وهو عبارة عن خيمة صغيرة مربعة من الدمور الأبيض تعمل خصيصا للعروسين . وتنتشر ظاهرة الطلاق بكثرة ويتوقع حدوثها كثيرا وبحرية شديدة وأسباب الطلاق :

- إذا ضرب الزوج زوجتة وتركته إلى منزل أبيها .
- إذا لم تنجب أطفالا
- إذا أرتكبت الزوجة جريمة الزنا

عندما تلد المرأة لديهم ، يقوم أعضاء بدنتها بالتجمع فى خيمة والدها وتقوم النساء بعمل العصيدة وتقديمها إليها كذلك بعض الطيور المنزلية ، ويحتفل بتسمية المولود فى اليوم السابع ويقوم والد الطفل بذبح خروف فى يوم سمايته وتؤخذ من

عظامه ما يسمى بالعلق وهى عبارة عن سيقان الخروف الأربع وعظمة الكتف ثم تثقب جميعا في رفق تام، وتنظم فى خيط واحد ثم تعلق عند رأس الطفل .

ويذهب والد المولود الى شجرة معينة فى المنطقة تعرف بشجرة " اللعوت " ويقطع أعواد يصنع منها عصا رقيقة ، ويتم ثنى بعضها على هيئة دوائر ويترك البعض مستقيم ويربط كل هذا ويعلق فى الخيمة بجوار رأس المرأة التى أنجبت الطفل ، ويظل كل هذا معلق أربعين يوما بعد الولادة ويتم تعليق هذا فى حضور أعضاء الجماعة ، والغرض منه منع العين الشريرة عن الأم والطفل وتجنب دخول الأرواح الخبيثة إلى الخيمة حتى خروج الأم من البيت بعد اليوم الأربعين .

حفل الختان :

يعنى بالختان دخول الطفل مباشرة إلى طبقة عمرية معينة ، إذ يقوم الطفل بعدها بما يقوم به الرجل ، فيقام أحتفالا كبيراً بهذه المناسبة التى تكون فى حوالى السابعة من عمر الطفل ، وتذبح بعض الأبل وتعد الوان من شراب المريسة ويشارك جميع الأعضاء فى هذا الإحتفال . ويلبس الطفل ثوبا أبيضا وقميص ناصع البياض ويمتطى ظهر جواد ، ويحيط بمعصمه عظام السمك والخرزة الخضراء لكى تحميه من العين الشريرة .

الوفاة :

ليس للبدو مقابر لدفن الموتى ، لأنهم قوم رحل لهم فى كل وقت مستقر جديد فى الصحراء الواسعة ، ومن مراسم الدفن وضع الميت فى خرج من القماش ناحيته الأخرى بها كومة من التراب ، وللبدو حكمة فى ذلك ، فالميت من تراب وسيعود اليه .

ويذبح أهل المتوفى بعض الأغنام أو الإبل ، وفقا لمكانة المتوفى ولقد كان للجفاف فى السنوات الأخيرة نتائج سلبية على النشاط الزراعى ، فحدوث الجفاف الشديد وزحف الصحراء إلى الداخل ساعدت على إزالة الغطاء النباتى والشجرى وأدى قلة سقوط الأمطار أو أنعدامها إلى قلة المياة السطحية .

كما أدى الضغط الشديد على المرعى فى السنوات التى سبقت الجفاف نتيجة لعدم التوازن بين حجم المرعى والطاقة الاستيعابية من عدد الحيوانات ، فلقد زادت أعداد القطعان عند الكبابيش . فكانت هذه الزيادة تفوق بكثير ما تتيحه البيئة للبدوى من أمكانيات يستطيع بها مقابلة هذه الزيادة الكبيرة فى عدد الحيوانات وزاد الوضع سوءا

بسبب عدم سقوط الأمطار وأدى ذلك إلى القضاء على المرعى والثروة الحيوانية وباختفاء المرعى والإنتاج الزراعى ، أدى هذا إلى أنخفاض كبير فى أسعار الماشية وأرتفاع كبير فى أسعار الحبوب الغذائية وخاصة الذرة التى تعتبر غذاءا رئيسيا للكبابيش وغيرهم ، وكان نتاج ذلك التخلص من الحيوانات التى يملكها السكان حتى يتمكنوا من شراء احتياجاتهم من الذرة . وعلى هذا الأساس بدأت هجرة السكان من المنطقة نظرا لقسوتها الشديدة ، وعدم ملاءمتها للمعيشة ، وكانت الهجرات تتجة إلى كل من جنوب كردفان بحثا عن الماء والكلأ والذرة وهاجرت أعداد كبيرة من البدو إلى المدن الكبرى خاصة الأبيض وأم درمان والخرطوم بحثا عن فرص العمل تاركين أسرهم خلفهم مما أدى إلى تواجد مشكلات اجتماعية خطيرة ممثلة فى التفكك الأسرى وضعف الطاقة الإنتاجية للأسرة فى مجال الإنتاج الزراعى وتربية الحيوانات .

هذا ويوضح فداحة ما يتعرض له الكبابيش من تدهور وفناء لعدد هائل من حيواناتهم ، وما نتج عنه من تدهور عام فى مستوى المعيشة وبالتالى تدهور الأحوال الصحية .

ولقد أصبحت منطقة كردفان منطقة طرد للسكان ، وأتضحت ذاتية الكبابيش العرقية من خلال تركزهم فى بعض المعسكرات وأختلفت نسبة تركزهم من معسكر لأخر

ولقد تحول الكبابيش تحولا كبيرا من مجتمع رعوى قوامه الثروة الحيوانية والترحال الدائم على مدار السنة إلى القيام ببعض الأعمال التى لم يألفوها سواء كانت تلك الأعمال تتصل ببعض الخدمات الحكومية أو حراسة البيوت أو العمل فى كمائن الطوب المنتشرة فى أجزاء المنطقة ، ومع أنتشار البطالة والكساد الذى ساد سوق العمل فى المنطقة ، يشكل هؤلاء البدو عبئا على الوضع الأقتصادى فى المنطقة ، فلم يكن هناك دخل ثابت ولم تعد العائلة هى الوحدة الاقتصادية وظهرت الفردية التى قضت على الشعور بروح الجماعة بين النازحين .

وتقوم المرأة بجمع روث الماشية والقمامة من الطريق المؤدى إلى سوق أم درمان وبيعها لعربات القمامة بمبالغ زهيدة جدا لا تكفى لشىء .

وأصبح الرجل يشكل عبئا على الأسرة لأنتشار البطالة وعدم تمكن كثير من الرجال من إيجاد فرصة عمل تمكنه من خلالها من توفير ما يلزم الأسرة .

لقد أصبحت النقود ذات قيمة كوسيلة أساسية لتوفير ما يلزم البدوى .

ولقد تضاءل دور القرابة وأختفى معه الزواج الداخلى ، ولم يعد مقياس الزواج عـندهم المحافظة على نقاء الأنساب وعدم إختلاطها ، ولكن المقياس الحقيقى هو مدى توفر النقد عند الزوج الجديد .

ولقـد أنكمشـت ظاهرة الطلاق بصورة واضحة فى المعسكرات ونظرا لاختلاط النسـاء بمجـتمع المدينة وبسوق العمل فقدت أهم قيمة تتمتع بها المرأة البدوية وهى الخجل فى مخاطبة الرجال . وذلك لاتساع نطاق التعامل بين المرأة والرجل .

لـذا فقـد فقـد البناء القرابى عند الكبابيش النازحين كل خصائصه التقليدية ، وأصـبح مجـتمعا مفككـا متأثرا إلى حد كبير بمجتمع المدينة وبالظروف السائدة فى المعسـكرات مـع أنتشار روح الفردية والأستقلالية وعدم الشعور بالانتماء للجماعة القرابـية . ومـن الأسباب التى أدت بالكبابيش ترك ديارهم الأصلية فى شمال كردفان والهجـرة إلى منطقة المعسكرات فى غرب أم درمان هى عدم أستطاعة القيادات المحلية حـل المشـاكل الـتى تعرض لها السكان والأعتقاد فى أن الأحتفال المباشر بالحكومة سيضـعهم فى أولوية الحلول ، لذا فقد تضاءل دور الشيخ عند هؤلاء السكان ، وبالتالى فقـدت السلطة المحلية كل مقوماتها كسلطة لحل المشاكل ومساعدة البدو على مواجهة الأخطار التى تعرضوا لها بعد الجفاف.

ولقـد ظهـرت الآثـار السـيئة للنازحين فى المدن حيث أنتشرت بكثرة جرائم السـرقات والنهـب والتسـول ، كذلك إنتشرت جرائم القتل بسبب السرقة وعدم وجود ضوابط ، فقد إختفت عند هؤلاء النازحين كل أساليب الضبط الأجتماعى .

المراجع العربية :

١- إدارة التخطـيط : إقلـيم كردفان ، التصحر والجفاف فى شمال غرب كردفان ، سودرى ، وزارة المالية والاقتصاد ١٩٨٥ .

٢- صـلاح الدين على الشامى ، أرض الجزو فى غرب السودان ، قيمتها كمنطقة من مناطق الرعى الشتوى وهجرة رعاة الأبل الفصلية ، حوليات كلية الآداب ، م ٢٤ ، ج ١ ، جامعة القاهرة ١٩٦٢ .

٣- كمال الدسوقى : دراسات فى المجتمع السودانى ، ط ١ ، جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ١٩٧٣ .

٤- محمــد إبراهيم أرباب ، جغرافية السكن فى مديرية كردفان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٦ .
٥- محى الدين صابر ، لويس كامل مليكة : البدو والبداوة ، سرس الليان ١٩٦٦
.

المراجع الأجنبية :

1- Arad, T. The Kababish Arabs Power Authority and Consent in Nomadic Tribe, C. Hurst and Company, London 1970
2- Arad, T.: The Seasonal Movement af the Kababish Arabs of Northern Kordofan, Sudan Notes and Records, No. 45, 1964
3- Faheil , Ibrahim: The Nahas of The Kababish, Sudan Notes and Records, Vop. XI, 1929
4- Hamilton, J. A.: Angola Egyptian Sudan The Nomad Arab Comel Breading Tribes of The Sudan Faber, London 1935
5- Idris, Laila N.: Environmental Refugees the Case of Environmental Refugees from Northern Kordofan to Omdurman, Asocio- Economic Study AThesis Submitted in Partial Fulfil ment for B. Sc. Degree in Environmental Studies, Univ. of Khartoum 1985.
6- Seligman, C.C.: and Brenda Z., Seligman: The Kababish, A Sudan Arab Tride, Varia Africana, Vol. !!, 1920
7- Sudan Low Journal and Reports: Back ground and History Recent Relation between The Kababish and Meidob, The Judiciusy, Khartoum, October 1964.
8- Verity, Paul: The Kababish Nomads of Northern Sudan, Shelter in Africa, Poul Oliver, New York 1971

الزراعة البدائية

أن كـــل الشعوب التى تعيش فى الغابات الأستوائية الأفريقية والتى تحتل حوض الكـــنغو واراضى ساحل غينيا يمارسون الزراعة ، وهم يعتمدون أساسا على المحاصيل الزراعــية وليس على الالتقاط والجمع من الغابات والتى تمثل نسبة بسيطة فى غذائهم وهــم يــزرعون المحاصــيل الدرنية ولكن تكثر زراعة الحبوب والموز ، وتقوم معظم الزراعة على أكتاف النساء ومع ذلك نجد أن الرجال زراع مهرة .

وتعتبر اليوروبا أكبر قبيلة بدائية تمارس الزراعة اليدوية فى هذه المنطقة وقد حققــوا الكثــير مــن بين زنوج الغابات الافريقية .وهم يحتلون الجزء الأكبر من جنوب غــرب نيجــيريا وتقــدر أراضيهم بحوالى أربعين الف ميل مربع تمتد من ساحل غينيا غرب دلتا النيجر الى عدة أميال فى النيجر الأوسط .

ويعتــبر شعب اليوروبا بصفة عامة زنوج غرب أفريقيا الاصليين وهم يتميزون بطــول الأرجــل والبنيان العضلى القوى ولونهم المميز هو البنى المائل الى الشيكولاتة والشــعر المفلفل الذى يقصونه باستمرار والجبهة ضيقة وعالية وبارزة والانف مفلطح وفــتحاته واسعة جدا وسميكة ، ولهم شفاة مقلوبة ، والذقن ضيق ومتراجع ولكن نجد مــع ذلــك بعــض الأفــراد ذوى البنيان الهزيل والملامح الدقيقة وتحيط مدنهم وقراهم المناطق التى نظفت من الغابات .

وتبنى المساكن على شكل مستطيل وذات أسطح جملونية .[١] وأرتفاع الجدران مــن ٤ الــى ٨ اقدام وهى تبنى من الطين ومكونة من عدة طبقات متتالية ترص كل مــنها وهــى مبتلة ثم تترك لتجف بواسطة أشعة الشمس بعد ذلك تضاف الطبقة الثانية وهكــذا يــتكون السقف من القش وأوراق الشجر ويدعم بواسطة عواميد طويلة وتمتد حافــة هــذا السقف بعيدا عن الحائط ليغطى الشرفة الواسعة الممتدة أمامة ، ويستعمل الــيوروبا الحشــانش والقش فى بناء الاسطح ويبنوا حواف معلقة فرندات حتى تحمى الجدران من التهشم والتفكك فى وقت المطر *

---

[1]- الجملــون : الجــزء الاعلى من سطح المنزل على شكل مثلث أى يتكون من جدارين بسطحين منحدرين

*- مقالة للدكتورة سعاد شعبان ، معهد الدراسات الأفريقية

وتبــنى مــنازل العائلات التى تربطها صلة قرابة عادة فى مجموعات متتالية قد تــتكون مــن أربع منازل أو أكثر على شكل مربع ويكون لها مدخل واحد فقط . وبداخل المــنازل توجد مصطبات وأسرة من الطين وتغطى بالجلد وتعلق على الجدران الأوانى والأســلحة أمــا الأوانـــى التى يخزن فيها الطعام فتعلق فى السقف وهم لايعملون فى المــنزل فــتحة فــوق موضــع أشتعال النار ويتركون ماء المطر الذى ينساب من فوق الأسطح المائلة للمنزل يتجمع فى الأماكن المحيطة بكل تجمع سكنى ثم يخزنونه فى آنية فخاريــة كبــيرة حيث يستعمل بعد ذلك فى الأغراض المنزلية ويبنى فى كل تجمع فناء خاص محاط بسور مدهون بالزيت ويكون شديد الانحدار لكى تتجمع فيه المياه .

وتحــاط كــل القرى والمدن الكبيرة بسور وخندق خارجى ويكون ذلك على بعد مسافة من المجموعات السكنية ، ويوجد خلفهم غالبا نطاق من الغابات وهى تقلل خطر هجــوم الغــزاة المفاجىء للقرية وقت الحرب ، وهى مزودة ببوابات خشبية ضخمة فى نقــط يمكــن الوصول إليها ويتولى امر العناية بها رئيس مسئول عن صيانتها وحمايتها وايضــا عــن جمــع رسوم المرور الواجب دفعها عند مرور التجار والتى تدفع بعد ذلك لرؤساء مختلف أركان المدينة .

<u>اليوروبا</u>

فى اليوروبا نجد أن الزراعة تقوم على أكتاف الرجال ويستخدمون من الأدوات الزراعــية قضــبان معدنية ومعازق حديدية كبيرة ذات نصول ، ولها مقابض مجوفة فى القــاعدة حيــث يوضــع فــيها قطعة صغيرة من الخشب تثبت بزاوية حادة ويستعملها الــرجال بمهــارة فــى تقليب التربة الى أعماق كبيرة ، أما طريقتهم فى الزراعة فهى : تقطــيع الأشجار والاغصان اثناء آخر فترة المطر وفترة الجفاف القصيرة ، وفى بعض الأماكن تحرق الحشائش فى فصل الجفاف ويفلحون الأرض الصالحة للزراعة مرتين فى خمس أو ست سنوات تتخللها فترات راحة لمدة سنتين أو ثلاث وبعدها تترك الأرض ولا تستعمل للزراعة لمدة عشرين سنة أخرى .

ومن أنواع الحبوب الغذائية التى تزرع :

<u>الــيـــــام</u> : (نوع من البطاطا) وهو الغذاء الرئيسى فى جميع انحاء المنطقة ويهتم الجمــيع بزراعــته . ورؤوس اليام الناضجة تخزن لأجل الزراعة وتوضع فى أكوام دائرية مفلطحة على التربة المعدة والتى أرتفاعها قدم وعرضها قدمان .

الـــذرة : يقع عادة فى مرتبة ثانية من المحاصيل الزراعية .

الدخـــن : كـان ومازال أهم محصول للحبوب بالرغم من عدم كفايته وكفاية الامطار اللازمة له

ويعتـبر المـوز من المحاصيل الغذائية الهامة ، والأرز معروف ولكن زراعته قليلة وهناك أيضا بعض المحاصيل التى تزرع بكميات قليلة مثل الفول والبازلاء .

وتعـد أكوام اليام بحرص من تربة دقيقة الحبيبات (وهى تربة يقوم الفلاحون بسـحقها أوطحـنها) ويحمونها بواسطة التبن لتقليل عملية البخر ويتعاونون فى أعداد الأرض نظرا لان تنظيفها يتطّلب مجهودا كبيرا .

وعـندما يسـقط المطر لأول مرة فى فصل المطر يزرع اليام المبكر ، ثم يزرع الدخـن أثـناء المطر الشديد وكذلك الذرة والقرع ، وفترة المطر هذه تستمر شهرين ، وفى أثناء فصل الجفاف القصير الذى يستمر حوالى شهر يطحن اليام ويكون هذا موعد حصـاد الـذرة والدخـن والجوز الذى ينمو فى الشمال وعند توقع الأمطار الاخيرة فى شهور الرياح (سبتمبر وأكتوبر) تبذر المحاصيل مرة ثانية وتحصد فى ديسمبر .

ويخـزن محصول اليام عادة فى الحقول لحين أستعماله ولذلك يجب حفظه فى أوعـية تمـنع تسرب الماء وتبعد كل درنة عن الأخرى ، أما الذرة والدخن فهى تخزن عـادة علـى أسطح المنازل فى مواضع تعلو المنازل لكى تحميها من الحرارة والدخان المتصاعد ملكية الأرض عند اليوروبا :

تعتـبر الأرض أصـلا ملكـا للزعيم أو الرئيس ، ولكن فى الواقع أن الشخص الـذى يستغل قطعة أرض له الحق فى أستمرار أستخدامها بدون منازع ، ويمكن للغريب أن يستغل الأرض بالاكراة ، ولكن الأرض لايمكن أن تباع ابدا ولديهم اعتقاد بان أرواح الاسلاف توجد فى المزارع وهم يعطونها اهتماما خاصا .

هـذا نوع من التملك ، وهناك وضع آخر للتملك وهو ملكية الأرض بوضع اليد وهـذا يخول له الأستمرار فى أستخدامها ، ما دامت الارض قد زرعت وأقيمت الأشجار وبنيت الجدران ، فلا يستطيع كبير الأسرة أو رئيس القرية أو حاكم القبيلة أن يطرد أى شخص من أرض يستعملها .

هـذا وبالـرغم مـن تعـدد وكثرة المحاصيل الزراعية عند اليوروبا ، الا أنهم لايسـتعينون بالوسـائل الـتى تكفل لهم أتمام استغلال منتجاتهم الزراعية ، ومنها زيت

النخـــيل والنبيذ ، وهم يحصلون على هذه المواد من أشجار الغابات البرية ، حيث يجمع الرجال ثمار زيت النخيل . وهذا العمل يعتبر من الأعمال البطيئة الشاقة والمرهقة وذلك لأن أرتفاع هذا النوع من النخيل يزيد عن ٥٠ قدم ، وهى مبعثرة بدون نظام فى الغابات الكثـيفة وهــذا النخيل يستثنى من الحرق عند تنظيف الأرض وهو ملك الأفراد أو فى بساتين يمتلكها الأفراد .

وتقــوم النســـاء باستخراج الزيت من الثمرة بغليها بعد إزالة اللحاء الخشب ثم تكبس ويعاد غليها عدة مرات حتى تستخلص منها أكبر كمية من الزيت .

ويستعمل زيت النخيل فى تحضير معظم اكلاتهم وكذلك الاضاءة حيث يحرق فى آنية من الفخار .

وهــن يصـــنعن أيضا النبيذ بتبخر عصارة نخيل الرافية ، ويجمعن عصارة هذه الأشجار بوضع القرع أسفل الشقوق لتجميع العصارة .

أمـــا الحـــيوانات ، فنجد أن الماشية لديهم لها قيمة اقتصادية قليلة ، والخنازير الألـــيفة قلـــيلة ولا تؤكـــل . وهـــم يمتلكون سلالة رديئة من الماعز وهو النوع الأسود الصغير .

كما يربون الدجاج لكى يقدمونها اضاحى ولكنهم يأكلونها أيضا وكذلك البيض . واليوروبا يحتفظون بالنخيل ولكنهم يستعملونها فقط فى الاغراض البحرية .

وبالنســـبة للصـــيد فانـــه نـــادر جدا عند اليوروبا ، وذلك نتيجة لنشاط فلاحى الـــيوروبا المســـتمر ، وقرب الأراضى من مناطق السكن مما يجعل فرصة الصيد قليلة ويقـــوم بالصـــيد بعـــض المتخصصين الذين يمارسون بجانب الصيد اعمال بسيطة وهم يحصـــلون على المنتجات الأخرى عن طريق المقايضة . ويكونون طوائف مستقلة يعمل أعضـــائها تحـــت إشـــراف رئـــيس يخطط لحملات الصيد ، ويحترمه ويطيعه الجميع ، ويعيشون فى بعض الاحيان فى قرى ومجتمعات منفصلة ويتزاوجون من بعضهم .

ويعتـــبر صـــيد الســـمك ايضا من الحرف المتخصصة وهى منتشرة على طول الأنهـــار ، وصيادى السمك يتبادلون به المنتجات الزراعية وسكان القرى التى تقع على الأنهـــار لهم الحق فى الحصول على جزء معين من الصيد ويكون الصيد تحت إشرافهم ولزعيم القرية نصيب مما يصطاده أى شخص .

يعتبر شعب اليوروبا من الزراع المستقرين الذين يمارسون بمهارة الزراعة اليدوية مع أعمال التجارة والصناعة .

البولوكي :

تقع أراضى البولوكى فى مركز الجزء المرتفع من حوض الكونغو ، حوالى ١٢ ألف قدم فوق سطح البحر . يتركز السكان فى عدد من القرى المستقرة المتجاورة وهى ذات أحجام مختلفة تتراوح بين قرية صغيرة تحتوى على عائلتين أو ثلاث الى مناطق بها بضع الآف ولكل قرية أراضيها التى تحيطها ولها حدودها المعروفة .

وتقوم النساء بزراعة الخضروات اللازمة للغذاء حيث أن عبىء الزراعة يقوم على أكتافهن .

ويقوم الرجال بقطع الأشجار الكثيفة بفأس حديدية ، كما أنهم قد يساعدون فى الأعمال الرئيسية عند توقع سقوط أمطار غزيرة .

وإلى جانب الزراعة هناك نباتات برية كثيرة مثل جوز الكولا وزيت النخيل وكثير من أنواع الفاكهة وهى تجمع من الغابات .

ويقوم الرجال بالصيد وصيد الأسماك ، فهم الذين يزودون أسرهم باللحوم والاسماك وهم يصيدون الافيال والجاموس البرى وخنازير الأدغال ، ولكن الفيضانات تقضى على الكثير منها .

واما الحيوانات الأليفة فهى ضعيفة وقليلة مثل الماعز والأغنام ولا تزودهم الا بكميات قليلة من اللحم .

ومن الحرف التى يتوارثها الابناء عن الأباء الحدادة و النجارة وصنع القوارب وهؤلاء الحرفيون يعتبرون من الطبقات الغنية ، كما أن الحداد له إجلال واحترام وهو يمارس سحرا خاصا وناره لها قدسيتها .

وتصنع النساء الأنية الفخارية والسلال والحصر ، وباقى الأوعية تصنع بواسطة الافراد للأستخدام الشخصى ، أما صناعة الملابس والشباك والحراب والمصائد فيقوم بها الرجال كما يدبغون الجلود أيضا .

مما سبق يتضح أن الزراعة اليدوية هى أساس الاقتصاد عند كل من اليوروبا والبولوكى ، كما يقوم الرجال بالعمل الشاق فى الزراعة وهو تنظيف الأرض وإزالة الأعشاب الضارة وهو أمر مجهد يتكرر حدوثه . ويعتبر أهم من تقليب التربه . والتربة

الرطــبة المفككـــة تكون سهلة الزراعة وذلك بالعزق القليل . وتنمو الخضراوات بكثرة لدرجـــة أنــــه من الممكن الحصول على محصول وفير بزراعة قليلة جدا ، أما الأرض الصلبة فيجب تفتيتها بفؤوس قوية وهذا أمر شاق جدا .

ومــن الملاحــظ أن زراعــة المحاصــيل الدرنية تقوم بها النساء وهى قديمة ومنتشـــرة على نطاق واسع فى مناطق الغابات ، بينما زراعة حبوب الدخن تتناسب فى أراضـــى الحشـــائش الجافـــة ، وغالبا ما يتقاسم الرجال والنساء العمل وعلى هذا يظهر طورين للزراعة اليدوية فى أفريقيا .

زراعـــة قديمـــة ترتـــبط بـــزراعة المحاصيل الجذرية ويقوم بها النساء أساسا والطـــور الـــثانى يرتبط بالزراعة المتقدمة فى مناطق السافانا حيث تزرع حبوب الدخن ويشترك فيها الرجال أو يقومون بها بمفردهم .

الباجنـــــدا

تقع قبيلة الباجندا فى شمال غرب بحيرة فكتوريا فى جمهورية أوغندا . ويقع الأقلـــيم فـــوق هضبة شرق أفريقيا ويوجد فى أسفل هذه الهضبة منخفض عظيم تشغلة بحيرة فكتوريا بمساحتها الضخمة .

وتـــتكون أرض القبيلة من مجموعة من التلال المستديرة المغطاة بالحشائش كمـــا تنتشر الأودية التى تنصرف إلى النيل الى جانب وجود المستنقعات التى ينمو فى بعضها الغابات المدارية .

ويتمـــيز المـــناخ فـــى قبيلة الباجندا بالاعتدال على مدار السنة ، ومع أعتدال المـــناخ وأنتشـــار التربة الحمراء الخصبة نجد أن كل هذه الظروف شكلت حياة السكان وأكـــدت الشـــعور الدائم بالأمان والطمأنينة وتنتشر فى موطن الباجندا الحيوانات البرية ممـــثلة فـــى الفيل والجاموس الوحشى ووحيد القرن وفرس النهر كذلك النمور والحمير المخططة والشمبانزى وأنواع عديدة من القردة والطيور والحشرات .

ويرتبط صيد الأسماك بسكان الجزر ، فهناك مجموعة من الجزر يسكنها الجاندا ويســـتخدمون فى ذلك فنون الملاحة ، حيث يمثل صيد الأسماك الحرفة الأولى لديهم ، ويقومون بالتبادل مع السكان الزراعيين فى القرى البعيدة عن البحيرة .

ولعل أول نتيجة هامة ترتبت على وجود هذه الظروف الجغرافية ، هى أن بيئة الجـــاندا بيئة زراعية فى المقام الأول ، والزراعة المطيرة بصفة خاصة ، وقد أدى هذا

النمط من الزراعة إلى تشكيل كافة نواحى الحياة المختلفة سواء القرابية والاقتصادية أو السياسية وأثر ذلك بدوره على وضع ومركز المرأة عند الباجندا ، وتعتبر الزراعة هى الحرفة الأساسية التى يمارسها السكان لاسيما زراعة المحاصيل المعيشية والتى تشغل المساحة الكبرى من الأراضى المزروعة فى الأقليم . ويعد الموز أهمها على الأطلاق لأنه يمثل الغذاء الرئيسى ، كما أنه من أكثر المحاصيل ملاءمة للظروف البيئية .

ولقد أثرت الظروف البيئية فى قبيلة الجاندا تأثيرا كبيرا على مركز المرأة ومكانتها فى المجتمع فمع وجود التقاليد التى تمنع الرجل من ممارسة حرفة الزراعة فى اقتصار هذه الحرفه على المرأة دون الرجل نجد أن ذلك قد جعل من المرأة عنصر النشاط الأول فى القبيلة ، وذلك لأنها تريد تحقيق مركز أقتصادى أفضل من الرجل الذى يحتل مكانة سياسية ودينية أقوى منها . والجدير بالذكر هنا أن العمليات الزراعية كلها تقع على عاتق المرأة كما أنها تقوم بتربية الطيور المنزلية وبعض الحيوانات مثل الماعز فى حديقة المنزل ، حيث تتوافر الحشائش اللازمة .

وقد أدخلت المحاصيل النقدية الى جانب المحاصيل المعيشية وتعتبر زراعة المحاصيل النقدية معبرة عن مركز المرأة الاقتصادى ، باعتبار انها مصدر الدخل الوحيد والأساسى فى العائلة والتى من خلاله تستطيع توفير كافة احتياجات الأسرة بما فيها الرجل علاوة على إدخار الفائض .

ويعد الموز مؤشرا لمركز المرأة الأجتماعى داخل العائلة . فنجد أن البيئة هنا توفر إمكانيات كبيرة استطاع الباجندا من خلالها تحقيق الاكتفاء الذاتى إلى حد كبير بجانب بعض المحاصيل التى تحقق عائدا نقديا مثل القطن والبن .

ويعتبر الموز المحصول الرئيسى الذى يعتمد عليه الباجندا لسد حاجاتهم من الغذاء ، لذا يعتبر من الزراعات الدائمة فى القبيلة ، فهو يحتل مركز الصدارة بين المحاصيل الزراعية المعيشية الأخرى وعندما يتحدث الموجاندى عن الجوع فانه يقصد النقص فى محصول الموز ، كما يصنع منه البيرة أيضا وهى إحدى المتطلبات الأساسية للبيت الباجندى وهم يزرعون محاصيل أخرى مكملة للموز مثل الكسافا والبطاطا وأيضا الفول السودانى والسمسم والذرة وكلها محاصيل مكملة للموز.

ويتطلب الموز أهتماما كبيرا وعناية فائقة لنجاح زراعته وغزارة المحصول . وتقوم المرأة بكل هذه المهام بمفردها دون مشاركة الرجال وتعتبر مشاركة الرجل لها تعديا على مكانتها . وتتعدد أنواع الموز لديهم ، فهناك الموز الأخضر غير مكتمل

النضج ويعتبر الوجبة الرئيسية عند كل الباجندا ولا يستثنى منها الغنى أو الفقير ، والثانى يستخرج منه البيرة ويأكل كذلك كفاكهة محببة لديهم ، ثم الموز الأصفر الصغير والقصير ويأتى الأقبال عليه لإنخفاض ثمنه بالنسبة للباجندا المقيمين فى المدن، والموز الأصفر الكبير يزرعة الباجندا بغرض التجارة وتسويقه فى المدن الكبيرة حيث يستخدم كفاكهة للأجانب، فقط لأرتفاع أسعاره .

وعمل البيرة يعد مهمة الرجل بالمشاركة مع بعض الرجال من نفس العشيرة

وتزرع المحاصيل الأخرى على أطراف حديقة الموز مثل الفول السودانى والسمسم كذلك الذرة والفاصوليا الحمراء . ويزرع الفول السودانى داخل حقول القطن تجنبا للطيور ، كما تقوم بزراعة اليام والباباى على أطراف حدائق الموز ويتطلب السمسم طريقة خاصة فى زراعته وهو أيضا من المحاصيل التى تتبع طقوس سحرية لنجاح المحصول ، وتتعاون نساء العشيرة فى زراعة السمسم .

وتعتبر زراعة الدخن والكسافا والبطاطا من الزراعات السهلة فى نظر المرأة الباجندية .

وأما زراعة القطن والبن فتعتبر من الزراعات التى تحتاج إلى مهارة فائقة وأيضا تدر دخلا كبيرا ، ومن ثم بدأ الصراع بين الرجل والمرأة فى مجال زراعة القطن والبن . ومن الأسباب التى جعلت الرجل يتجه إلى زراعة القطن هو أنه المالك الحقيقى للأراضى الزراعية التى هى مصدر الثروة والمكانة الاجتماعية للعشيرة .

ونظرا لصعوبة الأعباء التى تتحملها المرأة فى الزراعة بالاضافة إلى أعباء البيت حاولت إسناد دور جديد للرجل هو مساعدتها فى أعمال الزراعة على أعتبار أنه دور بعيد عن مهاراته ، ومع الرفض المستمر من جانب الرجل أصبحت هى الاساس فى زراعة القطن وشجعها على القيام بهذه الأعباء الكثيرة الشاقة التغير الذى حدث نتيجة الاحتكاك بالأوروبيين وظهور متطلبات معيشية جديدة تحتاج إلى مزيد من النقود ، فقد بدأو فى بناء المنازل من الحجارة وأيضا عرفوا الملابس الحديثة وبعض الأساسيات البسيطة فى المنزل وقد ظلت النساء تحمل القطن على رؤسهن إلى المحالج ، ثم عرفت بعد ذلك عملية الحلج من الأسيويين خاصة الهنود وكان ظهور المحالج من العوامل التى شجعت النساء على الأستمرار فى زراعة القطن .

وتستخدم المرأة الأدوات التقليدية فى الزراعة مثل الفأس التى يصنعها الحداد .

ويلعب المطر دور بالغ الأهمية فى نمو المحصول ، لذا نجد الصلوات الدائمة للألهه المسئولة عن المطر . وتحاول المرأة أبعاد الأرواح الشريرة عن محصول القطن.

وبالرغم من أهمية زراعة الموز إلا أن زراعته بدأت تقل ، ونظرا لاحتياج المرأة إلى المال لأقبالها على المنتجات الأوروبية وخاصة الملابس وهى نادرة وغالية الثمن ، بدأت كثير من الزوجات فى هجرة حياة الزوجية والأستقلال ببيت خاص بعيدا عن سيطرة الرجل وبدأت فى شراء قطع من الأراضى من بعض الرجال الذين هجروا حياة العشيرة للعمل فى الخارج ، وهذا الأستقلال الاقتصادى جعلها أقل أرتباطا بالرجل ، بل وأكثر من ذلك أعتبرت الزواج عبئا عليها .

وقد شجع التقدم فى وسائل المواصلات والنقل ولا سيما إلى المدن الكبرى على مزيد من زراعة المحاصيل النقدية وسرعة تسويقها ، وبينما ذهب الرجال لادخار الاموال فى البنوك نتيجة العمل فى المدن الكبرى ، فان المرأة مازالت تحتفظ بأموالها داخل المنزل ترقبا لأى كارثة يمكن أن تتعرض لها .

ولم ينس الرجل خلال هذه الدورة الواسعة من التغير أن يأخذ لنفسه مركزا اقتصاديا كبيرا دون بذل مجهود فى ذلك مع ظاهرة تعدد الزوجات ، أعطى الأغنياء منهم العديد من النساء قطعا كبيرة من الأرض لزراعتها مقابل نصف الإنتاج أى أنه نظام للأيجار غير مقنن على أعتبار أنها علاقة إجتماعية فى المقام الأول بين الزوج وزوجاته، وعلى الجانب الآخر تحاول بعض الزوجات تشجيع الرجل على الزواج باخريات وذلك حتى يتسنى لها زراعة قطعة من الأرض خاصة بها علاوة على العمل فى أرض الزوج كما تحاول كل زوجة إنجاب العديد من الأطفال لمساعدتها فى عمليات تنظيف الأرض وجنى المحصول . وقد شجعت هجرة أعداد كبيرة من الرجال إلى المدن الكبرى فى أوغندا وغيرها من الأقطار مثل كينيا وممبسا على أحتكار المرأة للعمل الزراعى دون عائق من جانب الرجل ومع ظهور المدارس والتحاق الأبناء بها زادت الأعباء على المرأة فهى تنفق عليها مبالغ طائلة نظير إقامة الأطفال بها .

الصيد :

تعد حرفة الصيد من الحرف واسعة الأنتشار فى قبيلة الجاندا ، والصيد من الحرف التى يقوم بها الأغنياء وتتمثل فى صيد الخنازير البرية وأنواع عديدة من الفئران ويستخدم فى عملية الصيد الشباك ، ويفضل بعض الأغنياء الصيد بالرمح ، كما

تستخدم الكلاب فى عملية الصيد للجرى وراء الفريسة . وعندئذ تفتح الشباك لتلقى الفريسة وحرفة الصيد يمارسها الرجال .

وصيد السمك أيضا من الحرف المحببة عند الرجل نظرا لقرب موطنهم من البحيرات ويستخدمون الشباك فى ذلك .

وهناك نوع من الأسماك محبب للغاية عند كافة الباجندا ويكتسب أهميتة فى أنه يعتبر الوجبة الرئيسية بالإضافة إلى الموز الأخضر فى معظم الولائم القبلية .

صناعة الملابس :

صناعة الملابس من لحاء الشجر من الحاجات الضرورية عند الباجندا وهى من الحرف الأساسية للرجل فى القرى ، وتأخذ أهميتها من أنها تعتبر زيا رسميا تستخدم كملابس للحداد وتستخدم لتغطية اجسام الموتى وكذلك كأغطية فى بعض المنازل ، وقد قام الرجل بصناعة أشكال حديدية من المفارش والتحف وأستغلالها كسلعة تدر عليه عائدا نتيجة أقبال الأجانب عليها .

وكانت الملابس المصنوعة من لحاء الأشجار تستخدم فى مناسبات الزواج حيث تقدم كمهور لأم العروس وأخوتها وعمتها .

ومع دخول المستعمر وظهور نمط جديد للملبس أتجه الموجاندى إلى العمل فى حياكة الملابس فى الأسواق الكبرى لمزيد من الدخل .

وهم يمارسون السحر ولذلك تقوم المرأة بنثر بعض النباتات التى تجمعها على الطريق من الحديقة حتى موطن العشيرة لتدوسها الأقدام وبالتالى تقضى على الاعمال السحرية ، ويعطى أيضا جزءا من المحصول للرجل على أن يأكل منه لتقى المحصول من العين الشريرة .

كذلك فالأعمال التى يقوم بها الرجل يمكن أن تتعرض أيضا للأرواح الشريرة والطقوس السحرية الضارة فالرجل الذى يقابل إمرأة عند بداية الأعمال الهامة مثل الصيد أو أعمال الحدادة عليه الأنتظار حتى اليوم التالى خوفا من الأرواح الشريرة التى تكون مصاحبة لها .

وليس هناك أحد من الباجندا على دراية بكيفية التخلص من الأعمال والطقوس السحرية حتى الطبيب الساحر ، ولكن الممارسات المتعارف عليها للوقاية منها هى فقط

الأعشـــاب الســـحرية وهـــى أحـــد الدعائم الهامة التى يمكن بها الوقاية من الممارسات السحرية الضارة .

ممـــا سبق نلاحظ أن هناك تقسيما للعمل لدى الباجندا فنجد أن الرجل يقوم بعدة أعمـــال رئيســـية مـــنها صـــناعة الملابس من لحاء الشجر والحدادة ويعنى بها صناعة الســـهام والسكاكين والفئوس والمطارق والمسامير وغيرها من الحاجات الضرورية عند الباجـــندا كما يقوم أيضا بصناعة الفخار وهى من الحرف الأساسية التى يتطلبها كل بيت كـــأوانى الطعـــام وهـــناك قلـــيل من النساء تقوم بهذه الصناعة . ويقوم الرجل بأعمال الـــنجارة والصـــناعات الخشبية كذلك عمل الأوانى التى تخمر فيها البيرة وأيدى الفئوس الـــتى تعتـــبر عماد الزراعة عند الباجندا كما يقوم بعمل المضارب الرياضية والمنتشرة الأســـتخدام فـــى المدن ويصنع أيضا قوائم شبكات الملاعب ويقوم ببناء المنازل وهى تتطلب مهارة وقدرات بدنية خاصة وتعطى له وضعا اجتماعيا مميزا ، وتبنى البيوت من الطيـــن فى الغالب بالنسبة للفقراء . والسقف الجمالونى هو الشكل السائد فى كل بيوت الجـــاندا فـــى الـــريف والحضر ولابد أن يتحمل المنزل العواصف والأمطار الأستوائية الشـــديدة علـــى مدار السنة ، كما أن الفتحات تكون فى اتجاة مغاير لاتجاه الرياح وكل ذلك يتطلب من الرجل مقدرة خاصة .

وتعـــد الحروب من الأعمال الأساسية التى يستعد لها الرجل باستمرار . وتتمثل الحروب فى الأعتداءات القبلية فى الغالب من جانب الباجندا على القبائل المجاورة وذلك للأســـتيلاء علـــى الحـــيوانات مثل الماشية والماعز التى يفتقر إليها كل الجاندا ، كذلك ألأســـتعداد لأى أعتداء من جانب القبائل المجاورة لذا نجد أن كل موجاندى يحتفظ لنفسه بالسهام والحراب داخل بيته توقعا لما قد يحدث وهناك تعاون واضح فى كل المهام التى يقوم بها الرجل من جانب أعضاء العشيرة الذين يعملون كفريق واحد ، وهذه المشاركة تجعـــل العمـــل محببا عندهم وكل هذه الأعمال تتطلب مهارات خاصة من الرجل وتتحدد مكانـــته طبقا لمدى أتقانه لها . وتعتبر الأعمال التى تقع على عاتق المرأة أعمال شاقة للغاية بالقياس إلى الأعمال التى يقوم بها الرجل .

فكمـــا ســـبق أن أشـــرنا إلـــى أن العمـــل الرئيسى للمرأة هو الزراعة وزراعة محاصـــيل الطعـــام وأعداده بشكل خاص ، كذلك زراعة المحاصيل النقدية التى تدر دخلا للعائلـــة وتشـــمل إعـــداد الطعام وجلب المياة وجمع خشب الوقود من الغابات المحيطة

بالقـــري . وعليها أن تحمل أطفالها معها إلى الحقل وخاصة الرضع . وفى المساء تقوم بإعداد الحصير والسلال التى يستخدمها فى جمع وتخزين المحاصيل .

كذلك يعد تنظيف البيت والعناية به وبالاطفال من المهام الرئيسية للزوجة.

أمـــا الأبـــناء فـــيقومون برعى الماعز والتجول بها فى الحدائق حتى بلوغ سن الشـــباب وعندئذ يقومون بتسلم مهام الرجال . ويقومون أناثا كانوا أو ذكورا بمساعدة الأم فى إحضار خشب الوقود والمياة ، على أن تلقن الأم الأبنه خبراتها فى إعداد الطعام وتنســيق البيــت وطاعة الزوج وتبعيتها له ومع ظهور أهمية النقود عند قبيلة الجاندا والرغبة المستمرة فى الأدخار ، بدأ الباجنديون يعيشون كأفراد وليس كجماعات ، وقلت المشاركة والتعاون بين أعضاء المجتمع .

أمـــا أعمـــال الصيد مازالت تتطلب على الأقل ثلاثة أو أربعة رجال ، ونجد أن هـــناك طقوس معينة يجب على الأعضاء الألتزام بها فى عملية الصيد ، منها أن الرجل الـــذى يفرد الشباك للصيد ويسوق الحيوانات ناحية الصائد يتسلم نصف صدر الفريسة ، والـــرجل الآخر الذى يساعد فى إيقاع الفريسة فيأخذ أحد أرجل الفريسة والنصف الثانى مـــن الصـــدر والـــذى يقوم بعملية النفخ والضرب فيتسلم الرقبة ، والذبيحة طبقا لهذه الأســـس التنظيمـــية تقسم بين الأعضاء المشاركين على أن يأخذ الصائد الأساسى معظم الذبيحة .

ومع ظهور المحاصيل النقدية ظهر العمل نظير أجر ، ولكن لاتلجأ اليهم المرأة إلا فى الحالات الضرورية ، لذا تستثمر كل أوقاتها فى العمل الزراعى .

وتقسم أيضا أوقات الفراغ ، فالرجل يقضى أوقات الفراغ الخاصة فى الصيد ولا يصـــحب المرأة معه الا عند السادة ، كذلك يقضى الرجل أوقات فراغة فى حفلات البيرة والتى يحتفل بها كل مساء وهناك التزام على المضيف بتقديم قدر كاف من البيرة إلى الأقارب الذين شاركوا فى إعدادها وتخميرها .

وتعتـــبر المـــرأة أقل فراغا من الرجل لذا نجد أن الأوقات القصيرة التى تقضيها المرأة خارج نطاق العمل تكون فى زيارة الأقارب والتحدث معهم ، والتى تجمع فيها الأم الأطفـــال مـــن الأقـــارب وتقـــص عليهم خبراتها المتراكمة التى يتعلمون فيها العادات والتقاليد والقيم الباجندية القديمة وتتضمن هذه الأوقات شرب البيرة .،

التبـــــادل :

هـناك تـبادل فـى السلع عند الجاندا والجماعات المجاورة فمثلا الحدادة التى تتقـنها قبيلة الباكوكى تقوم الجاندا بمقايضة قبيلة الكوكى بالصناعات الخشبية وأعمال الحـدادة . وكذلك الملح من قبيلة الكوكى والأسماك من الجماعات المنتشرة على بحيرة الـبرت وكذلك يتم التبادل بالأوانى الفخارية وهناك عمليات تبادل واسعة تتم بين الجاندا والقـبائل الـرعوية الأخـرى فـى أوغندا ، فيستطيع الجاندا الحصول على الماعز من الجماعـات الرعوية مقابل الموز الأخضر والموز الجاف ، كذلك الملابس المصنوعة من لحـاء الشجر ، ولاتذهب المرأة للتجارة ولكنها من مهام الرجال ، وفى حالة ما إذا كان المنتج ملكا للمرأة فعلى الرجل أعطاؤها العائد مع الأحتفاظ بجزء لنفسه نظير ذهابه إلى الأسواق ، وقد تكون النقود هى الوسيط فى عملية التبادل وقد يكون الموز الأخضر .

ويـأتى تـبادل الهدايا فى المقام الثانى عند الجاندا ، وهذا النوع من التبادل لا يعتبر أجباريا ولكنه بمثابه التزام تفرضه القيم والتقاليد الاجتماعية .

وتكـون الهدايـا بين الأصهار أى بين الزوج وعائلة الزوجة ، كذلك بين أخوة الـدم ووظـيفة هـذا النوع من الهدايا تعميق الرابطة الاجتماعية بين أعضاء الجماعة الواحـدة وتوسيع شبكة العلاقات الاجتماعية والغرض منه المساعدة فى اتمام عمليات الزواج ، ولا يعد رد الهدية التزاما إجتماعيا .

وتتـنوع الهدايـا عند الباجندا تبعا للمناسبات المختلفة فهناك هدايا المناسبات الخاصـة بالزواج وأيضا الهدايا الملزمة التى تقوم فى مواسم الحصاد ممثلة فى أنواع مخـتلفة من الأطعمة وهذا النوع من الهدايا يعتبر نظير المساعدة التى يبديها الأعضاء تجاه بعضهم البعض .

وتتمـثل هدايا الزواج فى تقديم زى المرأة الجاندى للعروس وثلاثة أكياس من الملـح وهـى تعـبر عن رغبة العريس القوية للإرتباط بالفتاة ، كذلك تقدم الملابس لأم الفتاة وعمتها . ويقدم إناء كبير من البيرة للذكور ، وهناك نقود تقدم لأم العروس وهى بمـثابة نقـوط ، ويمكن أن يقدم العريس عددا من الماعز توزع ليلة الزفاف ، ويعطى العروس بعض النقود فى كل المناسبات ، ويشارك فى هذه الهدجايا أعضاء عائلة الزوج فقط .

وهـناك هدايا تقدم من أم الفتاة للزوج ممثلة ، فى بعض الفواكة والخضراوات والدجاج ووظيفة هذا النوع هو التقرب من الزوج الجديد للحفاظ على الفتاة .

الملكية :

تحدد قواعد الوراثة فى حالة موت المالك طبقا لدرجة القرابة على أن تكون فى خط الأب ويستثنى منها النساء بالنسبة لعامة الجاندا .

الضبط الأجتماعى :

علـى الـرغم مـن الدور الهام الذى تلعبة المرأة فى إحداث الضبط الاجتماعى والذى لايقل فى أهميتة عن دورها الاقتصادى أو دورها القرابى ، وذلك من خلال تلقين الأطفـال المعايـير السلوكية المثالية نتيجة التعامل اليومى بين الأم والطفل ، وهذه هى إحـدى الوظـائف الهامة للمرأة فى مجتمع الباجندا ، ويتشكل دور المرأة السياسى تبعا لانـتمائها لإحـدى الطبقات الاجتماعية الثلاث السائدة فى المجتمع وهى طبقة الأمراء وطبقة العامة وطبقة العبيد .

وترتبط المعتقدات الدينية فى مجتمع الجاندا بالمعتقدات السحرية .

العائلـــة :

الـزواج يسـود فى قبيلة الجاندا نظام تعدد الزوجات ، ورغم إنتشار المسيحية التى لاتبيح تعدد الزوجات ، إلا أن القيم القبلية تعد أقوى من أى معتقد دينى .

ويحـرم علـى الموجاندى الزواج الداخلى أو الزواج من داخل عشيرته لأن كل أعضـاء العشـيرة الذيـن يحملـون طوطم واحد هم أخوة كذلك يحرم عليه الزواج من عشـيرة الأم ، وهذا النمط السائد عند الباجندا يحفظ للقبيلة الوحدة القرابية والسياسية الكبرى ذاتيتها، وذلك لأن الزواج يكون بين العشائر المختلفة للباجندا.

ومن القواعد السائدة عند الباجندا عدم ارغام الفتاة على الزواج ، من شخص لاترغـبة ، ورغم وجود المسيحية والإسلام إلا أن قواعد الزواج تختلف تماما عما يقرة الديـن ، فيمكن للمسلمة الزواج بمسيحى كما يمكن للمسيحية أن تتزوج بالمسلم ، لكن يكون إنتماء الأبناء لعشيرة الزوج ، ونظرا لتعدد الزوجات نجد أن الأسرة الواحدة تشمل أخـوة مـن المسلمين والمسيحيين وآخرين ليس لهم دين معروف . وسن الزواج يكون

مــن الخامســة عشــرة أو السادسة عشرة والمحدد الأساسى لإختيار الزواج تتمثل فى موافقــة كــل من الشاب والفتاة ولا تختلف طبيعة المهر كثيرا بين عشائر الباجندا وهى مكونة من البيرة ، وجلباب لشقيق العروس بالإضافة الى اللحوم والملح والدخان بجانب النقود ، وتتسلم أم العروس زى النساء .

ويقــدم العريس عشرة الآف شلنا أوغنديا ، وأيضا تقدم الملابس الخاصة لعمة العروس .

ويبدأ العريس فى تجهيز منزل الزوجية بالأثاث البسيط وهى الحصير الملابس القطنية وغطاءات الأسره والأوانى والسكاكين والفئوس .

وفــى صباح يوم الزفاف تقوم الجدة بمساعدة أخت الفتاة بإشعال النار فى كمية من الخشب مع حرق بعض الأعشاب الخاصة بهذه المناسبة والتى تمنع العين الشريرة وذلك لتبخير المنزل وطرد الأرواح الشريرة .

ويــبدأ موكــب زفاف العروس فى الصباح تتقدمه عمه الفتاة ووراءها العروس بعد أن تكون قد زينتها بالملابس الزاهية الألوان اللامعة .

ويمكن للعروس الذهاب إلى منزل الزوجية قبل يوم الزفاف إذا كانت حاملا، أما فيما عدا ذلك لا تذهب قبل يوم الزفاف .

فــى الــيوم الثانى من الزواج تحضر جدة الزوج ومعها بعض المياة المخلوطة بالاعشاب السحرية وبعض الياف الموز وذلك منعا للأرواح الشريرة .

وفــى الــيوم الرابع من الزواج تذهب فتاتان من أهل العروس تحملان الفطير والسمسم والفول السودانى ، ونبات الفطر من الوجبات الشهية لديهم . وتكون العروس موضع أهتمام عشيرتها لمدة ثلاثة أسابيع لاترى خلالها الذكور .

وتعــامل العــروس أثــناء تلك الفترة على أنها ضيفة على الزوج وأخوته فهى لاتقــوم بالاعمــال المنزلــية ، وأول زيــارة تقوم بها بعد ذلك هى زيارة عمتها ثم تبدأ ممارسة واجباتها كزوجة .

وتبدأ بعد ذلك بزيارة والدى الزوج ، وتسمى هذه زيارة (أخذ الرضا) وتتسلم خلالهــا الفــأس من أم الزوج ، أما الزيارة الثانية فهى لوالديها وتكون بصحبة أخوات الــزوج، وترجع من هذه الزيارة حاملة معها الهدايا من الملح والفول السودانى والفطير والنقود.

ولا تستطيع الزوجة ممارسة حياتها الزوجية الا بعد الزيارتين السابقتين .

تأخذ الزوجة الأولى وضعا مميزا بين باقى الزوجات وحمل المرأة يعتبر من الأشياء الهامة فى الأسرة ، ونتيجة للأهمية البالغة للحمل تقوم الزوجة بتناول علاجات طبية كثيرة تعطيها لها الطبيبة الساحرة ، كذلك تتناول الزوجة الأطعمة الخاصة بذلك .

وبعد ولادة الطفل مباشرة يغسل بالماء الدافىء المخلوط ببعض الأعشاب مع قراءة بعض التعويذات التى تحفظها العمة جيدا . وتقوم الزوجة فى اليوم الثانى متجهة نحو باب المنزل ويقابلها الزوج الذى يأخذ الطفل منها ويضعه بين ذراعيه ويجوب به معلنا أن هناك طفلا جديدا قد ولد يأخذ أسم طوطم العائلة .

وهناك معتقدات تدور حول ولادة الأطفال وهى أن يقطع الحبل السرى للمولود الذكر بالرمح ، أما الفتاة فيقطع لها بالفأس . أما عن التميز بين ولادة الإناث والذكور فيختلف فى ذلك الأب عن الأم ، فالأب دائما يتمنى أن يكون المولود ذكرا ، أما الآم دائما ما تتمنى أن يكون المولود بنتا .

الطفولة :

تتدرب الفتاة عند الباجندا منذ السابعة من عمرها ، ويأخذ الطفل أسم العشيرة ، ثم تختار الأم أو الجدة أو العمة أسما شخصيا للطفل ثم يمر الطفل بعد ذلك بطقوس التسمية ويعترف بالطفل كعضو له شرعيته فى العشيرة بعد المرور بشعائر التسمية . ويأخذ أسم الطوطم ويكون ذلك بعد عملية الولادة .

المراجع الاجنبية :

1- Fallers, Margaret Chave: The Eastern Lacustrine Bantu, Ganda, Soga, International African Instituti, london 1960.
2- Fugene, larry: population Growth in Buganda, Maherere univ .kampala, 1985.
3- Haydon, E.S.: law and Justice in Buganda, Butter worths, London, 1980.
4- Kagwa, Sir Apolo: The clans of Baganda, Trans, from Luganda into english by James D,wanala, kamuli College, uganda, 1972.

5- Kagwa, Sir Apolo: the Customs of Baganda, Trans, by ernest B,kalala, May Mandelboun edel, Columlia univ. press, new york, 1984.
6- Kiwanuka, Robina M: Cotton growing in west Buganda, the Role of Women 1900-1980, Makerere univ, kampala, 1982.
7- Mukwaya, A.B: land Tenure in Buganda, the eagle press, east African Institute, kampala, uganda, 1953.
8- Perlman, Melvin L.: Low and the Status of woman in uganda, univ .of California, U.S.A, 1988.
9- Roscoe, John: the Baganda, Macmillan and Co. limited, London, 1911.
10-Uganda History, The origins of Baganda, trans, by Dept. History, Makerere univ .kampala 1971.
11-West Henery w.: land policy in Bugandi, univ. press, Cambridge 1973.
12-Kaggwa, L.B. and welbourn, F.B., lubaala intiation in Buganda, uganda Journal, no. 28. 1964.
13-Mair, L.: Baganda land tenuri, Africa, vol. Vi, no, 2, 1932.
14-Nsimbi, M.B.: the Clan system in Baganda, the uganda Journal, vol. 28, no.1. 1956.
15-Nsimbi, M.B.: village life and Custom in Buganda, uganda Journal, vol. 20. no. 1. 1956.
16-P.C.W., Gutkimd: town life in Buganda, uganda, Journal vol. Xx, no.1. 1956.
17-Robbins, Michael c. and kilbride philip psychoc ultural change in Modern Buganda, no.8, Makerere Institute of social Research, kampala, 1984.
18-Southworld, Martin B.A.: the Inheretance of land In Buganda, uganda Journal, vol, 20, no.1. 1956.

القرية :

لقد نشأت القرية فى العصر الحجرى الحديث ، ووجدت فى مصر حوالى ٨٠٠٠ ق. م . ومـــن المحتمل أن تكون هى النمط الأكثر قدما للجماعة المستقرة ، وهى وحدة واحـــدة ومركزة تكفى أن يعرف السكان بعضهم جيدا لأنها عبارة عن مجموعة صغيرة مـــن البيوت وتجمع عدة منازل عائلية منفصلة وهى مجتمع محلى صغير أكبر من الكفر أو المـــزرعة ولكنها وحدة سكنية زراعية أكثر منها حضرية فيغلب عليها الطابع الريفى أكثر من المدنى .

الريف :

كلمـــة تـــدل على موضع الشجر ، أطلقها العرب على البلاد وجعلها أقليما ثانيا سموه "بطن الريف" وكان ذلك فى القرن الثالث الهجرى الموافق القرن التاسع الميلادى ، ثـــم قسموا هذا الريف إلى أقليم ثالث هو الجزيرة ، وظل الحال على ذلك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى أى القرن العاشر الميلادى .

كيف نشأت الزراعة :

يتمـــيز العصـــر الحجـــرى الحديث بمعرفة الأنسان الزراعة وأستئناس الحيوان وأصبح لأول مرة منتجاً للطعام ، وهذا فى حد ذاته تطور فى ثقافة الإنسان فقد أدى به هـــذا إلى الأستقرار وأستئناس الحيوان ، ويحتمل أن تكون المرأة هى التى تعرفت على الـــزراعة أكثر من الرجل وذلك لإنشغال الرجال فى الصيد . وحصل الإنسان على أنواع المحاصيل البرية مثل الشعير والقمح .

وكـــان هـــذا يـــأتى نتـــيجة حمل المحصول إلى أماكن السكن فإن بعض نفايات المحصول تقع فى المنطقة حول المنازل فتنمو هذه بدورها تلقائيا ويتكرر هذا حتى لاحظ الإنســـان هـــذه الظاهرة وحاول هو بذر البذور فى أماكن مختارة من القرية ، ومن هنا عرف الإنسان أنه يمكن الحصول على إنتاج محصول وفير من الحبوب بطريق بذر كمية ضئيلة من الحبوب .

إذا كانـــت دراســـة المجـــتمع القـــروى تعـــد من الملامح الأساسية للدراسات الأنثروبولوجـــية فـــى القرن العشرين ، فإنها تصبح أكثر أهمية بالنسبة للقرى المصرية فـــى الوقت الراهن ، وتعدو هذه الأهمية لعدة اسباب لعل منها التطور الكبير الذى طرأ

علـــى القرية المصرية فى شمال وادى النيل وجنوبه وأدى إلى أحداث تغيرات جذرية فى طبـــيعة العلاقـــات الاجتماعـــية التى كانت سائدة حتى وقت قريب ، كما أن تحسن طرق المواصلات وتعبيد الطرق كان عاملا هاما فى تقريب المسافات المكانية والاجتماعية بين القرى والمدن أو بين الريف والحضر ، وما أستتبع ذلك من تحرك السكان بشكل قليل – إلـــى حـــد كبير – من الفروق الريفية الحضرية التى كانت واضحة حتى منتصف القرن العشـــرين . هـــذا بالاضـــافة الـــى العامل الاقتصادى الذى أدى بدورة الى عدم الأكتفاء بالتخصـــص المهنىالضـــيق الذى كان معروفا من سكان الريف وهو العمل الزراعى فى الحقـــول فقـــد أمـــتد الآن ليشمل – بجانب الزراعة – أنشطة اقتصادية أخرى لم يعرفها الآبـــاء أو الأجـــداد ، وتبعا للتقدم التكنولوجى الذى ساد البلاد فى الوقت الراهن ، فقد أصبحنا نشاهد نماذج من الصناعات الصغيرة داخل القرى .

وقـــد أنعكست كل هذه العوامل والمتغيرات على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفـــراد القـــرية مما أثر بدوره على نظمهم القرابية والسياسية ونسق القيم مما يستلزم دراســـة القـــرية المصرية وثقافتها على ضوء الأوضاع الراهنة . والتعرف على أنماط معيشـــتها ونظمها الاجتماعية فى ظل المتغيرات فى ظل التغير الاجتماعى والثقافى الذى تشهده القرية المصرية . وفى هذه النقطه بالذات تنحصر أهمية هذه الدراسة .

١- قرية الرملة

أن هــذه الدراســـة الحالية تهتم بدراسة قرية الرملة [١] ويتبعها إداريا وقرابيا الجزيــرة وعزبة ابو جرف وقرية ميت العطار [٢] وتتبع قرية الرملة وتوابعها محافظة القليوبية ومركز بنها ، ويربط الرملة وتوابعهاروابط قوية ولهذا لايمكن دراسة احداها منفصلة عن الكل .

ومع أن المسافات بينها وبين العاصمة بنها تتراوح ما بين ٢ ، ٦ كيلو مترات وتــبعد كــل منها عن القرية الأم بحوالى ٢ كم ، فقد أظهرت الدراسة أختلافات واضحة بيــن كــل منها فى البيئة الطبيعية ، مما يترتب عليها اختلاف فى النشاط الاقتصادى ، فــنجد أن الجزيرة محاطة بمياة النيل من جميع الجهات وقد نزح أهلها من الرملة ولم يقطــع أحدهم صلته بها . كما لم يحاول أحد أن يطالب بانشاء خدمات أو فتح محال بها نظرا لصعوبة الموقع وتحملوا مصاعب التنقل من والى الجزيرة فى كل ما يعن لهم من طلــبات أو خدمـــات ، وهم يمارسون الزراعة ، بل تخصصوا فى زراعة محصول واحد فقط هو الموز .

أما عزبة أبو جرف فواضح من أسمها أنها عزبة وقد أسسها أحد أفراد الرملة وتــبعه بعض أفراد عائلته وجميع عائلات قرية ميت العطار من الرملة ، ويحيطها شرقا ترعة الجرثة وغربا النيل فرع دمياط وواضح من أسمها شهرتها بالعطارة . وتقع ميت العطار جنوب غرب الرملة والجزيرة شمال غربها والعزبة جنوب شرقها . وتقع الرملة وتوابعها فى زمام مجلس قروى طحلة .

---

[1]- الــرملة هـــى من القرى القديمة وردت فى قوانين ابن مماتى باسم الرميلة ، وفى تحفـــة الإرشاد من أعمال الشرقية وفى التحفة وتاريخ سنة ١٢٢٨ هــ ، ١٨١٣ م ، رملـــة فــيها وهـــى الــرملة . وذكـــرها أميلينو فى جغرافيتة فقال أن أسمها القبص والصـــواب لشو ، ترجمة كلمة الرملة باللغة الرومية . وكانت الرملة تابعة لمركز طوخ فلما أنشىء مركز بنها سنة ١٩١٣ الحقت بها لقربها منها .

[2]- قام قسم الأنثروبولوجيا بهذه الدراسة عام ١٩٨٢

ومما جدير بالذكر أن معظم أجهزة الخدمات تتركز فى الرملة وأنه لا يوجد بأى من توابعها مدارس أو خدمات اجتماعية . (ماعدا ميت العطار) ، التى يوجد بها مكتب صـحة ومدرسة أبتدائية واحدة) ؛ أما فيما عدا ذلك لاتوجد محلات أو حتى مقاهى أو مساجد أو أسواق . وتبلغ مساحة الجزيرة حوالى ١٢٠ – ١٣٠ فدان والعزبة ما يقرب من ٨٠ فدان ، وميت العطار ٨١١ فدان تقريبا .

ولوحـظ أن معظـم سكان ميت العطار قد تحولوا مثل سكان الرملة إلى أنشاء مزارع الدواجن . وأشتهرت العزبه بزراعة وصناعة الكتان .

أما القرية الأم " الرملة " فواضح من أسمها أن تربتها رملية وبهذا سميت بهذا الأسـم ، كما أن موقعها كذلك بين النيل والرياح التوفيقى حولها الى أرض خصبه كما يجرى بوسطها ترعة النصريين وترعتان فرعيتان منها ترعة رأس طحلة وترعة طريق الوسط ، وتبلغ مساحة الرملة حوالى ١٧٧١ فدان وعدد سكانها ما يقرب من ١٣,٥٠٠ نسمة حسب تعداد ١٩٨٠ ، وتبعا لهذا الموقع وهذه التربه فان معظم السكان يمارسون الزراعة ومعظم الأدوات التى يستعملونها يدوية ، ومع هذا فان الأراضى الزراعية أخذه فـى التناقص ، فقد زحفت المبانى إلى ألاراضى الزراعية ، كما اتجه معظمهم إلى أنشاء مـزارع الدواجـن ومصانع الكتان على الأراضى الزراعية وتنتشر بالقرية حرف عديدة بعضها وراثى وبعضها يتعلمه الفرد ويمارسه بالخبرة .

ومما هو جدير بالذكر أن وسائل المواصلات والطرق بين القرية والعاصمة بنها وبين القرية وتوابعها (الجزيرة ، عزبة أبو جرف وقرية ميت العطار) متوفرة وجيدة ، كمـا أن جميع الخدمات التى تتطلبها القرية وتوابعها التى تعتمد عليها اعتمادا كليا مثل المـدارس ، مكتـب الصـحة ، الوحدة الاجتماعية ، الجمعية الزراعية ، بنك التسليف ، مكاتب البريد ، والكهرباء تتوافر بالقرية الأم فقط .

والملاحـظ أيضـا أنتشـار بعـض الأمراض فى القرية وتوابعها مثل الأمراض الصـدرية والبلهارسـيا والأسكارس . ومن مظاهر التغير الحادث فى القرية لجوء عدد كبـير مـن شـبابها الى العمل بالمدن الكبيرة أو فى الدول العربية كلما اتيحت لهم هذه الفرص ويظهر أثرها أكثر على النواحى المادية عنها النواحى المعنوية. كما أن للتعليم والوظـائف الحكومـية وقرب القرية من العاصمة وأعتمادها عليها قد ساعدت كلها فى أحداث التغيير ومممـا هو جدير بالذكر أن الرملة وميت العطار وعزبة أبو جرف تمثل أكبر مصدر لتربية الدواجن على مستوى الجمهورية .

ويعتـــبر القطن المحصول النقدى الرئيسى وهو يزرع فى دورة ثلاثية ولكن فى الاونـــة الاخـــيرة اخـــذت المساحة المزروعة قطنا تتناقص [1] بينما زادت زراعة القمح والـــذرة ،ويرجع هذا الى ان القمح والذرة من المحاصيل الرئيسية التى يعتمد عليها اهل القرية فى غذائهم.

(لعدم ربحية محصول القطن وللاستخدامات الاكثر دخلا البديلة له) .

وقـــد كانـــت المشـــاركة على زراعة الارض وتربية الماشية وتجارة المحاصيل منتشـــرة لكن زراعة الارض بمعرفة مالكها كان هو الاكثر انتشارا . ولقد كان الفلاحون يســـاعدون بعضهم البعض واحيانا يستأجرون اطفالا او صبيانا لجمع المحصول وآخرين لحراســـة القطـــن بعـــد اكـــتمال نموه (حتى لا يسرق) وكان يقدم للعاملين بجنى القطن وزراعـــة الكتان ارز بلبن مع العسل وعدس وخبز، ومازالت هذه التقاليد منتشرة ولكن علـــى نطـــاق محـــدود ،ويعتبر جنى القطن عيد للقرية كما ان هذه العادات تعتبر تفاءلا واستبشارا بالخير.وكانوا ايضا يتجمعون لحصاد القمح ويتخيرونى الليالى القمرية لاتمام هـــذا العمل ،وكانت بعض النساء يعملن بنقل القمح الى الاجران، اما اذا كان القرن بعيدا عـــن الحقـــل تســـتخدم الابل لنقله نظير ان يأخذ صاحب الجمل كمية من القمح [2] ولا يتوقف تعاونهم عند الحصاد بل يستمر ايضا فى مرحلة التذرية ،وقبل نقل المحصول الى المـــنزل كـــان الفلاح يخرج زكاة المحصول وهو نصف العشر طبقا للشريعة الاسلامية وكذلك يخرج المسانية اى العادة او الاجر السنوى لكل من تجار الساقية ،خادم المسجد، اللحاد، الحلاق، المقرئ .

<u>أ- الافات الزراعية :</u>

ممـــا لاشك فيه ان الخضروات والفواكه تتعرض لبعض الافات والاوبئة التى قد تســـاعد العوامل المناخية المختلفة على تكاثرها ومن هذه الافات :التربس، الخناق، المن

1- لقد وصلت المساحة المرروعة قطنا عام ١٩٨١/٨٢ الى ١٦٠ فدانا فى حين بلغت المساحة المزروعة قمحا ٣٠٠ فدانا والذرة ٤٠٢ فدانا فى نفس العام (الجمعية الزراعية) .

2- ٦ كيلات عن كل أربعة أرادب

والـــدودة القارضـــة والحفـــر فى الادوار الاولى لنمو محصول القطن والدودة الخضراء ودودة ورق القطن والعنكبوت الاحمر وديدان اللوز القرنفلية والشوكية والامريكية .

امـــا الافـــات الـــتى تصـــيب الفاكهة فتتمثل فى الفيروسات التى تصيب الموز. والحشرات القشرية والبق الدقيقى وذبابة الفاكهة بالاضافة الى التصمغ .

ب- طرق المقاومة :

بالنســـبة للقطـــن تجمع اللطع يدويا فى الدورة الاولى ،ويستخدم الرش المباشر بـــالموتور فى الدورة الثانية لمقاومة دودة ورق القطن، وبالرش باستخدام الطائرات فى الـــدورة الثانية لغيرها من الافات . وتقوم وزارة الزراعة بهذه الاجراءات فتتولى حماية محصـــول القطـــن مـــن تلـــك الافات باعتباره محصولا نقديا وقوميا وله قيمة عالية فى اقتصاديات البلاد . اما مقاومة آفات الفاكهة فيكون بالرش والتبخير .

ويســـتخدم المـــزارعون الســـماد الطبيعى المنتج من روث المواشى فى تسميد الارض بالاضـــافة الـــى اســـتخدامه للاسمدة الصناعية التى تعطى انتاجا عاليا ومن تلك الانواع الاسمدة الازوتية وسماد السوبر فوسفات [1] .

ج- الرى :

تســـتخدم الســـواقى لرفع المياه الى الاراضى الزراعية اثناء انخفاض منسوب المـــياه بالترع ،وفى احيان كثيرة تروى الاراضى بالراحة حيث يكفى فتح القناة الفرعية لينســـاب الماء ويروى الارض وذلك اثناء ارتفاع منسوب المياه فى الترع الرئيسية .ولا تستخدم المياه الجوفية فى الرى وانما تستخرج بالطلمبات للاستخدام المنزلى .

د- أدوات الزراعة :

يعـــتمد الســـكان فـــى االـــزراعة على استخدام الالات الزراعية مثل الجرارات الزراعـــية وآلات الحـــرث والـــتى يســـتأجرونها من الشركات الزراعية (قطاع خاص) بالاضافة الى الجمعية التعاونية الزراعية (حكومية) ،ولكن أغلب الادوات الزراعية يدوية حيـــث نجـــد المحـــراث الفأس، الشرشرة لحصد محصول القمح ،المنقرة (وهى نموذج مصـــغر للفأس ولقطع عيدان الذرة) ،الزحافة وهى أداه خشبية تجرها المواشى لتسوية

1- يســـتخدم الاهـــالى حوالى ٤٠٠ ك من السماد الازوتى للفدان و ١٠٠ك من السوبر فوسفات للفدان

التربة وتنعيمها بعد حرثها، القصابية، للتسوية ونقل الاتربة، ماكينة التذرية وهى الة يدوية تقوم بفصل الحب عن التبن. ونظرا لان معظم أدوات الزراعة تقليدية فان العمل الزراعى يحتاج الى كثرة الايدى العاملة فيساعد الابناء والزوجة فى أعمال الزراعة وخاصة أثناء الحصاد ،ويتم تخزين المحصول فى المنازل بعد ان تتسلم الجمعية التعاونية حصتها منه .

هـ- الملكية الزراعية :

تتدرج ملكية الاراضى الزراعية فى قرية الرملة من ثلاثة قراريط حتى تصل الى ٥٠ فدان للفرد الواحد .

ويفضل بعض الملاك زراعة ورعاية الاراضى والعناية بالمواشى ،وهناك من الملاك من يفضلون تأجير الارض لما يواجهونه من مشاكل نقص الايدى العاملة الزراعية وارتفاع أجورها .

ومما يجدر الاشارة اليه ان مساحة الارض الزراعية بقرية الرملة اخذه فى التناقص والانكماش نتيجة للزحف العمرانى الممتد من مدينة بنها الى ميت العطار ملاصقا للطريق الزراعى وفى الوقت نفسه تتزايد مساحة ألاراضى البور بالاضافة الى الأراضى المالحة والتى لا تعطى أنتاجا وفيرا ، ونظرا لضآلة نصيب الأسرة من ملكية الأرض الزراعية والتقارب بين المساحات التى يمتلكها الافراد لا نجد فوارق كبيرة بين الطبقات الاجتماعية والتى يصعب تحديدها بشكل دقيق ، وربما لهذا السبب فقدت ملكية الأرض الزراعية أهميتها الاجتماعية بين الفلاحين وأصبحت قاصرة فقط على الوظيفة الاقتصادية باعتبارها مصدر رزق للأسرة . ومن الاملاك الخاصة أيضا الماشية والمساكن وهى ممتلكات عقارية .

الانتاج الحيوانى :

اللثروة الحيوانية :

يهتم المزارع بتربية الماشية وهى بالنسبة له ثروة تعادل الارض الزراعية تماما. ويعتمد عليها الفلاح أعتمادا كبيرافى حرث الأرض وريها بالاضافة الى أنها مصدر رئيسى للالبان التى يعتمد عليها الفلاح وأسرته كغذاء ومصدر للجبن والزبد ويستخدم الجاموس والبقر لحرث الأرض وريها أما الأبل فهى تساهم فى نقل المحاصيل من الحقل الى أماكن التخزين ، كما تضم الثروة الحيوانية الضأن والماعز ، وتحتل الماشية مكانه فى نفس القروى فقد كانت فى الماضى تستخدم كوسيلة للمواصلات

والانـــتقال من القرية الى بنها والعكس بالاضافة الى أنها وسيلة هامة من وسائل الانتاج فى الحقل ومصدرا للغذاء (اللبن ، الزبد ، الجبن ، اللحم) وثروة أقتصادية .

الثروة الداجنـــــــة :

تنتشر مزارع الدواجن بالقرية ، بعضها لتسمين الدواجن والبعض الآخر لانتاج البـــيض [1] . وتلـــك المـــزارع ملك للاهالى والهدف من ورائها تنمية الثروة الداجنةى وتوفير اللحوم .

الأمراض التى تصيب هذه المشروعات ومشاكلها :

نظـــراً لأن الدواجـــن تـــربى بأعداد كبيرة فى تلك المزارع فانها معرضة لبعض الأمـــراض مـــثل (النيوكاسل ، الجمبرور C.R.B السورمانيلا) والتى تؤثر تأثيرا قويا علـــى حجـــم الإنتاج ، علاوة على أن اتجاة الرياح من الجهة البحرية إلى الجهة القبلية ولان وجـــود المســـاكن فـــى الجهـــة الـــبحرية حيث تعمل كمصدات للرياح لاتؤثر على الأراضـــى الزراعـــية وانما يكون لها تأثير على هذا النمط الجديد من النشاط الاقتصادى وهـــو مـــزارع الدواجـــن بجانـــب بعض الأسباب الاخرى التى تساعد على أنتشار تلك الأمراض منها :

- اســـتيراد ســـلالات من أمهات مريضة ، وذلك على الرغم من أن الاستيراد يتم عن طريق المؤسسة المصرية العامة للدواجن
- عدم صلاحية الأمصال التى تقدمها وزارة الزراعة لتطعيم الدواجن .
- وجـــود أكـــثر من مزرعة فى منطقة واحدة ، حيث أنه من المفروض أن يكون هناك بعد كاف بين كل مزرعة وأخرى لا يقل عن ٥٠٠ متر .

وللتغلـــب على هذه المشاكل قام المربون من أهالى قرية الرملة وقرية ميت العطار وقرية كفر شكر بانشاء جمعية تعاونية لمربى الدواجن مركزها بنها ، وتسعى الجمعية لدراســـة الصـــعوبات الـــتى تواجـــة المربين والتغلب عليها والتخطيط لتحسين انتاجية المشـــروع وإنشاء مجزر الى وثلاجات لحفظ الدواجن بعد ذبحها لتنظيم عملية العرض والطلب بين المزارعين والتجار من محافظة القاهرة والمحافظات الأخرى .

---

[1]- يوجد حوالى ٧٠٠ مزرعة للتسمين ومزرعتان لانتاج البيض (وقت إجراء الدراسة)

ولأن هذه المشروعات تحتاج إلى رأس مال كبير وخبرة ، الأمر الذى تفتقر اليه الأسرة الصغيرة فهم يقومون مع ذلك بتربية الدواجن البلدية والبط والأوز .

٢) الصنـــــاعة :

ان الصناعة هنا تخدم الزراعة بطريق مباشر أو غير مباشر فيوجد بالقرية :

أ – ماكيــنات لطحن الحبوب (القمح والذرة) وهى من الطراز القديم لانها ملك لأهالى القرية ولم يدخلوا عليها أى تعديل أو تطوير .

ب – مصــانع الكــتان تشـتهر الـرملة بصناعة الكتان حيث يوجد بها ثلاثون مصنعا مرخصــا ومؤمن عليها ضد الحرائق بالاضافة الى مصنع آلى واحد . ويجلب الكتان من المنطقة المحيطة بالمصانع ومن محافظة البحيرة . ومهنة صناعة الكتان مهنة متوارثة مــن الأجداد حيث أنها بدأت بعدد قليل من الاشخاص يتراوح بين ثلاثة أو أربعة تعلموا هذه الحرفة من خلال عملهم فى محافظة البحيرة وعندما عادوا إلى القرية . ومارسوها تعلمها منهم الأخرون وأنتشرت بينهم وتعمل فى الصيف أكثر من الشتاء . ويتم صناعة الكــتان بتجمــيع المحصول على شكل حزم ثم تخبط الحزمة بقطعة من الخشب حتى يتم فصل البذور عن السيقان وتسمى هذه الطريقة " بالهدير " ثم تنقل الحزم بعد ذلك الى " المعاطــن " وهى عبارة عن حفر كبيرة مملوءة بالماء وتترك فيها عدة أيام والهدف من المعاطــن أنها تسهل عملية فصل الياف الكتان عن ساق النبات ويستخدم القشر بعد ذلك فى عمل المنسوجات الكتانية عن طريق مصانع النسيج بالمحلة الكبرى والاسكندرية أما سيقان النبات المتبقية فتستخدم لصناعة الخشب[١]

ولهــذه المهــنة أخطارهــا وتأثــيرها على صحة العمال حيث أنهم معرضون للآصابة بالأمراض الصدرية نتيجة للجو المترب المحيط بهم أثناء العمل . وأبناء الأسر التى تقوم بهذه الصناعة يعملون فى صناعة الكتان على نطاق ضيق حيث يصنعون منه الدوبار والخبوط التى تستخدم فى صناعة الحصر والحياكه .

ج – صناعات الألبــــان :

يوجــد بالقرية مصنع يدوى واحد يعتمد على تجميع الالبان من أهالى القرية والقرى المجاورة لتصنيعة " جبن " ويتم ذلك بألات يدوية وتبلغ طاقته الانتاجية حوالى

١- يــتراوح عــدد العمال بكل مصنع ما بين ٢٥ الى ١٠٠ عامل والاجر اليومى للعامل جنيهان وللصبى جنيه واحد

١٨ طـــنا كل سته شهور ، وتزيد إنتاجية المصنع فى الشتاء ويرتبط هذا بوفرة البرسيم الذى هو غذاء المواشى الرئيسى فى هذا الفصل .

د – صناعة السواقى :

بالاضـــافة إلى هذه الصناعات بالقرية توجد ورشة لصناعة دوائر السواقى حيث تصنع الساقية من الخشب وتغطى بالصاج .

٣) الســــــوق :

يعتـــبر السوق فى القرية بمثابة مكان للتبادل التجارى ، وهناك سوق كبير يقام يـــوم الأثنين من كل أسبوع وسوق صغير يطلقون عليه أسم سويقة ويقام يوم الخميس من كل أسبوع .

أ – السويقـــــة :

تقــام فـــى مدخل القرية [١] . ويشترى الأهالى منه احتياجاتهم الضرورية من الحـــبوب والطـــيور والجبن والبيض والخضروات والفاكهه واللحوم ، إذا كان الذبح يتم يـــوم الأربعاء . ويحضر إلى السويقة أهالى القري المجاورة مثل قرية طحلة ، ويلاحظ أن السوق يبدأ مبكرا قبل طلوع الشمس فيبدأ البائعون الوافدون من القرى المجاورة فى نقـــل بضـــائعهم بالسيارات الى مكان السوق بعد صلاة الفجر حتى إذا ما طلعت الشمس يكونـــون قـــد وضـــعوها علـــى الأرض وعرضوها للبيع ، وينتهى السوق قبل الظهر . ويلاحـــظ أن هـــناك أقســـام متخصصه بالسوق ، فنجد بائعى الخضروات فى جانب حيث تسوق المنتجات الزراعية من الخضروات والفاكهه ، وبائعى الحبوب بجانب آخر وهكذا. وفـــى أيام الأسبوع التى تخلو من السوق نجد الباعة المتجولين كما نجد بعض الدلالين من الذكور والإناث الذين يبيعون أنواعا مختلفة من البضائع ويكون البيع عادة بالنقد .

١- يقام السوق فى مدخل القرية امام وحدة الشئون الاجتماعية ويشغل مساحة صغيرة جدا بالنسبة لكثافة السكان ، إذ يمتد فى طريق لايزيد طوله عن ٦٠ مترا وعرض الطريق حوالى خمسة أمتار ، وينتشر البائعون على الجانبين ويفترشون البضائع على الأرض وهى تختلف وتتنوع حسب فصول السنة .

ب - السوق:

يتميز هذا السوق بأنه كبير ويباع فيه جميع السلع والمنتجات الزراعية والصناعية والأقمشة والعطارة ومنتجات الالمونيوم والبلاستيك ، ويقام يوم الأثنين من كل أسبوع بمدينة بنها ، وهناك سوق المواشى الذى يقام فى قرية ميت عاصم بالبر الشرقى للقرية . ويعتبر سوق الماشية سوقا كبيرا حيث يحضر إليه التجار من المحافظات والقرى المجاورة من القاهرة والدقهلية ويوجد متخصصون فى هذه التجارة ويعمل بها أيضا سماسرة ووسطاء .

ويبيع أصحاب مزارع الدواجن منتجاتهم فى القرى المحيطة بالنقد وفى بعض الاحيان بالاجل وتباع الدواجن السليمة بالميزان أما الدواجن المريضة فيحدد سعرها بين البائع والمشترى ، ويربى الأهالى الدواجن البلدية والبط والأوز ويبيعونها فى السوق بالاضافة الى منتجاتها من البيض (باعتبار أن هذا نوع من التجارة) كما تسوق أيضا السواقى فى القرية والقرى المجاورة .

أسلوب التعامل فى السوق :

يكون التعامل بين التجار غالبا نقديا ومن الممكن أن يتم الأجل وذلك إذا كان المشترون من القرية أو كانت هناك معرفة شخصية بين البائع والمشترى ، وفى حالة عدم توافر هذه المعرفة فلابد من وجود شخص ضامن ، ويلاحظ أن المعاملة بين التجار والمشترين أو فيما بين التجار وبعضهم تتم بضمان الثقة وكلمة الشرف والشهود ونادرا ما تتم بالمعاملات الكتابية .

وظيفة السوق :

للسوق وظيفة اجتماعية الى جانب الوظيفة التجارية حيث أنه يتيح الفرصة للتعارف على أهل القرية والقرى المجاورة مما يساعدد على أتمام بعض علاقات المصاهرة بين التجار . والمزارعين ويعتبر السوق من أقدم وسائل الاتصال .

دور المرأة فى السوق :

للمرأة دور كبير فى عمليات البيع ، فهى تعمل بالتجارة بالسوق وتبيع الفائض عندها من الطيور والبيض ومنتجات الالبان وتشترى ما يلزمها من أشياء أخرى ، ويلاحظ أن معظم الباعة من السيدات ، وهن لسن تاجرات بالوراثة بل أن ظروف الحياة القاسية هى التى تدفعهن للخروج للبيع أو للشراء وغالبا ما يكن أرامل يقمن بتربية

الأطفـال ، ولـم يعـد خروج المرأة للبيع أو للشراء ينال نظرة الاحتقار التى كانت فى الماضى بل أصبح المجتمع ينظر اليه نظرة التسامح .

٤) التبادل والهدايا :

مـازال نظـام التبادل والمقايضة موجودا ولكن على نطاق ضيق ، حيث يتعامل الحـلاق ومقـرىء القرآن بهذا النظام فيحصل على أجرة من الحبوب " القمح والذرة " حـتى أن نظام البيع بالآجل يتم فى أضيق الحدود ويكون بالنسبة للمعارف والاقارب فقط وبطريقة تضمن السداد .

ويهتم أهل القرية أهتماما خاصا بتبادل الهدايا فى المناسبات المختلفة مثل الحج والزواج والنجاح والختان والمرض وتتخذ الهدايا شكلين :

الأول : النقوط ويقدم فى شكل نقود ويهتمون به بصفة خاصة فى الزواج .

الـثانى : الحمولـة وهـى عـبارة عـن هدايا عينية تتكون من السكر والارز والشاى والصابون والشربات والفاكهه .

وتقدم الهدايا أيضا فى يوم الخبيز للجيران وهم يقدمون مقابل ذلك هدية مناسبة . وتعتبر هذه الهدايا من نوع الهدايا الملزمة (*).

العلاقات التجارية بين القرية والمحافظات الأخرى :

يعـتمد سـكان القرية فى نشاطهم التجارى على تبادل السلع ومنتجات القرية الزراعـية والصـناعية مـع المحافظات الأخرى . فهناك علاقات تجارية مع محافظات القاهـرة والغربـية حيـث تـباع الموالـح والموز من القرية لهذه المحاقظات وكذلك الخضـروات وتشترى الالات الزراعية من القاهرة وبنها ، كما أن هناك علاقات تجارية مـع محافظـة الغربـية فتباع منتجات القرية من الكتان لشركات الغزل والنسيج بطنطا والمحلة الكبرى ، والعلاقات التجارية الأكثر أهمية تتم فى مدينة بنها حيث تباع الماشية والخضـروات والفاكهـة وتعـتمد القـرية فى أستكمال احتياجاتها من مدينة بنها حيث يشترى الأهالى الملابس والامتعة منها بالاضافة الى أن عدد كبير من أبناء القرية يعمل بمدينة بنها .

ويوجـد بالقرية بعض الأنشطة التجارية البسيطة ، مثل محال البقالة التى يعمل بعضها طوال النهار والبعض الآخر يعمل فى فترات صباحية والبعض الثالث يعمل فترات

---

*- الهدايا الواجبة الوفاء ، والتى يحافظ الاهالى على ردها .

ليلـــية بالاضـــافة الـــى محلات بيع الادوات الكهربائية والخردوات ويحتل التجار مكانة اجتماعية مرموقة باعتبارهم أثرياء القرية .

٥) تقسيم العمـــــــل :

تشارك المرأة الرجل في قرية الرملة فى كثير من الأعمال كالزراعة والتجارة ، فهى تخرج لمساعدة زوجها فى أعمال الزراعة فترعى الماشية وتصحبها للحقل وتحضر لهـــا البرســـيم بالاضـــافة إلى عملها بالمنزل ورعاية أبنائها وهى تقوم بتربية الدواجن والـــبط والأوز وتخـــرج لبـــيعها بالاسواق الى جانب منتجات الالبان من الجبن والزبد ، ويقـــوم الـــرجل بأعمـــال الـــزراعة أو الـــتجارة أو فـــى الحكومـــة من خلال المصانع والمشـــروعات بمدينة بنها ، وللأبناء أيضا دور يشارك معظمهم فى أعمال الزراعة بعد العـــودة من المدرسة إذا ما كانوا طلبه وفى العطلة الصيفية من هنا نجد أن الأسرة كلها تتعاون من أجل الانتاج الذى يعود عليها بالخير.

٦) الحرف المنتشرة بالقرية :

يلجأ العمال الزراعيون وصغار الملاك إلى العمل بحرف أخرى كالعمل فى أعمال البناء أو بمزارع الدواجن وذلك أثناء فترة البطالة الموسمية للزراعة بجانب هذا نجد أن كثيرون منهم هجروا العمل فى الريف وأتجهوا الى العمل فى المصانع أو الحرف الفنية والوظائف الحكومية وكثير من الملاك يعملون فى الوظائف الحكومية والإدارات فى داخل القـــرية وخارجها بالاضافة الى عملهم فى زراعة أرضهم وتربية المواشى ، وذلك بعد الأنتهاء من العمل الرسمى .

ولكن هناك بعض الحرف التى يقوم بها متخصصون ويمارسونها بصفة دائمة منها:

أ) صانع الأحذية :

أنـــه يشترى المواد الخام اللازمة لهذه الحرفة من بنها وبدأ يدخل عليها بعض التعديلات من ناحية أسلوب الصناعة والأدوات المستخدمة والتصميمات الحديثة ولكنها مـــع كـــل هذا بدأت تندثر نتيجة لاتجاه الاسر الى تعليم أبنائها ولايقدم الأب على تعليم أبنائة هذه الحرفة الا إذا فشلوا فى الدراسة ، وقد بدأ الباعة المتجولون يبيعون الأحذية التى يأتون بها من بنها إلى المدن الأخرى .

ب) الترزى البلدى :

يوجـد بالقــرية أكثر من محل ترزى بلدى وهو يقوم بتفصيل الملابس الرجالى والجلباب والصديرى .

ج) الحلاق أو المزين :

وهــو يقــوم بالحلاقة بالاضافة إلى تزيين العريس ليلة الحناء ، وكذلك عمليات الختان واعطاء الحقن ، وقد قل الأعتماد عليه فيما يتعلق بالشئون الصحية نظرا لتواجد الوحــدة الصحية ، ولقد كانت متوارثة لعهد قريب وتتوارث فى أسرة واحدة لدرجة أن بعضهم سافر إلى المملكة العربية السعودية للعمل بنفس المهنة وهى مازالت تقليدية من ناحــية الأدوات المســتخدمة فيها . ولا يحبذ الأباء حاليا تعليم أبنائهم هذه الحرفة ولكن يفضلون التعليم أكثر

د) السباك السمارى :

وهو الشخص الذى يقوم باصلاح وتركيب الطلمبات واصلاح مواقد الكيروسين \

س) الكهربائى

- المكوجى : هى حرفة متوارثة ويوجد منها بالقرية أربع محلات .

ص) النجار ض) الفــران ط) الميكانيكـــــــى

ظ) المقرىء أو الفقى :

ويقوم بتلاوة القرآن الكريم فى المنازل وعلى القبور مقابل أجر نقدى .

ع) الماشــطة : أن دورهــا أخذ فى التقلص نتيجة لوجود محل كوافير بالقرية وأصبح أقبال الفتيات عليه كبير .

ك) التربى : وهو الشخص الذى يقوم بدفن الميت وتنظر إليه القرية اليه نظرة أحتكار فيرفضــون تزويجه من بناتهم وان كان الوضع يختلف بالنسبة لابنائة الذكور المتعلمين فمن الممكن أن يتزوجوا ممن يقع عليهن الأختيار .

ق) الــبقال : تنتشر محلات البقالة بالقرية ، وقد لوحظ أنهم يبيعون أنواعا مستحدثة مــن الأطعمــة غــير المألوفة للقرى المصرية كالمعلبات والسندويتشات وتنتشر كذلك محلات الأقمشة .

و) الداية : وهى تمارس عملها مقابل حصولها على النقوط .

الخلاصة :

يلاحظ أن الحرف متعددة ومنها ما هو متوارث عن الأباء والأجداد أو مكتسبة بالخبرة والممارسة ويلاحظ أيضا أن هناك حرف جديدة أدخلت على القرية مثل الأدوات الخاصة بالمزارع من الألومنيوم ، وورش إصلاح السيارات والموتوسيكلات نظرا لوجود عدد كبير من أهالى القرية يعملون بقيادة السيارات ومنهم من يعمل لدى الأخرين أو يمتلكون سيارات .

وسائل المواصلات :

تعتمد القرية فى النقل الداخلى على الحمار والجمل وأحيانا الدراجة أو الموتوسيكل ، أما النقل الخارجى فيعتمد على سيارات الأتوبيس العامة وسيارات الأجرة، بالاضافة إلى سيارات النصف نقل والموتوسيكل المزدوج . وقرب القرية من مدينة بنها وكذلك قربها من الطريق الرئيسى ساعد على زيادة الحركة التجارية وتوسيع دائرة الاحتكاك الثقافى مع القرى والمدن المجاورة بالاضافة الى سهولة العمل خارج القرية والعودة اليها فى المساء .

الهجرة :

نظرا لارتفاع كثافة السكان وقلة مساحة الأرض وانتشار التعليم وتقلص الأسرة الممتدة فقد لجأ عدد كبير من أبناء القرية إلى الهجرة ، سواء أكانت هجرة داخلية للمدن الكبيرة كالقاهرة والاسكندرية وطنطا وبنها أو هجرة خارجية كالهجرة للبلاد العربية وخاصة العراق ، وتعتبر القرية منطقة طاردة للسكان شأن كل القرى المصرية. وقد أدت ظاهرة الهجرة الى ارتفاع مستوى القرية المعيشى وارتفاع الأسعار عامة والمهور خاصة . والهدف من الهجرة أساسا هو زيادة الدخل وهذا ما دفع عدد كبير من العمال والفلاحين للعمل فترات اضافية فى مزارع الدواجن أو أى عمل آخر يدر عليهم دخلا .

الخدمات البيئية :

أ) الصرف الصحى : لايوجد بالقرية مشروع للصرف الصحى ويتم صرف المجارى المائية فى المصارف .

ب) مياة الشرب : دخلت مياة الشرب النقية القرية على شكل حنفيات عامة وقام بعض الأهالى بتركيب المواسير التى توصل المياة الى منازلهم والتى يبنونها بالطوب الاحمر

أو تكـــون قويـــة ، ورفض البعض الآخر دخول مواسير المياة إلى بيوتهم خوفا عليها لأنها من الطوب اللبن ، ومعظم المنازل تستعمل طلمبات ضخ المياة الجوفية .

ج) الكهرباء : يوجد بالقرية شبكة للكهرباء وقد أتاح وجود الكهرباء بالمنازل استخدام الاجهـزة الكهربائـــية كالـــتلفاز والغسالة والمذياع وغيرها . نتيجة للضغط الشديد على شبكة الكهرباء ، فان التيار ينقطع بصفة مستمرة .

الخدمات الاجتماعية بالقرية :

أ) المـــدارس : يوجـــد مدرسة ابتدائية مشتركة تعمل فترتين بها ٢٢ فصلا ، بالاضافة الى مدرسة اعدادية مشتركة أيضا بها ٢٠ فصلا .

ب) الوحدة الصحية : تقوم بعمل مكتب الصحة وتقديم الخدمات الصحية .

ج) بـنك التسليف الزراعى التعاونى : يخدم القرى التابعة للمجلس القروى بطحلة بما فيها قرية الرملة التى بها مقر البنك

د) مكاتب البريد : يوجد مكتب بريد واحد .

س) الجمعية التعاونية الزراعية .

ص) الوحـــدة الاجتماعية الريفية ، اللجنة الشعبية للتنمية الاجتماعية وهى تابعة لوزارة الشـــئون الاجتماعية وتعمل تحت إشراف مديرية الشئون الاجتماعية بالقليوبية

ط) المقاهى : يوجد ثمانية مقاهى ، أقدمها يرجع إلى خمسين سنة مضت .

ع) المســاجد : بالقـــرية أحـــدى عشـــر مسجدا ونظرا لأن معظم أهل القرية يدينون بالاســـلام فلا يوجد بها كنائس وانما بيت للمناسبات للمسيحيين الذين لايتجاوز عددهم ١٠٠ نسمة كما يوجد عدد من الأضرحة مثل سيدى " سعودى " وسيدى " خـــير الديـــن " وسيدى " على إبراهيم " وسيدى " حسن " وسيدى " الاربعين " وسيدى " على الحداد " وسيدى " محمد أبو سلام " وهو بالمقابر

الـــــــزواج :

يـــتم الـــزواج غالبا بين الأقارب ويبدأ بتبادل الزيارات خاصة بين النساء أولا فتزور أم العريس أهل العروس وتحمل معها الهدايا المختلفة من حلوى وشربات وسكر وكعـــك وعندما يتم الأتفاق على الزواج تقوم والدة العروس برد الزيارة وتبدأ الاسرتان فـــى إعـــداد وتجهـــيز متطلبات الزواج . هذا بالنسبة للعروس غير المتعلمة ، أما فيما

يـتعلق بالعروسين المتعلمين فيخرجان معا لشراء احتياجات منزل الزوجية واحتياجات الفرح .

١ – اجراءات الخطوبة والزواج :

ان زواج الأقـارب سـواء من ناحية الأب أو الأم هو الزواج المفضل وغالبا ما يـتاح للولد فرصة اختيار شريكة حياته عند بلوغة سن الزواج من بين الأقارب بهدف المحافظـة علـى قوةالعائلة وأمتدادها وأيضا للحفاظ على الميراث . ويعتبر الزواج من القـرى المجـاورة أو مـن القاهـرة أقل انتشارا بالقرية ، ويفضل زواج الأبناء حسب ترتيبهم الأكبر ثم الأصغر هكذا .

وتعتبر الفتاة عند بلوغها سن الزواج زوجة بالتسمية لأبن عمها ولا يحق لها الـزواج مـن غـيرة الا فى حالة زواجة من أخرى . وبعد أختيار الشاب للعروس التى يرغـب فـى الارتباط بها يعرض الأمر علىوالده ويقوم الوالد بطلب يد الفتاة وفى حالة الموافقـة يحـدد قـيمة المهر والشبكة ويقدم العريس مستلزمات الخطوبة وتقوم أسرة العـروس باجـراءات الاحـتفال بالخطوبة ، وغالبا ما يقام الاحتفال فى منزل العروس عصرا ويقدم فيه الطعام وتتراوح قيمة الشبكة بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ جنية بالنسبة للفتاة المتعلمة .

٢ – المهـــــر :

يـأخذ المهـر صـورتين أ) أما أن يقدم نقدا ويتراوح بين ٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠ جنية وفى هذه الحالة لا يتحمل العريس مسئولية اعداد المسكن ومستلزماته .

ب) أو أن يـتكفل هو باقامة المسكن وتجهيزه مع دفع مبلغ من المال للعروس لايقل عن ١٠٠٠ جنـية ولا يـزيد عن ٢٠٠٠ جنية كهدية . ويساعده والده فى المهر الذى يتم دفعـه ويكون ذلك قبل عقد القران فيعطية والده لوالدها فى ظرف ويفتح الاخير الظرف ويعد النقود امام الحاضرين ثم يمرر من شخص لأخر وهذا تأكيد واثبات لقيمة المهر ، ثم تكتب قائمة يثبت فيها – الأثاث الذى تم شراؤه لبيت الزوجية بهدف المحافظة على حق الزوجة والعلاقة بينهما . ويتكفل أهل العريس بالاحتفال بعقد القران والزفاف وذلك فـى مـنزلهم ، وغالبا ما تنحر الذبائح فى هذه المناسبات ويتولى عقد القران القاضى " المـأذون " بعد أن يطلع على شهادة ميلاد العروس وبطاقة العريس الشخصية ويدفع له ١٠% من قيمة المهر ويشهد الاصدقاء على العقد .

ويـــتم نقـــل الجهـــاز الـــذى يتكون من ثلاث غرف فى الغالب " نوم ، سفرة ، صالون " الى منزل الزوجية على عربة ويلف به فى القرية حتى يراه الجميع ، هذا ولا يخلو الجهازمن الألومنيوم والنحاس وأدوات المطبخ .

٣- الاستعداد لحفل الزفاف :

تـــتم ليلة الحناء فى منزل العروس وتحتفل بها مع صديقاتها وتأخذ النقوط فى هـــذه اللـــيلة وهى من الهدايا الملزمة وضرورية جدا . ويدعى جميع الأقارب لحضور حفـــل الـــزفاف وتقام الولائم وترقص النساء وتطلق الأعيرة النارية من قبل الأسرتين ابـــتهاجا وفرحا ، وتبقى العروس فى غرفتها بعد تزيينها وترتدى الثوب الابيض الى أن يأتى العريس لاخذها ويقام الاحتفال بمنزل أسرة العريس .

٤- الصباحيـــــــة :

يذهـــب الرجال من الأقارب والجيران لتهنئة العروسين صباحا ويقدمون النقوط وهوحسب مقدرة كل واحد فيتراوح بين ٥ ، ١٥ جنيها ، وتذهب النساء عصرا لتقديم الحلة للعروس ، وهى عبارة عن حلة مملوءة باللحم أوالدجاج أو الفطـــير وخلافه أمـــا فـــى الـــيوم الثالـــث فتقوم أم العروس باعداد الطعام للعروسين ويعمل لهما سبوع وترسل الهدايا من مأكولات وأطعمة .

٥ – الولادة :

غالـــبا مـــا تقـــوم " الداية " بعملية التوليد فى منزل الزوجة ، حيث تبقى حتى السبوع فى المنزل ، ويتولى حلاق الصحة اجراء ختان الاطفال الذكور .

٦- العلاقات القرابية :

١ – علاقـــة العـــريس بوالدة العروس : يلاحظ أن للعريس مع حماته علاقة تتسم بالقوة والـــتفاهم مـــنذ الـــبداية وذلك حتى يستطيع دخول المنزل فى غياب رجل البيت أو رب الاســـرة ، وهو يبلغ حماته ويأخذ رأيها فى كل الأمور التى تجد أو تحدث وهى بدورها تنقلها الى زوجها ، وهذا فى حالة أنشغال رب الأسرة الدائم

وتتســـم الأســـرة هنا فى أنها أسرة ممتدة تضم الأب والأم وأولادهم المتزوجين وأحيانا تضم الأحفاد أيضا فيظل الأبن عضوا فى عائلة أبيه حتى يتزوج وينجب أطفالا ، بجانـــب هذا النوع من الأسر الممتدة الواسع الأنتشار توجد الأسرة النووية أو البسيطة والتى تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين فقط .

وكـــان الزواج يتم فى الماضى فى سن مبكرة بالنسبة للعروسين ومازال فنجده يـــتراوح بيـــن الثالـــثة عشـــرة الـــى الثامنة عشر بالنسبة للفتاة ، وبين الثامنة عشرة والعشـــرين بالنسبة للفتى . ولكن بعد أنتشار التعليم أصبح سن زواج الفتاة يتراوح بين السادسة عشرة والثالثة والعشرين ، وللفتى بين العشرين والثلاثين .

٢ – للعم مكانة كبيرة فى العائلة وعليه يقع العبء الأكبر فى المسئولية تجاه أولاد أخيه عـــند وفاتـــه ، ومكانـــته لدى الأسرة أكبر من مكانة الخال ، ويطلق أصطلاح عم على أقـــارب الأب والذين فى منزلته ، كما يطلق أصطلاح خال على أقارب الأم والذين هم فى منزلة الأب .

٣- والدتـــا العـــريس والعـــروس : تأخذ العلاقة بينهم طابعا فريدا من نوعة فتبدأ كل مـــنهما فـــى أستعراض أحلى وأبهى ما لديها من حلى وملابس ومأكولات ويتحدثن عن زواجهن فى الماضى ومهرهن وجهازهن وكل هذا على سبيل التفاخر ، ويكون تدخلهن فـــى حـــياة العروســـين حـــتمى وبشـــكل قوى فى كل صغيرة وكبيرة تخصهما . وتبدأ علاقاتهمـــا بالحـــب والمودة ولكن سرعان ما تنقلب الى الضد بعد زواج الأبناء وتصبح علاقة ظاهرها المودة وباطنها الكراهية وخاصة بين السيدات غير المتعلمات .

٤- العروس والحماة : تتسم علاقة العروس بحماتها قبل الزواج بالمودة وخاصة إذا ما كـــانوا أقـــارب ولكـــن بعد الزواج تصبح علاقة كره وعداء الى حد ما ويرجع ذلك إلى أسباب أهمها شعور الأم بأن الزوجة اختطفت أبنها منها وشاركتها فى حبه ، أو أن الأم تـــرى أن زوجة الأبن لاتصلح لإدارة المنزل وبالتالى فهى تتدخل فى شئون زوجة ابنها خوفا على مصالح الأبن مع زوجتة ، ويظهر هذا جليا واضحا بين الطبقات غير المتعلمة ... أما المتعلمون فان الزوج يكون حريصا على أن يستقل بمنزل بعيد عن منزل أسرتة حتى يتفادى تلك الأنواع من المشاكل.

٥ – العلاقـــة داخـــل الأسرة : الزوج هو المسئول الأول عن الأسرة وهو عائلها الوحيد ويعمـــل ســـواء أكان مزارعا أم موظفا من أجل أشباع الاحتياجات المادية للاسرة بينما نجـــد أن الـــزوج والزوجة المتعلمين ويعملان ، يشتركان معا فى تحمل مسئولية الحياة المادية وتوفير المستلزمات الخاصة بمعيشة الأسرة .

ويلاحظ أن الزوجة غير المتعلمة تذهب لمساعدة زوجها بالحقل اذا كان مزارعا وكذلـــك تذهب للسوق (سوق الأثنين وسوق الخميس) لبيع بعض المنتجات الزراعية ،

أو منتجات الألبان الزائدة عن حاجة المنزل وأيضا الطيور والدواجن التى تربيها بالمنزل بجانب عملها فى البيت وقيامها بكل الأعمال المنزلية ، ومن أهم المسئوليات الملقاه على عاتق الزوجة المحافظة على شرف العائلة أولا وأخيرا . ومن واجبات الزوجة تجاه حماتها أن تطيعها وتعمل على خدمتها وراحتها باعتبار أن أم الزوج لها الكلمة العليا فى المنزل وخاصة إذا كانت الزوجة تقيم معها فى المنزل ويحترم الزوج زوجته ويأخذ برأيها فى معظم أعماله وقراراته وللأب منزلة كبيرة فى الأسرة وأيضا للأبن الأكبر نفس المنزلة بعد والده ويجمع الأخوة والأخوات علاقات الحب والود والتفاهم . ويتبع الأب أخلاق القرية فى تعليم إبنه وتأديبه سلوكيا ونادرا ما يحدث أن يضربه ، ولا يكون الضرب الا فى الحالات التى يستحيل فيها النصح والارشاد ، ويهتم الأب بأصدقاء أبنه فيحرص على أن يكونوا على خلق ودين .

وفى فشل الأبناء فى التعليم فغالبا ما يقوم الأب بتعليم الأبن نفس المهنة أو الحرفة التى يعمل بها .

ويحرص الأب كذلك على تربية ابنته تربية صالحة ويهتم باعدادها وتعليمها إذا رغبت هى فى التعليم حتى زواجها ويقوم بتجهيزها عند الزواج ولا يفرق معظم الاباء فى معاملتهم بين أبنائهم وبناتهم .

وتحاول الفتاة دائما تقليد أمها ويتيح لها هذا ارتباطها الدائم بها ووجودها معها معظم الوقت فتتعلم العادات والتقاليد ، وعندما تصل إلى سن الزواج تبدأ الأم فى اعدادها لهذه المرحلة ، وبعد الزواج تقوم الام بمتابعة الابنة وتستمر فى اعطائها النصائح فى كل الأمور التى سوف تجد على الفتاة وتظل الأم بجوار أبنتها خاصة أثناء الحمل والولادة وبعد الولادة ترعاها هى ووليدها وكثيرا ما تبقى الفتاة فى هذه الفترة فى منزل والدها .

أما الولد فان الأم تترك مسئولية تربيتة للأب لأنه يكون أقرب له منها ويرجع ذلك إلى أن الأبن يحاول دائما تقليد والده فيذهب معه للحقل ويتنقل معه فى كل جولاته وما عليها الا أن تهتم برعايته من الناحية الصحية والتعليمية ويفضل الاب غالبا الذكر على الأنثى ولكنه لايفرق فى المعاملة بينهما .

أمـــا علاقـــة الأخـــوة الذكور والاناث فانه ببلوغ البنت يبدأ أخوها فى مراقبتها ويـــبدو حرصــــه الشديد عليها فى خروجها وعودتها ولا يرفع مراقبته عنها الا بعد أن يعقد قرانها. وفى حالة وفاة الأب يقوم الأبن الأكبر بدور الأب ورعاية الأسرة واعالتها .

أمـــا الجد فله المنزلة العليا فى المنزل وتجب أستشارته فى كل الأمور غالبا ما يأخذ الأب رأيه ويعتبر كبير العائلة وعميدها وهويعطف ويحنو على أعضاء أسرته ولابد مـــن الرجوع اليه فى كل صغيرة وكبيرة وله الأمر والنهى وكلمته تنفذ كالقانون ولاترد خاصة إذا ما كان ذو نفوذ ومال .

٧- تعـــدد الزوجات : غالبا ما يتزوج الشخص من زوجة واحدة ، فتعدد الزوجات غير منتشر وإذا وجديكون بسبب عقم الزوجة ، ويرجع ذلك إلى أنتشار الوعى لدى القرويين بالاضـــافة الـــى أرتفـــاع المهور اللازمة لاتمام الزواج ، وفى حالة تعدد الزوجات فان الـــزوج لايطلق زوجته الاولى ويبقى عليها وأحيانا يجمعهم فى مسكن واحد وفى أحيان أخـــرى تستقل كل زوجة بمسكن خاص بها ، وهذا لتلافى المشاكل التى تنتج عن وجود أكـــثر مـــن زوجة فى مسكن واحد وأيضا من ناحية الأخوة غير الأشقاء والعداوة التى تقـــوم بيـــنهم نظرا لأن أبناء الزوجة الأولى يعتبرون أن أبناء الزوجة الثانية ليس لهم الحق فى والدهم أو أى ميراث منه .

الطـــــــــلاق :

تعتـــبر حـــالات الطلاق الموجودة بالقرية حالات نادة وسببها عدم التوافق بين الزوجين وكثرة النزاع بينهما ، وقد تكون الحماة وأهل الزوج سببا من أسباب الطلاق . والســـبب قلة حالات الطلاق أن معظم الزيجات من الأقارب ، ويتدخل الأقارب دائما لحل أى نـــزاع أسرى . ولظاهرتى تعدد الزوجات والطلاق مساوىء كثيرة يظهر أثرها على الأبـــناء فـــى شـــكل أنحـــرافات سلوكية وفشل فى التعليم وعدم قدرة الاب على الرعاية المادية لأولادة .

الوفـــــــــاة :

فـــى حالـــة وفـــاة الزوج تتكفل الزوجة وأبناؤها بمصاريف (الجنازة) ، ويقام ســـرادق كبـــير يقـــرأ فيه القرآن الكريم فى حاله مقدرتهم المادية ، أما ذكرى الأربعين والذكـــرى السنوية فتكونان فى المنزل . وينتشر بالقرية عدد كبير من المعمرين ويرجع هـــذا الى سبب رئيسى وهو أنهم لا يعيرون للدنيا اهتماما بمعنى أنهم " لايحملون للدنيا هما".

الميـــــــراث :

عـــند وفـــاة الأب يقام مجلس عرفى لتقسيم الأرث تبعا للشريعة الاسلامية وأن كانـــت أغلبـــية أهل القرية تحرم المرأة من الميراث ويرث الأبناء الذكور فقط وغالبا ما يكتـــب الاب وصية يسجل فيها كل أملاكه لأبنائه الذكور على أن تعوض الفتاة بمبلغ من المـــال والهـــدف مـــن هذا هو الحفاظ على الثروة وخاصة إذا كانت أرضا زراعية لعدم خروجها وذهابها الى زوج البنت أو الغرباء عن العائلة .

السلطـــــــة :

كـــان العمـــدة يتولى الحكم المدنى بالقرية ويعاونه سبعة شيوخ يساعدونه فى العمـــل وخمســـة وعشـــرين خفيرا ، وبهذه السلطة لم يكن الأهالى فى حاجة الى نقطة الشـــرطة بالقـــرية . وبعـــد صدور الحكم المحلى الغيت العمودية وأصبحت القرية تتبع المجلس القروى لطحلة بالاضافة الى وجود نائب العمدة ، وقد أستحدث هذا المنصب بعد الغاء العمودية وهو يقوم بنفس المهام التى كان يقوم بها العمدة الا أن الوضع والمكانة الاجتماعية التى كانت تحيط بمنصب العمدة قد تلاشت تماما وهناك الخفر الذين يعاونوه فى اتمام مهامه . هذا بالاضافة إلى المجالس العرفية التى تتكون من نائب العمدة وكبار الســـن وهـــى تقوم بحل المشاكل التى تنشب بين الأهالى وأن كان دورها قد تأثر تأثيرا كبـــيرا بوجـــود الســـلطات القضائية وخاصة أن أحكام المجالس العرفية ليس لها صفة الالزام .

التعليـــــــم :

لـــم يكـــن للتعليم شأن فى قرية الرملة حيث أن عدد المتعلمين لم يكن يزيد عن عـــدد أصـــابع اليد ، ومع إنشاء المدارس الابتدائية والأعدادية زاد الأهتمام به وأصبح تعليم الأبناء شيئا ضروريا تحرص عليه الأسرة بالنسبة للأناث والذكور ويستكمل الابناء تعلـــيمهم الثانوى والجامعى خارج القرية حيث لايوجد بها سوى مدرسة ابتدائية وأخرى اعداديـــة . كمـــا أنتشر أيضا التعليم الأزهرى بالقرية وكان علماء الدين يفدون قبل ذلك من القرى المجاورة .

الرعاية الصحيـــــــة :

أنشـئت الوحدة الصحية عام ١٩٧١ بقرية الرملة وبعض القرى الأخرى "عزبة أبـو جـرف وعـزبة أبو شاهين " وتقوم الوحدة الصحية بتوفير كافة الخدمات الطبية ووسائل العلاج وتضم معملا للتحاليل وصيدلية لصرف الأدوية بالمجان ويعمل بها طبيب يعاونـة أثنـتان من الممرضات . وتهتم الوحدة برعاية الأمومة وحماية الأطفال الرضع من الأمراض عن طريق تطعيمهم الدورى ضد أمراض " شلل الأطفال والجدرى والدفتريا والكولـيرا والعـيون " كمـا تهـتم بنشر الوعى الصحى بين الامهات القرويات لحماية الاطفـال من الأمراض الموسمية كالانفلونزا وأمراض البرد والنزلات الشعبية والمعوية وتعتـبر أمـراض الـربو الشـعبى الـذى ينتج عن العمل فى مصانع الكتان وأمراض الروماتـيزم والانيمـيا أو الهـزال ، وخاصـة فـى الأسر الفقيرة والديدان كالبلهارسيا والأسـكارس أكثر أنتشارا بقرية الرمله . وتقوم الوحدة الصحية بتوفير كافة الامكانيات الوقائـية والعلاجـية ضدهذه الأمراض مع تحويل الحالات الشديدة الى مستشفى بنها . ويوجد بالقرية خمس عيادات ذات تخصصات مختلفة .

بعض الأمراض التى تعالج بالطب الشعبى :

١- مرض السنط : وهو مرض جلدى نادر الحدوث ويعالج منه المريض باستخدام جـريد الـنخل أو ثـوب الثعبان "جلد الثعبان الذى يغيره " مع أستخدام بعض الأساليب السحرية أو قراءة بعض الآيات القرآنية .
٢- حالات الكسور : يقوم بعلاجهاالمجبراتى .
٣- أمراض العيون : يستخدم لذلك اللبن الرائب أو الشاى .
٤- الأسهال : يعالج بالحلبة والنشا .
٥- أمراض الروماتيزم : تعالج بطريقة الكى

ولكبار السن دور كبير فى علاج هذة الأمراض لما لهم من خبرة فى هذه الأمور ولـثقة الأهـالى فيهم لما يمتازون به من الطيبة وحفظ القرآن . كما يذهب الأهالى فى بعض الأحيان لزيارة أضرحة الأولياء بهدف شفاء المرضى أو الرغبة فى الأنجاب وأكبر وأعظـم الأضـرحة مقاما فى القرية ضريح سيدى " على الغريب " وينذرون له النذور كـرامة له . وبجانـب الـرعاية الصحية والوقائية التى توفرها الوحدة الصحية لاهالى القـرية فانها تقوم بدور قيد المواليد والوفيات وأعطاء شهادات التسنين للفتيات اللاتى

فــى سن الزواج ، وتطعيم المسافرين والحجاج والكشف على المسنين الذين يستفيدون بالضمان الاجتماعى .

وتــتعاون وحــدة الشــئون الاجتماعية مع الوحدة الصحية فى تشجيع مشروع تنظيم الاسرة باعطاء مساعدات عينية (كا لسكر والدقيق والزيت) كدافع لأقبال النساء على تنظيم الأسرة .

ومن الشائع وجود القابلة التى لها دور كبير فى عمليات الولادة فهى التى تقوم بمــتابعة الســيدات الحوامل وزيارتهن بالمنازل حتى تتم الولادة وبعد الولادة كذلك حتى السبوع ، ولايلجئون للطبيب الافى الحالات المستعصية .

المسكن :

كانــت المبانى كلها لوقت قريب تبنى بالطوب اللبن وتعمل الأسقف من الخشب والــبوص وكــان أســتخدام الطوب الأحمر قاصرا على الأغنياء فقط ، ويتكون المنزل أحــيانا مــن أكثر من طابق واحد وقد يصل إلى ثلاثة طوابق ، ودخلت الكهرباء المنازل مما ساعد على أستخدام الاجهزة الحديثة .

الاثاث والأدوات المنزلية :

كــان الأثــاث يــتكون من صندوق الملابس والحصيرة واللحاف ولكن تحرص الفتيات المتعلمات الأن على شراء غرفة نوم كاملة ، وقد يتكون الجهاز من ثلاث غرف (صالون وسفرة ونوم)

وممــا هــو جدير بالذكر أن أغلب السكان مازال يستخدم الأفران التقليدية التى يشــعلونها بالحطــب وأعواد القطن والذرة الجافة ، وكذلك الكانون ولكن قل استخدامه بسبب إنتشار مواقد الكيروسين والغاز التى أنتشر وجودها وأستعمالها لدى الموظفات ، وقــد زاد إنتشــار الأجهزة الكهربائية " التلفزيون والراديو والمسجل والخلاط والمكواة والغســالة والــثلاجة) وقــد كانــت الأوانـــى النحاسية " الطشت الذى يستعمل للغسيل والاســتحمام ، صــينية العشاء والقدور " شائعة فى القرى المصرية كلها ولكن بدأ يقل أستخدامها حاليا وحلت محلها الأوانى المصنوعة من الألمنيوم والبلاستيك .

الملبس :

تعتبر العباءة الصوف هى الزى التقليدى للرجال وخاصة الأغنياء وكان الصوف البلدى يستخدم فى صنعها ، ولكنها أصبحت الان تصنع من الأقمشة الصوفية ومع ذلك فإن الجلباب القطن أوسع أنتشارا بين الفقراء والأغنياء مع أختلاف نوعية القماش .

وكانـــت المراة فى الماضى ترتدى الجلباب الأسود وتلبس على رأسها الطرحة (العصـــبة) وهى من الحرير الأسود ومشغولة من الأطراف باللون الأحمر . أما الأن فأصـــبحت تـــرتدى أزيــاء المدينة ، ويرجع هذا إلى أنتشار التعليم وأرتفاع المستوى الاقتصادى ثم تقبل القرويين لهذا الوضع الجديد .

الزينة :

لقــد أخـــتفى دور الماشطة تقريبا فى تزيين النساء وأقتصر دورها على تزيين العـــروس القـــروية غير المتعلمة ، وتتزين المرأة العاملة كنساء المدينة وبدأت ظاهرة ترددها على الكوافير .

المعتقدات:

كـــان الأهـــالى يعتقدون فى الأولياء ، ويهتمون باقامة الموالد لهم كمولد سيدى علـــى وسيدى إبراهيم ، ويعدون لهم الولائم وكان يقام سباق للخيل فى هذه المناسبات ، ومـــازال هناك أعتقاد فى السحر والسحرة ، وبالقرية ثلاثة من الرجال يمارسون أعمال السحر ومنها عمل تحويطة للعريس ويتم كتابتها وقت عقد القران .

الموقع والبيئة والسكان :

تــبعد الجزيرة عن مدينة بنها بحوالى ٤,٥ كم ، وعن الرملة ما يقرب من ٢ كم[١] ويحدها شرقا بنها وغربا النيل ، ومن الناحية القبلية الرملة ، والبحرية كفر أبو ذكرى (منوفية).

والجزيـــرة عــبارة عــن نتوء بارز عال يلتف حوله مجرى النيل تماما من كل الجهـــات فأرضـــها عبارة عن هضبة عالية ترتفع عن مستوى مياة نهر النيل وتتراوح مساحتها ما بين ١٢٠ ، ١٣٠ فدانا . وتساعد التربة كثيرا على زراعة الموز ، مع أنها ليســت تــربة ســوداء ولكــنها طميية خصبة ولذلك فهى من أجود الاراضى وأصلحها لزراعــته[٢] وقد تكونت الجزيرة من ترسيبات الفيضان . وهى تسمى بالجزيرة العجوز لانها قديمة قدم النيل فهو صانعها ومنشئها ، ووسيلة الدخول اليها والخروج منها ، كما أنها تكونت من طرحه ، فعندما رأى الفلاح هذه الأرض وهى تتكون نتيجة لهذا الفيضان الســنوى للنـــيل أطلــق عليها " طرح النهر " كما تعود أن يطلق على ثمار النبات لفظ " طــرح "[٣] فقد تكونت منذ فتــــرات طويلة نتيجة الفيضان وما يحمله من الغرين الذى ترســب فى طبقات يعلو بعضها بعضا حتى أرتفعت فوق مستوى النهر وأستغلها الفلاح وحولها الى مزرعة *

ويوجد بالجزيرة حوالى عشر عائلات رئيسية يصل تعدادها ما يقرب من مائتى شــخص ولقــد هاجر الى الجزيرة بعض عائلات من كفر أبو ذكرى (منوفية) والرملة

1- تبعد الجزيرة عن بنها حوال ٤,٥ كم منها ما يقرب من ١كم عرض النهر وكذلك بعدها عن الرملة ٢ كم منها ١كم عرض البحر .

2- تعتــبر الجــزر من أجود الأراضى لزراعة الموز وفى حالة الأراضى الطميية الخصبة يكتفى بالقليل من الأسمدة الأزوتية التى تضاف بعد الزراعة *

3- استنتاج شخصى

*- المفكرة الشهرية لخدمة مزارع الموز ، وزارة الزراعة ١٩٨٣

مركـــز " بنـها " وأستقر بعضهم فيها ويندر وجود عائلات أخرى من باقى المحافظات بين سكانها . ويمثل الذين هاجروا من الرملة حوالى ثلثى سكان الجزيرة والثلث من محافظة المنوفية . وأشهر عائلات كفر أبو ذكرى " الريس ، أبو شوبه ، رفاعى ، الحاج محمد يوســف الســيد جاد ، وأشهر عائلات الرملة " المهدى ولها جذور قوية بالرملة " وأبو قــربه " ويمــثلها حالــيا خمسة من الأخوة يقطنون الجزيرة مع زوجاتهم وعائلاتهم " وعائلـــة غراب وعطا الله " ويلاحظ أن كلا من عائلة المهدى وأبو قربة مرتبطان ببعض وأصـــلهم واحـــد هـــو المؤسس الاول لعائلة المهدى ، ولقد هاجر أصلا من القاهرة إلى الرملة عام ١٩٣٩ [1] وأتى من الأمام الشافعى بالذات حيث كان يعمل هناك نحاتا . ولقد حصـــلت العائلـــة على مساحة حوالى ١٤ فدانا عوضا عن الأرض التى أتلفت عقب أحد الفيضانات، وأستقرت العائلة بالجزيرة منذ هذا التاريخ .

النشاط الاقتصادى :

الزراعة :

الإنتاج النباتـــــى :

لقــد بــدأت الزراعة بالجزيرة منذ عام ١٩٣٥ وكان يزرع بها الخضروات الى ١٩٤٦ م حيث تحول سكانها من زراعة هذه المحاصيل الى زراعة الموز ، وتخصصوا فى زراعته وتوسعوا فيها إلى أن أصبح المحصول الوحيد بها نظرا للعائد المادى منه . وكانــت الجزيــرة تغرق سنويا قبل بناء خزان أسوان[2] ولذلك لم يجرؤ أحد على الحياة بهـــا ولا زراعـــتها ولكن منذ هذا التاريخ ومع انتظام المياه استطاع الفلاح ان يستغل أرضها وحولها الى مزرعة موز بمساحة تقارب المائة والثلاثين فدانا ، وأكتسب السكان خـــبرات هائلـــة فى زراعة هذا المحصول وتقوم زراعته هنا لتوفير التربة المناسبة له علاوة على المناخ الذى يسود الجزيرة والقرية شأن كل دلتا مصر .

---

[1]- يعرف الأهالى هذا التاريخ ببناء قناطر محمد على عام ١٩٣٩ ، أنظر جمال حمدان : عبقرية المكان : المجلد الثانى ١٩٨١ ص ٩٦٧ .

[2]- لقـــد بدأ فى إنشاء خزان أسوان عام ١٩٠٢ وتمت التعلية الاولى عام ١٩١٢ والتعلية الثانية عام ١٩٣٣ أنظر جمال حمدان : عبقرية المكان المجلد الثانى ١٩٨١ ص ٩٦٢

وتــزرع خلفــة الموز [1] فى فبراير من كل عام وذلك بوضع فسائل الموز فى الأرض بعــد عزقها يدويا بستخدام الفأس ولاتستعمل العزاقات الالية [2] وهو يزرع فى جــور[3] ، وتضم كل جورة فسيلة واحدة فى الزراعات الجديدة يربى حولها من ٢-٣ خلفــة فــى الزراعات الواسعة ، وخلفة فى الزراعات الحديثة الضيقة ، وتتطلب زراعة المــوز مجهودا ورعاية دائمة . ففى يناير (طوبة) يبدأ تجهيز الأرض المراد زراعتها وفــى نفــس العــام وذلك بحرثها جيدا مع إضافة متر مكعب جير حى ينثر ويتم اطفاؤة بمــياه الــرى وذلك لتطهير الارض من النيماتودا ، ويتم عمل الجور بتحديد اماكنها ثم تحفر بأبعاد متر فى متر وبعمق ٨٠ سم ثم تترك فترة كافية للتشميس والتطهير ثم بعد ذلــك تردم بالتراب المخلوط بالسماد البلدى أو السبلة ثم يضغط على الجورة جيداً حتى لاتــنخفض تربتها بعد الرى . وتبدأ عملية الزراعة فى منتصف شهر فبراير حتى نهاية مــارس . وفى نهاية ديسمبر يكون قد تم نضج المحصول . وهم يزرعون ثلاثة أصناف مــن الموز هى : باراديكا ومغربى وهندى . وكانوا يجلبون الخلفات من بلبيس . وهم يســتخدمون نوعين من الأسمدة : الأول الأسمدة العضوية كالسماد البلدى أو السبلة [4] (للفــدان ٦٠سم٣ سبلة ، ويزرع به ٣٣٣ جورة) وتحضر السبلة من خارج الجزيرة فــى أجولــة أو زكائــب . والسبلة خفيفة الوزن وسهلة الحمل ويمكن التحكم فى نقلها

1- لقد بدأ فى إنشاء خزان أسوان عام ١٩٠٢ وتمت التعلية الاولى عام ١٩١٢ والتعلية الثانية عام ١٩٣٣ أنظر جمال حمدان : عبقرية المكان المجلد الثانى ١٩٨١ ص ٩٦٢

2- أنهــم يعتقدون أن هذه الطريقة المناسبة لأن جذع شجرة الموز يكون قريبا من سطح الأرض واســتعمال الماكينة يكسرها ويتسبب فى ضرر المحصول . ولا يوجد بالجزيرة سوى عزاقتين آليتين توجدان عند عائلة المهدى وعائلة أخرى بالجزيرة .

3- جور جمع جورة وهى الحفرة التى تجهز للزراعة فى شهر يناير .

4- تخــزن السبلة لحين اضافتها بحيث تكون طبقة سبلة فوقها طبقة سماد السوبر فسفات يلــيها الاتــربه ثم السبلة ثم السوبر ثم التراب وهكذا وعندما يكتمل الكوم تكون آخر طبقة فــيه الاتربة يرش بالماء من حين لأخر حتى أستحدامة لتشجيع النشاط البكتيرى وأثراء القيمة السمادية القابلة لافادة النبات .

(بعكـــس روث البهائم المخلوط بالطين)[١] . وينقل السماد من القـــــــــرى المجاورة كالرملة وميت العطار الى الجزيرة ، والثانى : هو الأسمدة الصناعية الأزوتية كالسلفات والنـــترات والـــيوريا[٢] والأسمدة الفوسفاتية كالسوبر فوسفات وخلافها . وتصرف لهم الجمعـــية الزراعـــية هـــذه الأسمدة بكميات مناسبة بمعدل ما يوازى ٥٨ شيكارة نترات الجير المصرى ١٥,٥ % أزوت زنة ٥٠ كم ، ١٢ شيكارة سوبر فوسفات .

ولكـــنهم يعـــتقدون أنهـــا لاتكفـــى المحصول ويشترى الفلاح مايراه أضافيا من الســـوق، وتعتـــبر كمية المخصبات الزراعية المنصرفة لهم من الجمعية احدى المشاكل الهامـــة لديهم لرغبتهم فى الحصول على محصول أوفر فيشترون الكمية الإضافية بثمن يقـــارب الضعف وقد عرفوا بخبرتهم الأمراض التى تصيب الموز وتعلموا كيفية التعرف عليها ، ويعانى محصول الموز من مرض تورد القمة ومرض تبرقش الأوراق [٣] وهما مرضـــان يســـببهما فيرس لاعلاج لهما ويقومون بوضع كيروسين فى قمة النبات لقتل حشـــرة المن الناقلة للمرضين ثم تقلع النباتات المصابه وتحرق بعيدا عن الحقل وتطهر جورها بالجير الحى. وتبلغ درجة القابلية للأصابة أعلاها فى الهندى يلية المغربى يلية الباراديكا بالنسبة للمرضين.

كيفـــية حصـــد المحصـــول وبـــيعة : يـــأتى الـــتجار من الأسكندرية والقاهرة والإســـماعيلية الـــى الجزيـــرة لشراء الموز ، ويتم شراؤة وهو على الشجر بمعنى أن الـــتاجر يمر على أشجار الموز ويختار الشجرة التى يريد شراؤها وينقش عليها اشارة معيـــنة ثم يأتى جامعوا المحصول وهن فتيات من الرملة يتراوح عمرهن ما بين عشرة

---

[1]- أخذت هذه المعلومات من الأهالى نفسهم ، راجع أيضا المفكرة الشهرية لخدمة مزارع الموز.

[2]- اليوريا هى المنتج الطبيعى من الغاز الطبيعى (الأمونيا) حيثما وجد وقيمته السمادية عظيمة .

للغايـــة (٤٦,٥% أزوت) أنظـــر جمـــال حمدان الجزء الثالث ص ٧٦٧ ومعلومات شخصية .

[3]- وزراة الزراعة برنامج مكافحة الأفات مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر ١٩٨٠ ص ١٧٤ - ٢٧٦

وعشرين عاما وينقلن إلى الجزيرة للعمل فى جمع المحصول . وينقل بعد جمعة بواسطة المراكب الى البر لينقل بعد ذلك بالسيارات .

ويعتبر جمع المحصول وبيعة عيدا بالنسبة لهم فمنه يسددون الايجار السنوى للأرض المؤجرة ويجهزون العرائس ويشترون ما يلزمهم من أمتعة وذهب . ويبدأ جمع المحصول أبتداء من ديسمبر من كل عام ويستمر حتى شهر مايو تقريبا [١] . ولقد فرضت عليهم البيئة نظاما معينا فى الرى هو أستخدام ماكينات رفع المياة الى الأرض الزراعية ويعتمد السكان على مياة النيل ، وتصل المياة إلى الترع التى تم شقها والتى يتفرع منها قنوات أضيق وهكذا ثم يوزع على الأحواض المنزرعة بالموز ولكل اسرة ماكينة خاصة وأغلبها انجليزية الصنع وتعمل بالسولار والزيت [٢]

<u>الإنتاج الحيوانى : الثروة الحيوانية :</u>

ان التزامهم بمحصول واحد فرض عليهم أن تكون تربية الماشية مثل الجاموس والابقار هى لانتاج الالبان ، أما الماعز والأغنام للتسمين للبيع أو للذبح فى المواسم والأعياد . ويمثل نقل غذاء انماشية من القرى المجاورة عن طريق عبور النيل صعوبة كبيرة ، فهم لايزرعون محاصيل العلف مثل البرسيم والذرة وخلافه من المحاصيل التى تصلح غذاء للحيوانات ، ولذلك يضطرون لشراء العلف والتبن أو حش البرسيم بعد شرائه من القرى ونقله على المراكب لاطعام الحيوانات . وللجاموس عندهم أهمية كبيرة يليها الأبقار فالحمير ، أما الأغنام والماعز والابل فهى قليلة . ولاتستخدم

1- تستغرق فترة جمع المحصول حوالى ستة شهور وعلى ذلك ففى المرة الواحدة يتم قطع حوالى عشرة سباطات من الفدان وذلك لايتطلب أكثر من بنتين ورجل لقطع السباطات ورجل آخر لتحميل البنات بالسباطات .

2- لقد شاهدت الباحثة عند أحد الأهالى حجرة كبيرة تبلغ حوالى ثمانية أمتار فى أربعة متر ، بنيت خصيصا لماكينة رفع المياة الكبيرة الحجم وتعمل بزيت الديزل ولها تروس كبيرة متصلة بعجلة أخرى فى نهاية الغرفة بينهما سير طويل من الجلد المتين وبنيت لها حفر من الأسمنت المسلح ، وقد تم شراء هذه الماكينة وتركيبها فى هذا المكان على جسر النهر مباشرة عام ١٩٤٨.

الحيوانات في أعمال الزراعة لان زراعة الموز لاتحتاج اليها ، وتمتلك كل أسرة جاموسة أو أثنين وحمارا ، وفي بعض الاحيان أيضا بقرة .

الأسواق :

لايوجد في هذا المجتمع المحلي سوق خاص به . ونظرا لأن الجزيرة لاتزرع محاصيل أخرى فيشترى سكانها كل أحتياجاتهم من الحبوب والدقيق والخضر والمنتجات الأخرى فيما عدا الألبان من قرية الرملة أو الأسواق المجاورة . وهم يشترون الماشية من قرية الرملة ثم يركبون المركب ويسحبونها وراءهم فتعوم في الماء حتى تصعد الى جسر الجزيرة وتدخل أرضها .

التبادل :

لقد فرضت عليهم البيئة أيضا التبادل فيما بينهم ، ولديهم نظام التبادل السلعي ، ولابد من توفر رصيد سلعي لديهم بسبب ظروفهم البيئية . ويشترى أهل الجزيرة نقدا كل المواد الغذائية من القرية .

تقسيم العمل :

يقوم العمل الزراعي هنا على أكتاف الرجل ويقتصر دور المرأة على رعاية الأطفال وشئون البيت ، وإذا أردنا أن نحدد نوعا من تقسيم العمل فلا نجده الا في فترة جمع المحصول .

الحرف :

يشجع الأهالي أبناؤهم على تعلم الحرف وخاصة أعمال الميكانيكا ليمكن لهم مساعدتهم في إصلاح ماكينات الري بالاضافة الى دخلها الاقتصادي المرتفع هذه الأيام ، ويتعلمها الأبناء في الرملة .

الطرق والمواصلات :

من الجدير بالذكر أن نهر النيل يتسع في المنطقة المقابلة للجزيرة حتى يكاد يصل الى خمسمائة متر تقريبا أو أكثر أحيانا ، لكن لاتتعدى المساحة التي يوجد بها الماء وقت الجفاف وهبوط منسوب المياه في النهر حوالي ثلاثمائة متر من ناحية العرض ويوجد للجزيرة مدخلان ، الأول يقابل قرية الرملة نفسها أو يقترب منه بحوالي عشرين مترا[1] . والثاني قبل الوصول من طريق بنها – الرملة . وينحدر المدخل الثاني

1- هذا هو المدخل الذي سلكته الباحثة بالمنطقة مع اخباري يقيم الجزيرة منذ عام ١٩٣٥

مــن الطــريق العام حتى نهر النيل تدريجيا إلى أسفل ويمر من وسط مزارع الموز التى توجد فى هذه المنطقة الساحلية التى تقع شمال قرية الرملة ، كما يوجد بالمدخل مزرعة دواجن كبيرة . ولقد ألزمتهم البيئة وفرضت عليهم وسيلة خاصة للأنتقال هى " القوارب " وتمتلك كل أسرة قاربا أو أكثر وقد تصل إلى خمس أو ست من الحجم الصغير وواحد كبــير ، وتصــنع القوارب حسب الطلب لاستخدامها فى الأغراض المطلوبة [1] . ويوجد لديهــم القـــارب والمعدية والسفينة ، فالقارب للنقل فقط والمعدية لنقل الحمولات الثقيلة والســفينة لـنقل جهاز العروس. ووسيلة المواصلات بعد عبور النيل هو " الأتوبيس " العام الى بنها والقرى المجاورة وكذلك تاكسى بالنفر وأيضا الموتوسيكل (سيدكار) .

الهجرة :

يســافر عــدد كبير من شباب الجزيرة الى البلاد العربية ، ويعود ليتزوج ويبنى بيتا فى قرية الرملة .

الخدمات بالجزيرة :

لا يوجــد بالجزيرة أى خدمة بيئية أو أجتماعية ، فلم تدخل المياة الجزيرة وهم يعــتمدون علــى مــياة النهر فى كل شىء وتوجد صهاريج فوق الأسطح لتخزين المياة وتــرتفع المــياة إلى الخزان بواسطة الموتور ثم تصل إلى البيت بواسطة ماسورة مدلاه إلى أسفل وفى نهايتها حنفية ، ويعتمدون فى الإنارة على الكلوبات ، وقد أدى هذا الى عــدم انتشــار أجهزة التلفاز وكانت توجد بعض الأسر التى تمتلكه ولكن عددها محدود جــدا ويــتم تشــغيلها بالبطارية ولا يوجد بها مدارس ولا حتى ما يعرف بالكتاب ، هذا وليس بها خدمات صحية أو زراعية أو أجتماعية أو حتى مقاه أو مساجد .

الـــــزواج :

تــبدأ أولــى الخطوات عندما يرغب الشاب فى الزواج من فتاه معينة يكون قد رآهــا قبل ذلك فى شوارع قرية الرملة أو سمع عنها من أهلة فيخبر أهلة برغبته فى ذلــك ويذهب الأب بمصاحبة بعض الرجال الذين لهم مكانة إجتماعية الى بيت العروس فـــان كانت هناك موافقة رحب بهم الأب وأن لم يكن لديه الرغبة فى ذلك يحاول تبليغهم بطــريقة أو بأخــرى كــأن يقول لهم أنها مازالت صغيرة أو أن أحد الأقارب اتفق على زواجهــا ، أمـــا إذا وافــق فــتقرأ الفاتحة ويوزع " شربات الفرح " ويتفق على الجهاز

1- يقوم بصناعة القوارب لهم اهالى قرية مسجد خضر التابعة لمحافظة المنوفية.

والمهــر ، ثــم تقدم الشبكة وهى غير محددة بقيمة معينة وتترك لظروف العريس وإذا كان مقتدرا يذبح ذبيحة يوم تقديم الشبكة ، ويتم الأتفاق كذلك على ما يسمونة العشاء " (الــذى يــتكون من القمح ، فستان الزفاف ، المناديل ، ويقدمون حاليا بدلا من القمح دقــيق يخصــص لعمل الكعك والغريبة ، وبعد أن كان العريس يدفع المهر وليس ملزما بتجهــيز شــىء أخــر ، أصبح يدفع المهر ويقوم بتجهيز بعض أثاث البيت ، ويصاحب عملية الخطوبة وتقديم الشبكة وحفل الزواج، إعداد الطعام والشربات للمدعويين ، وفى حالات قليلة يكتفى بالشربات فقط حسب الحالة المالية .

وجــرت العادة فى الجزيرة أن يكون الجهاز عبارة عن حجرة نوم واحدة ومعها أدوات المطــبخ ومعظمهــا أوانى نحاسية رغم أنهم لايستعملونها ولكنهم يصرون على أقتنائها كنوع من المظاهر مع أنهم يشترون أيضا أوانى المنيوم .

ويــتم الــزفاف عادة يوم الخميس ويكون الجهاز قد نقل قبل ذلك بيوم أى يوم الاربعــاء مســتعينين بالقوارب . والنقوط ضرورى فى " الصباحية " ويقدم للمهنئين أطباق الكعك والغريبة والشيكولاته .

هذا وتقوم الداية باجراءات الولادة ويحتفل بالسبوع فى احتفال بسيط .

العلاقات القرابية :

تقــوم القرابة فى الجزيرة على المصاهرة وهم يحاولون الأرتباط بصلة النسب والمصاهرة مع الرملة وذلك لشعورهم بأنهم جزء من كل هو القرية الام التى هى أمتداد مكمــل لهــم ، ولكى تدعم الأسر فى الجزيرة نفسها فلابد من خلق علاقات تكسبها قوة ومكانــة ، ولذا فإن أغلب الزواج يتم فى قرية الرملة ولا يوجد فى الجزيرة حالة واحدة تم فيها الزواج بين شاب وفتاة من داخل الجزيرة بل كل حالات الزواج والمصاهرة تأتى وتذهــب مــن القرية ، والقرابة فى الجزيرة فى خط الذكور ، فمكانة الأب والخال والعم كلها متساوية . ومصطلحات القرابة هى المصطلحات العامة المعروفة ويلاحظ أن أحترام كــبار الســن أمــر واجب يلتزم به الجميع ، ولوحظ فى بعض الحالات أن الأبن يقبل يد أبــيه، وفــى حالــة غياب الأب فإن الأبن الأكبر يحل محله ويعامل الأبن الأكبر والبنت الكــبرى باحــترام، وتــتركز السلطة فى البيت فى يد " الرجل " فالاب له الكلمة الأولى ويجــب تنفــيذ أوامره وإذا كان الجد على قيد الحياة فهو الآمر الناهى ذو السلطة التى تعلــو ســلطة الأب ويلى الاب الأم ثم الأبن الأكبر أما العم فإن أوامره تسرى مثل أوامر الأب تماما .

ودور الأم هــو توجــيه الأبناء والبنات فى بعض أمور الحياة ، ودور الأب هو إدارة شــئون الأســرة وتمثــيلها فى تقديم واجبات الافراح والعزاء وحل الخلافات بين العائلات أو الجيران وبعض الأولاد .

ونلمس فى الجزيرة ندرة تعدد الزوجات وحالات الطلاق .

الوفــــــاة :

فــى حالــة الوفــاة ينقل الجثمان الى الرملة بواسطة المعدية وتقام ليلة المأتم والدفــن فــيها ويقومــون بــزيارة المتوفى ثلاثة أخمسة متتالية ثم الأربعين موزعين الرحمة والصدقة ولايقيمون " سنوية " ويتقبلون ذلك بايمان كامل .

الميــــــراث :

توزع الملكية حسب الشريعة الإسلامية .

السلطة :

يلجــأ الأهالى فى النواحى السياسية والأدارية كالانتخاب واللجوء الى الشرطة الى قرية الرملة المقيدين بها تموينيا وانتخابيا لممارسة حقوقهم فى هذه النواحى ولكن يوجــد هــناك مجالس صلح وفض منازعات تشكل فى الحال لدى ظهور أى مشكلة فى الجزيــرة مــن كــبار رجالهــا ورجال القرية كنائب العمدة أو أحد مشايخ البلد أو كبار العائلات ، وحكم هذا المجلس نافذ بما يرى .

ونظــرا لعــدم وجود ممثل حكومى أو شيخ بلد بالجزيرة فانهم يحلون مشاكلهم وديــا وبالطــريق العــرفى وأغلــب المشاكل حول الحدود واذا تعذر التوفيق بينهم يلجأ المتضــررون الى مجلس عرفى أكبر من أهالى الرملة وإذا لم يحل الخلاف يلجئون الى مركز بنها الا أن ذلك نادر الحدوث .

التعليـــــــم :

بــدأ التعليم ينتشر ولم يكمل أحد من أبناء الجزيرة تعليمه الجامعى أو الثانوى ، ويذهبون الى مدارس قرية الرملة .

الرعاية الصحية :

يعتمد أهل الجزيرة اعتمادا كليا على الرملة فى العناية الطبية .

المسكن :

تنتشــر المســاكن فى الجزيرة داخل مزارع الموز وتبنى كل أسرة مسكنها من طــابق واحــد بالطوب اللبن داخل المساحة التى تمتلكها . ويوجد بالجزيرة ثلاثة عشر مســكنا للأسر المقيمة بها . وتتسع مساحة المسكن وتتراوح عدد حجراته من ثلاثة الى ثمانــية غرف منها مخزن المحصول الزراعى وحجرة الموتور الذى يستخدم لرفع المياه إلــى السطح ، وحظيرة منفصلة للمواشى ، وربما يرجع سبب كثرة الغرف بالجزيرة الى وجــود الابــناء والبنات مع العائلة فى مسكن واحد . ويبنى البيت على مساحة مناسبة لحجــم الاســرة ويوجد به " المزيرة " وهو المكان الذى يوضع فيه الزير الخاص بمياه الشرب كما أن بعضهم يمتلك تلفاز وموقد غاز .

الملبس :

يمــاثل ملبســهم زى أهــل قــرية الــرملة ويقارب فى خاماته الانواع الجيدة الموجــودة فــى المدينة الا أنه خال من الرسومات أو خطوط التطريز ، وتلبس الفتيات ثيابا زاهية فاتحة اللون وبراقة ، أما الأمهات والمسنات فيرتدين ثيابا داكنة الألوان .

الزينــــــة :

تستعمل البنات الكحل فقط للزينة وتلبس إيشارب زاهى الألوان فوق رأسها.

الدين والمعتقدات :

يســيطر الديــن عليهم فى معاملاتهم مع بعض وخاصة الجيران والأقارب وهم يلــتزمون بمــا يملــيه عليهم الدين من تسامح وأخوة فيما بينهم بالاضافة الى ظروفهم البيئية .

ورغــم عدم اعتقاد الكثيرين منهم فى الخرافات والاساطير التى تروى ، إلا أن بعضــهم يعــتقد أن البحر يحتوى على الجنيات التى يطلقون عليها المسحورة وتوصف بانها قبيحة طويلة الذرع ، تستطيع أن تجذب الشخص الذى ينزل الماء ليلا وتغوص به إلــى القاع وتخنقه لانه اعتدى على حرمتها ، كما توصف بأن لها ثدى من الحديد قادر علــى قتل الأشخاص ، ولايتفوق عليها الشخص مهما كان ماهرا فى السباحة وأن كان معظــم الــناس يحكــون ذلك دون أن يقتنعوا به . ولا يعتقدون كذلك فى زيارة المشايخ ويقعــدون بها اضرحة الأولياء فيما عدا بعض الزيارات البسيطة التى يقوم بها قلة منهم لمشــاهير الأولــياء مــثل " السيد البدوى والسيدة زينب والحسين " بالقاهرة وذلك فى

حالات محدودة فقط مثل المرض الذى فشل فيه الطب أو أزمة شديدة تصادف أحد أفراد العائلة ، كما لايعتقدون كذلك فى الأحجبة والعمل ولافى من يقومون بمثل هذه الاعمال .

ب – عزبـــــة ابو جرف

<u>الموقـــع والبيئة والسكان :</u> تقع عزبة أبو جرف شرق الرملة والرياح التوفيقى وهـــى تعتبر امتدادا طبيعيا للرملة وتبعد عنها حوالى ٢ كم ، ويحدها من الشمال مدينة بنها التى تبعد بما يقرب من ٦ كم ومن الجنوب قرية بلتان ويتحدد زمام العزبة بحوض العريضة . ويسودها مناخ جمهورية مصر العربية الا أنها تتميز بجو لطيف فى الصيف ، ويـــرجع هـــذا الى موقعها على الرياح التوفيقى كما ان أراضها طينية خصبة ، وتبلغ مساحتها حوالى ٨٠ فدانا .

وأول مـــن أســـتوطن وأستقر بها هو الحاج سيد أبو جرف الذى سميت العزبة بأسمة وقد أشتراها من شخص يدعى " أبو على أمين العلما من طحلا " وأنشئت العزبة حيـــنما بدأ أهالى الرملة فى شراء الأرض بها لزيادة ثروتهم وكانوا يقيمون بالقرية الأم ويذهـــبون يومـــيا الـــيها لمزاولة الزراعة ثم يعودون مساءا الى محل أقامتهم ، ولكنهم أســـتقروا بهـــا منذ عام ١٩٥٥ ، ومن تلك العائلات . أبو ربيعة السيسى . محمود أبو سور ، عبد الحميد فيرة ، ويبلغ تعداد السكان حوالى٨٠٠ نسمة .

<u>النشاط الاقتصادى :</u>

<u>الزراعـــــــة :</u>

الانتاج النباتى : يزرع بالعزبة معظم المحاصيل الزراعية المختلفة مثل البرسيم والقمح والقطن والذرة بجانب الخضروات والفاكهة مثل العنب الأرضى والموالح والكتان ويعـــتمدون فى الرى على الرياح التوفيقى وترعة النصر التى تنبع من الرياح التوفيقى حيـــث تتوفر بها المياه طوال العام فيما عدا أيام الجفاف ، وكذلك ترعة رأس طلحة التى تنـــبع أيضا من الرياح وترعتان فرعيتان هما ترعة فلفة وترعة السميدة ، ومن هنا نجد أن مـــياه الـــرى وفيره وتكفى رى الزراعة بالعزبة بجانب الساقية الوحيدة بها وتصاب المحاصـــيل الزراعية بالافات والامراض التى سبق ذكرها عند الحديث عن قرية الرملة وتقـــام بـــنفس الطرق السابق ذكرها أيضا . ويستخدم الأهالى الالات الزراعية العادية ، ويوجد لديهم خمس جرارات ملكا للأهالى بالاضافة الى جرار الجمعية الزراعية .

<u>الإنتاج الحيوانى : الثروة الحيوانية :</u>

يـــربى أهل الجزيرة الجاموس والأبقار ويمتلكون أيضا الحمير والجمال والماعز والضأن .

الثروة الداجنة :

لقد أتجه بعض السكان الى العمل فى مفارخ الدواجن فيوجد حوالى ١٥ مفرخة ملك للأهالى وتتسع المفرخة لخمسة الاف كتكوت .

الصناعة : صناعة الكتان :

يوجد بالعزبة حوالى عشرون مصنعا لصناعة الكتان وتمر صناعة الكتان بعدة مراحل فتوضع سيقان النبات فى المعاطن وهى عبارة عن أحواض كبيرة تملأ بالماء ويوضع بها النبات حتى يتعطن ليسهل فصل الساق عن اللب ثم تأتى المرحلة الثانية وهى نشل النبات من المعاطن وتركه يجف ثم إدخاله المكبس لفصل الساق عن اللب ، وتتم عملية التصنيع بعد ذلك بضرب النبات بمضارب فى عجلة حديدية حتى تخرج المادة الخام وتصبح على شكل ألياف وتنقل الى المصانع الكبرى " بطنطا والمحلة الكبرى " لتبدأ عملية التصنيع ، ويدخل الكتان فى صناعة الخيوط والدوبار والورق والخشب الحبيبى والسجائر " ويستخدمون فى هذه الصناعة بعض الأدوات الخاصة بها وهى أجزاء حديدية يحصل عليها الأهالى من مخلفات المصانع القديمة ويضاف اليها أجزاء خشبية يقوم بتصنيعها نجار العزبة .

السوق :

لايوجد بالعزبة سوق خاص بهم ولكن يذهب الأهالى الى القرى المجاورة لتسويق منتجاتهم ، وإلى سوق بنها يوم الأثنين من كل أسبوع هذا ويوجد بالعزبة شخص واحد فقط يبيع الفول والطعمية والخبز .

التجارة :

تقوم العزبة بجلب علف الدواجن من القاهرة ، والكتاكيت من الزقازيق ودمنهور وأنشاص والقاهرة ومن المؤسسات الخاصة مثل مؤسسة الشرق الأوسط والمؤسسة المصرية العامة للدواجن . كما يقوم الأهالى بشراء جميع احتياجاتهم فى أسواق القرى المجاورة مثل الرملة وميت العطار .

تقسيم العمل :

يعمل الرجل فى الزراعة ومصانع الكتان والفراخات وزراعة الحدائق وبيع المنتجات الزراعية ، وتساعد المرأة فى الزراعة وتقوم بتربية الدواجن ورعاية الماشية وحلبها وتصنيع منتجات الالبان من الزبد والجبن ، كما أنها تعمل كذلك بمصانع الكتان

حيث يعمل بها حوالى ٢٠٠ عاملا وعاملة ويعمل بها أيضا الأطفال وطلبة المدارس أثناء العطلة الصيفية . ويمارس أقلية من الرجال صيد الأسماك من الرياح التوفيقى بالشباك وكذلك من ترعة النصريين ويقوم قليل منهم بأعمال النجارة الخاصة بالبيت وبعض الألات الزراعية .

الطرق ووسائل المواصلات :

أن الطريق الذى يربطها بالرملة طريق ممهد ولكنه غير مرصوف وكذلك الطرق التى تربطها بالقرى المجاورة ولا يوجد بداخلها وسيلة للنقل الداخلى سوى الحمار وأحيانا الجمل وأما عن وسائل النقل التى تربطها بالرملة وباقى القرى فهى سيارات وموتوسيكلات الأجرة ومنهم من يمتلك سيارة أو موتوسيكل .

الهجرة :

نظرا لضيق مساحة الأرض بالنسبة لعدد السكان ، فقد لجأ عدد كبير من أهل العزبة ، كما حدث فى الرملة ، للهجرة الى البلاد العربية وخاصة العراق وذلك بهدف البحث عن فرص عمل أفضل .

الخدمات البيئية والاجتماعية :

يعتمد الاهالى فى مياة الشرب على الطلمبات ودخلت الكهرباء بعض المنازل ولا يوجد بالعزبة مدارس ويضطر التلاميذ الى الذهاب لقرية الرملة بالنسبة للمدارس الابتدائية والاعدادية والى بنها للثانوى . ويعتمدون كذلك على الوحدة الصحية والزراعية والاجتماعية بالرملة ولكن يوجد بالعزبة مسجد .

الزواج :

ما زال أهل العزبة يفضلون الزواج من أبناء وبنات العمومة والخئولة ومع ذلك توجد بعض حالات الزواج خارج هذا النطاق ولكنها فى أضيق الحدود ومن عاداتهم فى الزواج أن يتقدم أهل العريس لخطبة العروس فيتشاور رب الأسرة مع أعضاء أسرتة ، ويتكفل والد العريس بتكاليف الزواج ودفع المهر إذا كان يعمل بالزراعة مع والده ، أما إذا كان يعمل بأحد المصانع أو موظفا فيقع عليه عبء دفع المهر وتكاليف الزواج ، وغالبا ما تقوم أسرة العروس فى هذه الحالة بتجهيز وتأثيث منزل الزوجية ، ويقدم العريس شبكة لاتقل قيمتها عن ٣٠٠ جنية ويتراوح المهر بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ جنيها ومازالت الفتاة تتزوج فى سن صغيرة وكذلك الفتى فيتراوح سن الفتاة ما بين ١٣ – ١٨ سنة والفتى بين ١٨ – ٢٠ سنة ويحمل جهاز العروس على عربات ويلف به

العــزبة حتى يراه الناس جميعا كنوع من التفاخر ، ويقدمون النقوط نقدا وهدايا عينية ليلة الزفاف والصباحية والسبوع تذبح الزبائح . وتقوم الداية بعملية التوليد .

العلاقات القرابية :

يلاحــظ أنه طالما الأطفال أقل من الخامسة فأنهم يلعبون وينامون ويأكلون معا . وتــبدأ الأم بفصــل الذكــور والاناث فى النوم بعد هذه السن ويصبح للولد سلطة على أخــته فيراقــبها ويمــنعها أحــيانا من بعض الأمور وتوافق الأسرة على هذا التصرف وتنصاع البنت لأوامر أخيها ويميل الأب لأولاده الذكور وتكون علاقة الأم بهم أيضا قوية فــى الصــغر ولكــن عندما يصل الأولاد سن الخامسة يبدأ فى الأستقلال عنها ويرتبط بــالأب، أمــا البنت فتظل مرتبطة بوالدتها حتى تتزوج وبعد زواجها أيضا تتحمل الفتاة المسئولية فى منزل أبيها حينما تكبر وحتى تنتقل الى منزل زوجها .

وتتمــتع المــرأة بمكانــة اجتماعية فيستشيرها زوجها فى كل الأمور الخاصة بحياتهم ، أما الحماة فقد تضاءل دورها منذ أستقلال الأسرة عن العائلة وأصبحت العلاقة تقــوم علــى الأحــترام المتبادل ويتمتع الجد والعم بمكانة ممتازة إذ يلجأ اليهما أفراد الاسرة عند حدوث أى مشاكل .

وتكاد ظاهرة تعدد الزوجات تنعدم تقريبا فى العزبة وكذلك الطلاق فهو نادر جدا وسببه غالبا العقم أو المشاكل الحادة بين الزوجين .

وبخصوص الوفاة يتم فيها ما يعمل فى القرية الأم .

السلطــة :

تتــبع العــزبة إداريا قرية الرملة وقد عينت الحكومة شيخا للعزبة من عائلة " أبــو جرف " يدعى " عبد المطلب سعيد جرف " وهو مسئول مسئولية كاملة عما يحدث داخل العزبة ويبلغها للرملة من مواليد ووفيات فيتصل بالوحدة الصحية بها ومن مهماته أيضــا فــض المــنازعات والاشكالات وأن يقوم بحلها سلميا وإذا لم يوفق عليه ابلاغ شــرطة بنها ، وهو المسئول عن الحياة داخل العزبة وما يحدث فيها يوميا ويساعده فى ذلــك عــدد قليل من الخفر يأتون يوميا من الرملة لحراسة العزبة ، ولكن المشاكل تحل غالــبا عــن طــريق المجــالس العرفــية التى هى دائما وسيلة هامة فى تحقيق الضبط الأجــتماعى ، ولكن تبليغ الخلافات العائلية الكبيرة التى لم تحل بهذه الطريقة الى مركز شــرطة بــنها نــادر الحــدوث لصغر حجم العزبة وقوة العلاقات الاجتماعية المباشرة وتأثيرها على الأفراد .

التعليم :

تقوم الأسرة بتنشئة الأطفال وتعمل على تعليم ابنائها لافرق فى ذلك بين الفتى والفتاة الا أن التلاميذ يضطرون للسير على الأقدام الى الرملة أو بنها يوميا صباحا ومساءا مما أدى إلى أحجام كثير منهم عن التعليم واللجوء الى العمل بالمصانع ومزارع الدواجن ، ومع ذلك وجد أن نسبة التعليم أرتفعت فى السنوات الأخيرة نظرا لضيق مساحة الارض ومجانية التعليم وخاصة فى الخمس سنوات الأخيرة فتزايد عدد التلاميذ فى مختلف مراحل التعليم حتى الجامعة ، وليس بالعزبة نفسها مدارس اعتمادا على قرية الرملة ومدينة بنها .

الرعاية الصحية :

نظرا لعدم وجود رعاية صحية بالعزبة فأنهم يضطرون الى الذهاب الى الرملة أو بنها ولكن لوحظ أن الأهالى لايثقون فيما تقدمه الوحدة الصحية من علاج مما أدى الى عدم الذهاب إليها ، ويتردد القادرون منهم على الأطباء فى الرملة وبنها ، وفى الحالات الصعبة التى لاتجدى فيها الوصفات الشعبية التى يعطيها حلاق الصحة (من طحلة) وهى غالبا ما تكون بعض الأعشاب .

وتظهر فى العزبة بعض الأمراض التى سببها غبار الكتان (أمراض الصدر) والبلهارسيا بسبب أستخدام مياة الترع ، فالغبار الناتج عن الكتان يصيب العمال مباشرة والسكان المحيطين بالمصنع . ويصاب بالبلهارسيا حوالى ٤٠% من سكان العزبة نتيجة غسل الأوانى والملابس والاستحمام فى الترع وتجولهم فى المياه أثناء عملية الرى . ولا يعتقد أهالى العزبة فى تنظيم النسل فهم يرون أن منع الحمل فى نظرهم يفقد المرأة صحتها ، ولذلك فمتوسط عدد أطفال الأسرة أربعة .

المسكن :

لقد بدأ السكان يفكرون فى الأستقرار بالعزبة منذ فترة قصيرة حوالى عام ١٩٥٥ وذلك توفيرا للوقت والجهد فبدأوا يبنون مساكنهم فى مدخل العزبة ويطلقون عليها أسم العزبة القديمة وتتناثر باقى المنازل فى الداخل . والمساكن كلها مبنية بالطوب اللبن والخشب ما عدا الفراخات التى تم بناؤها بالطوب الأحمر. ويتكون المنزل من دور واحد أو دورين على الأكثر ويشتمل على المندرة، القاعة ، الفرن ومخزن للتبن

وحظـيرة المواشـى ودورة المياه أو المرحاض البلدى والكانون ويوضع الحطب الذى يستخدم وقودا على أسطح المنازل .

والمـندرة هـى حجرة الجلوس للضيوف أما القاعة فهى غرفة النوم وغالبا ما تجلـس العائلـة فـيها شتاءا حول الفرن . وللدار باب خشبى كبير وشبابيك صغيرة . ويـتكون الأثـاث حالـيا من ثلاث غرف : صالون ، سفرة ونوم وبدأوا يقتنون الأوانى الألمنيوم بدلا من النحاس الذى كانوا يعتبرونه كالذهب يباع ويشترى فى وقت الحاجة . وكان لدخول الكهرباء أثر كبير فى أستخدام الاجهزة الكهربائية مثل الثلاجة والتليفزيون الملـون والمكـواه الكهربائـية والمراوح والخلاطات وأصبحوا يستخدمون مواقد الغاز بجانب جميع الأجهزة التقليدية وخاصة لدى الأسر الفقيرة .

الملبس والزينة :

لـم يعـد الجلباب البلدى هو الزى الوحيد فى العزبة بل أصبح الرجال يلبسون أيضـا البـنطلون والجاكت وخاصة المتعلمون منهم . أما المرأة فمازالت تلبس الجلابية السوداء والطرحة ، وتغيرت نظرتهن لاقتناء الذهب فلم تعد تتمسك بالشبكة التقليدية (الكردان) الذى لازم المرأة الريفية أجيالا طويلة ولكنها أتجهت الى الأساور والدبلة فقط . ومازالـت تهـتم بوضع الكحل وأستخدام الحناء للشعر واليدين والقدمين وأن أقتصر استعمالها فقط على الأفراح .

الغـــذاء :

مـن الجديـر بالذكر أنهم يعتمدون كثيرا على الخبز الجاهز الذى يشترونه من بنها، حتى الشعرية التى يشتهر بصنعها الريف أصبحوا يشترونها جاهزة ، كما يعتمدون فـى غذائهم على الفول المدمس والطعمية صباحا ، وغالبا تكون الأكلة الرئيسية مساءا فيـتكون العشـاء مـن الخضروات والأرز بدون لحوم فيما عدا يوم الخميس فلابد أن يشـملها ، وكـانوا يـأكلون كذلك الثريد بكثرة . ولكنهم مازالوا يقدمون بعض الأكلات الشـعبية فـى مناسـبات معيـنة مـثل الفطير المشلتت والعسل الأسود والجبن القديم والمحاشى .

ج – قرية ميت العطار [1]

الموقع والبيئة والسكان :

تقـع قـرية ميـت العطار على بعد حوالى ٢كم من الرملة و ٦ كم من بنها ، ويحدهـا مـن الشرق قرية الرملة ومن الغرب والشمال النيل فرع دمياط ومن الجنوب قرية طحلـة ويبلغ زمام القرية حوالى ٨١١ فدانا ، منها ١٦٠ فدانا مساكن وقبور ، و٦٥١ فدانا أراضى زراعية ، ولا يوجد بها مصارف مغطاه ومن أهم المناطق الخصبة بهـا هـى الأراضى التى تطل على ساحل النيل ، بينما تقل درجة الخصوبة عنها داخل القرية .

ويقـول الأهـالى أنهـا سميت بهذا الأسم لانها كانت فى الماضى مركزا هاما لانـتاج وبـيع العطارة ويقول البعض أنها سميت به نسبة الى الشيخ حسن العطار وهو من علماء الأزهر ، ولكن رفض الكثيرين هذا الظن نظرا لأن وجود القرية سابق لوجود هذا الشيخ. ويبلغ عدد سكانها حوالى ستة الأف نسمة كلهم مسلمون .

---

[1]- ميت العطار ، هى من القرى القديمة أسمها الأصلى منية العطار وردت به فى نزهه المشـتاق واقعة على الضفة الشرقية لفرع النيل تقابل أنتوهى (مسجد خضر) التى على الضـفة الغربـية منه ، قال منية العطار قرية صغيرة بها بساتين وجنات وغلات ، ورد ذكـرها فى معجم البلدان عند الكلام عن شميرف (مثيرف) التى بمركز قويسنا فقال أنها قـباله قـرية أرمنت العطار بمصر والصواب أنها قباله منية العطار ، وأن كلمة أرمنت محـرفه عـند الـنقل ، ووردت فـى قوانين أبن مماتى وفى ن م د بأسم منيتى العطار والفزاريـن مـن أعمـال الشرقية وفى تحفة الأرشاد منيتى العطار والوابريين والاخيرة محـرفة . ووردت فـى التحفة منية العطار من أعمال الشرقية ثم حرف أسمها من منية العطـار الى ميت العطار فوردت باسمها الحالى فى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ ، ١٨١٣ م ، وكانـت ميت العطار تابعة لمركز طوخ فلما أنشىء مركز بنها فى سنة ١٩١٣م ، الحقت به لقربها منه .

النشاط الأقتصادى : فيما يلى أهم الأنشطة :

الزراعـــــة :

الانـــتاج النـــباتى : من أهم المحاصيل الصيفية بالقرية القطن والذرة ، ويزرع البرسيم والكـــتان شتاء ، أما الموز والخضروات فهى المحاصيل المستمرة طوال العام . وتواجه الزراعة مشكلة ندرة الأيدى العاملة حيث هاجر الكثيرون منهم للعمل بالدول العربية ولا يوجـــد بهـــا نظـــام الزمالة . وهم يستخدمون الموتور أو الماكينة فى الرى وذلك على الســـاحل، أمـــا فى داخل القرية فتستخدم الساقية . وترعة الجرشة هى الترعة الرئيسية التى تغذى الفروع داخل القرية وهى أم قصيب ، شميدة ، دياب ، الحلفاوى .

ملكية الأرض :

الملكية مفتتة وتتراوح ما بين نصف فدان وفدان ونصف ، وقد تصل فى بعض العـــائلات الى خمسة عشر فدانا ، ومن أكبر العائلات التى تملك ارضا هى عائلة طعيمة وتبلغ ملكيتهم حوالى ٦٠ فدانا .

الانتاج الحيوانى :

الثروة الحيوانية : مازال الاعتماد على الحيوانات فى بعض الأعمال الزراعية سائد لدى بعض العائلات فيمتلك الاهالى الأبقار والجاموس للمساعدة فى أعمال الزراعة وللحصول علـــى الألـــبان ومنتجاتها كما يحرصون على وجود الحمار والجمل للمساعدة فى أعمال النقل داخل القرية .

الثروة الداجنـــــة :

تحـــول أهـــتمام الأهـــالى بالقـــرية إلى انشاء المفارخ بدلا من العمل الزراعى وأحيانا يمارسون هذا العمل بجانب الزراعة . ويوجد بالقرية ٢١٠ مفرخة يورد انتاجها الى مدينة بنها والقاهرة والاسكندرية .

الصناعة :

مصـــانع الكـــتان : لا يوجـــد بالقرية بالنسبة للتصنيع سوى مصنعين لصناعة الكتان وغزله .

مناحل : يوجد بها منحل بلدى يضم حوالى ٣٠ خلية .

السوق : لايوجـــد سوق بالقرية ويقوم سكانها بشراء حاجياتهم من أسواق قرية الرملة ومدينة بنها .

التبادل : لقـد بـدأ نظام التبادل أو المبادلة يختفى من القرية المصرية وأصبح الفلاح يقيم كل شىء بالمال ، كما زادت أحتياجاته وتطلعاته .

التجارة : لايوجد بالقرية أى نوع من أنواع التجارة سوى أعمال السمسرة والتى يكـون فـيها السمسـار وسـيطا بيـن التجار وبين أصحاب المزارع والمفارخ ويدر هذا العمل عليه دخلا طيبا

تقسيم العمل :

العمـل فـى القرية كما هو فى أى قرية مصرية ، يقوم الرجل بزراعة الأرض وريها والسهر عليها وقد تقوم الزوجة ببعض العمل معه أو أولاده الى جانب أن المـرأة تقوم بالعمل داخل مصانع الكتان ، فتقوم بحمل الكتان الى المخزن أو تخليصة من الشوائب الموجوده فيه ، بجانب الأعمال التى تقوم بها فى المنزل .

الحرف : تعـتمد القرية بصورة كبيرة على الحرفيين الموجودين بقرية الرملة أو قضاء احتياجاتهم من مدينة بنها وذلك لعدم توفر الحرفيين بها .

وسـائل المواصلات : لا يوجد بالقرية وسائل نقل داخلى سوى الحمار وأحيانا الجمل الا أنها تتصل بما حولها من قرى أخرى عن طريق الاتوبيس العام وعربات وموتوسيكلات الاجـرة ، ونجـد لـدى قليل من الاهالى وسائلهم الخاصة فى النقل مثل الموتوسيكل أو العربات النصف نقل .

الهجرة والعمل بالخارج :

يهاجر عدد كبير من الاهالى للعمل بالدول العربية .

الوظائف الحكومية :

يشتغل حوالى ٤٠% من سكان القرية فى الوظائف الحكومية .

الخدمات الموجودة بالقرية :

الخدمات البيئية:

يوجـد بالقرية شبكة للكهرباء تصل لأكثر من ٩٠% من سكان القرية وشبكة المياة النقية وهى مأخوذة من شبكة المياد الموجودة بالرملة .

الخدمات الأخرى :

يوجـد بالقرية مدرسة ابتدائية واحدة تعمل فترتين ، ووحدة صحية أنشئت عام ١٩٨١ وأخـرى زراعـية تم انشاؤها بالجهود الذاتية عام ١٩٧٩ وتضم ٨٠٠ عضوا يحصـلون علـى أحتـياجاتهم مـنها كالتقاوى والكيماويات كما تعمل على نشر الوعى

الـــزراعى بيـــنهم واســتلام حصة الاراضى من المحاصيل ، ويؤجر الفلاح منها الألات الزراعية التى يستخدمها .

ويخـــدم القرية عدد ٢ مطحن ، ولكن عدد محلات البقالة قليل ، وعدد المقاهى ثلاثة منتشرة على حدود القرية .

الـــزواج :

لم يعد الأختيار يتم عن طريق الأهل بل أصبح يتم من جانب العروسين ويتم ذلك بقـــراءة الفاتحة ثم تقديم الشبكة ويتراوح ثمنها ما بين ٥٠٠ ، ٣٠٠٠ جنيها وذلك تبعا لمستوى الاسرة ومكانتها الأجتماعية ودرجة تعليم العروس وأيضا مستوى ومكانة أسرة العـــريس . وبعـــد أن تتسلم أسرة العروس المهر الذى يتراوح قيمته كذلك بين ٥٠٠ ، ٣٠٠٠ جنـــيها تبدأ فى إعداد مسكن الزوجية ثم يعقد القران قبل الزفاف مباشرة وتزف العروس بالسيارات الى منزلها وسط أفراح الأهل وزغاريدهم .

ومازالـــت عـــادة النقوط موجودة وتقدم للعروسين فى الصباحية وهى نوع من الهدايـــا الملـــزمة الـــتى يجـــب ردهـــا فى المناسبات المماثلة ، وإن كانت قد أخذت فى الأنكماش وأصبحت تقتصر على العائلة المباشرة من الأعمام والأخوال والمقربين . ولم يعـــد للـــزواج الداخلى أهمية كبيرة وظهرت فى السنوات الأخيرة صور للزواج الخارجى كما لا يوجد نظام العائلة الممتدة الا فى إطار محدود جدا ولكن الشائع وهو شكل العائلة النووية الصغيرة .

أمـــا عن الولادة ومتابعتها فتتم على يد الداية وعددهن أثنتين ويلجأ الأهالى الى الطبيب فى الحالات المتعثرة . ويقام لسبوع المولود حفل عائلى محدود وكذلك الختان .

العلاقات القرابية :

يرتـــبط أهـــل القـــرية جمـــيعهم بشبكة من العلاقات القرابية عن طريق النسب والمصاهرة وتنحدر القرابة فى القرية شأنها شأن كل القرى المصرية فى الخط الأبوى ، ولهـــذا فأن القرابة العاصبة تلعب دورا بارزا فى العلاقات بينهم . وأهم بدنات القرية : الرفاعـــية (نســـبة إلـــى الـــرفاعى) السليمانية (سليمان) ، الشراقوة (الشرقاوى) الطعايمة (طعيمة ، الرحايمة (عبد الرحيم) ، الحجازية (حجازى).

وقـــد كـــان الجد هو المسئول عن أتخاذ القرارات الخاصة بالعائلة الممتدة ولكن باندثارهـــا تقلـــص هـــذا الدور وأيضا دور الأب باستقلال الأبناء عنه . ولقد كان للدين تأثير عظيم على سلوك الافراد ولكن مع انشغال الناس بالعمل والجرى وراء الحصول

على المال أصبحوا يكتفون بتأدية الفروض . ويلاحظ أن الأسرة تتحمل مصاريف الزواج بالكامل لابنها المتعثر الذى يعيش ويعمل فى الحقل الخاص بأسرته ، إذا كانت قادرة ، أما المتعلمين منهم فيتحملون هم نفقات زواجهم مع بعض المساعدة فى حالة مقدرة الأسرة . ويشارك العريس حاليا فى تكاليف تجهيز الاثاث مناصفة أو بنسبة الثلث والثلثين تتحملة العروس وأهلها ، وفيما يتعلق بعلاقة الحماة بزوجة الأبن لقد أصبحت علاقات أحترام متبادل ولكن يشوبه الحذر ولوحظ أن ظاهرة تعدد الزوجات والطلاق تكاد تكون منعدمة .

<u>الميراث :</u>

من أهم الملكيات الموجودة بالقرية هى الأراضى الزراعية وغالبا ما يقوم صاحبها بتوزيعها على الأبناء فى حياته كنوع من تفتيت الملكية خوفا من الضرائب الى جانب اعتقادهم بضرورة توزيع هذه الأراضى حسب الشريعة الاسلامية .

<u>السلطة :</u>

يتولى نائب العمدة السلطة فى القرية [1] ومنصبه بالانتخاب يتركز دوره فى حل المشاكل والمنازعات بين أهل القرية . ويلية شيخ البلد ويوجد ثلاث منهم لأن القرية مقسمة الى ثلاث حصص ولكل حصة شيخ بلد يعاونه خفير وشيخ البلد مسئول عن حفظ الأمن وهو على أتصال دائم بنائب العمدة . كما يوجد بالقرية مجلس عرفى مكون من ٧-١٠ مشايخ مشهورين بالامانة والطيبة ، ويعترف بقراراتهم فى فض المنازعات .

<u>التعليم :</u>

لقد سبق وذكرنا أنه يوجد بالقرية مدرسة ابتدائية واحدة ، ولهذا يذهب معظمهم الى الرملة وبنها لتكملة تعليمهم .

<u>الرعاية الصحية :</u>

يبلغ عدد المترددين على الوحدة الصحية يوميا حوالى ٥٠ – ٦٠ مريض ويقوم الحلاقون الذين يبلغ عددهم حوالى عشرة بالعلاج الشعبى وعمليات الختان بجانب عمل الداية – الذى سبقت الإشارة اليه . وثبت من أحصاءات الوحدة الصحية أن البلهارسيا الأسكارس من أكثر الأمراض أنتشارا بين سكان ميت العطار حيث تبلغ

1- أنه من عائلة سليمان .

نسـبتها حوالى ٩٠% بالاضافة إلى أمراض أخرى كثيرة منها التهاب اللوز ونسبته بين الأطفــال حوالى ٩٩% أمراض القلب والحصبه ، ، الربو ونسبته قليله لاتتعدى ٢%[١] بجانب أمراض سوء التغذية . كما تقوم الوحدة على رعاية الأمومة والطفولة وأرشادات تنظـيم النسـل ، ويـبلغ عدد المترددين بهذا الشأن ما بين ١٥ ، ٢٠ سيدة فى الشهر وهى نسبة ضئيلة جدا إذا قورنت بعدد السكان .

ويـرى الطبيب[٢] عدم أنتشار الوعى الصحى بين الأهالى على الرغم من تردد العـدد الهـائل الذى سبق ذكره على الوحدة يوميا ، ولكنهم يرفضون الأدوية الموجودة بـالوحدة حـتى الأدويـة التى تكتب لهم لكى يشتروها من الخارج لا يشترونها كذلك . وعدم وجود الوعى الصحى بالقرية من أهم أسباب الوفيات فيها على الرغم من ضآلتها . وتتم أعمال تسجيل المواليد والوفيات والتطعيم بمكتب الصحة فى طحلة لأنها تتبعها .

النشاط الدينى :

يوجـد بالقـرية أربعة مساجد منها مسجد به ضريح هو مسجد سيدى " محمد الأربعيـن " ، ويتـبع معظم سكان القرية الطريقة البرهانية ويقيمون حلقات الذكر يوم " الأربعـاء " مـن كـل أسـبوع ، وتـرجع الطريقة الى مؤسسها " الشيخ محمد عثمان بالسودان "

المسكن :

مـازال البيـت الـريفى كمـا سبق وصفه فى القرية الأم ، ولكن تطور جهاز العروس مؤخرا نتيجة لزيادة الوعى وارتفاع المهور وأصبحت الأسرة تقوم بتأثيث ثلاث غـرف (صـالون وطعـام ونـوم) ، أما الأسر الفقيرة فتشترى دولاب وسرير ومرتبتيـن ولحافيـن وبعـض الأوانى اللازمة للطهى من نحاس والمنيوم . ويلاحظ أن ظاهـرة أقتـناء الـنحاس قـد تلاشـت بين المتعلمين وبدأ الاقتصار على شراء الاوان الالمنيوم .

وأمـا الملـبس والزيـنة فهى نفس ما وصف فى القرية الام بالنسبة للقروية والمتعلمة.

1- كل هذه البيانات مأخوذة من الوحدة الصحية .

2- يعمل بالوحدة طبيب واحد .

التغير الذى طرأ على قرية الرملة وتوابعها :

أولا : التغير فى الرملة :

عوامـــل التغـــير : أهـــم ما يلفت نظر الباحث عند زيارته لقرية الرملة أن بها كثير من مظاهـــر التقدم ويرجع هذا الى عدة عوامل أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر فى أحداث التغير :

١- أنشـــاء وحدات الحكم المحلى مما جعلهم على أتصال دائم بعناصر خارج القرية مثل بنها والقاهرة وهذا يساعد على أنتشار انماط ثقافية جديدة .

٢- كذلـــك أيضـــا الوحـــدة الأجتماعـــية والصحية والزراعية حيث يعمل بهم غالبا موظفون من خارج القرية .

٣- انشاء مدرسة ابتدائية وأخرى إعدادية بالقرية مما شجع أهل القرية على تعليم أولادهم .

٤- قـــرب قرية الرملة من مدينة بنها حيث أن المسافة بينهما ٢,٥ كم . بالاضافة إلـــى رصـــف الطريق الموصل بينهما مما ساعد فى يسر المواصلات وحركة الأنتقال.

٥- دخـــول الكهـــرباء الـــى القرية كان له أبلغ الأثر فى إحداث التغيير حيث دخلت الأجهزة الكهربائية وخاصة التلفاز اوالراديو وهما أكبر جهازى إعلام من ناحية الانتشار والتأثير ، حيث أن أكثر من ٧٠% من أهالى القرية يمتلكون التلفاز .

٦- إنشاء بنك القرية ودوره فى إقامة مشاريع اقتصادية جديدة كمزارع الدواجن .

٧- الهجـــرة الخارجية للعمل بالدول العربية كان سببا رئيسيا فى التطوير العمرانى بالقرية .

٨- ظهور محلات بالقرية لم تكن موجودة من قبل كمحل المصوراتى ، والكوافير ، الكهربائى ، الميكانيكى ، المكوجى ونجار الموبيليا والفران .

٩- انتشـــار عـــدد من المقاهى التى يجلس عليها الشباب ومما هو جدير بالذكر أن بالقرية مركزا للشباب أقامته الدولة .

وتلك العوامل مجتمعة كان لها دور فى احداث التغير الذى أسفر عن تغييرات فى البناء الاقتصادى والثقافى والاجتماعى للقرية .

التغير فى النظم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية :

لقد تفتت ملكية الأرض ازاء الزيادة المضطردة فى أعداد السكان فنقص نصيب الفـرد مـنها كمـا كان عليه من قبل [١] ، وتئول الملكية بالميراث الى الابناء، ولم تعد الأرض كافـية بانـتاجها لاشـباع حاجات ومتطلبات الاهالى فقل الاعتماد على العائلة الكبيرة وأصبح الأعتماد الرئيسى على مجتمع القرية ككل بدلا من العائلة التى كانت تنتج مـا يكفـى أفرادها والزائد عنها تعرضه للبيع والوفاء ببعض الالتزامات العائلية كزواج أحد الأبناء وغيرها من الالتزامات ، وكلما تناقص شعور الانتماء للأرض سهلت الهجرة الخارجية الى خارج القرية ، والى القرى المجاورة أو المدن أو خارج الوطن .

ولقـد كانـت القرية تعتمد على الانتاج الزراعى والمنتجات الزراعية بينما نجد الأن أن أنـواع المنتجات قد تنوعت مثل انتاج خيوط الكتان ، مزارع الدواجن ، مزارع الماشـية بالاضافة الى عمل كثير من أهل القرية بالوظائف الحكومية بعد أنتشار التعليم بيـنهم ، فتـنوع مصـادر الانـتاج والـتحول إلى زراعة المحاصيل النقدية مثل الموز والموالـح فـى القـرية المتغـيرة هو سمة أساسية يمكن ملاحظتها بوضوح فى قرية الـرملة. ولقد تغير التفكير فى نمط النشاط الاقتصادى فى أنشاء مزارع عليها والتخطيط لتحسـين انـتاجها وأنشاء مجزر آلى وثلاجات لحفظ الدواجن بعد ذبحها لتنظيم عملية العرض والطلب بين التجار من محافظة القاهرة و المحافظات الاخرى من خلال إنشائهم جمعية تعاونية لمربى الدواجن مركزها بنها.

ومـن مظاهـر التغير كذلك نقل البضائع والمواشى بالسيارات وكذلك التغير فى وسـائل المواصـلات وتـداول سلع لم تكن مألوفة بالنسبة للقرى من قبل مثل الأقمشة المتـنوعة ومنـتجات الألمنـيوم والبلاسـتيك ومحلات البقالة [*] والخردوات والأدوات الخاصة بمزارع الدواجن وظهور سماسرة ووسطاء ، بجانب الوظيفة الاجتماعية للسوق ودور المرأة الواضح فى النشاط الاقتصادى.

1- كان أعلى حد للملكية فى القرية ٥٠ فدانا .

*- ان الذى يلفت النظر فى التغير تواجد السلع الحديثة كالمعلبات والسندويتشات .

ويلاحـــظ ظهـــور أنواع من التغير السلبى مثل اتجاه العمال الزراعيين وصغار المـــلاك الى العمل بحرف أخرى كالعمل فى أعمال البناء أو الهجرة من الريف والاتجاه للعمـــل فى المصانع أو الحرف الفنية أو الوظائف الحكومية ، ومن أنواع التغير الإيجابى العمل لأكثر من فترة فى مزارع الدواجن أو أى عمل يدر عليهم دخلا .

ويلاحـــظ مـــن مظاهر التغير الواضح التأثير المتبادل بين القرية والمدينة يتمثل فـــى توســـيع دائرة الاحتكاك الثقافى والتجارى مع القرى والمدن المجاورة مع سهولة الحـــركة وزيـــادة الهجرة وانتشار التعليم وتقلص الأسر الممتدة وعمل المرأة، وفى هذه الحالـــة تعتـــبر القـــرية منطقة طاردة للسكان ، بجانب أرتفاع مستوى المعيشة بالقرية وأرتفـــاع الأســـعار والمهـــور وغـــيرها ، فكان الأنفاق قاصرا على شراء الضروريات المعيشـــية ، ولكـــن مـــع أرتفاع دخول الافراد من العمل خارج القرية وبالدول العربية وبمـــزارع الدواجـــن ومصـــانع الكتان ارتفع معدل الأنفاق والاستهلاك وأيضا مستوى المعيشة .

السـوق :

كـــان الســـوق يقام قديما يوم الخميس من كل أسبوع وفيه يعرض الفائض عن الحاجـــة مـــن الانـــتاج الـــزراعى والحيوانى للبيع ولكن بعد أن تنوعت مصادر الانتاج وأنواعـــه ظهـــرت الحاجة الى تخصيص يوم آخر لبيع الفائض من الانتاج وقد أرتضت القـــرية يـــوم الأثنين ويعتبر سوق الأثنين أصغر مساحة من سوق الخميس الذى يعتبر سوقا كبيرا للقرية وللقرى المجاورة .

العمل والتخصص :

كانـــت طبـــيعة العمـــل فـــى القرية تتسم بالتعاون بين العائلات لانجاز العمل الـــزراعى بـــالقوى البشـــرية والحيوانات والأدوات ، ولم يكن هناك تخصص دقيق فى الأعمـــال الحرفـــية كما ظهر الأن . فأصبح هناك نجار باب وشباك ونجار ساقية ونجار بيـــتى وهو الذى يصنع أثاث المنزل ، بالاضافة الى الترزى البلدى والترزى الافرنجى ، الخـــياطة ، لحـــام الأكســـجين ، البقال ، صانع أدوات المزارع الحيوانية ، وكما ظهرت تخصصـــات وحـــرف جديدة اختفت حرف أخرى مثل المداح ، صانع الطواقى ، النساج اليدوى ، الفخارانى .

هذا ويظهر التعاون والترابط بين أهل القرية عند الشدائد وفى الأفراح ، فاذا ما تـــزوج أحد المزارعين يقوم أصدقاؤة وجيرانه بفلاحة أرضه ورعايتها لمدة أربعين يوما

وكذلـــك فى حالات السفر والمرض وفى رمضان والأعياد نجد أن السيدات يجتمعن لعمل الكعــك فـــى عـــيد الفطر ، والرقاق فى عيد الأضحى . ويتبادلن الاطعمة فى المناسبات المختلفة وخاصة فى حالة الوفاة يقدمون الطعام لأهل المتوفى .

ويظهر التكافل الاجتماعى والترابط بشكل قوى فى القرى عنه فى المدينه ولكنه بدأ يتأثر الان بالحالة الاقتصادية وسعى كل فرد لزيادة دخله بالعمل فى أكثر من حرفة ، الأمـــر الذى يجعله ينشغل عن مساعدة الأخرين ، والآن فان الابناء المتعلمون يساعدون اســرهم فىاعــباء المعيشة كنوع من المشاركة ورد جزء من الدين لوالدهم باعتبار أنه بذل الجهد والصحة فى تربيتهم فكانت الأسرة كلها تتعاون اقتصاديا فى الانتاج الزراعى والصناعى ، وتساهم الأن كذلك أيضا فى تحمل الحياة المادية فتعمل الزوجة فى الوظيفة وكذلـــك الـــزوج كمـــا تتحمل المرأة المتعلمة مسئولية المنزل والمشاركة فى تأثيثة . ويوجد تقسيم نوعى للعمل والسلطة فى الأسرة الممتدة تبدأ من الجد ثم الأب ويلية الابن الأكبر .

الهجرة الخارجية :

ترتــب علـــى نقص نصيب الفرد من الملكية والتغير الاجتماعى الذى طرأ على عـــادات الـــزواج والمهـــر وطموح الفرد وكثرة مطالبه أن لجأ الى الهجرة الى المدينة ليحصـــل علـــى عمـــل مناســـب يدر دخلا عاليا . ولما لم يحقق له ذلك ما يريد لجأ الى الهجـــرة الخارجية ليجلب المال اللازم للزواج وتأمين مستقبل أسرتة . وعودة المهاجر الـــى قريـــتة بالمـــال والفكـــر والأراء والقـــيم الجديـــدة يكون له أثاره فى كل الجوانب الاجتماعـــية ولكن أثرها الواضح يكون على النواحى المادية أكثر من النواحى المعنوية الـــتى تحـــتاج الـــى وقت طويل للتماثل والوضوح والتعبير عن محتواه ، ومن الدوافع الاقتصـــادية الى أدت إلى الهجرة ، زيادة كثافة السكان ، وقلة مساحة الارض الزراعية والاتجـــاه الى التعليم وسهولة الحصول على الخدمات التعليمية لقرب القرية من المدينة والحصول على أجور مرتفعة خارج القرية .

الـــــــزواج :

لقـــد شمل التغير الزواج والعائلة فتحول الزواج فى غالبه من الزواج الداخلى الى الزواج الخارجى وأختفى كذلك الزواج التبادلى بين أبناء العمومة ، وقد أرتفع سن الـــزواج بالنســـبة للطرفين فأصبح الفتى يتزوج فى سن تقارب الثلاثين والبنت فى سن

تقـــارب العشرين . وكان الزواج فى الماضى يرتبط بحصاد محاصيل معينة ولكنه أصبح يــتم الان فى أى وقت وخاصة إذا ما كان العريس موظفا ، ولم يعد الأحتفال فى شكله التقليدى ، فالاتجاه الأن إلى أقامة الحفلات فى النوادى بمدينة بنها وأصبح من المألوف أن تتزيـــن العروس وأقاربها عند الكوافير بل وأصبح من المألوف أن تذهب الفتاة الى الكوافـــير فى القرية وفى مدينة بنها ليس فقط للمناسبات ولكن فى كل الأوقات وبشكل منـــتظم وخاصة المتعلمات والموظفات وأيضا تغير زى العروس فأصبحت تلبس فستان الـــزفاف الابيض ويلبس العريس البدلة الكاملة . واختيار الولد شريكة حياتة يعتبر فى حـــد ذاته تغيرا وتطورا ناتجا عن انتشار التعليم وقرب القرية من المدينة وكذلك اختيار العروس من خارج القرية ورغم قلة أنتشاره فهو ظاهرة جديدة والغرض منه المحافظة علـــى قـــوة النســـل والقضـــاء على الأمراض الوراثية . وشمل التغير اختيار العروس لعريسها فلم يعد الأب يجبر أبنته على الزواج من شخص معين من اختياره بل أتاح لها فرصـــة اختـــيار شـــريك حياتها . ومع أنكماش الأسرة الممتدة وظهور الأسرة النووية المســـتقلة فـــى مســـكن خاص أصبحت العلاقة بين زوجة الأبن والحماة تتسم بالتجنب والتحاشـــى بعـــد أن كانت تحظى بالاحترام والطاعة العمياء . وأما دور المرأة فقد بدأ واضـــحا فـــيه مشاركة المرأة للرجل فى العمل وتحمل مسئولية المنزل ، وقل الأعتماد الكلـــى علـــى الـــزوج بسبب خروج المرأة القروية للعمل وتعليمها والتحاقها بالوظائف الحكومـــية أو فـــى مصانع الكتان المنتشرة بالقرية ،اصبح دخلها من العمل يمثل ركنا أساســـيا فـــى دخـــل الأسرة الكلى ، وترتب على ذلك طموح المرأة ورغبتها فى أقتناء الجديـــد مـــن أجهـــزة وملابس مما هو شائع فى المدينة كما زادت رغبتها وأهتماماتها بالتعليم وأنعكس ذلك على ابنائها وبناتها وأنتظامهم فى مراحل التعليم المختلفة .

لـــم تعـــد القـــرابة قاصرة على العائلة القديمة وأفرادها فقط بل شملت عائلات أخرى، لكن لم تكن للعائلة تلك الوحدة الاقتصادية والقرابية التى كانت من قبل بل ظهرت أســـر مستقلة اقتصاديا وتعيش فى بيت العائلة القديم كما ظهرت أسر مستقلة أقتصاديا وتعـــيش بعـــيدا عـــن بيت العائلة . وظلت العائلة القديمة وهم يرتبطون بها ويظهرون كأسر واحدة عند الشدائد وهو رباط اجتماعى ما زال يفرضه الانتماء للعائلة القديمة .

وكـــان تفتـــت ونقـــص ملكية الفرد من الأرض الزراعية دافعا قويا للاتجاه الى التعلـــيم، وكـــان للتعلـــيم أثرة البالغ فى رفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى لكثير من الأســـر بالقـــرية وأثـــر ذلك فى القيم السائدة فيها حيث أصبح للمتعلم مكانه اجتماعية

مــرموقة تفــوق المكانة أو المرتبة الاجتماعية التى تحققها ملكية الأرض الزراعية كما كــان للتعلــيم أثــرة الواضــح على فكر وسلوك الفتاة فاتاح لها فرصة الخروج للعمل وبالــتالى نضــجت شخصــيتها وأصبح لها الحق فى اختيار شريك حياتها والاستقلال الاقتصــادى والمكانــة الاجتماعية المرموقة ، وقد أدى التعليم إلى . قرب زوال بعض الحــرف التقلــيدية من القرية مثل المكوجى ، الحلاق ، صانع الأحذية وذلك لاتجاة أهل القــرية الــى تعليم أبنائهم . وتغير نظرة الناس لمكانة الأسرة فأصبح للأسرة التى تضم عــددا كبــيرا من المتعلمين مكانة اجتماعية أفضل . والمساواة بين الذكر والانثى نظرا لخروج الفتاه للتعليم والعمل وتحمل المسئولية مثل الذكر .

ومــن الناحــية الصحية ، كان لأنشاء الوحدة الصحية الفضل فى رفع المستوى الصــحى ، وقــد تقلص دور الحلاق حيث كان يقوم ببعض الأعمال الطبية كخلع الأسنان وعملــيات الختان وأعطاء الحقن ، وتقلص أيضا دور الداية فى عمليات الولادة . وأدت ظاهرة وجود العيادات الخاصة والصيدليات المختلفة بدورها إلى أنتشار الرعاية الصحية والوعــى الطــبى مــع أنكماش دور الطب الشعبى فى العلاج الا فى بعض الحالات التى لاتســتجيب للعــلاج الحديث والسابق ذكرها . وقد لوحظ أن النساء المتعلمات هن أكثر أقبالا على تنظيم الأسرة من القرويات غير المتعلمات .

لقــد شمل التغير بطبيعة الحال المسكن فأصبح يبنى بالطوب الأحمر والخرسانة المســلحة وحلت الكهرباء محل الإنارة بالكيروسين وقد ساعد هذا على أنتشار استخدام الأجهــزة الكهربائــية المنزلــية الحديــثة ، كما أهتمت الأسرة باقتناء الأوانى الألمنيوم والبلاســتيك والاثــاث من غرف نوم كاملة وربما ايضا صالون وسفرة ، وتوصيل مياه الشرب النقية الى داخل المنازل أتاح وجود عمليات الشرب النقية .

وشــمل التغير الملبس فأصبح تأثير المدينة واضحا على الزى فهو يشبه لحد كبير زى أهل المدينة ، وأهتمت المرأة بزينتها وبشعرها .

وفــى مجال المعتقدات لوحظ أن التغير شملها بطريقة غير مباشرة وذلك نتيجة لاتســاع الامتداد العمرانى للقرية ووصوله الى الاماكن التى كانوا يقيمون فيها الاحتفال بــالموالد ، ونتيجة للتعليم فقد تأثر دور السحر فى الحياة الاجتماعية تأثرا كبيرا بارتفاع المستوى الفكرى والثقافى لأهل القرية .

ثانيا : التغير فى الجزيرة :

يظهــر التغــير بوضــوح فــى عدد محدد من الملامح فيلاحظ أرتفاع المستوى الاقتصــادى لديهم ، إذا أن الجزيرة تعتبر مجتمعا غنيا نسبيا بالنسبة للقرى المحيطة بها ويــرجع ذلــك أولا الى العائد الاقتصادى من محصول الموز واشتغال كثير منهم بأعمال الميكانيكا وسفر معظم الشباب الى الدول العربية من أجل الزواج وبناء بيت فى الرملة ، كمــا أخذ الزواج وجهاز العروس الصبغة الحضرية فشمل موقد الغاز وحجرة السفرة . وخلافــه كذلــك الملــبس وأرتفــاع المهر ، وأصبحت القرابة لا تلعب دورا هاما داخل الجزيــرة إذ أن كــل عائلــة تعتمد على نفسها فى الاعاشة والامور الاقتصادية وأصبح الــتعاون فــى هذه الأمور محدودا جدا ، وعمل بعضهم فى الحكومة كالشرطة أو بعض أعمــال الخدمــات الحكومــية بالرملة وما يجاورها ويترددون على الجزيرة بعد أنتهاء عملهم .

ثالثا : التغير فى عزبة أبو جرف :

أن ملكــية الأرض الزراعية تتجه الى التفتت نتيجة لصغرها وزيادة عدد السكان ولكــن نظرا لارتباط معظمهم بالزراعة والارض وحداثة العزبة فان الهجرة قليلة الا فى الســنوات الاخــيرة حيــث يســافر بعــض الشباب الى الدول العربية لتحسين موقفهم الاقتصــادى، ولهــذا السبب أيضا يعمل كثير منهم بمصانع الكتان والمفارخ ، ومن هنا يلاحــظ ارتفــاع مســتوى المعيشة كما أن الأجر اليومى ارتفع إلى عشرة أمثاله . ولقد أحدثــت الكهرباء تغيرا كبيرا فى مفهوم القرويين وثقافتهم بفعل تأثير وسائل الاعلام من اذاعة وتلفاز وآلات كهربائية ، ولقد تغير الأثاث كذلك ، ولمسنا التغير أيضا فى الملبس وخاصة بين الشباب المتعلم ، وتطورت مفاهيم أهل العزبة وخاصة النساء بشأن تطور الأهــتمام بــأدوات الزينة البسيطة وعدم التقيد بلبس الذهب وبدأ الأهالى يهتمون بتعليم أبــنائهم ، وهــذا يعكس لنا أثر التغير الاجتماعى الذى يعتبر التعليم عاملا هاما ومؤثرا عليه .

ومــن علامــات التغير شراء كل شىء من خارج العزبة متمثلا فى الخبز مثلا الذى يعتبر سمة أساسية للمجتمع القروى ، مما يعكس لنا تأثير المدينة .

وأمــا شــكل الأسرة فقد تغير كذلك وأصبح الميل الى تفضيل الحياة فى الاسرة صــغيرة الحجــم الــتى تقتصر على الزوج والزوجة والابناء فقط هو السائد ، كما ظهر

الــزواج مــن الخارج أيضا فى غالبية الأسر ، ويرجع ذلك للتغير الاجتماعى الذى طرأ على الاسرة داخل العزبة .

رابعا : التغير فى قرية ميت العطار

يظهر التغير واضحا فى كثير من الملامح مثل اختفاء نظام الزمالة نتيجة لتفكك العلاقــات داخل الأسرة الواحدة وبالتالى بين العائلات وبعضها وكذلك سيطرة المادة على العلاقــات الودية التى تجمع أبناء القرية ، كما يظهر فى شكل ومراسم الزواج فلم يعد يقتصــر علــى الأقــارب ولكــن ظهــرت صورة الزواج الخارجى نتيجة لانتشار التعليم واستقلت الأسرة الصغيرة عن منزل العائلة كما تزف العروس الى بيتها بالسيارات بعد أن كانــت تــزف بــالهودج[1] يصحبها المزمار والطبل البلدى وارتفعت تكاليف إقامة الافــراح وتغــير كذلك أثاث البيت والأوانى وأيضا الزى والزينة وأصبحت كلها تضاهى المدينة ، ولم يعد لكبار السن نفس السلطة فى اتخاذ القرارات هذا وأنتشر التعليم بشكل مــتزايد حيــث تصــل نســبته الى حوالى ٨٠% بين البنين والبنات . هذا وكان لدخول الكهــرباء وبالتالى أجهزة الإعلام المختلفة مثل التلفاز والمذياع وغيرها تأثير كبير فى تغيــير القيم والاتجاهات الثقافية المختلفة . ولقد أنكمشت ظاهرة التزاور بين أهل القرية فى السنوات الأخيرة وأنشغل الناس بالالتفاف حول التلفاز للتسلية والترفيه .

والملاحــظ بالقرية أرتفاع مستوى المعيشة عن قرية الرملة وأن قرية ميت العطار فــى طــريقها للتحضــر بصــورة ســريعة ويرجع ذلك الى عدم وجود أراضى زراعية بمســاحات كبيرة لأن زمام القرية ضيق ويقوم الفلاحون بالعمل فى مزارع الدواجن ثم بــيعها بالاضــافة الــى وجود مزارع داخل منزل كل فلاح بجانب عمله بالحقل وأعمال السمسرة ، كل ذلك أدى إلى ارتفاع مستوى الدخل وبالتالى أرتفاع مستوى المعيشة .

---

[1] - غــرفة مخصصة للعروسة وبعض أقاربها وتحمل فوق عدة الجمل مكونة من أعمدة وستائر للنظر

خاتمة :

أن موقـــع <u>قرية الرملة</u> متميز وفريد فى نوعه فهى محاطة شمالا بنـهر النيل وشـــرقا بالـــرياح التوفيقى مما جعل مناخها معتدلا صيفا وشتاءا وتربتها خصبة للغاية وأســـتغل أهلهـــا هـــذه العوامل (وفره المياه وخصب التربه) وأستثمروا البيئة أعظم أســـتثمار ، وهذه العوامل غير متوفرة فى معظم قرى مصر ، وهى تتميز بزراعة بعض أنـــواع الفاكهـــة مـــثل الموالح والموز . كما أنها تزرع الكتان بالاضافة الى المحاصيل الأخرى الصيفية والشتوية ، هذا بجانب الرى الذى يتم بدون عناء غالبا فيما عدا أوقات أنخفـــاض منسوب المياة بالترع ، فيكفى فتح القناة الفرعية لينساب الماء وهم يستخدمون غالبا الادوات اليدوية فى الزراعة .

ويمـــثل المـــزارعون عددا كبيرا من أهالى القرية وقد طرأت بعض التغيرات على أدوات الزراعة فأصبح الفلاح يستخدم بعض الميكنة الزراعية كالجرار الزراعى لحرث الأرض.

ومع كل هذه الملامح البيئية المتميزة فقد بدأت الأراضى الزراعية تتناقص بشكل ملحوظ لأســـباب عديـــدة منها ، الزحف العمرانى الممتد من مدينة بنها الى قرية ميت العطار ، تزايد مساحة الاراضى البور بجانب الأراضى المالحة التى لا تعطى انتاجا وفيرا ، هذا من ناحية أستخدام الارض فى وظيفتها الأساسية وبدأت أستخدامات أخرى لها مما جعل أهـــل القرية يمارسون عليها أنشطة كانت فى القديم تنحصر فى إطار المنزل وهى تربية الدواجـــن فأصـــبح الجميع حاليا ينشىء مزارع دواجن ، وقد أدى توافر مزارع الدواجن الـــى نـــدرة وجـــود الدواجن البلدية التى يربيها الفلاحون فى بيوتهم وخلو السوق منها بالاضـــافة الى البط والأوز نظرا لغلاء سعرها ، أما الحمام فيزيد بيعه فى فصل الصيف ويلجـــأ الأهالى إلى الدواجن البيضاء كبديل للحوم التى أرتفع ثمنها . هذا بجانب مصانع الكـــتان الـــتى تشتهر بها القرية أيضا حيث تعمل الأسرة بأكملها فى هذه الصناعة التى تحـــتاج إلـــى عمليات يدوية كثيرة ولكل من النشاطين (مزارع الدواجن ومصانع الكتان) أضـــرارها ، فمـــزارع الدواجـــن المتلاصقة بجوار بعضها ضرر جسيم بالنسبة للأرض وللســـكان أنفسهم مما قد تسببه من أمراض وكذلك بالنسبة لصناعة الدواجن نفسها من أنتشار الأمراض من مزرعة لما جاورها لشدة قربها من بعضها ، وأيضا مصانع الكتان التى تؤثر على صحة العمال ، فهم معرضون للأصابة بالأمراض الصدرية .

وللسوق دور هام فى العلاقات الاجتماعية فليست وظيفته فقط تجارية اقتصادية فهو يتيح الفرصة للتعارف بين أهل القرية والقرى المجاورة . وللمرأة دور كبير فى التعامل فى السوق والتجارة . وتتعاون الأسرة كلها من اجل الأنتاج الذى يعود عليها بالخير ، فالجميع يعمل حتى الطلبة والموظفون بعد أنتهاء عملهم يمارسون أعمال الزراعة أو الحرف الأخرى ، ونسبة الموظفين غير قليلة بالقرية وهم غير راضين عن وضعهم المالى ولهذا يسعى الكثيرون منهم للسفر للخارج لزيادة الدخل وتحسين مستوى المعيشة ومع كل هذا تعتبر القرية طاردة للسكان فنجد أن بعض أبنائها يميلون الى الهجرة سواء داخل القطر أو خارجه وقد أدت هذه بنوعيها الى أرتفاع مستوى المعيشة وارتفاع الأسعار والمهور خاصة.

وقد لوحظ أن الأهالى يسيئون أستخدام الترع مع أنهم يعتمدون عليها فى كثير من أعمال المنزل فنجدهم يلقون بالقاذورات والدواجن الميتة فيها ولنا أن نتصور مدى خطورة هذا التصرف من تلوث وأنتشار الأمراض والحشرات والبعوض والذباب كما أنتشرت الكلاب بسبب القاء الحيوانات والدواجن الميتة بتلك المياه وخاصة أن القرية ما زالت فى كثير من الحالات تستعمل مياه الترع فى غسل الأوانى والملابس والاستحمام، ومن هنا تأتى الميكروبات والجراثيم الى الجسم البشرى من الفم عن طريق أستخدام الأوانى فى الأكل ومن الجلد عن طريق الملبس والأستحمام . ورغم دخول المياه النقية الى القرية فمازالت كثير من الأسر لم تستعملها نظرا للخوف على المساكن من الهدم نتيجة للحفر وإدخال المواسسير وسريان المياه داخلها وتستخدم للشرب طلمبات ضخ المياه الجوفيه ، وعكس هذا دخول الكهرباء ، فقد أتاح أستخدام الأجهزة الكهربائية بجميع أنواعها . ومن الخدمات الأجتماعية المدارس الوحدة الصحية ، الوحدة الاجتماعية الريفية، بنك التسليف الزراعى التعاونى والجمعية التعاونية الزراعية

ومازالت القرابة تحتفظ ببعض سماتها المميزة بالنسبة للزواج وعاداته وخاصة لغير المتعلمين ، فزواج الأقارب هو المفضل ، وزواج الأبناء الكبار قبل الصغار أيضا من خصائص القرية والذى مازال موجودا ، وكذلك زواج البنت من أبن عمها بالتسمية ، ولكنهم لايستطيعون اجبارها على هذا النوع من الزواج اذا كانت رافضة له . وحرصا على حياة الفتاة وما قد تتعرض له من أزمات بعد الزواج تكتب قائمة قبل العقد

يثبــت فيها الأثاث الذى تم شراؤة لبيت الزوجية وللنقوط دور هام حيث لابد منه ويعتبر ديــنا يرد فى مناسبات مماثلة . وتتسم القرية بالعلاقات الأسرية الطيبة بين أفراد الأسرة الصــغيرة (الأب الأم الأولاد) ويظهر واضحا الترابط القرابى بأفراد العائلة الكبيرة رغم أســتقلال الأولاد عــنها منذ فترة تاريخية ليست ببعيدة ولكنهم اندمجوا وتصاهروا مع عــائلات القــرية وباستقرار الوافدين الجدد وجدت شبكة من العلاقات القرابية القائمة على المصاهرة والنسب تزداد أتساعا وأنتشارا بالزواج الخارجى . ويعرف الأبناء الذين يعيشون بالقرية تاريخ عائلاتهم ومؤسسيها عن طريق كبار السن وأصبحت الأسرة هى وحــدة اقتصادية وقرابية واحدة ينتسب جميع أفرادها لرب العائلة الذى يتولى الزعامة السياســية والاجتماعــية للعائلة فى كل المناسبات ولايخرج عن طاعته أحد . وبظهور الزواج الخارجى تفتت قوة العلاقات القرابية وبالتالى ضعف التماسك القرابى لكن الافراد ارتبطوا بعلاقات المصاهرة والنسب مع عائلات أخرى فاتسعت مرة ثانية دائرة العلاقات القرابية وما بدأ من ضعف فى التماسك القرابى زادته علاقة المصاهرة والنسب قوة.[1]

ويلاحــظ أن تعــدد الزوجات غير منتشر بالقرية وإذا وجد فيكون سببه عقم الــزوجة وفــى هذه الحالة تستقل كل زوجة بمسكن خاص بها وهذا فى حد ذاته مكلف بجانــب ارتفاع المهور . وتعتبر حالات الطلاق أيضا نادرة وغالبا ما تكون الحماة وأهل الــزوج السبب فيه ، وترجع قلة هذه الظاهرة الى صلات القرابة من ناحية وأستقلال الأســرة الصــغيرة فى مسكن خاص بها من ناحية أخرى . ومما يلاحظ أيضا عند وفاة الأب أن الغالبــية تحــرم البنت من الميراث ويرث الأبناء الذكور فقط ، وغالبا ما يكتب الأب وصــية لابــنائه الذكور منعا للخلافات وحفاظا على الثروة لكى تظل تحت إسمه . ومما لوحظ على هذه القرية أن بها عدد كبير من المعمرين .

ولقــد وجــد أن مــن أهم عوامل التغير بالقرية قربها من مدينة بنها وأحاطتها بالمــنابع المائية (نهر النيل والرياح التوفيقى) مما جعلها على أتصال دائم عن طريق الــبر والبحر بالمحافظات الأخرى مما ساعد الى الهجرة ، كما أن الهجرة الخارجية الى الــدول العربــية كــان له أثــر عظــيم فــى التغير ، ولكن الهجرة بنوعيها ، الداخلية

1- هــذا ماأثبتــته أيضـــا الدراسة الأنثروبولوجية لقرية هورين بمحافظة المنوفية ،سعاد شــعبان ، قرية هورين ، دراسة أنثروبولوجية ميدانية ، مجلة الدراسات الأفريقية ، العدد الثانى ١٩٧٣ ص ٢٧١.

والخارجية، كانتا نتيجة لتناقص الشعور بالانتماء للارض بسبب تفتتها ، ومع كل هذا فمازالت بعض التقاليد المرتبطة بالزراعة من أخراج الزكاة وعمل بعض الأكلات الخاصة بهذه المواسم والتعاون بين أهل القرية ، باقية ولكن على نطاق ضيق . ولقد تأثر أيضا التخصـــص فى العمل فقد ظهرت أنواع جديدة من الأعمال لم تكن موجودة من قبل وقد حدث تغير فى المبانى فأصبحت تبنى بالطوب الأحمر ، وهذا نتيجة لوفرة النقود وأنتشار التعلـــيم كمـــا تغير تبعا لذلك أيضا الملبس والزينة ، ونتيجة لظهور هذه المبانى الحديثة تغير أيضا الأثاث وكذلك الأدوات والأجهزة . ومما هو جدير بالذكر أن التغير شمل أيضا القـــرابة فأختفى الزواج التبادلى بين أبناء العمومة وزاد الزواج الخارجى وأرتفع سن الـــزواج ، وأصـــبح الأحتفال بالزواج فى أى وقت من أوقات العام وليس محددا بميعاد محصـــول معين ، وتبعا لهذه المتغيرات أصبح دور المرأة واضحا فى المشاركة وتحمل المســـئولية .واتسعت العلاقات الاجتماعية بين أفراد الاسرة بضعف الروابط ويرجع ذلك الـــى اتســـاع العلاقات الخارجية بين القرية والمدينة نتيجة لسهولة المواصلات وخروج غالبـــية أفـــراد المجـــتمع للعمل او للدراسة ،وأنعكس أثر ذلك على الروابط الاجتماعية الضـــابطة بيـــن أفـــراد المجتمع الريفى وأصبحوا بمنأى عن الرقابة المباشرة لسلطة الجماعـــات الأولـــية الـــتى أعـــتادوا عليها فى مجتمع القرية [1] ، لذلك ظهرت الحاجة الاستعانة بالقانون وتزايد الاتجاه للالتجاء الى السلطات القضائية التنفيذية للفصل فى مـــنازعاتهم والتى كان يفصل فيها من قبل كبار السن . وتأثرت أيضا السلطة بعد صدور قانون الحكم المحلى فألغيت العمودية وأصبحت القرية تتبع المجلس القروى ولكن مازال هناك ما يمثل العمدة وهو منصب نائب العمدة .

وفـــيما يخـــص التعليم فيوجد بالقرية مدرسة ابتدائية واعدادية ويذهب الابناء خـــارج القـــرية لاستكمال تعليمهم الثانوى والجامعى ولقد ظهر واضحا مكانة المتعلم فأصبح له مكانه مرموقة تفوق المرتبة الاجتماعية التى تحققها ملكية الأرض الزراعية، ونتـــيجة للتعليم سوف تزول بعض الحرف التقليدية التى بدأ الأولاد يرفضون تعلمها كما

1- قـــارن أيضـــا ســـعاد شـــعبان : قرية هورين ، دراسة أنثروبولوجية ميدانية ، مجلة الدراسات الأفريقية ، العدد الثانى ١٩٧٣ ، ص ٢٧١

أنتشـــر الوعـــى الصحى بتوفير كافة الخدمات الطبية ووسائل العلاج فتقلص أيضا دور الحلاق والداية ومازالت قلة تعتقد فى السحر والشعوذة .

ويختلف موقع الجزيرة عن باقى القرى التى تتبع الرملة فيلتف حولها تماما من جمـيع الجهات النيل وتربتها خصبة وتصلح لجميع المحاصيل صيفا وشتاءا وهى تشبه المجـتمع البسيط فى نظامها الاقتصادى فيزرع فيها محصول واحد فقط ويشتغل جميع السـكان بزراعته وحصدة وبيعه . وفرضت عليهم هذه البيئة طريقة واحدة للرى وهى رفـع المـياة بواسـطة الموتـور الى الترع التى تم شقها ، ونظرا لهذه الطبيعة أيضا واحاطـتها بالمـياة مـن كل جانب فلها طابع خاص فى طريقة جلب وأحضار احتياجات المعيشـة الـتى لابـد أن يحصلوا عليها من القرى المجاورة وخصوصا الرملة . وهى وسائل النقل النهرية. وبالرغم من أنهم محاطون بالنيل من جميع الجهات فلا يعمل أى فرد من سكانها بصيد الأسماك وقد جرت العادة أن يقوم الأهالى بايفاد بعض من أفراد أسـرهم الـى " السويقة " التى تقام يومى الأثنين والخميس من كل أسبوع بقرية الرملة ويشترون مستلزماتهم من الشاى والسكر والزيت والدقيق حتى أبسط الأشياء كالكبريت فيشـترونة مـن الرملة ، وكذلك الخضر والفاكهة الاخرى (غير الموز) كما يحضرون الطـيور ، أمـا حاجـاتهم من المنسوجات وبعض الأجهزة كالراديو مثلا فيشترونها من مديـنة بنها وخاصة من السوق الكبير الذى يقام هناك يوم الأثنين من كل أسبوع . هذا وممـا هـو جدير بالذكر أن الحيوانات وتربيتها لاتمثل مصدرا هاما من مصادر الثروة والاقتصـاد لـدى هـذه الجزيرة وهم لايقومون بتسمينها لغرض التجارة أو البيع ولكن لإدرار اللبـن مـن أجـل الأنتفاع به ومشتقاته فى الغذاء ولان معظمهم من الرملة فان الـزواج كله يتم تقريبا من القرية ، ورغم أنهم جميعا يعتبرون أنفسهم أسرة واحدة فان كـلا منهم يسهر فى بيته ولا يتجمعون فى بيت واحد للسمر أو لمشاهدة التلفاز . وربما يـرجع هـذا إلـى حرصهم على حراسة المحصول بأنفسهم . وهم بالرغم من العوامل الجغرافـية المعيـنة المـتوفرة فى البيئة فانهم لايحاولون استغلالها واكتفوا بممارسة حـرفة واحـدة ويضـحون بكل ما يملكون لكى يحصلوا على أنتاج أجود وأوفر . وهم يقاومون الجديد فى أسلوب الزراعة ونوعياتها ويعارضون الميكنة الزراعية لاعتقادهم بضـررها بالمحصول ، وكذلك فى إدخال أصناف جديدة من الموز وهو الموز السودانى وذلك بسبب رغبة السوق والتجار فى الأصناف التى أعتادوا عليها .

ومما يدعونا للدهشة أن هذا المجتمع لايتوفر فيه حتى الحلاق أو المدافن فينقل الموتـــى عـــبر النهر للدفن فى قرية الرملة وكذلك مستلزمات الدفن (الكفن) والشخص القـــائم بعملية الغسل والدفن ، كما يلجئون الى الرملة فى جميع الحالات الصحية بمكتب الصحة وعيادات الأطباء وجميع الخدمات الأخرى .

أمـــا عـــزبة أبو جرف فقد كانت ملكا لشخص يدعى أبو على أمين العلماء من طحلـــة وقد باعها لأبو جرف الذى يقطن فى الرملة وكان هذا الأخير يذهب هو وعائلته يومـــيا إلـــى العـــزبة صباحا ويعودون الى الرملة مساء وبعد مرور بعض الوقت بدأت تظهـــر عائلات أخرى وكثر عددهم ورغب كل مالك لارض فى العزبة أن يزرعها بنفسه وتوفيرا للوقت والجهد الذى يبذله فى الذهاب الى العمل فى العزبة ثم العودة الى الرملة، فضـــل كـــل مـــنهم أن يســـتقر ويعيش مع عائلته بجوار الأرض ، فأقاموا المبانى على الأرض الـــتى يملكونهـــا . ونظـــرا لموقع العزبة بين موارد المياة الطبيعية وخصوبة أرضـــها مارسوا الزراعة كحرفة أساسية وأقتنوا الماشية وهم يعتمدون فى الرى على المـــنابع فالمـــياة بها وفيرة طوال العام . وبالرغم من توفر مصدر الصيد وهو " الرياح التوفيقى " الا أن ممارسة صيد السمك لا توجد إلا فى أضيق الحدود فلا يوجد هناك أى صياد يحمل رخصة صيد. ومن هنا نجد أن هذا المصدر لا يستغل الأستغلال الكافى ولا يقـــبل الاهـــالى علـــيه كمصدر من مصادر الثروة فى العزبة ، ولكنهم أتجهوا الى تنويع نشاطاتهم بعد اقامة مصانع الكتان بها ، حيث يلجأ عدد كبير منهم ومن القرى والعزب المجـــاورة للعمـــل بتلك المصانع ، ويرجع انشاء هذه المصانع لما اشتهرت به المنطقة مـــن زراعـــة الكـــتان بوفـــرة ، ولكن كميات المحصول الناتجة قليلة ولا تكفى حاجة المصـــانع ولذا فهم يجلبونة من المحافظات الأخرى ، وهذا أمر غير يسير ويكلف كثيرا حيـــث يتحمل الاهالى النقل واختلاف الأسعار وغيرها ويلاحظ ان هناك علاقات قوية بين العـــزبة والقـــرى المجاورة قد تكون علاقات عمل ويلمس هذا من علاقة كل فرد من أفـــرادها بالجمعية الزراعية بطحلة والمساهمة فيها ، كذلك الحاجة الى عدد من الافراد الذين يأتون من طحلة للعمل فى الكتان والزراعة .

وســـاد شـــكل الأســـرة البســـيطة نتيجة لهجرة عدد من أهلها وتركهم العمل الـــزراعى والـــتحاق عـــدد آخر بالعمل بالمصانع أو العمل خارج العزبة مما أدى إلى أنتشـــار ظاهرة الفردية وأعتماد كل فرد على نفسة دون اللجوء الى الأهل والجيران فى أى عمل كما هى العادات المرتبطة بالزراعة ، ويرجع هذا أيضا الى أرتفاع أجر العامل

مما ساعد على تحقيق الاستقلال والخروج بأسرته فى معيشة مستقلة ، ويساعد هذا أيضـا الـى تجنـب المشاكل الناتجة عن مشاركة الأسرة لغيرها فى معيشتها ، ورغم أهمـية الكتان وصناعته فله أضرار صحية نتيجة للغبار الذى ينتج عنه بجانب أنتشار الـبعوض حـول المعاطن وكثرة الفئران فى المنطقة حيث ساعدت أكوام ألياف الكتان علـى أختبائها وتقضى هذه الفئران على كثير من أفراخ الحمام والمحاصيل الزراعية . ومازالت الحظائر تقام داخل البيوت وتربى المرأة الدواجن أيضا داخل البيت الريفى هذا ويقـوم الأهـالى بغسـل الأوانـى والملابـس فى مياة الترع مما يتسبب فى أمراض البلهارسـيا ومما لوحظ أنه ليس بالعزبة سوق ولم يوجه أحد الأنظار الى أنشاء سوق رغـم أن لديهـم المصـانع والمفارخ وعلاوة على أنهم يزرعون معظم الخضروات والفواكـه . ولكـن قـربهم مـن مديـنة بنها والرملة ووجود الطرق الممهدة ووسائل المواصلات جعلهم لاينشغلون بالاسواق الداخلية .

أمـا قرية <u>ميت العطار</u> فلا تبعد سوى ٢ كم عن الرملة التى تقع شرقها ويحدها شـمالا وغربا النيل فرع دمياط وتغذى ترعة الجرشة الفروع التى توجد داخل القرية . ويواجـه القـرية مشـكلة الأيـدى العاملة فهى نادرة لسفر كثير من أهلها الى الدول العربـية وبدأت أعداد كثيرة تتجه الى مزارع الدواجن بدلا من العمل الزراعى أما الكتان فمـزارعه قليلة فى ميت العطار ، وليس بالقرية سوق ولكن يعتمد الأهالى على الرملة وبـنها ، والعائلـة الصـغيرة هـى الشكل الشائع بينهم ويرتبط جميع أهل القرية معا بصـلات قرابة ، ولقد أنعدمت ظاهرة التزاور، ومما هو جدير بالذكر أن بالقرية جمعية زراعية ووحد صحية ومدرسة ابتدائية ، ولكن مازال الحلاق يقوم بالتطبيب والختان . هـذا وثبـت أن البلهارسيا والأسكارس من أكثر الأمراض انتشارا فتبلغ نسبتها حوالى ٩٠% وشمل التغير مناحى عديدة فى انماط الثقافة المادية والبناء الاجتماعى .

وتمـثل ميت العطار وعزبة أبو جرف والرملة أكبر مصدر لتربية الدواجن على مستوى الجمهورية .

<u>ملخـــــص :</u>

لقـد اختلفـت المقاييس والأراء فى تحديد شكل وحجم القرية ، وتتفق جميعها علـى أنهـا جماعة بسيطة مستقرة ووحدة واحدة مركزة يعرف سكانها بعضهم جيدا ، وينطـبق هذا كله تماما على شكل القرية المصرية . ولكن الذى لم يعد يتفق فى العصر

الحاضـــر هــو الحجــم الذى حددة العلماء نظرا لزيادة السكان زيادة رهيبة بصفة عامة ومصــر بصــفة خاصـــة . فأصــبحت القرى مكدسة ولذلك لم يعد الحجم مقياسا لتحديد القــرية. وبجانب المقاييس السالف ذكرها حدد العرب مسطلحا أخر للقرية وهو الريف الذى يدل على مكان الزرع والشجر وبجانب القرية توجد بعض الأقاليم التى تكون غالبا قد أنسلخت منها ولكن تتبعها مثل الكفور والعزب والنجوع هذا ما أسماه العرب بطن الــريف ، وتــتواجد الكفور والعزب والنجوع غالبا بجانب كل قرية ولكن الأقليم الثالث الــذى أطلقــه العــرب وهو الجزيرة فلا يتواجد مع كل قرية وذلك لأن له صفات معينة وشــكل مخــتلف ، وتظهر الجزر فقط فى النيل وفروعه نتيجة لعوامل جغرافية معينة وتنطــبق هــذه التســميات الــثلاثة على موضوعات الدراسة . فالرملة هى القرية الأم ويتبعها إداريا وقرابيا الجزيرة وعزبة أبو جرف وقرية ميت العطار .

هــذا ومعرفة الأنسان للزراعة معرفة قديمة ، ولقد لازمها أستقراره وأستئناسة للحــيوان . ومــن المحتمل أن تكون المرأة هى التى أكتشفت الزراعة نظرا لانها تقوم بالاعمال المحيطة بمحل السكن ، ولكن الرجل ينشغل بالصيد ويركز تفكيرة وأدواته لهذه العملية فقط . ومن المعروف أن من المحاصيل البرية التى حصل عليها الانسان منذ بدء الخلــيقة هى الشعير والقمح . ولقد حاول العلماء تفسير ظاهرة اكتشاف الزراعة وكيفية تطورهــا للحصــول على محصول وفير مثل ساور ، وهو يعتقد أن الوطن الأول لنشأة الــزراعة هــو الأقاليم التى توجد على أطراف الغابات . يتضح مما سبق أن القرية قد نشأت أولا وتلتها المدينة . وهذا ما أوضحته نظرية روبرت ردفيلد أيضا .

ولأن الــريف هــو الــبداية من هنا ظهر أهتمام العلماء والباحثين المصريين وغيرهم بدراسة القرية . كما أهتمت الباحثة بهذا القطاع الأساسى من المجتمع المصرى لمــا له من أهمية عظيمة فى أمداد الشعب بالمحاصيل الزراعية والانتاج الحيوانى الهام فــى حــياة الانسان ، بالاضافة الى المحاصيل التصديرية التى توفر النقد الأجنبى وتدعم الاقتصــاد المصــرى وكذلك المواد الخام اللازمة للصناعة ، كما أنه يمثل قطاعا سكانيا كبيرا يمد المجتمع المصرى بالطاقات والعقول ، بجانب ما يتصف به من عادات وتقاليد وقيم أصيلة فهو يتميز بالحفاظ على التراث الاجتماعى والثقافى والتمسك به .

والفــرق بيــن مــا قام به الباحثون والعلماء المصريين الذين سبق ذكرهم فى الدراســة وبين ما قامت به الباحثة هو أن كلا منهم عالج موضوع القرية المصرية من

جانب واحد فقط وهذا لايتمشى مع هذه المجتمعات البسيطة المترابطة ، فلابد من دراستها دراسة شاملة فى إطار يوضح الترابط والعلاقات المتبادلة بين البيئة والبناء الاجتماعى والثقافى الكلى ، ولهذا تحاول الباحثة منذ بداية عملها عام ١٩٧٢ الاهتمام بهذا المجال ، ولكنه مجال يتطلب دراسة العديد من القرى فى مجتمعات مختلفة لكى نتعرف على هذا المجتمع بأشكالة وانماطة المتباينة . فكانت مجال دراسة قرية هورين محافظة المنوفية عام١٩٧٢، ثم قرية العشى محافظة قنا عام ١٩٧٤ ، ثم بعض المناطق التى تصيبها السيول أيضا بمحافظة قنا ، مركزى الأقصر وقوص عام ١٩٨٠ ، ثم أخيرا الرملة محافظة القليوبية مركز بنها .

وللرملة موقع متميز ، فهى تحاط من الشمال بنهر النيل ومن الشرق بالرياح التوفيقى ، ولكل من توابعها موقع مختلف ولكنها تتميز جميعا بوفرة المياة لتشابه القرية مع توابعها بالنسبة لمياة الرى وخصب التربة كما تتشابه أيضا جميعها فى مزاولة حرفة أساسية وهى الزراعة وأن أختلفت فى أنواع المحاصيل ، هذا فى حد ذاته ظاهرة صحية حيث أن التخصص كفيل بالجودة ، فظهرت زراعة الموز فقط فى الجزيرة والكتان بعزبة أبو جرف ، وتشتهر الرملة نفسها بزراعة الموالح .

أما ميت العطار فتهتم بزراعة المحاصيل الصيفية والشتوية من خضروات وقطن وذرة وبرسيم ، كما تزرع هى والرملة الموز ولكن على نطاق ضيق جدا ، هذا وتتشابة الرملة كذلك مع توابعها فى ظاهرة تفتت الملكية وعدم أنتشار حرفة صيد السمك ، وفى أختفاء نظام الزمالة ، وسيطرة المادة على العلاقات الودية . ولقد لجأت الرملة وميت العطار وعزبة أبو جرف الى مزاولة حرف أخرى بجانب الزراعة مثل تصنيع الكتان وأنشاء المفارخ ، ،اشتغال عدد كبير من أهالى المنطقة بالوظائف الحكومية وسافر الكثير منهم خارج المنطقة وخارج الوطن للعمل والكسب وزيادة الثروة مما ساعد على تأثر الثقافة والبناء الاجتماعى الكلى للمنطقة ، وظهر هذا بوضوح فى أستقلال الأسرة عن العائلة وضعف سيطرة كبار السن عليها ، وقلت المشاكل التى كانت تظهر بسبب وجود الأبن وزوجته وأولاده مع العائلة كما أستقلت الأسرة أيضا اقتصاديا وظهر دور المرأة الواضح فى تدعيمها من هذه الناحية مما جعل المرأة تشعر بكيانها وتعيش الحياة بكل ما فيها من حلاوة ومرارة وهى سعيدة بهذه المشاركة الفعلية وهذا الدور الجديد فى البناء الاجتماعى مما أثر على تربيتها لأولادها وتنشئتهم بما يتناسب وهذا الوضع الجديد ، وأهتمت بمظهرها وبدأت تخلع الثوب

القديــم الخـــاص بالقرية وتختار شريك المستقبل وتشارك فى تأثيث البيت وتقتنى كل ما هــو حديــث ومتطور بالنسبة للملبس والزينة وكذلك الأدوات المنزلية . وينطبق هذا علــى القرية الأم وتوابعها فكلهم أقارب ويرتبطون بعلاقات النسب والمصاهرة ونتيجة لعوامل كثيرة سبق ذكرها تعانى المنطقة كلها من نقص فى الأيدى العاملة ، كما لاتتوفر خدمات للقرى التابعة والجزيرة مما يجعلها دائمة الذهاب إلى الرملة وبنها فى كل كبيرة وصـــغيرة . ولعـــدم وجـــود الخدمـــات بهذه المناطق ميزات وعيوب فمن ميزاته دوام العلاقـــات والـــروابط بيـــن هـــذه الجماعـــات كلها والشعور بالتماسك والقوة والأمان والطمأنيـــنة ومـــن عيوبه الأعتماد الكلى الدائم على مكان أخر غير محل الأقامة ولكن ربما لظروف خارجة عن إرادة الشخص يعوق التحرك والاتصال بسرعة عوائق ليست فـــى الحسبان فى حالات تستدعى السرعة ، فربما تحدث فى أوقات الليل المتأخرة حالة ولادة أو مرض طفل ، أو حريق أو حدث طارىء مما تخبئه الظروف والأيام ويستدعى الـــتحرك بســـرعة فى وقت لايستطيع الإنسان التحرك فيه ، مثل هطول الأمطار بغزارة وعـــدم توفـــر وســـيلة نقل فى مثل هذا الوقت وغيرها كثير من العوائق ، وخاصة فى الجزيـــرة الـــتى يصعب التحرك منها واليها ليلا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد لوحـــظ أنتشار بعض الأمراض الخطيرة والمعدية فى القرية الأم والقرى الأخرى ، ميت العطـــار وعـــزبة أبو جرف ، فتنتشر الأمراض الصدرية نتيجة لكثرة الغبار الناتج عن صـــناعة الكـــتان وتنتشر البلهارسيا والأسكارس نتيجة تلوث الترع التى يعتمد عليها الفـــلاح اعـــتمادا كلـــيا . وتهدد هذه الأمراض حياة الانسان من أضعاف لجسم المريض وأنتشار العدوى للأخرين ، ليس فقط فى هذه المنطقة الضيقة ولكن يمتد أثرها كذلك إلى بـــاقى القـــرى والمحافظـــات، التى يحتك بها هؤلاء الأفراد ، سواء عن طريق الزواج أو التجارة أو العمل .

ولوحـــظ أن كلا من التوابع له سمة خاصة ، فالجزيرة مثلا تزرع الموز فقط ، ولـــيس للحيوانات أهمية أقتصادية لديهم ، وتخصصت العزبة فى تصنيع الكتان أكثر من غـــيرها . وتـــزرع ميت العطار كل المحاصيل الشتوية والصيفية . ولكن تتشابة التوابع فـــى أنهـــا كلهـــا تشترى كل شىء من خارج محل الاقامة ، وقد خفت ظاهرة التزاور وتفضـــل كل أسرة البقاء فى بيتها ، كما ظهرت بوضوح ظاهرة زيادة الدخول وبالتالى أرتفاع مستوى المعيشة فى الرملة .

ومما هو جدير بالذكر أنه رغم عدم توافر الخدمات بالعزبة وميت العطار وذهاب أهلها إلى الرملة لقضاء احتياجاتهم نجد أن أهالى القرى والعزب المجاورة يأتون يوميا للعمل فى مصانع الكتان أو المفارخ فى كل منها وهذه ظاهرة تستدعى وقفه ، فهؤلاء الذين يأتون للعمل يحتاجون الى طلبات ومشتروات طوال فترة الاقامة فكيف يتسنى لهم ذلك . كان لابد فى مثل هذه الظروف التوسع فى نشر جميع الخدمات التى سوف تدر على أهل القرية والعزبة بالخير الوفير ، فهى حركة وانعاش اقتصادى للجميع ، ولابد أيضا من توفير جميع الخدمات التعليمية والصحية والثقافية والتجارية فى القرى التابعة تماما مثل القرية الأم رغم التقارب القرابى والمكانى ولن يقلل هذا من قوة الترابط والتماسك ما دام الشخص يؤمن هو نفسه ويحس بضرورة هذا الترابط والتماسك ، ولكن العلاقات سوف تظل كما هى كلما شعر الانسان بتأمين جميع احتياجاته فى محل اقامته . كما أن العناية الصحية فى أماكن العمل هام جدا بالنسبة للعمال لمنع تزايد أنتشار الأمراض ، ومنعا لهذا أيضا ابعاد مصانع الكتان والمفارخ عن محل السكن وعمل الاحتياطات اللازمة للحفاظ على صحة العمال بالكشف عليهم وعمل التحاليل بصفة دورية وإمدادهم بالعلاج للاقلال من هذه الأمراض كذلك يجب تطهير الترع ومعالجتها لقتل القواقع التى تنقل هذه الأمراض من آن لآخر وزيادة التوعية الصحية وتوضيح الأضرار الناجمة عن صناعة الكتان وعن الترع الملوثة .

لقد ظهرت بعض السمات الخاصة بالقرية من خلال الدراسة نورد أهمها :

من سمات هذا المجتمع التخصص فى الزراعة وفى الصناعة وأيضا التكامل بين الانتاج الحيوانى والانتاج النباتى . فكل منهما يخدم الأخر وهناك تكامل بين الانتاج الصناعى والزراعى بقيام صناعات طحن الحبوب ومصانع الكتان وصناعات الالبان وصناعة السواقى وكذلك وجود سوق تسوق فيه منتجات القرية ويتم فيه التبادل التجارى، وللسوق وظيفة اجتماعية ويقوم التكامل بين القرية والمدينة والعكس كما يظهر التكامل حتى فى البناء الاجتماعى للأسرة والبناء الاقتصادى نجد أن المرأة تشكل ركيزة أساسية فى المشاركة فى الزراعة والصناعة ، وهذا يبرز نوعا من التكامل والتعاون والمؤازرة والتكتف من أجل الأنتاج وكسب الرزق وتحقيق مستوى معيشى أفضل وكذلك مشاركة الابناء فى أوقات فراغهم وفى العطلات .

من هنا فنجد أن الأسرة كلها تتعاون من أجل الانتاج الذى يعود عليها بالخير . ومن سماته أيضا أن نجد أن بعض المهن متوارثة مثل الحلاق والترزى وغيرهما

وكذلــك أحـــترام الصغير للكبير وأحترام الاب والعم والخال فى داخل الأسرة ، وأحترام الـــزوج لزوجتة واتباع الأب أخلاق القرية فى تنشئة الاولاد والبنات ووضح من سماته عـــدم وجود ظاهرة تعدد الزوجات الا فى الحالات الملحة المشروعة وهذا نتيجة للوعى وارتفـــاع المهور وكذلك ندرة حالات الطلاق. وظهر فى هذا المجتمع أن معظمهم يحرم البنـــت مـــن المـــيراث ولكـــن تعوض عن ذلك بالمال . وشاهدنا كذلك أنه يوجد فى هذا المجـــتمع عـــدد كبير من المعمرين ، هذا ومازال كثير منهم يعالج أمراضا عديدة بالطب الشعبى .

وفـــى أخر المطاف نرى أن العمران يزحف على جميع هذه القرى من كل ناحية بحيـــث أنها جميعا سوف تصبح فى وقت قريب جدا كتله واحدة ، كما أن المدينة تفعل نفس الأثر عليها .

وقـــد شمل التغير الاجتماعى شتى جوانب الحياة الاجتماعية من تغير فى أنماط النشـــاط الاقتصادى والاجتماعى كالتوجه لانماط جديدة من الزراعة أو العمالة والتخزين والتسويق وظهور السماسرة والوسطاء والتغير فى التفكير الاقتصادى كتنظيم عمليات العـــرض والطلـــب كانشاء مجازر آليه وثلاجات لحفظ الدواجن المذبوحة وواضح دور المـــرأة فـــى النشـــاط الاقتصادى حديثا كما كان قديما وأن أختلفت الصور كما يظهر فى وسائل النقل والمواصلات وتداول سلع وظهور محال وحرف لم تكن مألوفة لدى القرى، والتغير فى أنماط السكن والاثاث ومراسم الزواج وأستعمال الادوات الكهربائية الحديثة .

ونظرا لقرب القرية وتوابعها الشديد يتضح التأثير المتبادل للمدينة على القرية والقـــرية على المدينة ، فنجد أن تأثير المدينة على القرية واضح فى الهجرة اليها نظرا لقـــربها وارتفـــاع كـــثافة الســـكان وقلة الارض الزراعية وامكانية الحصول على أجور مـــرتفعة خارج القرية ، وبهذه الصورة تعتبر القرية منطقة طاردة للسكان وكذلك توسيع دائـــرة الاحـــتكاك الثقافى والتجارى مع المدن والقرى المجاورة ، ومما يساعد على ذلك تحســـين الطـــرق وتحديـــث المواصلات ، وساعد قرب المدينة أيضا على أرتفاع نسبة المتعلميـــن وارتفـــاع مستوى المعيشة بالقرية وأرتفاع الأسعار والمهور وغيرها وكذلك ســـهولة الحصـــول على الخدمات الصحية الحديثة ، كما يتضح تأثير المدينة على أنواع السلع وأنماط الأستهلاك والتغير فى الأثاث والملبس والزينة . ونجد من ناحية أخرى أن القرية تمد المدينة بشتى أنواع الانتاج النباتى والانتاج الحيوانى والدواجن ومستلزمات التصنيع والعمالة .

ومـــن الاثـــار الســـلبية للمدينة على القرية الزحف العمرانى على القرى الذى يقتطع مساحات من الأرض الزراعية المنتجة ، ويزيد الطين بله التوسع العمرانى للقرى ذاتها نتيجة لارتفاع مستوى انمعيشة والتغير الاجتماعى .

وأخــيرا لو أردنا تطبيق ما أشار الية روبرت ردفيلد فى نظريته نجد أنه ينطبق بوضوح على ما ذكر من خصائص وسمات القرية المصرية .

المراجع العربية :

١ – أحمد زكى بدوى : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ١٩٧٨ .

٢ – روبــرت ريــد فيلد : المجتمع القروى وثقافته ، ترجمة د. فاروق العادلى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣ .

٣ – ســعاد شعبان : هورين . دراسة أنثروبولوجية ، مجلة الدراسات الأفريقية ، العدد الثانى ١٩٧٥ .

٤ – ــــــــــــــ : العشــى دراســة أنثروبولوجية ، مجلةالدراسات الأفريقية ، العدد الرابع ١٩٧٥.

٥ – ــــــــــــــ : السيول كعامل بيئى ، أثرها فى البناء الاجتماعى والثقافى للشعوب نموذج من صعيد مصر ، نشرة بحثية رقم ٢٤ معهد البحوث والدراسات الأفريقية عام ١٩٨٧ .

٦ – عبد الباسط محمد عبد المعطى : الاتجاهات النظرية فى دراسة الصراع الاجتماعى ، دراســة تجريبــية فــى ثلاث قرى مصرية . أهناسيا الخضراء ودموشية وبنى عفان بمحافظة بنى سويف (رسالة دكتوراة) جامعة القاهرة ١٩٧٢ .

٧ – عــبد الوهاب إبراهيم عبد الوهاب : التركيب الطبقى ومعوقات التنمية فى قريتين مصريتين أطروحة ، دكتوراة جامعة القاهرة ١٩٨٢ .

٨ – عــزة علــى كريم : العلاقة بين تغير الوظيفة الاخلاقية للأسرة المصرية والتطور التكــنولوجى مــع دراسة تطبيقية على الأسرة فى الريف والحضر (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة ١٩٧٥.

٩ – علــى محمد المكاوى : المعتقدات الشعبية والتغير الاجتماعى . دراسة ميدانية على قرية سيف الدين بمحافظة دمياط (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة ١٩٨٢ .

١٠– محمــد رمزى : القاموس الجغرافى فى البلاد المصرية من عهد قدماء المصريين الى سنة ١٩٥٥ ، القاهرة ، مطبعة وزارة التربية سنة ١٩٥٨ .

١١– محمــد ريــاض : الإنسان ، دراسة فى الحضارة والنوع ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٤ .

١٢- محمــد عاطف غيث : التغير الاجتماعى فى المجتمع الريفى ، دراسة فى محافظة الدقهلية : القيطون وهلا وكفر الشيخ ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥

١٣- محمد كمال التابعى سليم : التغير الاجتماعى فى قرية بسنديلة كنموذج لأثر تنظيم المجتمع المحلى (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة ١٩٧٥ .

١٤- ـــــــــــــــ : التأثيرات التبادلية بين نسق القيم وبرامج التنمية الريفية فى بعــض قــرى محافظــة المنوفية . أطروحة (دكتوراة) ، المجلد الأول والثانى جامعة القاهرة ١٩٨٢ .

١٥- محمـــود عــودة : أســاليب الأتصال والتغير الاجتماعى ، دراسة ميدانية فى قرية مصرية ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧١ .

١٦ – محمود عودة : القرية المصرية بين التاريخ وعلم الاجتماع ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ١٩٧٢ .

١٧- وداد ســليمان مــرقص : المدخــل الديموجــرافى لدراسة التدرج الاجتماعى فى المجتمع القروى ، أطروحة دكتوراة ، جامعة القاهرة ١٩٧٨ .

<u>المراجع الاجنبية :</u>

1- Harris, Marvin, Culture, Man and Nature, An Introduction to General Anthropology, Colombia, Thomes, Y. Crowell campany, New York 1971.

2- Hunter, David E.: Encyclopidia of Anthropology Hager and Row, publishers, New york 1976.

3- Readfield, Robert : peasent Society and Culture. The university of Chicago press, Chicago 1965.

4- Theodorson, Georgia A, and Theodorson, Achilles G.: A Modern Dictionary of Sociology, Barnes and Noble Books, A Division Harper and row, Publishers, New york 1979.

5- Winick, charles: Dictionary of Anthropology, Adams and Co. paterson, New york. 1964.

٢ - قرية هورين*

يهــدف البحث الى التعرف على جميع عناصر الحياة الاجتماعية والحضارية فى مجتمع قروى عن قرب ، دراسة ميدانية مركزة تعتمد على الملاحظة والمشاركة لسلوك وتصرفات الافراد فى ضوء القيم والعقائد السائدة فى المجتمع .وذلك لانه مما يلاحظ فى هــذا العصــر ان المجــتمعات الريفية فى مصر وبعض بلدان أفريقيا قد شهدت تغيرات جذرية نتيجة عوامل متعددة ،وقد ارتفعت الصيحات بضرورة تطوير القرى المصرية فى خطــط انمائــية وعمرانية. لذلك كان لابد من القيام بدراسات تتناول الانظمة الاجتماعية من جميع جوانبها –الاقتصادية والدينية والسياسية والقرابية.والدراسات الانثروبولوجية هى افضل المناهج للوصول الى الصورة الكلية الشاملة للجميع .

وقــد اوضــحت الدراســة اهمــية التعجيل بدراسة المجتمعات الريفية وتسجيل ملامحهــا الثقافــية قبل ان يدهمها تيار التغير الاجتماعى السريع ، حتى نعثر لقرانا فى يــوم ما على تاريخ مكتوب يمكن الاستفادة منه كمنطلق للابحاث المستقبلة لفهم حقيقة الحياة الريفية .

وقــرية "هورين" تقع على الطريق الزراعى الذى يصل بين مدينتى بركة السبع (محافظــة المنوفية) ،ومدينة زفتى (محافظة الغربية) ،وان كانت اقرب من بركة السبع عــن زفــتى ،فهى لا تبعد عن الاولى سوى حوالى ٥كم فى حين ان المسافة بينها وبين زفتى حوالى ٢٠كم .

وتعتــبر قــرية هوريــن مــن القرى الكبرى فى مركز بركة السبع وتعتبر مركز اشعاع بالنســبة للعــزب والكفــور المجاورة لها حيث انه يتبعها اداريا قرى (كفر هورين، كفر نفــرة، كفر عليم، كفر الشيخ طعيمة، الحلامشة كفر هلال) اما من الناحية الطبيعية فانها لا تتمــيز بملمح تضاريس واضح سواء من حيث الارتفاع او الانخفاض .ولا تختلف عن الاراضى الزراعية المجاورة لها [١] .

---

*- دراســة أنثروبولوجــية ميدانــية للدكــتورة سعاد شعبان ، منشور بمجلة الدراسات الأفريقية ، العدد الثانى ، ١٩٧٣م .

1- من واقع بيانات وزارة الزراعة ،الادارة العامة للاراضى ١٩٦٦ .

وكانـــت هوريـــن تابعـــة لمركز السنطة ،الذى يتبع محافظة الغربية حتى عام ١٩٦٣ وبالـــتالى كانـــت صلتها بزفتى اقوى من ناحية الخدمات رغم قرب المسافة من بركة السبع[1].

وقد كان للموقع الهام للقرية وتوسطها تقريبا على الطريق الرئيسى الذى يربط مديـــنة زفتى بمدينة بركة السبع –ان اصبحت لها وظيفة مركزية على هذا الطريق فهى تمـــثل مركـــز الدائرة تتناثر حولها القرى وترتبط بها وتعتمد عليها فى مختلف الخدمات الاقتصادية والتعليمية الاجتماعية .

لذلـــك اختيرت هورين مقرا للمجلس القروى ونقطة الشرطة ومختلف الخدمات المركزية الريفية التى تخدم هورين والقرى السبع المجاورة لها

ولقـــد تـــبع زيـــادة العلاقات بين اهالى هورين والقرى المجاورة لها ان زادت الصلات الاجتماعية بين الاهالى ،وارتبطت العائلات فى تلك المنطقة بروابط المصاهرة .

قرية هورين قرية قديمة ، ذكرت فى كتاب وقف الاشرف برسباى المحرر سنة ٨٤١هـــــ ،ثـــم تتابع ذكرها. ففى القاموس الجغرافى ورد ان هورين قرية قديمة وردت فى قوانين ابن مماتى وقد ذكر انها من اعمال جزيرة قويسنا لمجاورتها لناحية (تطالية) تطـــاى لتميـــيزها من هورين بهرمس ، وفى تحفة الارشاد وردت محرفة باسم هروين تطاية من الاعمال المذكورة ، وفى التحفة هورين تطاية من اعمال الغربية ولما اندثرت هوريـــن بهـــرمس واضـــيف زمامها الى ناحية المحلة الكبرى حذف المضاف اليه من هوريـــن تطاية فاصبحت بغير مميز ،ولذلك وردت باسمها الحالى فى تاريخ عام ١٢٢٨ هــــ .

ومـــن التاريخ الاسطورى مما يحكيه المسنون عن اصل كلمة هورين وكلها روايات متشابهة تقريبا .

كان فى قديم الزمان سيدة غنية اسمها "رين" وكانت تهوى الرحلات فضمن جولاتها مـــرت علـــى هـــذه القرية فعجبها الهواء واتخذت لنفسها مقرا بها وكان كلما مر عليها انســـان يعجـــب بهـــذا الهـــواء ويقول : "ما اجمل هوارين" واخيرا حرفت الى هورين ،

1- مقابلات شخصية .

وتجمع حول هذه السيدة جمع من الناس استقروا بالقرية .ونفس الاسطورة تحكى ولكن بطـريقة مختلفة، فقد قيل : ان رين هذه ابنة ملك. وذات يوم مرضت ودار البحث لها عن مكان لتشفى من مرضها وكان قد وصل بها المطاف الى هذه المنطقة ، وبمجرد ان مكثـت فـترة شعرت بالراحة وشفيت من مرضها ،وقالت ضمن ما قالته : "الله هوارين" بمعنى (هواء نقى) -ثم حرفت الى هورين البشرى بمعنى (هواء جميل) .

ومما يقال ايضا انها ربما تكون كلمة فرعونية .

كما يقال ايضا انها نسبت الى هارون الرشيد، وذلك عندما كان حاكما، ومر فى ذلك الوقت بهذه البلدة، وبذلك نسبت اليه وحرفت الى "هورين"[١].

ومن الروايات التاريخية القريبة نسبيا ان سيدى فهد الرجال وسيدى حسين المغربى همـا بـدء نشـأة القـرية وتعميرها حيث التف حولهما الاتباع والمحاسيب واستوطنوا بالقرية .

ويعـيش الفـلاح -داخل القرية فى منزل يطلق عليه (الدار) وهو منزل كبير يتسع للعائلة بأكملها ويتكون عادة من طابق او طابقين ويشتمل على عدد كبير من الحجرات .

ويتوسـط الطابق الاول صالة يطلق عليها (وسط الدار) توجد على جانبيها مصاطب طينية او ارائك خشبية (كرويته) او الاثنان معا .

والحجـرات جمـيعها مسـاحاتها كبيرة وارتفاعها لا يقل عن اربعة امتار وتختلف اسماؤها بأختلاف الغرض منها .

فالحجـرة التى يوجد بها الفرن الكبير وتستخدم للنوم شتاء تسمى بالقاعة (الاعة) ، والحجـرة المسـتخدمة للجلوس فقط تسمى المندرة، اما الحظيرة او "الزريبة" وهى فى نهاية وسط الدار فهى مكان ايواء الماشية .

وحجـرات المعيشة تخلو من اى اثاث سوى الحصير المجدول او الاياس .كما توجد ايضـا المساند بجوار الحوائط .وفى المندرة او الاعة قد نجد دولابا او اكثر فى (الحائط) ويسـتخدم لحفـظ الاشياء .اما الملابس فغالبا ما تعلق على مسامير فى الجدار، او على حـبل مشـدود بين مسمارين ويسمى (السيارة) ولا تخلو دار من وجود (الصفة) وهى عبارة عن مخزن على شكل صندوق طويل يتوسطه باب يسمح بدخول احد افراد الاسرة

1- من روايات كبار السن

لوضـــع او استحضار الاشياء المحفوظة داخله –والصفة هى افضل مكان لحفظ الاشياء الضرورية مثل اللبن والسمن والزبد والخبز بعيدا عن الحشرات وتقلبات الجو .

ويوجـــد اســـفل السلم الداخلى المؤدى الى الطابق العلوى او بجوار الزريبة فى نهايـــة وسط الدار يوجد حجرة صغيرة تستخدم كمرحاض- وهى عبارة عن فتحة سفلية تنـــتهى بخـــزان او بئر ينزح ما به مرتين او اكثر سنويا، ويوجد بداخل المرحاض اناء صغير للاغتسال (عادة ابريق مصنوع من الفخار) .

وحجرات المعيشة تشتمل على نافذة او اكثر ذات باب خشبى ،او طاقة بغير باب او ذات قضـــبان حديدية .اما الحجرت الخالية من النوافذ او الطاقات فتوجد بها فتحة علوية يطلق عليها (ناروزة) . وتستخدم للتهوية وكمنفذ للضوء .

واذا كـــان بالدار طابق ثان فان سلما جانبيا مصنوع من الطوب والطين، يفضى اليه وغالـــبا ما يكون هذا السلم بغير سور خارجي وربما يستخدم السلم النقالى (سلم خشبى متنقل) للوصول الى الطابق الثانى .

ويـــؤدى الســـلم الـــى صالة يطلق عليها البعض كلمة (سباط) وهى تتوسط الطابق العلـــوى. وتوجـــد علـــى جوانب الصالة او السباط حجرات كتلك التى توجد فى الطابق السفلى وان كانت اقل عددا واصغر مساحة. والحضير هو اصغر هذه الحجرات ويستخدم لحفـــظ الاشـــياء ، وقـــد يستخدم احيانا للنوم. ويوجد فى جوانب الصالة عشش للطيور والارانب .

وحجرات الطابق العلوى- ماعدا الحضير- يطلق عليها جميعا (مآعد) وفوق السطح (اعلـــى المـــأعد) تخـــزن الغلال والذرة (كيزان الذرة باغفلتها) (والمسكة) وهى اقراص مصـــنوعة من روث الحيوانات المخلوط بالتبن وتستخدم للوقود. وتسمى مخازن الغلال (بالزواليع) مفردها زلوع) ،وهى تبنى على شكل اقماع من الطوب والطين ومغلقة تماما مـــن جميع جوانبها ويمكن فتحها من اعلى عند اللزوم وامام الدار توجد غالبا مصاطب تســـتخدم للجلـــوس فى اوقات العصر او فى المساء خاصة فى فصل الصيف وغالبا ما تفضل المرأة الجلوس على الارض امام الدار تاركة لزوجها وضيوفه المصاطب .

اما الباب المفضى الى داخل الدار فهو ضخم طولا وعرضا ويتكون من ضلفة واحة واحـــيانا قلـــيلة من ضلفتين ويغلق من الخارج بواسطة مفتاح طويل. ومن الداخل يقفل

بالضـبة والمفـتاح وقـد يوجد عليه مقبض من الحديد او الخشب يدق من الخارج عند اللزوم.

الى جانب الفرن الكبير فى (الاعة) يوجد ايضا مواقد اخرى فى وسط الدار –ويطلق علـى الموقد الصغير (الفرن النقالى) وعادة ما يكون تحت السلم او فى ركن داخلى من وسط الدار ،وكذلك يوجد (الكانون) وكلها تستخدم لطهى الطعام او لعمل الخبز .

كذلـك توجد طلمبة المياه (الطرمبة) فى ركن من اركان وسط الدار ،واحيانا لا توجد فتضطر نساء الدار الى احضار الماء فى آنية من طلمبات بالخارج .اما الدار فتصنع من (الطـوب النيىء) وهو صناعة محلية وسقف الدار عبارة عن جذوع الاشجار غالبا من شجر الكافور او البأس- ثم يوضع البوص او الغاب البلدى المجدول بالتيل فوقها بعكس اتجاههـا. ثـم توضع طبقة من الطوفة (الطين المخلوط بالتبن) فوقها جميعها ليتماسك السـقف (وهـذه العملـية تسمى الترصيعة) ان وجدت وليصبح السقف اكثر تماسكا واحتمالا .ولبناء الدار وعمل السقف يستأجر عامل خاص (البناء) .وقد يقوم اهل الدار من الرجال بهذا العمل – ان كان لهم خبرة به –او الاثنان معا (اهل الدار بمساعدة البـناء) اما عمليات الدهاكة فتقوم بها نساء الدار دون الرجال وارضيات الدار كلها من الطين المدهوك دهكا جيدا وترش بالماء عند تنظيفها .الى جانب هذا النوع من البيوت– وهو الغالب لدى الفلاح العادى –دور أخرى بنيت حديثا من الطوب الاحمر ، وتتكون فى الغالب من طابق واحد واحيانا من طابقين .وهى لا تختلف عن منازل المدن الا من حيث اتساعها واحاطة معظمها من الخارج بحديقة صغيرة تربى فيها الدواجن .

ولا يسـتخدم هذه المساكن سوى الموظفين من اهل القرية كما ان اثاث هذه المنازل يشابه اثاث منازل المدن .

هـذه هـى انماط السكن داخل القرية ،ولكن غالبا ما يكون للفلاح دار أخرى – مؤقـتة – فـى الحقـل يبيت فيها عند نضوج المحاصيل التى يخشى عليها من السرقة لحراستها او التى تحتاج لرعاية دائمة خاصة حدائق الفاكهة – او فى اوقات الرى .

وهـناك بعض الاختلافات بين الدار فى القرية ومثيلتها فى الحقل. فبينما يتسع دار القـرية للاسـرة جمـيعا – ان لم تكن عائلة – فان دار الحقل لا تتسع الا لعدد من الافـراد غالـبا مـا يكون من عمال الحقل او واحد او اكثر من رجال الاسرة. لذا فأنها تـتكون من حجرة واحدة قد توجد بها نافذة واحدة او لا توجد على الاطلاق. وليس بها

شئ سوى حصيرة او كمية من القش. بدلا من الحصير وادوات عمل الشاى . وقد تلحق بها حجرة أخرى مشابهة للماشية ان وجدت.

هـذا ودور القـرية متجاورة وملتصقة ببعضها ،وتفتح على حارات طويلة متعرجة وملـتوية واحـيانا على حارات مغلقة (أزقة) مفرد (زقاق) ولا توجد اسماء للحارات او ارقـام الـدور. ولكـن يسـهل الاستدلال على الاشخاص فى القرية بمجرد السؤال رغم عددهم الكبير (حوالى ١٠ الاف نسمة).

وقد لوحظ بقايا بوابات خشبية ضخمة عند مدخل بعض الحارات كانت تستعمل فيما مضى خشية هجمات اللصوص فلا يستطيع احد الدخول الى الحارة بعد غلقها.

وكانـت الحـارة تجمـع فيما مضى اسر يرجع نسبتها الى عائلة واحدة ولكن هذه الـبوابات لا تستخدم الان لتوفر الامن ولاختلاف نسب الاسر التى تقطن الحارة الواحدة .لذا فقد نزع بعضها وبقى البعض مهملا وشاهدا على حالها السالف.

ورغـم ضـيق الحارات وانحناءاتها وتعرجاتها الا انها تبدو دائما نظيفة، فلا نلحظ عند اى دار بقايا الحيوانات التى يستخدمها الفلاح كسماد لارضه، فهو يقوم بحملها الى الحقل مباشرة ، وتقوم السيدات بتنظيف المكان دائما امام الدار فتبقى الحارات نظيفة .

ولـم يلاحـظ اختلافا ما بين دور القرية ومثيلتها فى القرى المجاورة- وان اختلفت بعـض المسميات فقط ككلمات (صفة – مسكة – آعة) ولكن توفر النظافة بشكل ملحوظ سواء داخل الدار وخارجها يبدو بوضوح فى هذه القرية بالمقارنة لغيرها .

اما بالنسبة لمساحة الارض المنزرعة فى هورين فهى لا تتعدى حوالى ٢١٤٣ فدانا ، بينما يبلغ عدد السكان المقيمين بالقرية الاف من السكان [١].

يعتمد الفلاح فى غذائه على الذرة والقمح ، اما القطن فلم تعد له تلك المكانة العالية التى كانت له من قبل كمحصول نقدى بل ادخل محصولات أخرى نقدية كالتيل مثلا [٢].

الى جانب الاسمدة الكيماوية الحديثة ، يعتمد الفلاح على الاسمدة العضوية (السباخ البلدى) اعتمادا كبيرا .

1- من واقع سجلات الجمعية الزراعية التعاونية بالقرية .

2- ملاحظات شخصية .

ووفقــا للحصر التصنيفى للتربة الذى قامت به وزارة الزارعة عام ١٩٦٦ وجد ان معظــم مساحة الارض التابعة لهذه الناحية .هىاراضى جيدة الانتاج ويغلب عليها التربة الرســوبية العمـــيقة ســـواء منها الاراضى الطينية ذات القوام الثقيل او الخفيف كما ان معظـــم الاراضـــى هنا ذات نسبة عادية من الاملاح الذائبة فى الطبقة السطحية او بطول القـــاع ، ويلاحـــظ ان جمـــيع أراضى الناحية خالية من القلوية فى الطبقة السطحية او بطول القاع .

وقـــد اتضح من دراسة الماء الارضى للناحية (فبراير ١٩٦٦) ان مستوى الماء فى غالبية الاراضى عميق .

وفـــيما يخـــص نظـــام الرى نجد ان الرى بالقرية يعتمد على الرى بالراحة او بالـــرفع عـــن طريق السواقى وعموما فان حوالى ٤٠% من جملة الاراضى التابعة للقـــرية تعـــتمد علـــى نظام الرى بالراحة معتمدة على مياه بحر ابو زهرة ،اى ان الجـــزء الذى يقع الى الشمال من الطريق الزراعى يعتمد كله تقريبا على نظام الرى بالـــراحة. هذا فى حين ان الجزء الذى يقع الى الجنوب من هذا الطريق يعتمد على وجه العموم- على نظام الرفع عن طريق السواقى من مياه ترعة العطف .فالملاحظ ان الاراضـــى الـــتى تقع الى الجنوب والى الشمال الشرقى من ترعة العطف والتى تدخـــل فـــى زمام القرية تعتمد على نظام الرى بالرفع عن طريق السواقى، هذا فى حين ان الااضى التى تقع الى الشمال الغربى منها تعتمد على نظام الرى بالراحة من ترعـــتى الديسة والطويل ،اما وسائل الرى القديمة مثل الشادوف او الطنبور فلم تعد تستخدم.

وفـــيما يـــتعلق بنظام الصرف فان ثلثى الاراضى الزراعية التابعة للقرية تعتمد علـــى نظام الصرف المغطى ،وهو عبارة عن شبكة من المواسير الاسمنتية مختلفة الاقطـــار مدفونـــة تحت الارض بأعماق متدرجة حتى يمكن سريان المياه منها الى المصـــرف العمومى ويركب بين كل ماسورة واخرى (فلتر) لامتصاص المياه الزائدة عن حاجة الرى وتوصيلها الى المصرف. ويلاحظ ان ثلثى الاراضى الزراعية التابعة للقرية تعتمد على نظام الصرف المغطى ،والثلث الباقى لا يوجد به اى نظام للصرف فـــيما عـــدا بعـــض "الرشاحات" الضيقة التى لا تقوم بعملية الصرف كما ينبغى ان يكـــون- وتوصـــل هـــذه المصـــارف المغطاه- المياه المتسربة اليها الى المصرف

الرئيســى الــذى يخــترق اراضـــى القرية هو مصرف "كلاالباب" وهو بحالة جيدة ومنسوب الصرف على ١,٥ متر وهو يصب فى مصرف زفتى .

والاراضى التابعة للقرية جميعها تعتبر اراضى املاك خاصة بالاهالى ، والحيازة الزراعــية بهــا صغيرة حيث لا يزيد ما تمتلكه الغالبية العظمى من المزارعين عن خمسة افدنة بينما تنحصر الملكيات الاكثر من عشرين فدانا فى ثلاث افراد من عائلا ت مخــتلفة .وبذلك توزعت الملكيات الزراعية على العائلات توزيعا متساويا الى حد كبــير، ولــم تســتأثر احداها او بعضها بنصيب كبير من الاضى ليعمل باقى سكان القرية اجراء فيها .

وكـــان صغر مساحة الاراضى المملوكة نتيجة تفتيت فى الملكية الزراعية نتيجة لثــبات المساحة الزراعية وتكاثر السكان .ولكن للتغلب على هذه المشكلة اتبع نظام الــدورة الزراعية الثلاثية ،التى تعتمد على تجميع الاراضى الزراعية تحت محصول واحد وفقا لنوعية الاراضى الزراعية .

هــذا وعندما صدر قانون الاصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ وما تلاه من قوانين تحديد الملكية الزراعية لم يكن فى القرية كلها من ينطبق عليه تلك القوانين وقد ادى هذا الى التعاون بين العائلات وعدم ظهور الطبقات فى داخل المجتمع ،كما ان صــغر الملكــيات ســاعد علـــى الــتكاتف ازاء ما يعترض الزراع من مشكلات مشــتركة. فقد يشترك عدد من صغار ملاك الارض هم غالبية فى اقامة حلزونة كل بنســبة مـــا يمــتلكه من ارض سترويها هذه الحلزونة وكذلك المساهمة فى نفقات صيانتها او تطهير مجرى مائى بالتعاون فيما بينهم .

وقــد ســاعد علـــى نجاح هذا التعامل والتكامل ان نظام ملكية الارض فى قرية هوريـــن لا يرتــبط ارتــباطا وثيقا بالنظام السكنى فحسب ،مما يقوى العلاقات بين الافــراد وييســر سبل اتصالها بل يرتبط كذلك بالنظام العائلى السائد فى القرية .فكل عائلـــة تــتخذ لها قطاعا سكنيا متميزا فى القرية يتجمع فيه اعضاؤها ويطلق عليها إسمها. كذلك تتوزع ملكية الارض الزراعية توزيعا عائليا الى حد كبير بحيث تسود علاقـــات القرابة والجوار فى الحقل والمنزل فى ان واحد .ويبدو ان لتوزيع الملكية علـــى هــذا النحو علاقة وثيقة بنشأة القرية واستيطان العائلات فيها. فلقد تبين من

البحث ان العائلات قد استقرت فى القرية فى اوقات متفاوتة ونشأ عن ذلك ان استقلت كل عائلة بناحية معينة من زمام القرية .

والمحصولات الزراعية فى القرية لا تختلف عما هو سائد فى الوجه البحرى عموما سواء المحصولات الغذائية او النقدية فيما عدا بعض الاختلافات الطفيفة ،حيث ان المساحة المنزرعة ارزا فى القرية ضئيلة للغاية

واهم المحصولات الزراعية هى :

القطن ، الذرة ، القمح ، البرسيم ، الفول .

هذا بالاضافة الى بعض المساحات الضئيلة التى تزرع بالخضروات والفواكه ،وكذلك تزرع بعض المساحات بالتيل ،وهو محصول نقدى مريح وكذلك زراعة نبات عباد الشمش للاستفادة من بذوره كبديل عن اللب ،الذى ارتفع سعره فى الاونه الاخيرة والدورة المتبعة هنا هى الدورة الزراعية الثلاثية ،حيث تزرع الارض سنة واحدة بمحصول القطن ثم تزرع سنتين بغيره من المحصولات الصيفية او الشتوية والخضروات المختلفة اذ ان المتبع ان يستغرق محصول القطن العام كله ثم تزرع الارض فى السنة التالية بالمحصولات الصيفية وهى الذرة وبعض الخضراوات وهى القمح والفول والبرسيم .

ويتم تنظيم هذه الدورة عن طريق تبادل الاراضى الزراعية بين الاهالى كما هو متبع فى معظم القرى المصرية .

امـا عن وسائل الزراعة فقد بدأت الالات الحديثة تحل محل المعدات اليدوية فى الآونة الاخيرة ثم حلت المحاريث الالية محل المحاريث الخشبية التى تجرها الماشية كما ان ماكينات درس المحصولات تم استخدامها بدلا من "النورج" القديمة .

هـذا بالاضافة الى وجود بعض ماكينات رفع المياه ولكن الساقية مازالت هى الوسيلة الاكثر استخداما فى رفع المياه فى المناطق التى لا تعتمد على نظام الرى بالراحة .

ولكن هناك اعمال زراعية كثيرة مازالت تعتمد على جهد الفلاح اليدوى مثل جنى القطن وزراعة المحصولات المختلفة مثل القمح والفول .. الخ

وتتركز الثروة الحيوانية فى القرية فى الماشية (جاموس بصفة خاصة) والابل وبعض الابقار والاغنام. وتستخدم الماشية عموما فى ادرار الالبان والتكاثر .والنوع السائد من الجاموس هو الجاموس المنوفى الذى يمتاز بكثرة انتاجة من الالبان .

وتحـــتل الماشـــية مكانـــا خاصا فى نفس القروى نظرا للدور الذى تقوم به فى الحياة الريفية فى الحقل والدار ،فهى دائما نصب عينيه يراقب حالتها باستمرار واذا مرضــت سارع بعضها على الطبيب البيطرى بوحدة القرية ،واذا ماتت حزن عليها حــزنا شــديدا اذ يمــثل ذلك بلاء نزل به يستلزم معه تعزية الجيران والمقربين له قائلين يعوض الله اى يخلف عليك الله بما يعوضك عنها وتشترى غيرها .

وبقـرية هوريـــن وحـــدة بيطرية يشرف عليها طبيب بيطرى ،يعاونه عدد من المساعدين ويقيم الطبيب اقامة دائمة بالوحدة .

وتقـــوم الوحدة بالتنبيه على الاهالى بمراعاة تجنب رعى ماشيتهم فى المزارع المرشوشة بالمبيدات الحشرية خشية تسممها ،كما تقوم عن طريق الجهاز الادارى (النقطة) باستدعاء الاهالى واحضار ماشيتهم لرشها بالمحاليل الطبية لقتل الحشرات الضارة العالقة بأجسامها مثل القراد والطفيليات الخارجية كما تشمل خدمات الوحدة علاج الحيوانات المريضة واجراء الجراحات وإعطاء الادوية اللازمة لها .

ومن اهم مصادر الانتاج الحيوانى اللحوم والالبان .

وتشـــكل منـــتجات الالـــبان نسبة كبيرة من دخل الفلاح سواء ما استهلك داخل المنزل او ماتم بيعه خارجه .

ومن الملامح الثقافية المميزة فى هورين ان بيع اللبن فى صورته الاولية وهو سائل يعد عيبا كبيرا ولا تجرؤ اسرة على بيع لبن ماشيتها، اذ يقابل ذلك باستهجان واســتنكار مـــن المجتمع الهورينى، بينما لا يعتبر هذا عيبا فى قرى أخرى مجاورة ولا تبعد عن هورين سوى كيلو مترين مثل قرية كفر هلال مثلا حيث تتنافس الاسر فى الحصول على اكبر عائد نقدى من بيع اللبن .

ويكمل النشاط الحرفى فى القرية متطلبات النشاط الزراعى من عدد والات ويسد حاجـــة الاهـــالى فـــيما يحتاجونه من مهن وخدمات اولية، وهذه الحرف متعددة فى القـــرية حيـــث تفـــى بالاحتياجات الاولية البسيطة لسكان القرية. وتختص بالاعمال الحرفـــية طـــبقة معينة ،تتوارث هذه الحرف عن الاباء وبعض هذه العائلات لم تكن اصـــلا من اهل القرية ولكنها اتت من قري او مدن مجاورة منذ وقت مبكر ،وطاب لها المقام فاستقرت فى هورين وعلمت اعضاءها هذه المهن .

وتنقسم الحرف من حيث طريقة دفع الاجر الى قسمين :

اولا : حـــرف يدفع مقابلها بالاجر العينى دون النقدى ، وذلك بان يدفع للقائمين بهـــا نســـبة معينة من المحصول (ذرة - قمح) مقابل الخدمات التى يقدمونها طوال السنة وهو ما يعرف بنظام المسانية .

ويمكـــن اعتـــبار نظـــام المسانية بمثابة وسيلة للتبادل الاقتصادى بين الحرفى والمزارع كما يتميز هذا النظام بعدة خصائص نجملها فيما يلى :

١- ان لكل حرفى من اصحاب حرف المسانيات عائلات معينة يتعامل معها وبذلك تتوزع القرية على عدد محدود من اصحاب هذه الحرف .

٢- توجـــد علاقـــة تعاقديـــة عرفـــية غـــير مكتوبة بين حرفة المسانيات وعملائهـــم ، فيعرف كلا منهما حقوقه وواجباته. وتستمر هذه العلاقة لســـنوات طويلـــة ولا تتأثر بوفاةرب الاسرة او احد اعضائها اذ يقوم الوريـــث باداء نصيب الحرفى عند جمع كل محصول من الذرة والقمح كذلك اذا توفى الحرفى او لم يعد قادرا على العمل فان ابنه الذى ورث عنه هذه الحرفة يقوم بالعمل لدى نفس العائلات .

٣- ان امثال هؤلاء الحرفيين لا يملكون غالبا ارضا زراعية وهم يعيشون عادة على ما يحصلون عليه من مسانيات .

٤- تقتصـــر مهمـــة حـــرفى المســـانيات على العمل بأدوات يمتلكها. اما الخامـــات الاولية او الاخشاب التى سيتم تصنيعها كما فى حالة النجار ،فيقد مها صاحب الدار .

<u>اما اصحاب هذه الحرف والمهن فهم :</u>

الـــنجار الجفاوى : وهو الذى يقوم بصناعة وصيانة الادوات الزراعية الثقـــيلة مـــثل المحـــراث والقصابية والزحافة والنورج ،والاجزاء الخشبية من الحنـــزونة ويصـــنع ايضا الابواب والشبابيك وبعض الاثاث المنزلى البدائى مثل الاريكة (الكنبة) و (الطبلية) والكرويته (الدكة) .

الســـمكرى : يقوم بتركيب وصيانة الطلمبات و الطلمبات لها دور هام فى حياة اهـــالى هوريـــن حيث يعتمدون عليها منذ امد بعيد بصفة اساسية كمورد للمياه النقية.

ويقوم السمكرى أيضا بصناعة بعض الاعمال المعدنية الخفيفة .

العددى (السروجى) : يقوم بصناعة وصيانة الامتعة (العدد) التى تركب على ظهور وسائل الركوب والنقل من الحيوانات مثل الجمال والحمير والخيل ، والتى تصنع من الجلد والقش وبعض انواع من القماش السميك وبعض القطع الخشبية .

القصاص : وهو المختص بقص شعر الحمير والخيول ووبر الجمال وجز صوف الغنم .

القارئ (الفقى) : يقوم بتلاوة القرآن الكريم فى داخل الدور مرتين فى الاسبوع ، ويقابل من اهل الدار باحترام وتبجيل .

الحلاق (المزين) : ومهنته تقتصر على الرجال والابناء ويطوف الحلاق على زبائنه فى المنزل او فى الحقل .

وللحلاق ايضا دور فى اعداد العريس يوم الحنة حيث يقوم بوضع الحنة فى يدى العريس ورجليه .

وهناك عدد من الحرف والصناعات اليدوية تندرج تحت نظام المسانية يدفع مقابلها للحصول عليها نقودا اهمها :

صناعة النسيج : تنتشر الانوال الخشبية اليدوية التى تقوم بنسج المنسوجات القطنية والحريرية وانتاج اقمشة المفروشات (الكوفرتات) .

صناعة الفحم : وتختص بهذه الصناعة عائلة واحدة بالقرية ويقوم العمال بقطع اخشاب الاشجار بالطرق البدائية الاولية دون الاستعانة بوسائل الية حديثة فيستخدمون البلطة والمنشار الكبير الذى يمسك به عاملان. وصناعة الفحم بالقرية تتم عن طريق وضع قطع الخشب فى حفرة وتغطيتها بطبقة من الطين المخلوط بالتبن وتترك فتحة من احد الجوانب ،ثم تشعل النار بها وتترك عدة ايام حتى يتم تفحيم الخشب ثم يصدر الى الشركات المستهلكة ويباع لتجار الفحم فى المدن .

حرفة الشلف : الشلفة عبارة عم شبكة كبيرة تصنع خيوطها الغليظة من حبال التيل وتجدل بطريقة معينة وتستخدم الشلفة لأغراض مختلفة منها تعبئة التبن والقطن والمحاصيل الزراعية الكبيرة الحجم لامكان تحميلها على الدواب .

جسـاس الماشـية : وهو الذى يقوم بالكشف على الحيوانات لكى يعرف ما اذا كانـت (عشـر) ام لا ، وفـى اى مـرحلة من مراحل الحمل كما يستعان به عند شراء الماشية او بيعها.

قـياس المسـاحة : وهو شخص تخصص فى قياس مساحة الاراضى الزراعية ومعـرفة حـدود وزمـام كـل حوض ،كما انه يعرف الى حد كبير تطور تاريخ ملكيات الاراضى .

تقسيم العمل بين الجنسين :

تقـوم الاسـرة بوظيفة انتاجية متكاملة حيث يتعاون أفرادها فى العمل والانتاج الـزراعى ، فيـتوزع العمـل بينهم بشكل يتكامل فيه الانتاج فالرجال يقومون بالاعمال الزراعـية الخارجية عن نطاق الدار بينما تختص النساء بالاعمال التكميلية او المتصلة بالماشـية داخـل الدار واعداد الاغذية والاعلاف الخاصة بها ، كما تقوم بحلب الماشية وصـنع الالـبان مـن مسلى وجبن ، كما تختص النساء بعملية دهك (ترصيع) الحوائط والاسقف بالطين سواء عند بناء منزل جديد او عند عمل العمرة السنوية التى تتم عادة فـى فصل الصيف بسبب ما تحدثه امطار الشتاء من اتلاف بالاجزاء الخارجية من الدار .ويقـع علـى النساء ايضا عبأ جميع الاعمال المنزلية وبخاصة تلك التى تختص بغذاء الاسـرة ومـا يتصل بها من شراء السلع الغذائية والاستهلاكية من السوق والذهاب الى ماكيـنة الطحيـن لطحـن الحـبوب ، وكذلك عملية عجن الدقيق وخبزه فى فرن الدار .وتتزامل النساء فى عملية الخبز والعجن .

الاسـواق : يقـام فى قرية هورين سوق محلى (سويقة) مرتين فى الاسبوع ، ويعرض به الخضراوات والفاكهة وكذلك الادوات المنزلية البسيطة والاقمشة الشعبية .

ويقـوم بعـرض هذه السلع تجار وسطاء يجوبون اسواق القرى المجاورة كما يعرض بعض الحرفيين مصنوعاتهم المحلية وقد تنزل احدى القرويات للسوق لبيع بعض المنتجات الزراعية او منتجات الالبان كالزبد او الجبن .

ومما يلاحظ ان الذى يقوم بالشراء هن النساء ،حيث ان شراء احتياجات الاسرة من اختصاص المرأة فقط . ولا تباع فى هذه السوق الماشية او الحيوانات ،حيث ان ذلك مقصـور على الاسواق الرئيسية التى تقام فى مراكز المحافظات مثل سوق بركة السبع حيث توجد جميع احتياجات الفلاح .

واحيانا لا يقتصر التعامل بالسوق على النقود، فقد يتم على نطاق ضيق تبادلات سلع ومنتجات بسلع اخرى كمبادلة كمية من الردة بكمية من الملح مثلا .

وبجانب الوظيفة الاقتصادية التى للسوق ، فانه يقوم بوظيفة اجتماعية ايضا حيث تتداول فيه اخبار القرية واحوال اهلها ومعرفة اخر التطورات فى المسائل التى تهم القرية مثل وصول السماد الكيماوي او البذور او الكسب للجمعية .

الى جانب هذا فان الشباب يذهبون الى مكان قريب من السوق لاختيار فتاة احلامهم.

نظام الزمالة : ينتشر نظام الزمالة فى هورين وهو نظام يقوم اساسا على التعاون والتكامل بين صغار الفلاحين ويحتم على كل عضو منضم لجماعة زمالة بمساعدة زميله فى العمل الزراعى فى مختلف المجالات التى لا يستطيع ان يقوم بها بمفرده على ان يرد له هذا العمل فى ايام اخرى تالية .

<u>ويتميز نظام الزمالة بعدة خصائص اهمها :</u>

- كثيرا ما تمتد الزمالة لتشمل العلاقة بين اكثر من زميلين.
- لا تقتصر الزمالة على الجهد البشرى وحده بل تتسع لتشمل اعارة الزميل احد قطعان الماشية او الدواب .
- ليس من الضرورى ان يرد الزميل بنفسه ايام العمل التى قضاها عنده زميل له ، فاحيانا يرسل عوضا عنه احد العمال الاجراء ليقوم بهذا العمل او احد ابنائه القادرين .
- ان الحقوق والوجبات بين اطراف الزمالة فردية. بمعنى ان كل زميل مسئول امام زميله فى سداد التزامات العمل وليس امام مجموع الزملاء للفرد الواحد . كما ان فض الزمالة من جانب فرد لا يستلزم فضها بين جميع الزملاء .
- الاتصال بين الزملاء للاستدعاء للعمل يجب ان يتم فى مساء اليوم السابق للعمل (يبيت عليه) حتى يمكن للمزامل ضمان تفرغه فى اليوم المحدد للعمل .
- هناك مواسم زراعية تتطلب اكبر عدد ممكن من الايدى العاملة فى الزراعة وفى تلك المواسم يقسم الزملاء انفسهم للعمل عند كل منهم اياما محددة .

الاجهزة الادارية بالقرية :

مــن الملاحــظ ان قرية هورين كانت تابعة لمركز السنطة محافظة الغربية منذ عشــر سنوات ، وانتقلت الى زمام محافظة المنوفية بعد اعادة تنظيم الادارة المحلية الذى استتبع انشاء مركز بركة السبع .

وبهورين مجلس قروى يشرف على سبع قرى هى :

هورين – كفر هورين – الحلامشة – كفر نفرة – كفر هلال – كفر الشيخ طعيمة – كفــر علــيم ، ورئــيس المجلس القروى يختار من بين اعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى بالمركز وهو متفرغ بالمجلس .

ويمــثل كــل قــرية من القرى السبع مندوب فى المجلس القروى يشغل منصب رئــيس الاتحاد الاشتراكى العربى بها ،كما يضم المجلس اعضاء بحكم وظائفهم مثل طبيب المجموعة الصحية ورئيس نقطة الشرطة وبنك التسليف والشئون الاجتماعية بهورين

والاتحــاد الاشــتراكى من اهم التنظيمات الرسمية بالقرية ، حيث ان أعضاءه . يمــثلون ابــرز الشخصــيات فــى القــرية ،كمــا انهم ينتمون لعائلات لها مكانتها الاجتماعــية والسياسية. وذلك ييسر لهم القيام بوظيفتهم على اكمل وجه .فمثلا فى لجــنة فــض المــنازعات يتم كل شئ فى جو تسوده الروح العائلية اكثر من كونها اجــراءات رســمية وبذلك يقبل الافراد المتنازعين حلولها عن طيب خاطر. كما انه فــيما يخــص المشــروعات الاجتماعــية الــتى تحتاج اليها القرية نجد ان القادة السياسيون يلعبون دورا هاما فى السعى لدى الجهات المسئولة لتسهيل مهمة انجاز هذه المشروعات .

هــذا ومما هو جدير بالذكر مساهمة ومشاركة التنظيمات الشعبية والاهالى فى هذه المشروعات .

وقــد وجــد ان بعض المشروعات العمرانية والاجتماعية لها جاذبية خاصة فى نفوس الاهالى واقبالهم على المساهمة فى تكاليف اقامتها مثل المساجد والمدارس . ويلعــب القــادة المحليون دورا كبيرا فى تجميع الجهود وتنظيم حملات جمع المال اللازم لاقامة هذه المشروعات .

ومـن وسـائل الضبط الاجتماعى التربية والعرف والقانون- حيث يتدرب الفرد علـى مخـتلف انمـاط السلوك السائدة فى المجتمع منذ طفولته حيث يتلقى التراث للجماعة التى يعيش فيها وذلك عن طريق اتصالة بالجماعات الاولية التى تعيش فى بيئـته كأفـراد الاسـرة والجيران او اى جماعة اخرى يتصل بها فى مراحل نموه المخـتلفة .ويتخذ هذا التدريب اما طرقا مباشرة ومنظمة كما هو الحال فى المدارس والانديـة ، وامـا طـرقا غير مباشرة غير ظاهرة كما هو الحال فى الاسرة وزمرة الـرفاق فى القرية وكذلك كبار السن. حيث يحاط الفرد بعدة جماعات تمارس عليه ضـبطا اجتماعـيا فى كل وقت عن طريق الثواب او العقاب او ما يعرف فى القرية باسـم "العيـب" ولا يقـل عن هذا قوة العرف والتقاليد لانها تعتبر احيانا اقوى من القـانون لان السـلطة التنفيذية التى تطبق القانون والمتمثلة فى جهاز الشرطة فى القـرية لا تتواجد فى كل ارجاء القرية وبين الحقول ومساكن القرويين فى الاوقات المختلفة ، فبينما يشترك كل اهالى القرية فى مراقبة سلوك وتصرفات بعضهم بعضا ، ممـا لا يـدع مجـالا لخروج الافراد على الانماط العرفية. فكل فرد يعرف نوعية الافعال التى تعتبر مقبولة اجتماعيا ،وما هى الافعال التى تعد من قبيل الخروج على النظام العام فى القرية .

كمـا تشكل ايضا مجموعة القواعد الدينية باوامرها ونواهيها ضوابط اجتماعية ذات سـلطة علـيا . والقـروى شـديد التدين بطبعه ، وذلك بحكم النشأة والتكوين ورؤيته المباشرة للظواهر الطبيعية فيما يصادفه فى عملة من زرع وانبات .

ولذلـك يعرف القروى ان الله يراقبه فى سلوكه وتصرفاته وبذلك نجد ان الدين كضـابط اجـتماعى اكثر تغلغلا وشمولا فى نفوس الافراد من الضوابط الاجتماعية الاخرى.

اما القانون كضابط اجتماعى فيعتبر اقل تآثيرا فى مجتمع القرية عنه فى مجتمع المديـنة. وذلـك لان القرية مجتمع متجانس متكامل الى حد كبير مما يتيح الفرصة للافراد للخروج عن النظام العام .

ولكن نظرا لعوامل التغير الاجتماعى التى بدأت تظهر فى القرى مؤخرا واتساع دائـرة العلاقـات الخارجية بين القرى والمدن لسهولة المواصلات وتعددها وخروج غالبـية افـراد المجـتمع سـواء للدراسة او العمل خارج القرية. ضعفت الروابط الاجتماعـية الضـابطة بيـن افـراد المجـتمع الريفى واصبحوا بمناى عن الرقابة

المباشرة لسلطة الجماعات الاولية التى اعتادوا عليها فى مجتمع القرية .لذلك قويت الحاجـة الـى الاستعانة بالقانون وتزايد الاتجاه للالتجاء الى السلطات القضائية او التنفيذية للفصل فى منازعاتهم وشهدت ساحات القضاء بعض القضايا التى كانت من قبل يفصل فيها عن طريق كبار السن فى القرية .

العلاقات القرابية لسكان القرية :

امـا عـن العلاقـات القرابـية ، فقد عرف من الروايات المتداولة [1] ان معظم العـائلات الحالـية قد وفد مؤسسوها الى القرية منذ فترة لا تزيد عن أربعمائة سنة تقريبا، وان زادت أوقلت عن هذا فذلك تبعا لظروف مؤسسى كل عائلة. كما تختلف الجهـة الـتى هاجر منها .فمؤسس عائلة "اللاشاينة" هاجر من بلده قمبوط القرد – محافظة الغربية . اما عائلة الرخاوى ،فقد هاجر مؤسسها من بلدة ميت الرخا مركز زفـتى محافظـة الدقهلية .ومؤسس عائلة نصار هاجر من بلده من الوجه القبلى ، ومؤسـس عائلة الشرقاوى اتى من بلد القرين محافظة الشرقية ،اما مؤسس عائلة الحوالة فأتى من بلدة الباجور محافظة المنوفية .

ولقـد دامت الاتصالات والزيارات المتبادلة بين مؤسسى هذه العائلات واصولهم فـى الـبلاد الـتى هاجروا منها ثم انقطعت بمرور الوقت ولم يعد الابناء الحاليون يعـرفون عـن اسـلافهم فى الوطن الاول شيئا ،سوى ما يذكره لهم كبار السن من روايـات تتعلق بالنشأة 'الاولى للاجداد الاوائل والظروف التى احاطت بمقدم كل منهم الى قرية هورين واستقراره بها .

وعـندما اسـقر هـؤلاء المهاجرون تزاوجوا من القرية وكونوا عائلات تحمل اسمائهم واستقل كل منهم بناحية معينة من البلدة .ولظروف الامن والحماية التى لم تكـن قائمة فى تلك العهود اقاموا بوابات [2]عند المداخل المؤدية الى مساكنهم كانت تغلق ليلا ولا زال بعضها موجودا حتى اليوم .

1– هذه المعلومات اخذت شفهيا من كبار السن فى القرية .

2– تسمى هذه البوابات ، بوابة أبو احمد ، بوابة السراقوة ، بوابة التراكوة ...الخ

القرابة بين العائلة الكبيرة والاسرة :

نظرا لما اشرنا اليه كان الزواج من داخل العائلة الواحدة (الاندوجامى) مرغوبا فيه لكى تحتفظ بتماسكها وزيادة عدد اعضائها وحتى بالارض الزراعية المملوكة للعائلة وعدم انتقالها عن طريق الميراث الى عائلات اخرى

وبذلك كانت كل اسرة وحدة اقتصادية وقرابية واحدة يعيش افرادها فى مسكن واحد او عدة مساكن متجاورة تكون نسبا قرابيا واحدا وينتسب جميع افرادها لرب العائلة الذى يتولى الزعامة السياسية والاجتماعية للعائلة فى كافة المناسبات ولا يخرج افراد العائلة عن طاعته.

اما الان فقد تفككت العائلة وزاد الميل للزواج خارج نطاق الجماعة القرابية التى ينتمى اليها الشخص وذلك نتيجة التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى شكل العائلة بعد زيادة عدد افرادها زيادة هائلة مع بقاء مساحة الارض الزراعية كما هى وتفتيتها عن طريق التقسيم على عدة افراد وتطلع افرادها الى الاستقلال عن العائلة وانتشار التعليم وظهور انماط للعمل لا تقتصر على العمل الزراعى. وبذلك لم تعد العائلة الكبيرة وحدة اساسية فى البناء الاجتماعى للقرية بل حلت محلها الاسرة التى تتألف من زوج وزوجته واطفالهما .

ولهذا النمط من الاسرة عدة اشكال منها :

- اسرة مستقلة من الناحية الاقتصادية والسكن.
- اسرة مستقلة من الناحية الاقتصادية ولكنها لا تزال تقيم بمنزل العائلة القديم.
- اسرة شبه مستقلة من الناحية الاقتصادية ولكن لا تزال تشترك مع العائلة فى العمل الجماعى والسكن.

ومع ان استقلال الاسرة الجديدة اصبح ظاهرة ملفتة للنظر الا انه لا زالت توجد القليل من الاسر التى تعيش فى كنف العائلة الابوية او الاموية فى حياة اقتصادية واجتماعية واحدة .ويشرف على شئونها الاب الكبير كما تشرف الام الكبرى على زوجات ابنائها وتتولى تقسيم العمل بينهن فى الدار.

ومما هو جدير بالذكر ان الاتجاه الان للزواج خارج العائلة (الاكسوجامى) وسع من دائرة العلاقات القرابية التى يمارسها الشخص وبذلك تغير اسلوب التماسك القرابى وتحول مساره من تماسك بين اعضاء العائلة الواحدة الى تماسك بين اكثر

مـــن عائلـــة وبذلك زاد التماسك بين مختلف العائلات التى قد تصل الى القرابة كلها وعلى هذا احيط الفرد بشبكة من العائلات القرابية بالعصبة او بالمصاهرة.

أما فيما يخص التعليم بالقرية فهناك نوعان من التعليم :

١ – التعلـــيم غير الرسمى : من المعروف أن تربية الأطفال فى مرحلة الطفولة المـــبكرة يعـــتمد أساسا على الأم وذلك إلى أن يبلغ الطفل السن المدرسى ، ولكن غرس الـــبذرة الأولـــى فى التعليم يرجع الى جهود شخصية فى البداية قام بها أحد المتحمسين المستنيرين من أهالى القرية . والذى قام بهذا العمل فى قرية هورين هو ظهور رجل مـــن أهلهـــا يســـمى الشيخ الشرقاوى الذى وصل الى مرتبة علمية عالية بأن كان أحد علمـــاء الأزهر الشريف – ونقد بدأ الشيخ الشرقاوى فى نشر التعليم بالقرية عن طريق أنشـــاء (الكتاتيـــب) لتعلـــيم الأطفال القرأن الكريم ، وبعد ذلك القراءة والكتابة وقد أتصـــفت جهود هذا العالم بانه لم يكن داعية لنشر التعليم بين أبناء القرية فقط ولكنه كـــان مصـــلحا اجتماعـــيا أيضا حيث نادى بنبذ بعض العادات البالية ودعى الناس الى الأقـــتداء به ثم تابع هذه الرسالة الشيخ الرخاوى وهو عالم أخر فى الأزهر الشريف . فـــتابع حالة التعليم فى القرية وأرسال التلاميذ النابهين من أهلها الى القاهرة لاستكمال تعلـــيمهم فى المعاهد الدينية أو دار العلوم وحث الأهالى على اتاحة الفرصة أمام الابناء لمواصلة التعليم فى المراحل المختلفة ورعايتهم اجتماعيا وماديا على حسابه الخاص .

٢ – وقـــد تحـــول بعـــض هـــذه (الكتاتيب) الى مدارس ابتدائية بعد أهتمام الســـلطات الرســـمية بادخال التعليم فى القرية ولازالت أحداها تحمل أسم مؤسس التعليم فـــى القـــرية – ثم تبعها أنشاء المدارس الابتدائية فى القرية ثم مراحل التعليم التالية – وذلـــك بعـــد أن تنافست العائلات فى تعليم ابنائها وأصبح يقاس مركز الفرد الاجتماعى بمقـــدار مـــاعلم من أبناء ، ومستوى ذلك التعليم مما كان له أكبر الاثر فى نشر التعليم وزيوعة فى القرية وكان نتيجة ذلك تغير ملحوظ فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية

يوجـــد الأن خمس مدارس ابتدائية الى جانب مدرسة اعدادية وقد أنشأت حديثا مدرســـة ثانوية نتيجة لمطالب أهل القرية والجهود الذاتية للأهالى بالتعاون مع وحدة الاتحـــاد الاشـــتراكى العربى بالقرية وايضا مدرسة تجارية ثانوية . كما أن عددا ليس بالقلـــيل مـــن شـــباب القرية قد وصل الى المراحل الجامعية المختلفة ولكن يغلب عليهم التعليم التجارى العالى .

وعندما نتحدث عن دورة حياة الفرد فى قرية هورين لابد أن تبدأ بالميلاد وغالبا ما تكون السيدة الحامل تحت رعاية واشراف الداية أو المولدة التابعة للوحدة الصحية طوال فترة الحمل وخاصة خلال الأشهر الأخيرة ، وإذا أستعين بالداية فانها تقيم قبل موضع الوضع الذى تعرفة غالبا بالتحديد فى دار الزوجة لملاحظتها والعناية بها استعدادا للحظة الوضع . وهى أثناء ذلك تشارك أهل الدار معاشهم . أما إذا استعين بالمولدة فانها تدعى فقط حين تشعر المرأة بالأم الوضع . وربما تقيم والدة الزوجة الحامل او احدى أخواتها اقامة كاملة معها تتعاون الام والاخوات فى الاعداد للوضع

وغالبا ما يكون للمولود الذكر فرحه أكثر من الأنثى ويحتفل يوم السبوع الذى تحضره الداية أو المولدة – وإذا كانت الداية فانها تقوم بدور كبير فى تنظيم الحفل والتغنى فيه للطفل والدعاء له بالعمر الطويل والسعادة وربما تقوم بعمل حجاب للام او لطفلها أو لكليهما أو تعهد بذلك بنفسها لمختص .

كما أنها تقيم ببيت الأم ولا تغادره الا بعد السبوع – وكأنها واحدة من أهله . وكما يشارك الأهل والأصدقاء فى الأفراح بهدايا عينية أو مالية فانهم ايضا يشاركون فى السبوع وربما تكررت العملية حالة ختان الاولاد.

وفى يوم الاحتفال بالسبوع يحضر الأهل والمعارف مصطحبين معهم أولادهم وتوزع على الأولاد شموع واكياس مليئة بالفول السودانى والحمص ويبدأ الأحتفال باشعال الشمعة الكبيرة (يجهز أبريق فى حالة المولود الذكر ، وقلة فى حلة المولود الأنثى حيث يزركش كل منهما بعد أن يملأ بالماء ويوضع على الفوهه شمعة كبيرة كما يغطى بايشارب أو مفرش ويزين بالذهب والمجوهرات من عقود وأقرطة وأساور) . وفى بداية الحفل تشعل الشمعة الكبيرة ثم يشعل الأولاد شموعهم وتقوم الداية بوضع المولود فى (غربال) وتهزه يمنة ويسرة بين يديها عدة مرات مع ترديد بعض الأغانى (ربما كان من بين ما تقوله للطفل وهى تهزه (إسمع كلام أبوك ، ما تسمعش كلام أمك، أسمع كلام عمك ، ماتسمعش كلام خالك) . إلى مثل هذه العبارة التى تدعو الطفل الى احترام خط الذكور من أهلة ويردد الجميع خلفها مقاطع من أغانيها . بينما تقوم فتيات الدار برش الملح على المدعوين (لمنع الحسد) وأما فى مرحلة الطفولة والشباب فنجد أن الفرد لا يكتسب من أهل البيت قيمهم وعاداتهم وسلوكهم وتصرفاتهم

ولهجتهم فحسب . بل أن أكتسابه لمعظم هذه العناصر يأتية كذلك من خارج البيت ، من أبناء وبنات الجيران – حيث يقضى الطفل معظم وقته ان لم يكن كله معهم خارج البيت

وتنحصر العاب الاطفال – خاصة الاولاد فى الجرى وتسلق الاشجار – وربما الاستحمام فى الترع – وكل الالعاب التى تحتاج الى سرعة وحركة – بينما تفضل البنات تقليد الامهات منذ الصغر فيغلب عليهن الهدوء ويملن الى حمل الصغار والتغنى لهن باغنيات يسمعنها فى الافراح وغيرها .

ويظل الأبناء حتى المساء خارج البيوت وربما يعودون مرة اخرى بعد العشاء ليتوجهوا الى الطريق الزراعى حيث يتحاكون ، ويتسامرون – هذا فى الصيف – اما فى الشتاء فانه يختلف عن ذلك، حيث البرد القارس والندى منتشر وأحيانا الامطار – فيلجأ الأبناء الى بيوتهم مبكرين . والشتاء هو الوقت الذى تجمع فيه أفراد الأسرة جميعا فى المساء داخل البيت ويلتفون حول حلقة نار أو مدفأة أو بالقرب من الفرن الكبير المنبعث منه الدفء ، يناقشون مشاكل العمل والبيت والجيران أو يقصون الحكايات المختلفة عنهم أو عن معارفهم من خلال تداعى الذكريات أما البنات فهن عادة يلزمن البيت عند المساء فيجلسن بين أمهاتهن واخواتهن أو يزرن معهن جيرانهن .

وغالبا ما يمد الطفل – الذى بلغ السن المدرسى – يد المساعدة لابيه واخوته فقد يعود الابن من المدرسة ليتجه الى الحقل مشاركا الاب عمله بقدر استطاعته وعلى وجه الخصوص أثناء الصيف إذ يصبح احد الأشخاص المعتمد عليهم فى الحقل .

أما البنت فتدخل المرحلة التى تبدأ فيها معاونة الأم والأخوات فى البيت وتوصيل الطعام الى الحقل أو حمل أشياء أخرى منه أو اليه وأستحضار المياه من الطلمبة الخارجية الى البيت وغسل الأوانى والملابس وكل الأعمال الخاصة بالمرأة .

وليس هناك وسيلة لشغل وقت الشباب أو استثماره غير مركز للشباب غير معد اعدادا كافيا ولايستوعب الجميع . ولذا يفضل بعض الشباب بان يتجمعوا فى احد الدواير[1]

لممارسة بعض النشاط – كنواة لناد خاص .

1- جمع دوار .

وســن الزواج بالنسبة للشباب يختلف بحسب حالته التى وصل اليها . فالسباب الذيــن أخــتاروا طريق التعليم – وهم الغالبية العظمى – لايقبلون على الزواج الابعد أن يلــتحقوا بوظائف مضمونة . أما الشباب منهم الذين أختاروا طريق العمل فى الحقل أو الذيــن انتهو من دراستهم المتوسطة والتحقوا بأعمال – فهؤلاء يتزوجون مبكرا . وفى الأغلــب يــتزوجون مــن فتيات يماثلنهم فى التعليم – أى ربما يكتفى الفلاح بزوجة لم تســتكمل المــرحلة الابتدائــية ، وربما أكتفى الشاب متوسط التعليم بزوجة كالسابقة أو أعلى قليلا من حيث التعليم ، أما الجامعيون فغالبا ما يتزوجون من جامعيات .

وبالنسبة لاختيار المتعلمين لزوجاتهم – فغالبا ما يتزوجون من بنات أقاربهم أو معــارفهم بالقرية ، ويسهل الوصول للأختيار من بينهن ، إذا ان الجميع يعرفون بعضهم البعض وخاصة انهم تلقوا فى سن الطفولة تعليمهم معا وربما كانت هناك عاطفة حب – ســرية للغاية – تربط بين الأثنين . وربما يحدث ذلك أيضا بالنسبة لشباب الفلاحين ، الا أنــه مــن التقالــيد الشائعة أن يتوجه نفر من هؤلاء الشباب الذين وصلوا الى سن الــزواج يذهبون الى مرتفع معروف فى (السويقة) ويجلسون منتظرين مرور الفتيات اثــناء شــرائهن لــوازم البيت أو بيعهن منتجات مختلفة وذلك لكى يختاروا من بينهن زوجاتهن .

بعد أن يجد الشاب انفتاة المناسبة يعود الى البيت ويخبر أمه أو أخته " باختياره " وعــندما يــتم الاتفــاق على الفتاة المذكورة يتوجه أكبر العائلة سنا الى بيت الفتاة ، ويخــبر أمها أو أباها (بأنهم) سيمرون عليهم فى المساء ليشربوا القهوة وهذا يعنى أنــه جــاء ليخطب احدى الفتيات لاحد شباب عائلتة . وعادة لايضم هذا المجلس سوى الــرجال مــن كلتا الاسرتين فاذا اتفق الحاضرون على خطبة الشاب للفتاة قرئت الفاتحة واتفــق على قيمة المهر والشبكة والتزامات اهل العروس لشراء الجهاز وتتفاوت قيمة المهر والشبكة باختلاف حال الأسرتين .

ويحــدد (لتقبــيض المهــر) جلسة حيث يقوم كبير أسرة الفتى بتقديم المهر والشــبكة الســابق الاتفــاق علــيهما لكبير أسرة الفتاة بحضور أفراد كثيرين من كلتا العائلتين وعلى أهل العروس الانتهاء من اعداد الجهاز فى أقرب وقت ممكن كما تحاول العروس الانتهاء بسرعة من اعداد الملابس والمفروشات .

وغالــبا ما يذهب عدد كبير من الاسرتين لشراء ما يحتاجه العروسان من جهاز وأدوات .

وقــد يتم عقد القران مع الدخلة فى يوم واحد وهو الشائع وفى عقد القران يقام حفل كبير فى بيت العروس يحضره عدد كبير من المعارف والاصدقاء .

وتنتقل حاجيات العروس من أدوات ومفروشات من بيتها الى بيت العريس يوم الدخلــة أو فى يوم سابق له وتسبق الدخلة عادة لية تسمى (ليلة الحنة) – وهى عادة يــوم الأربعــاء ، وفى هذا اليوم تحضر الماشطة الى بيت العروس وتقوم باعداد الحنة لتضــعها على يدى العروس ورجليها وكذلك صديقات العروس وأولاد الجيران كما تقوم بتزييــن العروس وتعطيرها ويتم ذلك أيضا للعريس فى بيته بواسطه الحلاق . وفى يوم الدخلة يصطحب أحد الكبار من أسرة العريس – ربما الخال أو العم أو الأخ الأكبر بعض الأقارب ويذهبون لاستحضار العروس ، ويعود الجميع مصطحبين العروس وسط موكب بهــيج ويــتوجهون الى بيت العريس (من التقاليد المرعية حتى الأن يبدأ خروج موكب العــروس من بيتها – وكذا دخولها الى بيت العريس – بالرجل اليمنى) ويسير الموكب ناحــية اليمبــن حــتى لوكــان بيــت العــريس ناحــية الشمال (وهو نوع من التفاؤل والأستبشار)

ويقــف العريس فى داره منتظر الموكب حيث يتقدم نحوه ويحيى عروسه ومن معها (ويتسلمها) ويدخل بها الى داره مع ارتفاع الزغاريد والتصفيق وعبارات التحية والمباركة وتقام وليمة كبيرة فى بيت العريس ولا يجب أن يمتنع احد عن تناول الطعام .

وفــى صــبيحة الــيوم الــتالى – وهو ما يطلق علية أسم الصباحية – تعد أم العــروس طعــام الأفطــار وتوقظ العروسين وبعد الفطور تحضر أم وأخوات العروس للتهنئة ثم يتتابع حضور أهل العروسين ومعارفهما وأصدقائهما .

وتــبدأ العروس أبتداء من اليوم الثانى مباشرة – العمل داخل المنزل بمساعدة أخــوات العــريس . ويخرج العريس الى عمله ابتداء من اليوم الثالث مباشرة ، بينما لاتــبرح العــروس البيــت حتى لزيارة أهلها الا بعد مرور شهر كامل . ويقدم العريس لعروســه فــى بعــض المناسبات هدايا رمزية (كعروسة حلاوة) فى أول مولد نبوى تحتفظ بها حتى تنجب الطفل الاول أو قطع القماش الملون أو الملابس فى الأعياد وعادة

تـستعجل الأسـرتان العروسين لانجاب الأطفال ويكون السؤال الرئيسى لام العريس أو أم العروس متصل بهذا الموضوع دائما .

عادات متصلة بالوفاة :

عـند حدوث وفاة بالقرية يخرج مناديا ليعلن على أهل القرية نبأ وفاة فلان من عائلـة كذا . وتقام ليلة المأتم التى قد تمتد الى ثلاثة ايام متتالية لاستقبال المعزيين من أهل القرية والقرى المجاورة .

وكانـت كـل أسرة فى القرية – فى الماضى – تخرج صينية عليها بعض أنواع الطعام مشاركة لاهل المتوفى فى اطعام وفود المعزيين التى ترد اليهم بالتالى عند حدوث وفـاة عـندهم . وعلى هذا تصبح هذه الصينية دينا واجب الأداء عندما تحين الفرصة لردها

ولكـن أحد كبار رجال القرية – الذى نادى بابطال بعض العادات القديمة وأسس التعلـيم فـى القـرية – نادى ضمن ما نادى به من عادة ابطال أرسال الصوانى واقامة السرادقات وما يستتبع ذلك من تكاليف تشكل عبئا على كاهل اهل المتوفى ماديا ونفسيا . ولـيس هـناك طقوس معينة فى الوفاة الا الصلاة جماعة على الميت فى المسجد ، ثم تلاوة القرآن بعد العودة من الدفن وتقبل العزاء من المعزين .

ولكـن زيارة المقابر تلعب دورا هاما فى القرية حيث انهم يزورون المقابر كل يوم جمعة وخاصة النساء وايضا فى المواسم والأعياد .

الرعاية الصحيـــة :

انشـئت بقـرية هوريـن وحدة صحية لخدمة هورين والقرى المجاورة لها . وتنقسم الوحدة الى عدة أقسام منها : القسم الباطنى ويشرف عليه الطبيب المقيم وقسم الأسـنان وتشرف عليه طبيبة غير مقيمة ثم قسم الولادة وبه مساعدة مولدة مقيمة الى جانب تمورجى وتمورجية .

والأمـراض المنتشـرة بالقـرية هـى : البلهارسـيا ونسـبتها كبـيرة جدا والأنكلسـتوما . ورغـم وجـود الوحـدة نجد أن الأهالى يفضلون الالتجاء الى الاطباء الخصوصيين فى المدن القريبة كزفتى وبركة السبع .

ومـع ذلك نجد أن الكثيرين يفضلون العلاج بالطرق البلدية أو بأعمال الشعوذة ويشـيع هـذا الاعتقاد بصفة خاصة بين السيدات كبار السن . فمثلا عند علاج الاطفال المستعصـى علاجهم بالطرق أو الوصفات البلدية يوضعون فيما يسمى " الطاقة " وهى

(نـــافذة المســـجد الصغيرة) . وذلك عن طريق وضع الطفل المريض فى طاقة المسجد ثـــلاث جمـــع متتالـــية عند الصلاة . وتقوم أثنتان من السيدات بادخال الطفل فى الطاقة وتتلقاه الأخرى من الناحية المقابلة وتقولان اثناء هذه العملية " خذوا أبنتكم وهاتوا ابننا " إذا كـــان الطفـــل المريض ذكرا أما إذا كانت المريضة أنثى فيقال " خذوا ابنكم وهاتوا ابنتـــنا " ويقـــال أنهن يقصدن من هذه العملية أبطال العمل الأرضى " الجن " الذى سبب المـــرض للطفـــل وأستعصى علاجه بالطرق العادية ويعتقدون أن العمل يبطل فى ثالث جمعة [1] وهذه الطاقة تكاد تكون مهجورة ويوضع فيها الطفل دون أن يسمى عليه " أى قول بسم الله الرحمن الرحيم " .

ويشـــترط فـــى هاتيـــن السيدتين أن تكونا من كبار السن ويشهد لهما بالتقوى والايمان ومثل هذه العملية تجرى أيضا لمثل هذا الطفل فى ثلاث جمع متتالية ولكن فى المقابـــر حيـــث يترك الطفل هناك قبل صلاة الجمعة وتعود به الام بعد ذلك ويقال أنه فى ثالث جمعة أما أن يشفى الطفل تماما من مرضه أو يموت .

أمـــا في حالة عدم الانجاب فأن الشخص يسير حول البلدة من جهة اليسار في أخـــر جمعـــة من الشهر العربي وذلك قبل طلوع الفجر ماسكا بيده عمود من الحديد ولا يتكلم أثناء سيره ويعتقد في أن السيدة ستحمل في نهاية هذه الحلقة.

ومـــنها أيضا أن تصعد السيدة العاقر المئذنة يوم الجمعة اليتيمة وتدور حولها وفى نظير ذلك تدفع مبلغا لخادم المسجد .

أمـــا عمـــل الأحجبة والتعاويذ والذهاب الى المنجمين وعمل حفلات الزار فهى شىء سائد بكثرة فى البلدة للوقاية من جميع الامراض .

فمـــثلا تعمل الأحجبة " عمل " لجلب الحب والكره . وتعمل الأحجبة للوقاية من الأمـــراض أو لايـــذاء الأشخاص أيضا مثل الكتابة على الباذنجان الاسود ويقال أن مثل هـــذا الشخص الذى كتب له على الباذنجان يصاب بالجنون فى موسم الباذنجان ويزول عنه المرض بعد هذا الموسم .

---

[1] - هذه المعلومات عن بعض السيدات والمسندات اللاتى يقمن فعلا بهذه العملية .

ويلاحـــظ أن الذين يقومون بهذه الأعمال لديهم كتب قديمة أصلها من المغاربة وهى أساس السحر فى هذه البلدة وقد تركوا كتبهم لبعض عائلات القرية التى مازالت تحتفظ بها وتمارس معظم أنواع السحر عن طريقها .

الديـــــــــن :

يدين أهالى القرية جميعا بالاسلام وليس بينهم واحدا يدين بغيره ولذلك فأماكن العبادة كلها تنحصر فى المساجد .

ومـــن العوامـــل التى أثرت فى الناس وجعلتهم يتمسكون بالدين فى تعاملهم ما ورثـــوه عـــن أهليهم الاولين فلقد حظيت القرية قديما بعدد من (الأولياء) أو المشايخ الصـــالحين الذين كانوا يعتبرون (قادة) فى القرية وهؤلاء لقنوا من تلاهم هذه التعاليم وتناقلت عبر الاجيال .

ويعـــرف معظـــم الذين قابلناهم اثناء البحث الكثير عن الدين الاسلامى معرفة صـــحيحة وأمـــا معظـــم المســـاجد الموجودة بالقرية يوجد بداخلها اضرحة لأولياء الله الصـــالحين الذيـــن يقال عنهم أنهم كانوا أصحاب (كرامات) أى فى أستطاعتهم الاتيان بأعمال خارقة. ويتسمى المسجد باسم الشيخ أو الولى صاحب المقام .

ويرتـــبط موضـــوع الأولـــياء أو ذوى الكـــرامات بوجهيـــن ، الوجـــه الدينى والممارسات السحرية إذا تناولنا موضوع الدين والعكس .

وإذا كانـــت نظرة الناس الى أصحاب المعرفة بالدين لاتختلف عن نظرتهم الى بـــاقى الـــناس – وان كـــان هـــؤلاء العالمون به قد يحتلون احيانا مكانا يتسم بالاحترام والتبجـــيل – فان نظرتهم الى الممارسين لأنواع السحر والشعوذة تختلف كثيرا عن ذلك وان كـــان شعور المتدينين بما يدينون به يضفى عليهم نوعا من الطمأنينة والراحة فأن شعورهم تجاد السحر والشعوذة يختلف عن ذلك كثيرا.

ولكن قد يقترب اعتقادهم فى بعض الاحيان فى الاولياء والصالحين وما يؤتونه مـــن معجـــزات خارقـــة مـــن أعتقادهم فى السحرة والمشعوذين – وما يقومون به من ممارسات تقترب إلى حد الإعجاز .

وقـــد أتاحـــت لـــنا دراســـتنا فرصة للتعرف على بعض هؤلاء المشعوذين وما يقومـــون بـــه وأثـــر هذه الأعمال فى الناس وفى حياتهم اليومية . من هؤلاء من يقوم باعمـــال الـــربط . وفتح الكتاب وقراءة النوى ، والزار .. وبالرغم من أن بعض هؤلاء

كان من الصعب التدخل فيما يقومون به أو محاولة التعرف عليه أو مشاركتهم اعمالهم الا اننا استطعنا مع كل الصعوبات التى واجهتنا أن نقف على ما يقومون به واثره فى الناس ونظرة الناس لهم ومكانتهم بينهم .

فالقائمة بأعمال الربط – وهو عمل يؤدى الى فشل الزوج فى الاقتراب من عروسه .. يعرفها الجميع ويعرفون مدى قوتها فى هذا المجال ويخشونها حقا حتى ولو لم يصرح بعضهم بذلك . وهذه المرأة كانت تقوم أصلا باعمال (الماشطة)[1] فى القرية ولكن نظرا لضعف نشاطها فى السنوات الأخيرة حيث أصبحت الفتيات تتزين بالطرق الحديثة وليست فى حاجة ماسة الى الماشطة من ثم فقدت مورد رزقها فتحولت الى عملها الجديد (الربط) بعد أن قام بتلقينها (سر المهنة) رجل مغربى تعرفت به أثناء قيامها خارج القرية – وقد نجحت فى هذا العمل الجديد كما يؤكد الجميع – حتى المتعلمين منهم – أن لها قوة سحرية وأنها قادرة مثلا على (أيقاف) الزيجة .

ويتلخص ما تقوم به من أعمال فى حصولها على كمية من الدقيق المطحون توا – حيث يكون دافئا – أو حفنة من تراب الأرض التى سار عليها العريس أو عروسه وقراءة(تعويذة) معينة عليها (تقول أنها بعض آيات قرآنية) وفى حالة الدقيق لابد أن تعرف أسم العريس وأمه _ أما فى الحالة الثانية (حفنة التراب) فلا يهم معرفة الأسماء ثم تأتى بشعرة من ذيل جمل أو (قشة) من حصيرة وتقوم بعمل ثلاث عقد بها وتضعها مع الدقيق أو التراب فى قطعة قماش وتحفظها معها وتستطيع (فك) هذا الربط (العمل) بمجرد حل العقد الثلاث ونثر التراب أو الدقيق فى الهواء .

وأما قارىء الكتاب فلا يتعدى عمله قراءة صفحات معينة فى كتب الطب القديمة وذلك بعد تحويل أسم الشخص الى أرقام وعمل عملية حسابية يعرف من خلالها رقم الصفحة والسطر الذى يخص هذا الشخص .

1- لقد أستطعنا أن نصادق هذه المرأة ونتعرف على بعض خفاياها ، وجميع هذه المعلومات أخذت منها شخصيا .

أمـــا عـــن قارئة النوى فعملها ينحصر فى قراءة المجهول عن طريق عدد من الـــنوى (نـــوى البلح) ... عددها ٧ ، تمسك بها صاحبة الحالة وتهمس اليها بما فى داخلها من رغبات ثم تلقى بها أمامها وامام القارئة على الأرض .

وهـــناك مـــن يقـــوم بعمل الزار – وهو عبارة عن اقامة حفل موسيقى راقص (باســـتخدام الـــناى والـــدف، والطبلة) فى حلقة شبه مظلمة يقوم المدعوون من رجال ونساء بالرقص على نغمات الالات .

وهـــو فـــى الحقيقة حالة نفسية معينة تحتاج لتفريغ شحنات انفعالية عن طريق الرقص والموسيقى .

خاتمة

موجز لأهم حقائق ومحصلات البحث

فـــى دراســـة النواحى الاقتصادية لمجتمع قرية هورين أظهر البحث ان لبعض الأســـتخدامات التكنولوجية الحديثة أثر هام وسريع على نواحى الحياة الاجتماعية . كما يلاحــظ أن نظـــام الصـــرف المغطـــى قد زاد من المساحة المنزرعة وتبعه بالتالى أثار اجتماعـــية وصـــحية - وأن المجتمع الريفى قد أستبدل من الاعتماد على محصول نقدى واحد كالقطن مثلا الى محصولات أخرى .

كمـــا تبـــن أن أرتفـــاع نسبة المتعلمين بالقرية قد أنعكس على نظمها السياسة والاقتصـــادية والقرابـــية وكذلـــك على نمط الملكية السائد . وأن نظم التبادل الموجودة بالقرية قد لاتعتمد على النقود كوسيلة وحيدة للتبادل ولكن توجد انظمة اقتصادية اخرى تفـــوق فـــى أهميتها قيمة النقود كوسيلة للتبادل وذلك بتبادل السلع أو الخدمات أو حتى مجرد جهد العمل . وأن هذه النظم تكون ما يسمى " نظام المسانية " .

كمـــا أن المجتمع الريفى يحافظ على تماسكه وتكامله وحمايه صغار الزراع فيه بتـــبادل العمـــل ومســـاندة بعضهم البعض فى إطار نظام اقتصادى متكامل يحكمه العرف ويحـــافظ علـــى بقائـــه التقالـــيد - يعرف بنظام " الزمالة " .. وأظهر البحث أن مفهوم الســـوق فـــى القـــرية يختلف عنه فى المدينة نظرا للروابط والعلاقات الاجتماعية التى تصاحب الانشطة الاجتماعية وبذلك يقوم السوق بدور اقتصادى واجتماعى معا .

وفـــى مجـــال الـــنظام السياسى ابان البحث أن القيادات المحلية رغم احتفاظها بـــبعض ســـلطاتها القديمـــة على الأفراد فى القرية الا أن سلطاتهم قد بدأت تضمحل . ويعطيـــنا هـــذا إشـــارة تحذير لايجاد وسيلة بديلة من هيئات وتنظيمات تقوم بهذا الدور القيادى فى مجتمع القرية وحتى يمكن استغلال الطاقات وخلق الشخصيات السياسية التى تســـوس القرية بمفاهيم حديثة تمشيا مع الاتجاهات المعاصرة وهو ما تحاول ان تقويه التنظيمات الشعبية بالقرية معتمدة على شخصيات لها وزنها السياسى والمكانة المرتفعة

هـــذا وقـــد قـــل أعتماد المجتمع الريفى على العرف والتقاليد والسلطة الأولية الممـــثلة فـــى كبار السن بالقرية كوسائل فعالة فى الضبط الاجتماعى وزاد الاتجاه الى الالتجاء للسلطات الادارية والقضائية لفض هذه المنازعات .

اما فى مجال العلاقات القرابية وتركزها فى عائلات كبيرة مغلقة على أفرادها . فقد تبين أن هناك تحولا ظاهرا لاستقلال الاسر الجديدة فى معيشة منفردة بعيدة عن تمركز العائلة وأحيانا يتجه نمط الزواج من داخل العائلة الى خارجها فى مساكن مستقلة. مما كان له أكبر الأثر على البناء الاجتماعى فى القرية فأدى الى زيادة الجماعات القرابية التى ينتمى اليها الشخص وزيادة التماسك بين أفراد القرية جميعا بل وتعدى ذلك الى القرى المجاورة . وبذلك أصبحت الأسرة هى الوحدة الاجتماعية بدلا من العائلة فى البناء الاجتماعى القروى . وتغير الكثير من وظائفها وأصبح الفرد ينظر إلى مصلحته الشخصية مضحيا ببعض المصالح العائلية بسبب ذلك .

وفيما يخص العمران ، فقد وجد أن القرية قد أتسعت عمرانيا وقد وجد أن سمة أمتداد قرية هورين كباقى قرى الجمهورية وان كانت تتصف بالقدم الزمنى

ويلاحظ أن شكل القرية يأ خذ شكل هندسى دائرى تمثله سكن قرية هورين والتى يميزها طريق يحزم القرية من كل اتجاهها ويأخذ الشكل الدائرى وهو كما يظهر من أسمه – طريق داير الناحية –.

ويغلف نواة القرية السكنية سكن ناحية هورين هو امتداد عمرانى يتجه ناحية الجنوب والجنوب الغربى . وكان امتداد سكن القرية فى كل الاتجاهات شمالا وشرقا وجنوبا وغربا .

وظهر أن معظم امتداد للعمران فى هذه القرية ناحية الشرق والجنوب كما يلاحظ على طول الطريق الزراعى مبانى حديثة " الطوب الأحمر والمسلح " بعضها خاص بالاهالى والبعض الآخر بمنشأت حكومية مثل المدينة السكنية للمغتربين " مدرسين وموظفين " الوحدة البيطرية على الطريق الزراعى فى اتجاه بركة السبع وبعض المدارس الأبتدائية – الوحدة الصحية ومساكن الأطباء والمجلس القروى والمدرسة الاعدادية والثانوية التجارية أيضا على الطريق الزراعى فى اتجاه زفتى . هذا مع بقاء البقعة الزراعية كما هى .

أما إذا تكلمنا عن مستقبل الامتداد فالمؤشر واضح أن تأثير سهولة المواصلات ناحية القرية " الى بركة السبع " وكذلك امتداد الطريق الزراعى البرى " بركة السبع – زفتى " كان له الفضل فى أن تحدد ان مستقبل العمران سيكون فى هذا الاتجاه .

ولعــل العوامــل السابقة هى نفسها التى حددت عدم نمو العمران فى الاتجاهات الأخرى.

وتــبعا لمشــروع كهــربة الريف المصرى فقد شمل هذا المشروع أيضا قرية هورين مما ظهرت أثاره واضحة بالنسبة للشباب خاصة وباقى أفراد الأسرة عامة حيث يحلو السهر فوق أسطح البيوت ويستمر اللهو واللعب حتى الفجر ومن الشباب من يقوم بقــراءة بعــض الكتب العلمية او مناقشة بعض المسائل الهامة أو ممارسة لعب الطاولة والكوتشينة[١]

ومما لاحظ أيضا فريق البحث على قرية هورين بصفة خاصة أن معظم الشباب يــتجه الـــى التعليم بجميع مراحله والكثير منهم ممن أتم تعليمه العالى أصبح يعمل فى المــدن أو فـــى العاصـــمة وهذه الفئة ليست قليلة – حيث أنها تزيد سنة بعد أخرى مما يدعــو للقلــق وخاصـــة أن العمال الزراعيون أيضا بدأو يتجهون الى العمل فى المدينة لــزيادة دخلهــم وللمزايا التى وجدوها بالمدينة . من مسكن نظيف وملبس وملهى مما جعــل القرية تكاد تكون خالية الا من كبار السن وذلك على مدار السنة ولكن هذا لايمنع مــن أن الغالبـــية العظمـــى تحس بالحنين دائما الى مسقط رأسها والى الريف المعروف بهدوئـــه وجمالـــه وخاصة فى الاجازات (فتنعكس الأية فى الصيف) حيث يعود معظم الشـــباب الـــيها . والمراد هنا هو أن هذه الأقلية المسنة هى التى تمارس الزراعة لكى تحـــافظ على مستوى الانتاج الزراعى مما يدعو الى الخوف والقلق ويجعلنا نتساءل ماذا يكـــون مصير القرية ومصير الزراعة والانتاج الزراعى بعد ان تنقرض هذه الاقلية من المسنين .

ســـيجىء الـــيوم الذى تصبح فيه اراضى هورين الزراعية جميعها للاجراء وأن هـــذا الـــيوم لـــيس بالبعـــيد – ومن العادات التى بدأت فى الزوال تدريجيا عادة أرسال الصـــوانى واقامة السرادقات فى المأتم وما يستتبع ذلك من تكاليف عبئا على كاهل أهل المتوفى . كذلك زالت عادة الصوانى ايضا فى الأفراح ، وأيضا النقوط .

ومـــن العـــادات التى يجب أن تزول عادة زيارة المقابر خاصة أيام الاعياد حيث يصـــبح يـــوم العيد دائما عزاء والم على الأموات بدلا من الفرح والسعادة والاحتفال مع جميع أعضاء الأسرة بهذا اليوم من أيام السنة .

---

[1]- ملاحظات شخصية

ومما يوصى به فريق البحث فيما يخص نظام المسكن هو تخصيص حجرة للقش والوقود تماما كما تخصص الاسرة حجرة للتبن والاهتمام بالمكان المخصص للمواشى وياحبذا لو كان خارج الدار حيث يقام لجميع عائلات الحى مكان واسع لمواشيهم ويحرسه الأهالى بالتناوب أو يخصص حارس بالأجر لذلك

كما يجب التفكير فى إدخال المياه فى المنازل وتطهير الترع .

هذا ويراعى الأهتمام بالعمال الزراعيين ومد الأهالى بما يلزمهم من ادوات زراعية وأسمدة كيماوية وغذاء للمواشى .

٣ – قريـــــة العشــــى (*)

يهـدف هـذا البحـث المـيدانى الـى التعرف على نماذج السلوك والتصرفات الاجتماعية وانماط الثقافة القروية كما تمارس فى قرية مصرية تتوسط محافظات الوجة القـبلى وهى محافظة قنا ولذلك فهو يصور طبيعة الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة بين قطاع عريض من الشعب المصرى هو سكان الصعيد الذين بسبب الظروف الطبيعـية والبيئية التى يعيشون فيها يتميزون بثقافة مغايرة لما يوجد بين سكان الوجه البحرى رغم ما بين كلا الثقافتين من أوجه التشابه .

ويـتكون مجتمع قرية العشى التى يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية الاف نسمة من تسـع بدنـات تـتفرع منها عائلات القرية التى تتوزع مكانيا على النجوع المتناثرة ، ونظـرا لقـيام المجتمع على النظام الأبوى وشيوع مبدأ العصبة والانتماء القرابى يتمتع رؤسـاء الـبدنات وكبار السن فى العائلات بسلطة قوية على الأهالى تمكنهم من القيام بـدور أساسى فى أستقرار النظام والضبط الاجتماعى فى المجتمع ومراعاة عدم الخروج عما الفته وأرتضته معيارا للسلوك المثالى التقليدى لاعضائها .

ورغم أعتماد الحياة الاقتصادية أساسا على الزراعة المستديمة بالرى من مياه النـيل الا أن الأهـالى هـناك يمارسون بجانب الزراعة تربية الحيوانات للأستفادة من لحومهـا كغذاء وأيضا للمعاونة فى الأعمال الزراعية المختلفة بالاضافة الى قيام بعض الحـرف والصـناعات البسيطة اللازمة لمتطلبات الحياة فى مجتمع قروى وبسبب ضيق المساحات القابلة للزراعة وزيادة معدل السكان يفضل البعض أبتغاء لحياة أرغد الهجرة مـن القـرية الـى مدن أخرى للعمل كأجراء وبخاصة فى مجال التشييد والبناء . لما أشتهر به سكان الصعيد من قدرة على التحمل والجلد فى تلك الأعمال البدنية الشاقة – ويترتب على تلك الهجرة غير المنظمة أيضا عدة مشكلات لكل من القرية والمدينة على السواء .

---

* - دراسة أنثروبولوجية ميدانية للدكتورة سعاد شعبان منشور بمجلة الدراسات الأفريقية العدد الرابع ، ١٩٧٥

وتتضـــح أهمـــية هـــذا البحث فى أبراز القيم والتقاليد الموروثة التى يحترمها الأهـــالى فـــى تلك المجتمعات القروية ويحرصون على التمسك بها ، رغم تعارضها مع الأفكـــار الـــتحررية الـــتى تحملها تيارات التغير التى بدأت تجتاح تلك المجتمعات لرفع مستوى معيشتها ورفاهية سكانها .

وقـــد تبين من الدراسة أن عناصر التغير المادية كاستخدام الكهرباء ومبتكرات التكنولوجـــيا الحديـــثة تلقى قبولا عاما على العكس تماما من عناصر التغير غير المادية كفكـــرة تحديـــد النسل وأشتغال المرأة أو التخلى عن الأخذ بالثأر . ولكن إذا كان التغير الاجـــتماعى ضرورة حتمية فبفضل الدراسات الميدانية المركزة ستتمكن هذه المجتمعات من التخلص تدريجيا من معوقات التنمية وتعيد تكيف نفسها مع الأوضاع الجديدة .

الموقع الجغـــــرافى :

تقع قرية العشى فى محافظة قنا وتتبع مركز الاقصر من الناحية الادارية، وهى تبعد عن الأقصر بحوالى ١٢ كيلو مترا شمالا .

ويحدها من الشمال زمام قرية خزام.

ومن الجنوب زمام قرية الصعايدة .

والغرب مجرى نهر النيل .

ويبلغ زمامها حوالى الفى فدان .

تتمـــيز قـــرية العشى بشكلها المستطيل ويتوسطها مبنى الوحدة المجمعة وتقع أراضـــيها الزراعـــية علـــى خط واحد تقريبا ومساكنها على خط أخر حيث توجد منازل القرية بين الاراضى الزراعية ونهر النيل .

أمـــا عـــن تاريخها فلا يعرف أحد تاريخ أنشائها بالضبط ولكن الاهالى ينسبون تســـميتها الـــى أســـم الشيخ محمد العشى الذى يقال أنه من الصحابة الذين هاجروا الى مصـــر ثـــم أســـتقر فى مكانه الحالى وتوفى بها ولذا سميت (بقرية العشى) ، ويعتقد الأهالى أن القرية لم تكن موجودة قبل قدوم الشيخ محمد العشى الذى يعتبرونة مؤسس أقدم البدنات بالقرية واليه يرجع الفضل فى أنشاء القرية ككل .

ومعظـــم الأهـــالى سمر البشرة طوال القامة الى حد ما ، عيونهم عسلية اللون وملامحهم دقيقة التقاطيع يعتزون بانتسابهم للقبائل الوافدة من الجزيرة العربية .

ويتحدث أهالى القرية العربية التى تغلب عليها اللهجة الصعيدية .

أمـــا عـــن الجانـــب الحضــــارى للقرية (مسكن ، ملبس ، غذاء ، أدوات عمل وانــــتاج). فنجد أن معظم المساكن مبنى بالطوب اللبن ومسقوف بأعواد النخيل والجريد وجــذوع الأشـــجار والبوص المجدول بالحبال والمغطى بطبقة من الطين ، ويلحق بها حظائر الماشية والحيوانات .

ومـــنازل القـــرية متجاورة ومتلاصقة والشوارع ضيقة جدا وملتوية ولا يوجد أســـماء للشـــوارع ولا أرقام للمنازل ومع ذلك يسهل الأستدلال على أى شخص بمجرد السؤال عنه.

وتـــتجمع كل بدنة [1] فى مربع سكنى ولا يبنى أفرادها بيوتا خاصة بهم خارج هـــذا المـــربع الا فى حالة ضيق المساحة أو لصعوبة الحصول على قطعة أرض سواء بالميراث أو الشراء .

والشكل الشائع فى بناء المنزل ينقسم الى قسمين :

الأول : خاص بالاعاشة وغالبا ما يكون الطابق العلوى .

الثانى : خاص باستقبال الضيوف والغرباء وغالبا ما يكون الطابق الأرضى .

ويعتـــبر الطـــابق العلـــوى قســـم خاص بالاسرة ولا يدخلة الغرباء مهما كانت الظروف وهو عبارة عن صالة واسعة نصف مسقوفة تحيطها الغرف من جميع الجهات الا من جهة السلم الموصل الى السطح الموجود به الفرن وأدوات عمل الخبز وحجرات نـــوم جمـــيعها فـــى الدور العلوى ، وغالبا ما تجهز بسرير ذو أربعة أعمدة وناموسية ودولاب ويـــراعى تخصـــيص مكان للطهى وحفظ الأوانى وكل ما يلزم الإعاشة بحيث لا توجد ضرورة تدعو النساء للنزول الى الدور الأرضى اللهم الا عند نظافتة وجلب المياه فى غير أوقات الزيارة أو الضيافة والحجرات واسعة وجيدة والإضاءة والتهوية.

أما الطابق الأرضى فيتألف من (مندرة) وهى حجرة واسعة نسبيا وتكون فى مدخـــل الـــباب الخــــارجى الذى نادرا ما يغلق نهارا وهى حجرة جيدة الأضاءة والتهوية يوجـــد فـــى معظمهـــا شباكا من الحجم الكبير كما يفرش بها الحصير والاكلمة ومزودة بـــالارائك الخشـــبية المفروشة بالمساند والمراتب القطنية ويعتنى بنظافتها والعمل على

---

[1] - البدنة : تمثل الجماعات القرابية بالقرية وفروعها هى العائلات التى تنقسم بدورها الى بيوت تتجاور حسب درجة القرابة وقد يشمل البيت الواحد أسر مكونة من أب وأم وأولاد

بقائهـا جاهزة ومعدة دائما لاستقبال الضيوف ويوجد بعد المدخل والمندرة حوش داخلى فسيح به غرفة مخزن وأخرى لتربية الطيور كما يجهز الدور الأرضى (بمدود)[1]

ويوجـد بـالحوش الداخلـى السـلم الثابت المبنى من الطين أو الطوب الأحمر والاسمنت وله باب لحجب رؤية أهل الدار وتحت إنحناءة السلم الذى يراعى فى بنائه أن يكـون علـى شـكل زاويـة قائمة يبنى المرحاض البلدى وهو عبارة عن فتحة سفلية تـؤدى الـى خزان يفرغ مرتين أو أكثر سنويا ويزود بأناء صغير للأغتسال غالبا ما يكـون أبـريقا من الفخار ، ويراعى أن يكون المرحاض فى الجهة القبلية للمنزل حتى لاتفسد رائحة الخزان هواء المنزل .

وقد توجد طلمبة المياة فى بعض البيوت وأما البعض الأخر فيحصل على المياة من الصهاريج التى عملت بالقرية حديثا .

ومعظـم المـنازل مـرتفعة الأسقف ذات فتحات كبيرة كافية للتهوية والاضاءة وأرضـية المـنازل بطابقـيها أما من الطين المخلوط بالتبن أو الطوب الأحمر باستثناء الموسرين من الأهالى فتكون مكسوة بطبقة من الأسمنت والبلاط ومفروشة بالحصير أو بالاكلمـة كمـا تطلى معظم المنازل من الداخل بالجير وأن تيسر تطلى من الخارج أيضا وتضـاء بالكهرباء وخاصة بعد اتمام السد العالى واستكمال شبكة الكهرباء فى ٣١/٧/ ١٩٧٣م.

أما عن الملابس : (أ) فملابس النساء تتكون من بردة أو خلالية أو جبه وهى عـبارة عـن سـترة مـن القماش الاسود تلبسها السيدة فوق ملابسها وهى فضفاضة واسعة بحيث تغطى الجسم كله من قمه الرأس حتى أظافر القدمين . والقنائع هى عبارة عـن قطعة من القماش الاسود تلبس من أعلى الرأس وتتدلى حتى تلمس الارض وهى الـتى يلبس فوقها الجبة ويكونان معا الملابس الظاهرة التى يراها بها كل من يقابلها .

---

[1]- المـدود : عـبارة عن حوض مستطيل على أمتداد الحائط يرتفع الى حوالى ٧٥ سم بعـرض ٥٠ سـم تقريبا بعمق ٣٠ سم ومبنى من الطين وأحيانا من الأسمنت لتأكل فيه الدواب .

وتلبس النساء أيضا ثوبا تحت البردة أو الجبة يحدد لونه حسب المناسبة التى يلبس من أجلها . ويلبس فى القدم المداس أو الكندرة واحيانا حذاء بدون كعب ورباط .

تلك هى ملابس الغالبية من النساء ولاتختلف ملابس زوجات أو بنات الموسرين عن غيرهن الا فى النوع والخامات .

كما يتحلين بلبس الحلى المصنوعة من الذهب والفضة واحيانا من النحاس والعاج وتكون على شكل أساور أو خواتم أو عقود وغيرها ، كما يلبسن الخلخال من الفضة .

(ب) ملابس الرجال : تتكون من سروال ابيض اللون ينتهى تحت الركبة ويلبس فوقه قميص ذو أكمام واسعة وقصيرة وفوقه الصديرى ثم جلباب أبيض أو سمنى ذو أكمام واسعة تزيد فى الأتساع كلما وصلت الى أطراف اليد وكذلك الجلباب كلما أتجه الى أسفل لكى يمكنه من السير . أما الرأس فتغطى بطاقية من الصوف أو القطن بيضاء اللون ويلف عليها (عمامة) .

ويحرص كل فرد على أن يكون لديه جلبابا من الصوف او التيل أو الجبردين للمناسبات .

(ج) امـا الأطفال فيلبسون جلبابا ذا طوق من قماش الزفير وسروالا وقميصا وطاقية من صوف الغنم " أو القطن المزركش " ولا يلبسون العمامة الا اذا بلغوا سن الرشد .

ولابد لكل رجل ان يحمل عصاه التى يطلق عليها اسم (الشومة)

وعند الزواج يلبس العريس (لاسه) وهى عبارة عن قطعة من الحرير المحلى بنقوش اسلامية وتوضع على الكتف فوق الجلباب الصوف وقت الزفاف .

ويتحلى الرجال بخواتم من الذهب والفضة .

أما الموتى فيشترى لهم الجهاز وهو (الكفن) ، عبارة عن قماش ابيض اللون يحاك على شكل كيس مستطيل يغطى الجسد كله من الرأس الى القدم ويعمل (للرجال) طاقية بيضاء ويلف رأسه بعمامة كما لوكان على قيد الحياة ويحضر الموسرون طربوشا أحمر وعمامة بيضاء ليدفن بهما .

أما النساء فيشترى لهن قماش ابيض يبطن بقماش أخضر اللون وتربط رأسها بطرحة خضراء لتدفن بها .

الغـــــذاء :

تعتــبر وجــبة العشاء هى الوجبة الرئيسية حيث يقدم فيها اللحوم أو الطيور والخضر اما الأفطار فيتكون عادة من اللبن والجبن والعسل ونوع من الخبز يطلق عليه (العــيش الشمسى) يلعب دورا هاما فى جميع المأكولات وهو سميك الحجم يخمر فى أشــعة الشــمس بعد أن يقطع قطعا مستديرة الشكل على مقارص طينية ويوضع فى الفــرن الى أن يحمر لونه ، ويقومون فى العادة بعملية الخبيز هذه كل أربعة أيام . كما يوجــد نوع أخر يطلق عليه الرقاق ويستعمل فى عمل (الفته) . ولديهم أيضا المطبق اوالفطيرالمشــلتت ويعرف من أنواع الخبز ما يسمى (الفايش أو الشريك) ويؤكل مع السوائل كاللبن او الشاى .

ومــن الأكلات المشهورة (العصيدة) التى تعمل من الدقيق واللبن والسكر. ولا يشــترى أهالى القرية أى نوع من أنواع الخبز كما أنه لايوجد بالقرية من يبيع الخبز أو مشتقاته السابقة .

أمــا عن أدوات عمل الخبز فهى : الماجور يستخدم لعجن الدقيق به والمقارص ويوضــع الخــبز عليها قبل أن يدخل الفرن ، ، المطرحة وتصنع من الخشب على شكل قرص دائرى رقيق السمك له يد طولها متر تقريبا تستخدم فى أخراج وادخال الخبز من والــى الفــرن . ويعتبر الفرن من أبرز تلك المستلزمات وله شكل خاص حيث يبنى من الطيــن ولــه فتحــتان جانبيتان . الأولى علوية والثانية سفلية جانبية . وقاعدة للفرن مســتديرة الشــكل مصنوعة من طمى النيل المخلوط بروث الحمير المحروق وهى التى يســوى علــيها الخبز ويوقد تحتها للغرض نفسه ووجود الفرن بالمنزل هذا أمرا لازما للأسرة .

ومــن أنــواع الغذاء التى تقدم : العدس ، البامية ، الملوخية ، الأرز ، الفول، ومشــتقاتة ، اللحــوم والطيور وغالبا ما يتناول الطعام على الطبلية ولا يستعمل الاهالى من أدوات الطعام غير الملعقة إذا ما دعت طبيعة الطعام اليها .

ولا يخــتلف الطعــام العادى اليومى عن ذلك الذى يعمل فى المناسبات كالعزائم والافراح والمآتم .

أمــا عن أنية الطهى . فمازال يستخدم عدد من الأهالى الانية الفخارية كالبرام وهــو عبارة عن وعاء من الفخار المحروق والطاجن والمقلاية التى تستخدم كالاطباق كمــا يوجــد المغــرفة الخشب وليس معنى ذلك أن أستخدام انية نحاسية والومنيوم أو

صينى أو صاج غير موجود ولكن ذلك هو الشائع . ومن الشائع أيضا أن يطهى الاهالى طعامهم على الكانون . هذا وقد تقتنى بعض الأسر وابو جاز لنفس الغرض .

أما بالنسبة للأوانى التى تستخدم للمياة فمنها : الزير ، وهو الوسيلة المفضلة والمضمونة للشرب من ماء النيل بعد ترسيبها به رغم وجود المياة الصالحة للشرب بعد تنفيذ مشروع تنقية مياة الشرب سنة ١٩٥٦م . كما تستخدم القلل .

ومن المشروبات الشائعة بالقرية الشاى ولابد من تقديمه للجميع .

الجانب الاقتصادى السائد بالقرية :

(أ) الزراعة :

تعتمد الزراعة أساسا على مياة النيل ويبلغ زمام القرية حوالى الفى فدان مقسمة الى ٢٤ حوضا تمر بينها ترعة الكلابية وعلى جانبيها بعد بناء السد العالى – ترعة الكرنك الشرقية والغربية وترعة ساحل العشى كما توجد ترعتا الصغيرة والروضة وترعة الاقصر ومضافا اليها مصرف على حدود زمام قرية خزام .

ولما كان رى الحياض هو السائد قبل خمس سنوات كانت أهم المحاصيل الزراعية هى العدس والقمح والحمص والشعير والذرة الرفيعة والذرة الصفراء (العويجة) . كما لم يكن هناك نظام للدورة الزراعية .

ولكن بعد أن تحول نظام الرى الى رى دائم – بعد بناء السد العالى – وتوفر المياة طوال العام اصبحت تزرع الأرض ثلاثة مواسم :

(أ) شتوى ويزرع فيه القمح والعدس والحمص والحلبة والبرسيم والفول والباذنجان والخضروات .

(ب) صيفى ويزرع فيه الذرة الشامى والذرة العويجة والسمسم واللوبيا .

(ج) نيلى ويزرع فيه الذرة النيلى الذى يستخدم فى طعام الدواجن والمواشى .

وأصبح المحصول النقدى الرئيسى حاليا هو قصب السكر حيث تزرع ثلثى الارض الزراعية به .

ويفرق الأهالى بين نوعين من الأراضى الزراعية :

الأول : أرض صفراء تلك التى يقولون عنها أنها تصلح لزراعة الحمص والعدس وهذه لاتحتاج الى أسمدة كثيرة .

الـثانى : وهو الأرض السوداء التى يجود فيها محصول قصب السكر الذى يحتاج الى أسـمدة أكـثر من غيرة ويفضل الأهالى عادة النوع الأول عن الثانى رغم حاجتهم الى زراعة قصب السكر باعتباره المحصول النقدى الأول .

كما يزرع من أنواع الخضر النقدية ايضا الباذنجان .

أما الملكية الزراعية فموزعة على كل الأهالى ولا يوجد أى شكل لتركيزها فى أيدى قلة محدودة منهم .

هذا وتسمى الأرض الزراعية باسم البدنة وليس بأسم الأفراد الحاليين .

فالاربعـة والعشرون حوضا المقسمة اليها أراضى القرية تحمل أسماء العائلات الكبيرة .

والملكـية عمومـا مفتـتة وتتراوح بين خمسة قراريط وخمسة وثلاثون فدانا للعائلة وذلك بسبب الميراث .

أمـا أدوات العمـل المسـتخدمة فى الزراعة فما زالت الالات التقليدية البدائية كالمحـراث والـنورج الزحافة والفأس هذه الالات التى يحرص على اقتنائها المشتغلون بالـزراعة تعتبر الرئيسية والمفضلة لديهم جميعا كما تروى الارض بالساقية وماكينات الرى وكليهما يستخدم فى رفع المياه من الترع والحقول .

هـذا وتقـدم الجمعية التعاونية الزراعية المبيدات الحشرية للقضاء على الافاق والفئران التى تهدد محصول القصب والأسمدة وكافى الخدمات الزراعية .

أما عن طريقة الزراعة الشائعة فتمر بمراحل متتالية فبعد تنظيف الارض من المحاصـيل تترك فترة معرضة للشمس ثم تروى وتترك لتجف حتى تستحرث[1] فتحرث ويـبذر الحب بها بعد تسميدها بالسماد البلدى ، ثم تعرض للشمس مرة أخرى ثم تسوى بالـزحافة وتقسم بعد ذلك الى بيوت وخطوط ثم تروى ويتابع المحصول بالرى والرعاية والتسميد حتى ينمو وينضج .

---

[1]- تسـتحرث أى تصـبح درجة الرطوبة بها ملائمة للحرث لاهى بالجافة جدا أو باللينة فيصعب حرثها .

وبالنســـبة لقصب السكر فيبدأ موسمه فى أواخر ديسمبر وينتهى فى أخر ابريل ويـــتم تصـــديره الـــى شركات صناعة السكر فى كل من نجع حمادى وأرمنت وقوص ودشنا. وذلك عن طريق مندوبين لتلك الشركات بالجمعية التعاونية الزراعية .

امـــا عن العمالة فتعتبر الايدى العاملة مناسبة ان لم تكن تزيد عن حاجة العمل الزراعى فى غير مواسم الحصاد حيث توجد هجرة من القرية الى المدن وخاصة القاهرة والاسكندرية حيث تعمل تلك الايدى مع مقاولى البناء (كفعله) أو كعمال تراحيل بالسكة الحديد أو كعمال مؤقتين فى مصانع السكر .

ورغـــم هذا فانهم لايقطعون صلتهم بالقرية فهم يشاركون فى المناسبات العامة كالاعـــياد والاحتفالات بالمولد النبوى ومولد الشيخ العشى الى جانب تقديم المساعدات المالـــية لذويهـــم وكانت تلك الهجرة واضحة وقت أن كان رى الحياض هو السائد لان العمـــل الزراعى كان يستمر أربعة أشهر فقط فى العام . هذا ولايفكر المهاجرون بهدف التعلـــيم فـــى العودة الى القرية رغم محافظتهم على الود والاتصال بالاهل وتتبع اخبار القـــرية . كما أن القرية تستقبل هجرات خارجية من القرى المجاورة فى مواسم الحصاد خاصـــة فـــى موسم كسر القصب كعمال تراحيل يقيمون عند رؤوس الأحواض ولا يقل عدد الترحيلة عن خمسين فردا .

أما عن تربية الماشية :

فـــيحرص الأهـــالى على أقتناء الجمل الذى يقدم خدمات كثيرة فى الحمل والجر وكذلـــك يربون الابقار للجر بينما يقتنى الجاموس بهدف الحصول على الألبان والنسل . كمـــا يقتـــنون الدواب حيث تعتبر وسيلة من وسائل المواصلات بالنسبة للاهالى وخاصة الرجال وهناك أيضا الماعز والأغنام .

(ب) الحرف والمهن الموجودة :

هـــناك أعـــداد مـــن سكان القرية متخصصة فى مهن وحرف غير الزراعة التى يشتغل بها غالبية الاهالى ومن أهم هذه الحرف والمهن :

(١) النجار : ومهنتة متوارثة ويفرق الأهالى بين نوعين منها :

الأول : نجار دقى وهو الذى يعمل الأبواب والشبابيك والأرائك .

الـــثانى : الـــنجار العـــادى أو البلدى الذى يصنع الساقية والمحراث والنورج والفأس وغيرها من أدوات العمل الزراعى .

هــذا ويتـنـاول الـسنجار أجره اما نقدا وذلك يكون فى الأغلب عند صناعة شيء جديد، وأما عينا عند صيانتة .

(٢) السرايرى : هو الذى يقوم بعمل الأسرة من الجريد

(٣) الترزى البلدى : وهو يزاول المهنة فى المنزل مقابل أجر نقدى .

(٤) السـقا : ومهنــته وراثـية ويضاف الى عملة رش المنزل والشوارع المحيطة فى المناسبات.

(٥) الســمكرى : ومهنــته وراثــية أيضــا وتعتبر مهنة حديثة العهد بالقرية ويحصل السمكرى على أجره نقدا نظير أصلاح وابور الجاز والكلوب ، وعمل الفوانيس ولمبات الجاز وأعمال الصفيح .

(٦) الفحار (الحانوتى) : ومهنته وراثية كذلك يقتصر عمل الفحار على حفر القبر ـ ثـم دفـن جثــث الموتى . بينما يقوم أهل المتوفى بغسله وتجهيزه . ويحصل الفحار على أجره عينا كأن يأخذ عدس وحمص فى موسم الحصاد كما يأخذ جلد ورأس الذبيحة التى تنحر فى المأتم .

(٧) الحــلاق والدايــة : ومهنــتهما تختص بهما عائلات معينة والحلاق يحلق للرجال والأطفــال مــرة كل أسبوعين على مدار العام نظير أجر عينى من المحاصيل الزراعــية أو نقدا إذا كان الشخص مغتربا كما أنه هو الذى يقوم بختان الأولاد وتزيين الشباب عند الزواج وله دورا فى علاج بعد الجروح والأسنان .

أمــا الدايــة فتخــتص بشئون النساء من حيث الأشراف على الولادة ومــتابعة السيدة الوالدة ومولودها كما أنها هى التى تقوم بختان الفتيات وتقوم بعملية اعداد العروس ليلة الزفاف وابداء النصائح لها .

(٨) الــدلال : وهــو دلال المســاحة الذى يقوم بعملية قياس الاراضى الزراعية وتحديد الملكــية ويســتخدم فى ذلك القصبة ويستعان به فى فض المنازعات الخاصة بالاراضــى الزراعية ويؤخذ برأيه كحجة قانونية وهو يستخرج خريطة رسمية من المساحة لتساعده فى أعماله وهو شخص متطوع لهذه العملية بدون أجر

(٩) المداحــون : وهم الذين ينشدون المواويل ويستخدمون فى عملهم الالات الموسيقية كالرق والشخاليل والمزمار والربابة .

(١٠) مهــنة صــناعة الجــريد وزعف النخيل : حيث تعمل الأقفاص والمقاطف والقفف والأسرة

(١١) مهنة صناعة الطوب : وهى عمل قوالب الطوب واعدادها .

(١٢) البناء : وهو المختص باعمال البناء .

(١٣) مهـنـة صـيد السـمك : وهى مهنة وراثية ولكنها فى طريقها الى الأنقراض لقلة كمـية السـمك بعـد السد العالى ويتحول العاملون بها الى عمل المعدية حيث ينقلون اهالى القرية فى قوارب النيل .

(١٤) القـزاز : وهى مهنة وراثية يقوم فيها القزاز بنسج أكياس مصنوعة من صوف الغـنم كمـا يقوم بعمل الشيلان ويأخذ أجره على كل رطل ينسجه وهو يستعمل الـنول ولكـنها مهنة فى طريقها الى الزوال نظرا لان الانتاج فردى ولايكفى لسد حاجة الاهالى .

(ج) تقسيم العمل وتوزيعه :

لاتشـارك النسـاء فـى أية أعمال خارج المنازل ولكن يقمن بتربية ورعاية الأطفـال والقيام باعمال نظافة المنزل وطهى الطعام وعمل الخبز وحلب الماشية وتربية الدواجـن كما يقمن بغزل وبر الجمال وصوف الأغنام الذى يأخذه القزاز لكى يصنع منه أكـياس تسـمى بالتلالـيس ويعبأ فيها المحصول كما يصنع منه الشيلان التى يغطى به المحصـول كما يقمن بصنع المراوح والهوايات من جريد النخيل المكسو بخيوط وقماش مـزركش والـتى لا يخلو منزل منها كما يختص بعضهم بعمل الأفران من الطين وروث الحمير والجمال .

أمـا الرجال فيعملون بصفة رئيسية فى الزراعة أو التجارة كالبقالة أو تجارة الخضـروات أو المحاصـيل كـالعدس والفول والبصل والمهن السابقة كالنجار والحلاق والبناء والقزاز .. الخ .

أما الأولاد الذين يقل سنهم عن السادسة فلا عمل لهم الا اللعب واللهو .

أمـا بعـد هذه السن وفى أوقات فراغهم من الدراسة قد يساعدون آباءهم فى جـنى المحاصـيل وزراعتها . أما كبار السن فينحصر عليهم فض المنازعات والتشاور فيما يهم القرية وتسيير دفة الامور بها . وبعض الأعمال الخفيفة فى الحقول كالحراسة أو الأشراف على عمل ما واسداء النصائح للصغار .

(د) تنظيم الانتاج والتبادل :

تعتبر المحاصيل الزراعية سمة مميزة للقرية حيث لايوجد أى منتجات غيرها .

ويتداول الأهالى فيما بينهم المحاصيل التى يحتاجها كل منهم كما يتمتعون بخدمات المهن السابقة نظير تلك المحاصيل هذا وتتاجر النساء فى الصوف والبيض والدواجن والجبن والزبدة .

الجانب السياسى :

يبلغ تعداد العشى حوالى ثمانية الاف نسمة ويتكون مجتمعها من بدنات وعائلات غالبيتهم من المسلمين .

والقرية فى عمومها تتكون من عدة نجوع [1] تحمل أسم البدنة التى تعيش فيه فيوجد : نجع الناصرية فى الجنوب الغربى ، نجع أحمد عوض ويوجد بين نجع الناصرية ونجع عبد القادر ، يوجد فى الجزء الغربى ونجع يوسف فى شمال القرية ، ونجع الدار وهو عبارة عن خمسة بيوت فى الحد الفاصل بين قريتى الصعايدة والعشى .

وتمثل البدنة الجماعات القرابية فتنقسم البدنة الى عائلات تنقسم بالتالى الى بيوت مكونة من أسر تتركب من أب وأم وأولاد .

وأبرز البدنات الموجودة حاليا :

١. بدنة القواسم .
٢. بدنة العويضات .
٣. بدنة عجاج .
٤. بدنة عبد الهادى .
٥. بدنة حمص (الحمامصة)
٦. بدنة الحسناب .
٧. بدنة العرانيط .
٨. بدنة الخطبة (مصدرها خطيب وهو مقرىء قرآن)
٩. بدنة الناصرية .

1- النجوع جمع نجع وهو جزء من القرية يمكن تسميته (بالناحية) وتتميز نجوع العشى بان كل منها تتركز فيه عائلة .

وأقدم تلك البدنات : القواسم والعويضات وحجاج [1]

وكـل بدنة تقيم ديوانا[2] عاما أو أكثر حسب حجمها وتقام فيه شعائر المواسم والاعـياد والافـراح والعزاء وقد يترتب على عدم وجوده ، تفكك البدنة وتشتت كلمتها ولذا يفضل ان يتوسط الديوان بيوت البدنة .

وبجانـب تلـك الدواويـن الخاصة بالبدنات والعائلات يوجد ديوان عام للقرية يجاور ضريح الشيخ العشى ساهمت فى اقامته وتجهيزه كل البدنات وتناقش فيه الأمور المـتعلقة بالقـرية ككل كذلك تحديد موعد الاحتفال بالمولد النبوى ومولد الشيخ العشى والاجراءات اللازمة لهاتين المناسبتين .

كما يعد الاعتقاد فى أثر الأولياء والمشايخ عاملا آخر يساهم فى تماسك وضبط السـلوك الفردى داخل مجتمع القرية حيث توزع المسئوليات والتكاليف وتحديد دور كل بدنة خلال أيام الاحتفال بالمولد التى يتخللها اقامة الولائم وتقديم الاضحيات فمشاركة كل الـبدنات بـل والقـرى المجـاورة فى تلك المناسبة تتناول الأطعمة مما يقوى الشعور بالـتلاحم ويذيب الكراهية والخلافات كما أن تلك المناسبة تخفف من القيود التى تفرض على تحركات النساء أغلب أيام السنة حيث يسمح لهن بالزيارة ومشاهدة المولد فى غير أوقات الزحام او من فوق أسطح المنازل والنوافذ .

هذا ويلاحظ أن كبار السن لهم الكلمة والرأى .

بالنسبة للسلطة :

أولا : الشـكل التقلـيدى القديم يتمثل فى جوار البدنات وتماسك كل منهما فيما بيـنهما فى مواجهة الأخرى ووجود الدواوين كشكل مادى ملموس يمارس فيه الحوار لحفـظ ذلك التوازن وحقوق الجوار بالاضافة الى اعتقادهم فى أسرار وكرامات المشايخ

---

[1]- بنى هذا الاستخلاص على أراء كبار السن بالقرية من مختلف النجوع والنواحى

[2]- الديـوان عبارة عن مبنى من دور واحد واسع نسبيا له مدخل واسع ومزود بعدد كـاف مـن الشبابيك والمصاطب والارائك ويسقف بافلاق النخيل عادة أو الخشب ان تيسـر ويبيض بالجير وبة حجرات جانبية ويعنى بنظافته افراد البدنه الذين يساهمون معا فى اقامته وتجهيزة .

والاولــياء وخاصــة الشيخ العشى الذى يلجأون الى معاونتة وقت الأزمات والكوارث .
والسلطة التقليدية فى شكلها الرسمى تتمثل فى :

شــخص العمــدة والمشــايخ أو بشكل غير رسمى كبار السن ورؤساء البدنات وتقدير عامل القرابة .

فالعمدة كان يمثل أعلى سلطة فى القرية يعاونة شيخ البلد أو النواحي والخفراء ومشايخهم وكان مسئولا عن حفظ الأمن والنظام ، أما بالطريق الودى أو الرسمى كما يقوم بفض المنازعات والخلافات الشخصية أو العائلية بين سكان وبدنات القرية .

وكــان شيخ القرية أو شيخ الحصة أو الناحية يستمد مكانتة من العمدة ويعتبر ممــثلا لحصــته فيــتحدث بالنيابة عنهم امام السلطات الرسمية ويبحث المشاكل التى يحولهــا اليه العمدة ويجرى المعاينات والتحقيقات المبدئية ويعتبر مسئولا عن المحاضر والاخطارات الرسمية وعن التبليغ فور حدوث ما يعكر صفو الامن .

وقــد عــزز العمــدة مشايخة بعدد من الخفراء وهم ينفذون اوامرالعمدة بقوة السلاح وذلك لمن يعصى التعليمات وليس للخفراء حق الاعتراض أو مجرد أبداء الرأى فيما يقومون بتنفيذة من أوامر .

ورغــم كل ما للعمدة ومشايخه من سلطة فان السلطة غير الرسمية والتقليدية الممــثلة فــى كــبار السن ورؤساء البدنات لها دور كبير فى تسيير دفة الأمور بالقرية وفــض المــنازعات وديا دون علم السلطة الرسمية فى كثير من الاحيان كما أن الأفراد يقبلون حكمها عن طيب خاطر .

ثانــيا : أخذ شكل انسلطة حديثا بعد ١٩٦٠ م فى أنشاء وحدات محلية صغيرة بالقــرية يديــر شــئونها مجلس قروى له رئيس وكذا وحدة أساسية للاتحاد الاشتراكى العــربى. فضلا عن أنشاء الجمعية التعاونية الزراعية بالاضافة الى الأبقاء على وظيفة العمدة .

ولكــن ســلطة العمــدة قد أنكمشت بعد التنظيمات الجديدة وتوزيع السلطة على الهيــئات الســابق ســردها عمــا كان عليه من قبل رغم المساس باجهزته التقليدية كوجــود مشــايخ البلد وشيخ الخفراء والتليفون أصبح العمدة حاليا مسئولا فى المقام الأول عن الأمن واستتبابه ومنع الجرائم وفض المنازعات بالطريق الودى أو الرسمى .

كما فقد جانبا هاما من مكانته الاجتماعية وأصبح يعتبر وسيلة من وسائل تنفيذ رغبات مجلس القرية أو الاتحاد الأشتراكى .

ولكن الشكل الحديث فتح الفرصة امام كل البدنات للمشاركة فى السلطة الرسمية بدلا من تركزها فى فرد أو عائلة أو بدنة واحدة .

ورغم كل هذا فان أهل قرية العشى لايعبأون الا بالشكل الفعلى غير المباشر للسلطة قديمها وحديثها والذى تلعب فيه القرابة دورا رئيسيا ويمتد أثر القرابة فى المحافظة على الامن بحيث تحرص كل بدنة على أحترام حقوق الاخرين واحترام الجوار وبهذا تكونت شخصية البدنة وحفظ لكبار السن كيانهم واحترامهم فى حسم الأمور وتربية الصغار وتوجيه الشباب وبذلك يوجد الضبط الاجتماعى والرسمى ممثلا فى العمدة والمشايخ وكذلك الضبط غيرالرسمى ممثلا فى رؤساء البدنات وكبار السن ويعمل كلاهما فى حفظ وتوكيد النظام فى المجتمع .

يضاف الى ذلك تأثير الأولياء ودلال المساحة فى فض المنازعات .

فاذا كان الخلاف أو النزاع بين فردين أو بيتين فى عائلة واحدة فيكفى أن يتدخل لتصفية كبار السن فى البدنة وأن تعذر فلا يلجأون الى الجهات الرسمية ولكن يستدعى رؤساء البدنات القريبة منها وإذا كان الخلاف بين البدنات وبعضها فتتدخل بدنات أخرى ممن تربطهم بها أواصر القرابة والمصاهرة لفض النزاع ان كان الأمر مستعصيا فتنتدب بدنات من القرى المجاورة وفى حالة اليأس يترك الأمر للثأر لفضه ولا يفكر أحد على أى مستوى فى اللجوء الى السلطات الرسمية .

والدليل على ذلك ــ كما يقول الأهالى ــ أن كل جرائم القتل التى تصل الى السلطات الرسمية التى يتم الحكم فيها بالبراءة يكون أهل القتيل موقنين بتلك البراءة لايتهمون احد رغم معرفتهم بالشخص القاتل الذى يترك أمره للعرف السائد فى الأخذ بالثأر وأكثر من ذلك فان حكم عليه بالسجن فان أهل القتيل ينتظرونه حتى يخرج ليأخذوا بالثأر منه .

ويفضل الأهالى مجالس الصلح العرفية ويقبلون احكامها عن طيب خاطر .

ويمر مجلس الصلح العرفى بالمراحل التالية فى حالة النزاع بين البدنات :

أولا : يجتمع كبار السن فى البدنات بالقرية فى دواوينهم مساءا لبحث المشكلة وتحديد حجمها وحصر المتطلبات .

ثانـيا : يسـتدعى العمدة ومشايخ الحصص لتقدير الموقف وابداء الرأى وحصر النزاع وقد تستغرق تلك الاجتماعات شهرا متصلا .

ثالثا : بعد تحديد المشكلة والاتفاق على الخطوط العريضة كلها لحلها يعرض الأمر على الأطراف المتنازعة .

وفـى حالة قبول العرض يأتى دور أفراد هذا الصلح والذى يشهده معظم بدنات القرية فى ديوان عام القرية وبعد اقراره وقراءة الفاتحة تقوم البدنة المستضيفة بنحر الذبائح ويشترك الجميع فى تناول الطعام كدليل على الصفا وتوديع الدغائن

هـذا وليس للمرأة فى العشى أى دور وسط هذا الشكل السياسى بالقرية فمازال الرجل ينظر اليها على أنها قطعة من الأثاث يحرم عليها الخروج من المنزل بعد سن العاشـرة الا فى حالات الضرورة القصوى وبمصاحبة أحد أقاربها من الرجال كما أنه ليس لها الحق فى اختيار شريك حياتها أو مجرد ابداء الرأى فيه .

وهكذا تعيش قرية العشى بتقاليدها العتيقة رغم ما تتعرض له من تيارات التغير الحديـثة كدخول الكهرباء والمياة الصالحة للشرب وزيادة الاقبال على التعليم ووجود الجمعـية التعاونية الزراعية والسلطة الرسمية إذ أن تلك التيارات تنبغى أن تقف طويلا أمـام تلك التقاليد لتستعين بها بوصفها مواطن السلطة الفعلية غير المباشرة والممثلة فـى كـبار السن ورؤساء البدنات وأستغلال تأثير المشايخ والأولياء وعامل القرابة فى أداء مهامها .

<u>الجانب الأجتماعى :</u>

<u>القرابة والمصاهرة :</u>

أ، القرابة لاتؤثر على الجانب السياسى كما ذكرنا فحسب ولكن يمتد أثرها أيضا الى الجانب الاجتماعى فالعلاقات الاجتماعية بين الافراد والأسر والبدنات يحكمها عامل القـرابة حيـث يطبق مبدأ " أنا وأخويا على أبن عمى ، وأنا وأبن عمى على الغريب " وكـذا نجـد أن أحـترام الصـغير للكبير أمرا ضروريا والتزام الكبير برعاية الصغير وإرشـاده أمـرا حتمـيا كما أن القرابة طبقا للمبدأ السابق ، ففى فض المنازعات التى تحـدث بيـن أسـرتين يتدخل كبار السن فى العائلتين وأن كان بين عائلتين يتدخل كبار السـن فـى البدنة وأن كان بين البدنة وغيرها يتدخل فى فض النزاع البدنات التى تمت لكل منها بصلة القرابة هذا وينعكس اثر القرابة فى بناء المنازل حيث يفضل كل فرد أن

يكــون بجــوار عائلته وبدنتة وذلك حتى يكون التعاون سهلا ويسيرا بينه وبين اقاربه خاصة وأن أراضيهم الزراعية متجاورة .

كمـــا أن للقـــرابة أثـــرا اجتماعـــيا ظاهرا حيث يفضل الزواج من داخل البدنة والدلـــيل على ذلك أن القرية تعرف الزواج بطريقة التسمية ــ التى يتم فيها تزويج فلان بفلانة منذ التسمية بعد الولادة ــ ولاتتم تلك الطريقة الا بين الأقارب كأن يسمى أبن العم لابنة عمه أو أبنة خاله وهكذا .

مركز المرأة والرجل :

المـــرأة ليس لها أى دور سياسى كما سبق أن ذكرنا كما أنها ليس لها الحق فى أبداء الرأى فيما يفرضه ويراه الرجل ، فالسيادة والكلمة والرأى للرجل دونها .

ويظهر هذا واضحا منذ الولادة حيث لا يحتفل بولادة البنت أو بختانها كما أنها تحجــز فـــى المـــنزل مـــن سن العاشرة وتراقب تصرفاتها مراقبة شديدة بعد ذلك حتى تتزوج.

كذلك بعد الوفاة لا يعمل لها مأتم الا إذا كانت أما لأولاد كبار السن ولا يستمر أكـــثر من سبعة أيام – أن عمل – بينما الرجل مهما كان عمره فيعمل له المأتم الذى قد يســـتمر خمسة عشر يوما ، ولاتدفن المرأة فى مقابر زوجها الا فى حالة ماإذا كانت أم لاولاده الكبار وفيما غير ذلك فتدفن فى مقابر والدها .

وعلـــى حـــد قـــول بعض الأهالى (لولا الدين للاقت المرأة معاملة نظيراتها فى الإسلام) ورغم ذلك فان لوجود المرأة أثر فى حياة القرية ومظهرها الحضارى فلا يبنى الدور العلوى من المنزل الا من أجل (الحريم) كما أنها هى الوسيلة التى توثق البدنات والعـــائلات والأسر بعضها ببعض بالزواج والمصاهرة هذا بالاضافة الى أثرها الفعال فى تنشئة الاطفال والقيام بالواجبات المنزلية .

دورة حياة الفرد من " الميلاد حتى الوفاة "

تقـــوم الداية باجراء عملية الولادة ومن عاداتهم اعطاء الوالدة بعضا من السكر والبـــيض المقلـــى بالزيت والثوم لتسهيل الولادة والشائع عندهم ايضا ان لاتلد السيدة وهـــى مســـتلقية على ظهرها ولكنها تجلس على " مأجورين " ويسندها أهلها وأقرباؤها مـــن النســـاء اللاتـــى مررن بنفس التجربة . وبعد ما تتم الولادة تربط الداية المشيمة " الخـــلاص " بخـــيط ثم تقطعه بسكين ساخن لتكوى العرق وتدفن المشيمة بجوار حائط

الحجــرة أو ترمى فى النيل واحيانا تحفر لها حفرة كبيرة تحت الماجور الذى تمت عليه الولادة وتدفن فيها " وتسمى هذه الحفرة " البورة " وهناك أعتقاد برش البسلة (١)

هــذا وتتــناول الوالدة الطافية (٢) لمدة ثلاثة أيام ثم تتناول وجبات مطهوة من الخضر والطيور .

ويــراعى عــدم غســل ملابــس المولود بل وضعها فى وعاء به ماء وتترك مــنقوعة بــه حتى الصباح بجوار رأسه وفى الصباح تغسل ولا يرمى ماء الغسيل الا بجــوار حــائط حــتى لايــتخطاها احــد خوفا على المولود من الموت وتستحم الأم هى والمولود فى اليوم السابع .

ويعمل فى اليوم السابع " السبوع " وهو الأحتفال بمرور سبعة أيام على ولادته حيث يوضع فى غربال ومعه فول سودانى وحلويات وملح ، وفى هذا اليوم يتجمع الأهل والجــيران والاحــباب وتــأتى الداية وتقوم بفتح عينى المولود فى ضوء الشمس حتى لايخشــى النظر اليها عندما يكبر " ثم تدق له الهون ثم تقول بصوت عال " أسمع كلام أمــك وكلام أبوك وعمك وخالك وتكون حنين علينا وسؤالك يكون حلو ، وأن قالوا لك مشرق يعنى مشرق أو مغرب يبقى مغرب " .

ثــم يقوم الأهل والحاضرون بتقديم النقوط وتناول الحلوى وشرب الطافية وفى العــادة تذهب الزوجة فى حالة الولادة الاولى الى منزل أهلها لتضع مولودها الاول بين أهلها وتحت رعايتهم وعلى الزوج ان يرسل اليها كل ماتحتاجه من نقود وطعام .

ومــن العادات التى تتبع فى الولادة ايضا ان يوضع تحت فراش الوالدة سكين ومــرآة ومكحلة ولقمة عيش ظنا أن ذلك يمنع الأصابة بالمشاهرة (٣) وفى اليوم الثالث

---

[1]- البســلة : عــبارة عن تركيبة من سبعة أشياء هى : كمون اسود وشعير وحسناء وفــول وعــدس وملح وقطعة خبز . وترش فوق الحفرة التى تحفر لدفن المشيمة أو الخلاص ويظن ان البسلة حصنا ضد المشاهرة .

[2]- الطافية : هى مشروب الحلبة مضافا اليها سمن وسكر .

[3]- المشــاهرة تعــرف بانها رد الفعل العكسى الذى يحدث للسيدة الحديثة الولادة عندما يدخــل عليها أى شخص يكون حالقا راسه أو معه باذنجان أو لحم أو آت لتوه من السوق أو تخطــى قضــبان السكة الحديد اثناء مجيئه والمشاهرة تتمثل فى عدم الأنجاب بعد ذلك

للــولادة تقوم الام برش قليلا من لبن ثديها على وجه المولود وتمسحه به ويرضع لمدة عــام ونصف أو عامين كاملين ثم يفطم ليأكل مما تأكله الأسرة . وتجرى عملية الختان بالنســبة للبنــت مــن سن ٤ – ٦ والولد من ٦ – ١٠ سنوات ، ويتم ختان البنت سرا وتقــوم بــه الداية بينما يجرى الحلاق عملية الختان للولد ويكون فى احتفال كبير يشبه الاحــتفال بالزواج ويدعى اليه الأهل والأقارب والأصدقاء ويكسى الولد بقميص ابيض مــزركش ويقام الاحتفال بعد صلاة الظهر حيث يزف الولد بالمزمار البلدى والربابه أو الأرغــول وتطلــق الأعــيرة النارية ويقام الذكر ويتلى القرآن ويكون ذلك قبل أجراء الخــتان وفــى الــيوم التالى يقوم الحلاق بعملية الختان حيث يجلس الطفل على ماجور ويلبس سوار فضة على صدره ظنا منهم أن الفضة تبعد عنه ةالأنزعاج والعين الشريره والحسد .

ويقضى البنين والبنت اوقات فراغهم فى اللعب واللهو والاستمتاع بفترة الصبا وخاصة بعد ان اضيئت القرية بالكهرباء .

وتاتى بعد ذلك مرحلة الزواج حيث يتزوج الفتى من سن ١٦ – ٢٠ والبنت من سن ١١ الى ١٦ سنة .

وبعــد أن يشــفى الولــد من الختان يدخل مرحلة الفتيان حيث يذهب الى كتاب القــرية لــيحفظ القــرآن الكريم وفى تلك الفترة يتعلم الطاعة ويتعود على تلقى النصح والارشاد من خارج اسرته ويذهب البنين والبنات الى الكتاب الا أن البنت تحجب بالمنزل بعــد سن التاسعة أو العاشرة لمساعدة والدتها فى أعمال المنزل وجلب المياه كما تتعلم الطهى وعمل الخبز وشئون المنزل حتى تتزوج أما الولد فيستمر فى تلقى العلم والدرس فى المدرسة الابتدائية ثم الاعدادية ثم الثانوية .

وعندما ما يفكر الشاب فى الزواج فانه يرابض عند مورد المياه والصهاريج فى انــتظار فتيات القرية وهن يملأن جرارهن وعندما تعجبه احداهن يخبر والده برغبته فى الــزواج مــنها فيذهب والده الى والد الفتاة ويطلبها منه . وفى احيان اخرى يتم الزواج بعد الخطوبة عن طريق التسمية .

وجفــاف اللبــن مــن ثديها أو اصابة طفلها بالضعف والهزال المضطرد حتى يموت أو تصاب هى بالضعف وعدم القدرة على القيام بالاعباء المنزلية .

وبعـد موافقة الطرفين على اتمام الزواج يشترى العريس ثوب وفول سودانى ويرسـلها مع والدته لاهل العروس ثم يتفق على تحديد ميعاد لقراءة الفاتحة . ويحضر العـريس لهـذه المناسـبة قمح وسكر وشاى وأقمشة وحلوى وهذا يسمى " النيشان " ويقوم أهل العروس بتقديم العشاء بعد قراءة الفاتحة ويزور أهل العروس منزل العريس بعـد الخطوبـة بثلاثة ايام ومعهم ذبيحة كاملة النضج ليأكل العريس وأحباؤه من طهى العروسة ثم يتفق على المهر .

هـذا ويزور العريس أهل عروسه ومعه الهدايا ولكنه لايرى عروسة ولا يجلس معها.

وعلـى أهل العروس شراء الأثاث الذى يتكون عادة من سرير وصندوق لحفظ الملابس ووسادة ولحاف وبعض الأوانى النحاسية .

وتقوم العروس بتجهيز ملابس الفرح التى تكون من الحرير والستان .

وقـبل الفـرح بيوم تقوم العروس بزيارة ضريح الشيخ العشى ليلا مع أقاربها وتـأخذ معها خبز وكعك وتعطى خادم المسجد بعض النقود كما يعطيها خادم المسجد أو النقيب قليلا من الرمل وشريط من كسوة الضريح تبركا وحرزا لها ضد المجهول .

وتلـبس العروس يوم الفرح فستانا أبيض اللون وتحته قميص زاه ، كما تلبس طرحة بيضاء وتاج ، وأما الحلى فهى عبارة عن عقد وحلق من الذهب وأساور وخلخال من الفضة.

ويرسـل أهـل العروس يوم الزفاف الخبز والفايش [1] الى منزل العريس وفى مـنزل العـريس يحضر الحلاق لتزيينه ثم يركب بعد ذلك حصانا مزينا وتركب العروس خلفـه ويسير موكب العرس من جهة اليمين حول القرية . حتى يصل الى منزل الزوج ويقـوم أهلهـا بانزالها وادخالها الى المنزل ، ولكن قبل دخولها تعطيها أم العريس اناء مملـوء بالماء حيث تأخذ منه بعض الماء وتفاجىء العريس ببخ المياه عليه كما يكون هو أيضا مستعد لبخها .

وفـى صـباح الـيوم التالى يحضر أهلها الهدايا ويقدمان النقوط ثم يتناولون الغذاء ويستمر ارسال العشاء للعروسين من جانب أهل العروس لمدة سبعة أو عشرة أيام .

---

[1]- الفايش نوع من الكعك .

وبعد الزواج يدخل الشاب مرحلة الرجولة حيث يسعى لكسب قوته وقوت أولاده ثم يصبح ابا فجدا وهكذا تدور الحياة .

الوفاة :

عندما يتوفى شخص ما فى القرية يعلن ذلك فى القرى المجاورة وذلك بأرسال اخباريين اليها ، كما يذهب الحفارون الى المقبرة لتجهيزها بينما يقوم أهل الميت بغسل الجثة وتكفينها والصلاة عليها ، ثم تحمل فى الحسانية " النعش " الى المقابر ولما كانت المقابــر فى طريق الشيخ الأقربى فعند الأقتراب منه يقف ركب المشيعين لقراءة الفاتحة والدعــاء للميــت ويطلب من كبار السن والعجزة غير القادرين على مواصلة الطريق حتى المقابر ، العودة ويشكر لهم سعيهم .

وإذا كــان الفقيد شابا أو زوجا فقد تحلق الزوجة او الام شعرها وتلبس ملابس الحــداد الســوداء ربمــا بقية حياتها على فقيدها ولكن النساء لايذهبن الى المقابر مع الرجال . ثم يعود الرجال بعد ذلك ليجلسوا فى ديوان البدنة لاستقبال المعزيين .

ويستمر العزاء فى الديوان لمدة خمسة أيام وأحيانا لمدة خمسة عشر يوما وفى هذه الفترة يقدم الأقارب واهل النجع الطعام لمنزل المتوفى .

وفــى اليوم الخامس تعمل الصدقة التى توزع على الفقراء الذين يتجمعون عند قــبر المــتوفى لقرأة القرآن على روحه ثم يذبح خروف إذا كان الفقيد رجلا ونعجة إذا كانت أمرأة ويوزع على الفقراء والسائلين ويذهب الفقهاء والحاضرون لاحضار ملابس المتوفى وما كان خاصا به ويتلى القرأن الكريم لصرف روحه ويأخذ الحفار " الحانوتى " جلــد وأمعاء الذبيحة ويدفن الرجل فى مقابر أهله من أبيه ، بينما المرأة فى مقابر أهلها من أبيها الا إذا كانت أما لأولاد كبار فتدفن فى مقابر زوجها .

وبعد الوفاة لايجوز للأرملة ان تتزوج وإذا حدث أعتبر هذا أمرا مشينا بالعرض وخرقا للعادة ، بينما يسمح للرجل أن يتزوج بعد وفاة زوجتة .

الجانب التعليمى :

ينقســم الى التعليم غير الرسمى والتعليم الرسمى . والتعليم غير الرسمى يرتبط بالكــتاب حيــث يوجــد فــى العشى ثلاثة كتاتيب لتحفيظ القرآن وهى تعمل فى فترتين صــباحية ومســائية وينتظم الطفل فى الكتاب منذ أن يقوى على السير والنطق وتكون لديــه القدرة على التحدث والفهم ويقوم بتحفيظهم القرآن ومبادىء الدين معلم يسمى "

سيدنا " [1] ويتعلم الطفل الى جانب ذلك القراءة والكتابة ويستخدم فى ذلك لوحا من الصفيح وقلما من البوص والحبر الأسود ويظل الطفل فىالكتاب حتى يبلغ سن السادسة فيلزم بالانتظام بالتعليم الابتدائى الرسمى .

ومن مظاهر التعليم الرسمى بالقرية وجود مدرستين ابتدائيتين مدرسة الوحدة الاجتماعية والمدرسة الأزهرية والالتحاق بايهما الزاميا عند بلوغ الطفل سن السادسة وقد أنشئت مدرسة الوحدة عام ١٩٢٦ م .

ومن الملاحظ أن عدد الفتيات يقل فى السنة السادسة عنه فى السنة الأولى حيث وجد أن عددهم فى السنة الأولى ٢٣ طفلة فى حين أنه وصل فى السنة السادسة الى ٦ فتيات فقط ، وذلك يتمشى مع تقاليد القرية الخاصة بحجب الفتاة عند بلوغ التاسعة من عمرها .

وأما المدرسة الأزهرية فقد أنشئت سنه ١٩٥٤م وتتبع وزارة شئون الأزهر ويتركز التعليم فيها على علوم الدين الى جانب المواد العلمية .

ومن ناحية الأقبال على التعليم المدرسى فيلاحظ أن نظام الالزام المطلق هو الذى يجبر الاهالى على أرسال أولادهم الى المدرسة وذلك لانه تتخذ اجراءات قانونية ضد ولى الامر المخالف كالغرامة.

ومن يكمل تعليمه الأعدادى والثانوى منهم نادرا ما يفكر فى العودة الى القرية للاقامة بها .

الناحية الصحية :

للعلاج فى القرية طرق كثيرة منها الشعبى التقليدى والحديث ويستخدم فى معظمها أعشاب ونباتات كما تستخدم ادوات محلية ويستعينون بالاولياء فى الحالات المتعسرة .

وفيما يلى بعض أنواع العلاج فى حالات معينة :

فمثلا فيما يصيب الاطفال من أمراض يتم العلاج على النحو التالى :-

---

[1] - سيدنا : يكون شخصا راشدا متدينا صالحا حافظا للقرآن الكريم حسن السير والسمعة وغالبا ما يكون له مورد رزق غير تلك المهنة .

لعــلاج الأســهال : يســف الطفل مسحوق الترمس وقشر الرمان . كما يسحق القرض ويــنخل ثم يخلط بماء الفول المدمس ويعطى للطفل ليشرب منه قبل الافطار أو قد يغلى ويشرب بدون اضافة سكر اليه ويعطى له فنجان قبل الأفطار وقبل النوم .

أمــا فى حالة الأصابة بالكحة فيغلى ورق الجوافة ويشرب كما تغلى بذور نبات السيسبان وتشرب قبل الأفطار .

وإذا ماكانــت الأصــابة ارتفاعا فى درجة الحرارة نتيجة الأصابة بالبرد فيدهن صــدرة بزيت الطعام ثم يلف جيدا بقطعة من القماش ثم تعجن الحناء مع الملح والبصل ويدلك به باقى جسم الطفل جيدا ويستخدم كذلك الخل فى التدليك .

أمــا إذا كــان الطفل هزيل الجسم كثير البكاء والصراخ بدون سبب فانه يعالج بحفــر ثلاث حفرات فى مدخل الباب ويوضع فيه الماء وتقوم الأم بتخطيها سبعة مرات وهــى تحمل مولودها المريض ثم تدهن جسمه بتلك المياه ظنا فى أن سبب هذا المرض أن الأم تكــون دائمــا متضــايقة وهــى ترضعه ولذا تتخطى تلك الحفر الثلاث لتمتص المضايقة فتهدأ ويزول سبب بكاء الطفل وينمو ويشفى الهزال .

وإذا كانــت الاصابة هى تأخر الطفل فى المقدرة على السير فتربط رجليه عند مفصــل القدم بزعف النخيل الأخضر ثم يضعوا الحلوى والترمس فى حجره ويذهبوا به الــى ضــريح الشــيخ العشى أثناء اداء صلاة الجمعة أنتظارا لخروج أول المصلين من المســجد فيطلبوا منه فك الاربطة من رجليه وأخذ ما بحجره من حلويات ويوزعها على الحاضــرين وبعد ذلك يزرون ضريح الشيخ العشى وينذرون له نذرا أن تمكن من السير وشفى من ضعفه

أمــا التطبيــب الشــعبى بالنسبة لأمراض النساء فيتخذ الاساليب والممارسات الاتية:

إذا كانــت المــرأة تشــكو مــن الام تصــاحب الدورة الشهرية فتنصح بشرب الدمسيســة[1] أما إذا كانت الشكوى من الام الحمل والوضع فتشوى بصلة وتوضع على الفــرج . ولتســهيل عملية الولادة يوضع الثوم مع الزيت على النار ويسوى مع البيض ويؤكل كما تشرب القرفة والجنزبيل .

1- الدمسيسة هى خلطة تشترى من العطار .

أما إذا كانت الاصابة هى النزيف فيغلى لها قشر الرمان المحمص وتشرب ثلاث مرات فى اليوم .

أمـــا إذا كانـــت الســـيدة عاقرا لا تنجب فيحضر لها معدن الذهب ويشترط عدم أستعماله من قبل وتحضره سيدة كبيرة السن ثم تضعه فى أناء به ماء .

ويعمـــل لهـــا عملية (الطق)[1] ثم تزور الجبل وتعود من طريق مخالف لذلك الـــذى ذهبت منه ويكون ذلك فى الصباح الباكر ، كما تزور المقابر احيانا وهو ما يعرف بعملـــية (الشق) ، ثم يحضر لها قالب طوب محروق حديثا ويطلب منها أن تستحم عليه حيث ينزل الماء فوقه . واحيانا تنصح بان تبلع عصفورا حديث الفقس لايوجد به أى ريـــش ، أو قد يقتل ثعبانا ويطلب منها ان تخطوه سبعة مرات جيئة وذهابا ، كما قد يشار عليها بزيارة قبر مهجور أو زيارة السوق والمجازر أو تعدية نهر النيل .

أمـــا إذا كانت الاصابة هى المشاهرة فتلبس المرأة ما يعرف (بالمشهرة) وهى عـــبارة عن خيط أبيض يعقد سبعة عقد ويوضع به بخور ويسمى " عقاد " وتلبسه فى صـــدرها كمـــا يلبس طفلها مشهرة كذلك فى يده اليسرى وتنصح بلبس كل حليها وما تمـــتلكه من ذهب وفضة وخاصة دبوس الأنف كما تستعين السيدة المصابة بالمشاهرة بالبســـلة الســـابق وصـــفها عند الولادة. وهم يعتقدون ان البسلة حصنا ضد المشاهرة. ولكـــن اذا أصـــيبت السيدة بأحد مظاهر المشاهرة كجفاف لبن الثدى مثلا فعليها أن تقوم بعمل " كباس " ويتم بأخذ بعض حبوب القمح من جيرانها وتعطيها لأحد جيرانها بالتالى الـــتى تقـــوم بدورها بطهيه على النار فى صباح اليوم التالى ويدلك به صدر المصابة ثم يغسل بعدها بالماء فينزل اللبن عقب ذلك .

كمـــا تحـــرص النساء عند الولادة ان لاتلمسها سيدة قامت بعملية الولادة حديثا ظنا أنها اذا مسكتها وهى تلد تعطيها ما لديها من أوجاع حيث يقولون " فلانة لما مسكت فلانة وهى تلد اديت لها الوجع بتاعها " أى تخلصت من الامها وخلعتها على غيرها .

أمـــا إذا كانت الظاهرة المرضية عند السيدة ان يتوفى اولادها فيظن السبب فى ذلك ان الزوج متزوج من جنية تقوم بخنق اولاد زوجتة الادمية وتسمى الجنية فى هذه

---

[1]- الطق : هى أن تدخل على سيدة كبيرة السن بعد أن تشرط أحد أرجلها (أرجل السيدة العاقر) وذلك قبل أن يهل هلال الشهر العربى .

الحالــة " مرافقة " وللتخلص من ذلك تذهب الزوجة الادمية الى أحد المشايخ الذى يعمل لها حجابا معينا ويصف لها بخورا لمدة سبعة أيام وغالبا ما يكون كمون أسود وكسبرة ثم يبخر الطفل (بالطوالين)[1]

ومــن الاشياء المعروفة لعلاج الجروح والدمامل للجميع سواء الذكور والاناث والاطفال والكبار هى وضع ملوخية ناشفة فى الجرح أو وضع عجينة مضافا اليها سكر على الجرح أو الدمامل لامتصاص الصديد.

بينما الصداع يعمل له عجينة من طحين الترمس مضافا اليها القرنفل ثم يعجن بالماء ويعمل منه لبخة تربط على الجبهة .

وأحـيانا يؤتـــى بخيط من الصوف مأخوذ من نعجة بكر ويربط على الجبهة ثم يضـــغط علـــى الـــرباط بمفـــتاح خشبى يفتح الباب من الشمال اليمين وليس العكس كما يشـــرب ينســـون وكراوية وحلفا بر واذا اشتد الصداع فتربط الرأس بمنديل ثم يوضع فوقه خل ولبخة مكونة من حناء وملح وليمون .

أمـــا إذا كانـــت الاصابة ضربة شمس فتعالج بتكسير بصلة وعجنها فى حناء وملـــح وتوضـــع علـــى جلد الرأس لمص ذلك الأرتفاع فى درجة الحرارة ويقوم بهذه العملية الرجل لزميله والمرأة للمرأة .

أمـــا إذا كـــان المرض هو القىء فيغلى له لبان دكر ويشرب قبل الأكل . ولكن المغص يشرب له حلفا بر وكراوية وينسون وحرجل أو تحويجة تشترى من العطار .

وإذا كانت الاصابة دوسنتاريا (تعنية) فتعمل له قهوة مضافا اليها ليمون.

أما إذا كان المرض يصيب العين كأن يحمر لونها أو تلتهب فيؤتى (بجنزارة). وهى حجر أزرق اللون فى حجم التمرة ثم تذاب فى الماء ويقطر منها فى العين وأحيانا يقطــر مــن لبن الثدى فى العين فى حالة الالتهاب . أما إذا كانت العين محتقنة فتكسر بيضـــة طازجة مضافا اليها كمونا أبيض وعليه قليل من الماء وترج وتستعمل كقطرة

---

[1]- الطواليــن عــبارة عن آيات من القرآن الكريم تكتب فى قصاصات من الورق ويقوم بعملها شيخ متخصص

للعيــن يقطــر مــنها ثلاث مرات يوميا . أما إذا كانت اصابة العين هى الانتفاخ والورم فيعمل لها كمادات شاى أو يذاب الأسبرين فى قليل من اللبن ويقطر منه فى العين .

وإذا كــان المرض فى الأذن فتعمل له عصيدة من الدقيق والبيض ويلف حول الأذن لمــص الألــم وإذا كانــت إصابة الأذن هى وجود الدود وهذا غالبا ما يصاب به الأطفــال – فــتعالج عــن طريق الدوادة وهى سيدة متخصصة فى علاج هذا النوع من المرض حيث تقوم بتنظيف الاذن من الدود وذلك بعد قراءة دعوات وتعاويذ معينة يخرج على أثر الانتهاء منها الدود وتشفى الأذن .

أمــا إذا كــان بــالاذن التهاب فيستخدم زيت الطعام بوضعه بداخلها لازالة تلك الالتهابات .

وإذا مــا اصــيب الشخص بالزكام استعمل الليمون وقد تغلى الحلبة مع الملح وينصح بان يشرب منها عدة مرات وتذبح له دجاجة سمراء " غطيس " أى لايوجد بها ريشة واحدة ليست سوداء ثم يأكل لحمها ويحتسى حساءها .

وإذا كان المرض هو الرطوبة أو الاصابة بالروماتيزم فيدفن الجسم فى الرمال الســاخنة وبعدها يأخذ حمام ساخن ويأكل طيورا أما إذا كان الروماتيزم فى عضو معين فــى الجسم كالايدى أو الارجل أو الظهر فيكوى الجزء المصاب بالنار بواسطة مسمار ليشــفى وقــد يعــالج الرواماتيزم (بالحمصة) حيث يعمل جرح فى العضو المصاب ثم يوضــع الحمصــة فيه ويستبدل كل يوم لمدة سبعة أيام وهى تقوم بدورها فى امتصاص المــاء وبعد ذلك يزول الالم – واحيانا يستخدم الوشم لعلاج الروماتيزم الموضعى . أما إذا أُصــيب الفرد بالدوخان فيغلى له كسبرة ليشربها ويتناول معها طعاما دسما كالطيور والخضروات المطهية للشفاء منه .

وإذا كــان المــرض بالاسنان فيستعمل القرنفل ويسمى (مسمار الريحة) وإذا أصيب الشخص بالصفراء يقطع العرق الأسود الموجود تحت اللسان ويسحب

أمــا أمــراض الحساسية فيعجن لها الحناء مضافا اليها ليمون ومياه وتدلك به الأماكن المصابة لكى تشفى .

ولالام القلب يشرب لها مشروب النعناع أو القرفة أو شراب الحلفا بر وأما حالة لــدغ العقــرب فيســتدعى الحــاوى الذى يقرأ الفاتحة أربعين مرة بدون ذكر لفظ (ولا الضــالين) وفــى هــذه الحالة يتجمع السم فى مكان اللدغ ثم يشرط مكانه ويحضر سكر

ومـــاء ساخن ويدلك مكان اللدغ ثم يصفى الدم (بالمحجام) وهو قطعة من الحديد على شكل قمع يستخدم فى تلك الحالات .

أمـــا إذا كانـــت الاصابة نفسيه أو عقلية كالخبل فلا يوجد لها علاج عقارى أو نـــباتى فـــيكون الذهـــاب الـــى الأولياء وأتباع طقوس معينة هو العلاج كان يذهب اهل المـــريض بـــه الـــى شـــيخ معروف بكراماته فى علاج تلك الحالات أو يزورون مارى جـــرجس بالقـــرب مـــن الاقصر ويلبس المريض جلبابا أبيض ويمكث فى زيارة ضريح الولى أسبوعا على الأقل.

أما المرض المستعصى والذى تفشل معه جميع المحاولات يظن ان الشيطان هو الســـبب فينقل المريض الى الشيخ الذى يطلب أحضار زيت كافور طيار وزبدة بقرى ثم يخلطهـــا ويدهـــن بـــه جسم المريض مرة كل يوم بعد أن يعمل له أحجبة معينة يلبسها المريض.

ولكـــن لايســـتعان بالمشايخ فى تلك الأمراض بل فى حالات الأمراض الخطيرة كالاصابة بالحمى التى فشل فيها العلاج بالعقارات والنباتات حيث يقوم الشيخ بكتابة آية الكرســـى علـــى ظهـــر المـــريض ويعزم عليه بقراءة القرآن الكريم ويعمل له الاحجبة اللازمة ثم يعطى المريض ثلاث ورقات صغيرة مكتوب عليها آيات قرآنية ويطالبه بعمل الـــبخور بالكسبرة الذى يسمى (تفاحة الجن) ، ويبخر منه ثلاث مرات يوميا وفى كل مرة يلقى باحدى تلك الأوراق الثلاثة فى نار البخور وتسمى تلك الأوراق (فوايد) .

كما يدخل دور المشايخ والاولياء فى التوافق الزوجى حيث يعمل الشيخ احجبة معيـــنة ويـــبخر كلا من الزوج والزوجة المتنافرين بالبخور ليقرب ويوفق بينهما . وفى حالـــة المرض بالوساوس يحضر الشيخ ترمس مطحون ويعجنة بالرشاد وهو نوع من النشـــادر ويضـــعه على رأس المريض ثم يربطها بقماش أبيض مكتوب عليه آيات من القرآن لطرد الشيطان الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس أملا فى الشفاء .

كانـــت هذه هى طرق العلاج الشعبى المنتشرة فى قرية العشى وكان لابد من أســـتخدام مـــثل هذه الطرق طالما أنهم لا يعرفون طرق العلاج الطبية الحديثة ولكن منذ أنشـــاء الوحدة الاجتماعية بالقرية وأنتشار الوعى الطبى تعرضت تلك الأفكار الشعبية فـــى العلاج لتغيرات كثيرة خاصة وأن الوحدة تشتمل على وحدة صحية كاملة بها ثلاث أطـــباء مدربيـــن ومتخصصـــين منهم طبيب الأسنان وعدد ٢ مساعدة مولدة ، ١ زائرة

صـحية ومراقـب وملاحظ صحيين الى جانب العمال والطباخ وسائق سيارة الاسعاف فضـلا عن أن المبنى معد بالادوات الطبية الحديثة وقد لوحظ أقبال الأهالى على الوحدة فـى حـالات كثيرة منها الولادة ولدغات العقرب وعلاج الأسنان وغيرها مما يعانى منه أهل القرية .

كمـا يوجـد بالوحدة أيضا مكان لرعاية الأمومة والطفولة حيث تتابع الحوامل بواسطة الزائرة الصحية منذ البداية وتعطى العقاقير والأدوية اللازمة ، كما تقوم المولدة ومساعدتها بمباشرة الولادة ومتابعة صحة الأم والمولود حيث تقوم بتطعيم الاطفال ضد الشلل والدرن والجدرى كما يوجد أيضا مركز لتنظيم الأسرة .

<u>الناحية الدينية :</u>

يقـال أن القـرية لـم يكن لها وجود قبل مجىء الشيخ محمد العشى مؤسسها وعلـى هـذا فلـم تمـر القرية بمراحل دينية تاريخية فالدين الغالب هو الاسلام وملكية الأراضـى الزراعـية كلهـا للمسلمين ولايوجد بها ديانات أخرى باستثناء أسرة واحدة تعتنق المسيحية وأتت نازحة الى القرية ويعمل معظم افرادها ببعض الحرف .

والناحـية الدينـية هامـة جدا فى حياة أهالى العشى فالقرآن هو الحكم الذى يلجـأون اليه عند فض المنازعات وأنشاء أى علاقة اجتماعية حتى بين شخصين ومن هذه المظاهر مثلا أن الارتباط والاتفاق على عهد ما يكفى قراءة الفاتحة .

وبالقرية عدد كاف من المساجد والزوايا . وأهل القرية يهتدون بمشايخ وأولياء القـرية ويـتقربون من سيرتهم ويتمسكون برضائهم . كما أنهم يقيمون لهم أحتفالات سنوية تخليدا لذكرى مولدهم وأبرز تلك الاحتفالات هى المولد النبوى الشريف والاحتفال بمولد الشيخ العشى حيث يستمر الاحتفال بالمولد النبوى الشريف شهرا كاملا ، وتحتفل بـه كـل بدنة فى ديوانها الخاص وتنحر الذبائح فى اليوم السابع كما يقرأ القرأن وتقام حلقات الذكر كما تزين القرية بالاعلام وزعف النخيل ويقدم الطعام لكل سائل محروم .

كمـا يعتـبر الاحتفال بالمولد النبوى الشريف مناسبة لتقديم الهدايا وأيضا من المناسـبات الـتى يـتم فـيها الزواج أو تصفية الخلافات او المنازعات بين العائلات أو الـبدنات وأقـرب الاحتفالات اليهم ذلك هو الخاص بمولد الشيخ العشى الذى يعد حدثا اجتماعـيا يحـتفل به كل عام ، ويستمر خمسة أيام تبدأ من ٨/١٥ فى الغالب ويدعى للاشـتراك فيه الى جانب كل بدنات وأفراد القرية ، القرى المجاورة للمشاركة فى أحياء

تلك الذكرى كما يشترك جميع الأهالى فى شراء الذبيحة الكبيرة التى تنحر بجوار ضريح الشيخ العشى الى جانب الذبيحة التى تذبحها كل بدنة لنفسها .

ويطلــق على آخر ايام الاحتفال يوم (الفكة) وهو الذى يحتفل فيه (بالدورة) وهــى عــبارة عن حمل كسوة الأضرحة وأولها كسوة الشيخ محمد العشى على الجمال وتسمى (بالتوابيت) وباتمام الدورة والدوران حول القرية تنتهى كافة المراسم الخاصة بالاحتفال بمولد الشيخ العشى .

هذا ويحافظ أهالى القرية على ممارسة الشعائر الدينية والتمسك باركان الاسلام الخمســة كمــا أنهــم يحثون أولادهم على حفظ القرآن والتمسك بأهداب الدين ومعرفة السيرة النبوية الشريفة بارسالهم الى الكتاتيب منذ الصغر .

خاتمـــــــة

حقاق البحث ونتائجـــــــــــة

تقع قرية العشى بمحافظة قنا وتبعد ١٢ كيلو مترا عن مدينة الاقصر ورغم ذلك فلـيس لهـا أى صـلة وعلاقـة بالآثـار الفرعونية حيث وجد فريق البحث أن الأهالى لايذهـبون الى الأقصر للعمل فى الآثار وحتى البعثات الأثرية لاتعرف شيئا عنها الا أن معظـم احتياجاتها تأتى اليها من الأقصر حيث لايوجد بها سوق أو مخبز فيما عدا بعض المحـلات الـتجارية الصغير ة التى تشبه الاكشاك ولا يصل اليها القطار وترتبط القرية بالاقصـر والقـرى المجاورة بخط أتوبيس وبعض سيارات الأجرة والطريق المؤدى الى الأقصر ترابى وغير ممهد وملتوى .

والغريـب عن القرية يشترى حاجاته يوميا من الأقصر أو أسبوعيا من القرى المجاورة لها مثل قرية خزام وغيرها من القرى التى يقام بها سوق مرة كل أسبوع .

أمـا الهجـرة الـى المـدن للعمل فى أعمال البناء والحفر فهى سائدة بالقرية وغالـبا مـا يـترك المهاجـر زوجته واولاده ويرسل لهم مايستطيع أدخاره من نقود لاعاشـتهم ولكـن رغم اغراءات المدينة فلا يقطع العامل صلته بالقرية ولا ينسى أهله وذويه .

أما الهجرة بسبب التعليم فنادرة لانه نادرا ما يكمل أحدهم تعليمه العالى .

ونظـام السـكن حيث يقطن بالحى بدنة واحدة له مزايا كثيرة هى الحفاظ على روابـط وأواصـر القـرابة وهـذا يدعو انى التعاون والمجاملة ولكنه ربما يشجع على التعصب أكثر من اللازم .

أما من حيث الأوانى المستخدمة فى الطهى والشرب فمما هو ملحوظ أن الجميع يسـتخدم الأوانـى الفخاريـة التقليدية التى كان يستعملها أيضا قدماء المصريين ولكن أستخدامها فعلا مفيد لانها تعطى الطعام طعما أشهى مما تكسبه أى أنية أخرى الى جانب أنها أرخص بكثير من الأوانى الحديثة .

ويمـارس أغلـب الأهالى الزراعة مستعملين الالات الفرعونية القديمة وتوجد بعـض الحرف الأخرى الى جانب ذلك بالنسبة للمحاصيل الزراعية فقد دخل القرية أيضا محصـول جديـد إلـى جانب محاصيله التقليدية وهو محصول القصب وقد غير من مفاهـيم القـرية حيـث يتطلـب مجهودات كبيرة وعمالا كثيرة وقد شجع على الهجرة

الداخلية فى مواسم معينة مما ساعد على أدخال عناصر حضارية جديدة ويتبادل الاهالى المحاصيل الزراعية فيما بينهم كما يتمتعون بخدمات الحرف الأخرى نظيرها .

ومما لوحظ أن المرأة ليس لها أى دور واضح فى المجتمع ، رغم مالها من أثر غير مباشر فى حياة القرية ومظهرها الحضارى فلا يسمح لها أن تقوم بأى عمل خارج المنزل حتى حرية الرأى فى المنزل أيضا قد حرمت منها ولذلك فانها تمارس كل العادات والتقاليد والمعتقدات القديمة ولم تتأثر بالتيارات الحديثة فى مجتمعها رغم قيام برامج التنمية الاجتماعية بمهامها خير قيام ، وبالقرية وحدة صحية ووحدة اجتماعية بالاضافة الى المجلس القروى وما يقوم به من خدمات ولكن إذا أردنا تغيير أفكار المرأة من حيث المعتقدات الراسخة فيجب أولا أقناع الرجل ، وهو بدوره يستطيع أن يخرجها من هذا الحيز الضيق الذى تعيش فيه . فعلى الرجل فى هذا المجتمع القروى يقوم وينفذ كل شىء.

ولكن بالنسبة للرجل فهناك ايضا عادة يجب أن تزول تلك وهى عادة الأخذ بالثأر التى لم تمحها التطورات الحديثة ولم تستطع السلطات الحكومية أن تغير منها شيئا ربما يتظاهر بانه تنازل عن حقه وترك الأمر للمسئولين ولكنه فى قرارة نفسه لن يفعل ذلك يتربص لكى يأخذ بثأره بعد عشرات السنين وهذه مشكله ازلية بالنسبة للوجه القبلى جميعه.

أما من ناحية التربية الدينية فالمجتمع يهتم بها اهتماما كبيرا مما يجعل الشباب يحافظ على حفظ القرآن الكريم وأتباع التعاليم الدينية فالجميع يخشون الله ويعملون حسابا لكل صغيرة وكبيرة فهم متدينون للغاية وهذه سمة رئيسية فى القرية التى يشتهر أهلها عامة بالكرم وحب الغير والتعاون والمجاملة واحترام اراء كبار السن .

ومما أحدث تغيرا واضحا بالقرية إدخال الكهرباء حديثا مما ساعد الرجال على السهر خارج المنزل فى الدواوين أو فى الوحدة الاجتماعية للتشاور ، او للصلح أو للتسلية وقضاء وقت لطيف معا ، وكذلك الأولاد وذلك لأن الجو لا يشجع على القيام بأى نشاط اثناء النهار .

أما بالنسبة لأدخال مياه الشرب النقية فى القرية فلم يلق أقبالا كبيرا لان الجميع مازال يفضل شرب مياه النيل وربما يرجع ذلك الى العادات الفرعونية التى تقدس النيل ومياهه .



تم بحمد الله تعالى طباعة هذا الكتاب

بقسم التصوير

بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة

تحت إشراف

السيد / إبراهيم أبو العينين (أمين المعهد)

السيد / حسنين محمد عبد العال (رئيس قسم التصوير)

السيد / محمد صلاح الدين غازى (فنى تصوير)

السيد / أحمد عبد المقصود أحمد (فنى تصوير)

رقم الإيداع ٢٠٠٤/٥٧٣١